



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الجزائر 2\_ أبو القاسم سعد الله  
كلية العلوم الإنسانية قسم الفلسفة



## عنوان الأطروحة:

بديع الزمان سعيد النورسي وإشكالية أبعاد

الإشارات العلمية في الطبيعة

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم تخصص فلسفة عربية إسلامية

إشراف الدكتور:

الأخضر شريط

الطالبة:

بن سعدي حورية

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الاستاذ
رئيسا	أبو القاسم سعد الله_الجزائر 2	أستاذ التعليم العالي	أ د عبد الرزاق قسوم
مقررا	أبو القاسم سعد الله الجزائر 2	أستاذ التعليم العالي	أ د لخضر شريط
عضوا	أبو القاسم سعد الله الجزائر 2	أستاذ التعليم العالي	أ د محمد حواس
عضوا	أبو القاسم سعد الله الجزائر 2	أستاذ التعليم العالي	أ د أسماء بلهادي
عضوا	بن يوسف بن خدة الجزائر 1	أستاذ التعليم العالي	أ دعمار جيدل
عضوا	زيان عاشور جامعة الجلفة	أستاذ التعليم العالي	أ د سعد عبد السلام

السنة الجامعية: 2020\_2021

## شكر وتقدير

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾<sup>1</sup>

أشكر ربي العظيم الذي علمني بالقلم ما لم أكن أعلم.

أرفع أسى أي التقدير والاحترام والاعتزاز للمشرف الفاضل الأستاذ الدكتور "الأخضر شريط" الأستاذ القدوة سلوكا وخلقا وعملا، إيماننا بفضله وإقرارا بوافر جميله وكبير عطائه، والذي تابع مسيرتي العلمية من أولها إلى هذه اللحظة ولم يتوانى عن تقديم يد العون والنصيحة والأمل، ومنحني الحرية الكاملة في طريقة تناول وتحليل المواضيع، وهذا شرف منحه لي أن وضع في ثقته، فهو قدوتي في العمل والمثابرة والصبر، فله منّا كل الامتنان والعرفان، وبارك الله في صحته وعمله وعمره، وأدامه ذخرا للعلم والمعرفة، حفظه الله ورعاه وجعل ما يقوم به في ميزان حسناته.

أشكر الدكاترة الذين قبلوا مناقشة مذكري رغم كثرة الأعباء والانشغالات، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

أشكر جامعة الجزائر، إدارة وأساتذة وعمالا، على ما يقومون به من خدمات جلييلة تسهل على الطلبة أداء مهامهم على أتم وجه.

أسدي الشكر الجزيل لمؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم وعلى رأسهم الأستاذ الوالد "إحسان قاسم الصالحي" عنوان الإخلاص والخدمة حفظه الله ورعاه، وجميع من يساهمون في نشر العلم والمعرف من رواد المؤسسة، على الخدمات الجلييلة التي قدّموها لي من أجل إتمام هذا البحث. أخفض جناح الدّل لمن زرع فيّ بذرة حب المعرفة "أمي وأبي" داعية الله لهما بختم القرآن حفظا فذاك حلمهما.

أهب مودتي إلى زوجي وسندي في الحياة، وأبنائي الذين صبروا على انشغالي بالبحث وقدّموا لي الدعم المعنوي.

إلى أسرتي الفاضلة\_كرزاي\_وعلى رأسها الأستاذ الفاضل والقائد الملمهم "عمر امعمر" متمنية له النجاح والزيادة في الريادة والقيادة، فذاك مكانه الأنسب.

إلى هؤلاء الأفاضل أقدم شكري وعرفاني.

الطالبة بن سعدي حورية

## ملخص البحث

قصد هذا البحث بيان الإشارات العلمية في الطبيعة، وتحديد أبعادها الوظيفية بالنسبة للإنسان، واتخذ من رسائل النور منبعاً ومعيناً في ترسيخ الإيمان والدفاع عنه بطرق علمية وحجج وبراهين فلسفية، لمواجهة الفكر الغربي الذي يدّعي الفصل بين العلم والإيمان. بدأت الباحثة بالمقدمة التي أثارَت فيها الإشكالية الرئيسية المتمثلة في: ما هي أبعاد الإشارات العلمية وما أثرها في ترسيخ الإيمان و نهضة الأمة؟ ثم انتقلت إلى الفصل الأول الذي عرضت فيه حياة الأستاذ النورسي رحمه الله والظروف التي صقلت موهبته الفذة، وتناولت المنهج الذي اتبعه من حيث الوسائل والمبادئ ومواطن التجديد، وفلسفته في إثبات الحقائق الإيمانية، أما الفصل الثاني فكان محوره تمثّلات الإشارات العلمية في الطبيعة، مبرزة تعريفها وأنواعها وأهدافها، ثم المصادر والقواعد التي اعتمد عليها النورسي في بيان الإشارات العلمية، وقد أوضحت الباحثة تمثّلات هذه الإشارات في الكتاب المنظور ( الطبيعة ونقصد بها الكون ) ثم الكتاب المقروء (القرآن الكريم) ثم الكتاب الناطق ( الرسول صلّى الله عليه وسلّم) ثم تمثّلاتها في الميتافيزيقا، وقد حوى الفصل الثالث أبعاد هذه الإشارات وعلاقتها بالتخصصات العلمية الحديثة وأثرها في نهضة الأمة، وركزت الباحثة على الأبعاد الوظيفية التي تساهم في ترسيخ الإيمان واشتمل على دراسة البعد الاجتماعي والوجودي والجمالي، وعرّجت الباحثة في الأخير على علاقة الإشارات العلمية بأسماء الله الحسنى وتجلياتها في الإنسان بوصفه كونا مصغرا وفي الكون ككل.

**Abstract:** what are the dimensions of scientific signs and what is its effect in establishing faith and the Renaissance of nation? the biography of teacher Nurssi. and the circumstances that brushed up his inimitable talent and she dealt his approach in terms of means, principles, areas of renewal and his philosophy in establishing the truths of fait. Whereas in the second chapter, it was about representations of scientific sign in Nature that justified its definition, kinds and goals then its sources and bases that Nurssi relied on in the statement of scientific signs. The researcher showed the representations of these signs in the perspective book after that the representations in Metaphysics, she dealt with the dimensions of these signs and their relation with the recent scientific specialties and their effects in the Renaissance of Nation.

dimensions of scientific\_ Nurssi\_ philosophy\_ Nature\_ Metaphysics

## الفهرس

الصفحة	المحتوى
	شكر
	إهداء
	ملخص
1	المقدمة
1	مشكلة البحث
2	أسباب اختيار البحث
4	أهدافه
5	أهميته
5	خطة البحث
6	منهج البحث
7	الدراسات السابقة
11	مدخل تمهيدي
17	<b>الفصل الأول: الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي</b>
18	المبحث الأول: قراءة في التحولات الجذرية للدولة العثمانية
18	المطلب الأول: الأوضاع السياسية
20	المطلب الثاني: الأوضاع الثقافية
21	المطلب الثالث: الأوضاع العلمية
22	المبحث الثاني: النورسي: تأملات في سيرته ومسيرته
22	المطلب الأول: المولد والنشأة
22	أولاً_ مولده ونسبه
23	ثانياً_ مسيرته العلمية
25	ثالثاً_ مرجعيته الفكرية والسياسية والدينية
28	المطلب الثاني: التحول الفكري والسياسي

28	أولاً_ مرحلة المواجهة سياسيا
33	ثانياً_ مرحلة المعاناة والمواجهة فكريا
38	ثالثاً_ مرحلة الإستقرار
39	المطلب الثالث: وفاته ورفاته_رحمه الله
39	أولاً_ وفاته
40	ثانياً_ المنفى الأخير
42	المبحث الثالث: ترجمته الفكرية وآثاره العلمية
42	المطلب الأول: رسائل النور وطلبة النورسي
42	أولاً_ رسائل النور
46	ثانياً_ المضمون العلمي للرسائل
48	ثالثاً_ طلبة النور
53	المطلب الثاني: النورسي بين توصيفه الشخصي وقراءة الغير له
53	أولاً_ المناخ الثقافي
55	ثانياً_ ميزات تفرد بها
57	المطلب الثالث: النورسي والفلسفة.
57	أولاً: مفهوم الفلسفة عند الأستاذ النورسي.
58	ثانياً_ فلسفة النورسي.
66	المبحث الرابع: المنهج العلمي عند النورسي
66	المطلب الأول: طبيعة المنهج النوري
66	أولاً_ مبادئ المنهج النوري.
70	ثانياً_ وسائل التبليغ و منهج النورسي.
73	ثالثاً: مواطن التجديد في منهج النورسي.
79	المطلب الثاني: مواطن التجديد في المنهج النوري
79	أولاً_ فلسفة الأخلاق عند النورسي.
88	ثانياً_ فلسفة الحضارة عند النورسي:

92	ثالثا_ فلسفة العلم عند النورسي:
98	رابعا_ فلسفة الإيمان:
106	خامسا_ العلم والعمل والإيمان:
<b>108</b>	<b>الفصل الثاني: تمثلات الإشارات العلمية في الطبيعة</b>
110	المبحث الأول: الإشارات العلمية: المفهوم والخصائص
110	المطلب الأول: مفهوم الإشارات العلمية
110	أولا_ الإشارات
111	ثانيا_ العلمية
112	ثالثا_ الإشارات العلمية
112	المطلب الثاني: أهداف الإشارات العلمية
112	أولا_ الأهداف العامة
114	ثانيا_ الأهداف الخاصة
115	ثالثا_ تعريف القرآن الكريم.
116	المطلب الثالث: أنواع الإشارات العلمية في القرآن الكريم
116	أولا_ الإشارات البلاغية
120	ثانيا_ الإشارات الغيبية
124	ثالثا_ الإشارات التشريعية
125	رابعا_ الإشارات بالفظلكة والخلاصة
126	خامسا_ الإشارات الكونية
128	سادسا_ الإشارات النفسية
129	سابعا_ الإشارات التكرارية
131	ثامنا_ إشارات موجودة في الحروف المقطعة
132	تاسعا_ الإشارات الفنية
132	المبحث الثاني: مصادر وقواعد الإثبات في المنهج النوري
132	المطلب الأول: مصادر الإثبات

132	أولاً_ القرآن الكريم
136	ثانياً_ السنة النبوية الشريفة
137	ثالثاً_ الفلسفة الإسلامية
140	رابعاً_ الوجدان والفطرة
140	المطلب الثاني: منهج النورسي في تبيان الإشارات العلمية
141	أولاً_ القواعد الأساسية في المنهج النوري
141	القاعدة الأولى: قاعدة الحوار والتفتح وعدم المقاطعة
143	القاعدة الثانية_ قاعدة الدحض والتفنيد
143	القاعدة الثالثة_ قاعدة تقديم الحجج
148	القاعدة الرابعة: المقايسة والموازنة بين الأشياء.
149	القاعدة الخامسة_ قاعدة ضرب الأمثال والقصص
151	المطلب الثالث: مسالك المنهج النوري
152	أولاً_ المسلك الأنفسي
152	ثانياً_ المسلك الآفاقي
153	ثالثاً_ المسلك الإيماني
154	المبحث الثالث: تمثلات الإشارات العلمية في الطبيعة
155	المطلب الأول: تمثلاتها في الكتاب المقروء
156	أولاً_ إشارات كونية دالة على وجود الله
158	ثانياً_ إشارات علمية دالة على توحيد الله
162	ثالثاً_ إشارات علمية دالة على النبوة
168	المطلب الثاني: تمثلاتها في الكتاب المنظور
170	أولاً_ تناسق الكون وارتباطه بالقرآن_ الكون يشهد للقرآن
174	ثانياً_ الآيات الكونية
183	ثالثاً_ الطبيعة الناطقة بالتوحيد
192	المطلب الثالث: تمثلاتها في الكتاب الناطق

193	أولاً_ سيدنا سليمان وإشاراتهِ لعلم الطيران
194	ثانياً_ سيدنا موسى وإشاراتهِ لعلم الجيولوجيا
195	ثالثاً_ سيدنا عيسى وإشاراتهِ لعلم الطب
195	رابعاً_ سيدنا إبراهيم وإشاراتهِ لعلم الكيمياء
196	خامساً_ سيدنا محمد وإشاراتهِ للكمال كله
197	المطلب الرابع: تمثلاتها في الميتافيزيقا
197	أولاً_ عالم الملك والملكوت
204	ثانياً_ عالم الغيب والآخرة
<b>214</b>	<b>الفصل الثالث: أبعاد الإشارات العلمية في الطبيعة</b>
215	المبحث الأول: الإشارات العلمية ودلالاتها الوظيفية
215	المطلب الأول: الإشارات العلمية وتعميق الإيمان
215	أولاً_ مبدأ الغائية عند الموجودات
216	ثانياً_ المطلق والنسبي في الطبيعة
217	ثالثاً_ الخالق والمخلوق
222	رابعاً_ السوق الإلهي لمخلوقاته
225	خامساً_ نفي الصدفة
226	المطلب الثاني: العلم بتخصصاته ومركزية الإنسان بين العلم والإيمان
233	أولاً_ علم الفلك
236	ثانياً-العلوم الفيزيائية والكيميائية.
237	ثالثاً-علم الفزياء
237	رابعاً_علم الكيمياء:
241	خامساً: علم الجيولوجيا والجغرافيا
246	سادساً- العلوم البيولوجية والفيزيولوجية.
247	سابعاً-العلوم الطبية والصيدلة.

250	ثامنا_ العلوم الإنسانية
253	تاسعا_ العلوم الهندسية والعمرانية والحضارية.
254	المطلب الثالث: الحضارة الغربية تتلمس دلائل التوحيد
256	أولا_ شهادات الغرب و الملحدين
257	ثانيا_ المستقبل للإسلام
259	المبحث الثاني: الأبعاد الوظيفية للإشارات العلمية
260	المطلب الأول: البعد الإجتماعي
261	أولا_ التوازن بين الجانب المادي والجانب المعنوي
261	ثانيا_ إتحاد الموجودات دعوة إلى اتحاد الإنسانية
262	المطلب الثاني: البعد الوجودي
263	أولا_ الماهية تسبق الوجود
263	ثانيا_ ماهية الإنسان ومسألة الحرية
264	ثالثا_ أدلة إثبات الحرية عند النورسي
266	رابعا_ الحرية والحتمية
267	المطلب الثالث: البعد الوظيفي
267	أولا_ الوظيفة الكونية
269	ثانيا_ الإنسان أهم جندي في الكون كله
270	المطلب الرابع: البعد الحضاري
271	أولا_ بين الثوابت والمتغيرات
272	ثانيا_ أثر الإيمان في التقدم الحضاري
273	المبحث الثالث: توظيف الرؤية الحضارية النورية في مواجهة الحضارة الغربية.
273	المطلب الأول: موقف النورسي من الحضارة الغربية و موقف الغرب من الفكر النوري.
277	المطلب الثاني: مصير الحضارة الغربية
279	المطلب الثالث: الصراع الحضاري ومستوياته

281	المبحث الرابع: تجليات الأسماء الحسنى في الطبيعة
282	المطلب الأول: الحكمة من تجليات أسماء الله الحسنى
286	المطلب الثاني: التجليات الكونية
303	المطلب الثالث: التجليات الإنسانية
308	المبحث الرابع: أثر الإشارات العلمية في بيان جمالية عالم الآخرة
308	المطلب الأول: جمالية الموت
311	المطلب الثاني: جمالية عالم الغيب والشهادة
317	المطلب الثالث: جمالية الاستخلاف والتعبد لله
318	المطلب الرابع: أثر التجليات في تعميق الإيمان
321	الخاتمة
	فهرس الأعلام
	قائمة المصادر والمراجع

# المقدمة

أحمدك اللهم أن هديتنا لدينك القويم، حمدا كثيرا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك، حمد من يعترف بالقصور عن حصر إشاراتك وآياتك ومن يعجز عن توفيتك الشكر على جزيل نعمائك، وصل اللهم وسلم على سيدنا وحبينا وشفيعنا الذي بعثته بالنور الكامل والهدى والشامل رحمة للعالمين، محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، وبعد:

### أولاً\_ بيان الموضوع وتحديد إشكاليته:

إن التقدم العلمي في وقتنا المعاصر وصل إلى نتائج بهرت الإنسانية جمعاء سواء في الجانب الإيجابي أو الجانب السلبي، لدرجة أن بدأت ترفع صيحات التحذير من إطراد التقدم العلمي والتقني دون النظر إلى صلته بالإيمان، فهو الذي يجعل العقل أقدر على فهم الحقائق العلمية وأكثر استجابة لها، وهو الذي يؤصل المصدر الإلهي للطبيعة والكون في عقل الإنسان فيرد كل الظواهر الطبيعية إلى الخالق الذي أوجده، ونظّمه وأتقن صنعه وجعل بنائه إشارة إلى كماله ومطلقيته، حيث لا نقص ولا صدفة ولا عشوائية، وجعل من مبادئه العقلية (السببية والحتمية) دليلا على وحدانيته، وفي نفس الوقت تفسيرا علميا للقوانين الطبيعية التي تمكنه من التعميم والتنبؤ.

بهذه الروح الإيمانية العلمية تقدّم النورسي رحمه الله في هدوء ذكي ليستقرء الطبيعة ويتلمّس إشاراتها العلمية ويحدد أبعادها متبعا في ذلك المنهج الصحيح في التعامل مع الكون واستقراء لغته وإشارته، وقد كرس حياته ونذرها للدفاع عن القرآن بالشواهد العلمية التي تؤكد يقين آياته في الأنفس والآفاق، بمنهج علمي دقيق تحدّى به الحضارة الغربية المعاصرة، في الوقت الذي كانت الأمة الإسلامية تمر بأضعف حالاتها نتيجة الهجوم الشرس على ثوابتها، الأمر الذي أفقدها هويتها وأذهب معالمها، وقد وفق إلى حد كبير في الحفاظ على هوية الأمة من خلال جهده العلمي ومنهجه العملي، وقراءة الإشارات العلمية المبتوثة في الطبيعة تستوجب أدوات العلم وملكات العقل والاستعانة بالحواس، وقد احتوت الطبيعة على درر وآليء من شتى أنواع العلوم والمعارف التي قيّض الله سبحانه وتعالى لها العلماء الذين قاموا باستخلاصها وما هذه الدرر إلا غيض من فيض.

ونظرا لأهمية العلوم بمختلف أصنافها في كشف الإشارات العلمية المبنوثة في الكون حاولت جاهدة بيانها وتوضيح أبعادها وفي تخصصاتها الدقيقة التي وردت فيها، فوق اختيارى على هذا العنوان: "النورسي وإشكالية أبعاد الإشارات العلمية في الطبيعة"، وقد أثرت الإشكالية التالية:

ما هي أبعاد الإشارات العلمية في الطبيعة عند الإمام النورسي رحمه الله؟  
ما مركزية الإنسان بين الإشارات العلمية والإيمان بها؟ وما وظيفته الحضارية في نهضة الأمة؟  
وفيما يخص المشكلات الفرعية التي يجيب عنها البحث هي:

\_ ما هو المنهج التي قدّمه النورسي لفهم الإشارات العلمية المبنوثة في الكتاب المنظور وما علاقتها بالكتاب المقروء؟

\_ ما هي الأبعاد الوظيفية للإشارات العلمية، وكيف يستثمرها الإنسان في الحياة؟ وكيف تساهم الرؤية النورية في حل مشكلات العصر؟

### ثانياً\_ فكرة البحث وأسباب اختياره:

إن مهمة البحث في قضايا الأمة الإسلامية هي همّ حضاري في حد ذاته يتطلب مهمة جادة في طلب الأسباب وتحديد النتائج، ولا بد له من همة عالية لا تقتر ولا تتطفئ ولو انتهى البحث النظري، فقد يجد الباحث نفسه مكلفاً بمهمة أصعب من بحثه النظري محاولاً تجسيد ما توصل إليه من نتائج عملية، وقد كان اختياري لأبعاد الإشارات العلمية استجابة لدوافع خاصة وأسئلة شغلت عقلي منذ الصغر، إذ كيف لأمة امتلكت في الأزمنة الغابرة زمام الأمور وقادت العالم بأسره، وتحكمت في كل مجالاته العلمية والعملية، أن تفقد سيطرتها في زمن التقدم العلمي والتكنولوجي؟ كيف يمكن للعقل البشري المدعم بآيات القرآن الكريم أن يستنتق الإشارات والآيات المبنوثة في الطبيعة ويسلّتهم منها القوانين العلمية التي تمكنه من إعادة السيطرة على العالم بواسطة العلم المدعم بالإيمان.

إذا كانت الحلول التي قدّمها العلماء الأفاضل مسايرة لعصرهم، فإن هذا العصر استجدت فيه أشياء لم تكن في الحسبان، لدرجة قلبت كل المفاهيم والموازن، كان لا بد من البحث عن منهجية جديدة تسير العصر وتقدم الحلول العملية المعاصرة لمشكلات الأمة، وليس أنسب لهذه القضية من بديع زمانه، الأستاذ النورسي رحمه الله، الذي عايش الأحداث

وشارك في حروبها وهو القائل: " لقد تحملت آلامي الشخصية كلها، لكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي، أنها توجه إلى قلبي أولاً، ولهذا تروني مسحوق الفؤاد، ولكنني أرى نورا سينسينا هذه الآلام إن شاء الله"<sup>2</sup>.

وعن سبب اختياري "للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي" بالضبط فذلك يعود إلى عدة أسباب من بينها:

\_ لأن فكره لم يسلط عليه الضوء مقارنة بعلماء عصره من جهة، وجدة أفكاره المعاصرة للوضع الراهن وتشخيصه للداء وتقديمه للدواء من جهة أخرى، مما جعله قدوة لغيره ومدرسة تخرج منها ملايين المخلصين العاملين في ساحة الدفاع عن القيم الإسلامية، كما أن رسائل النور التي ألفها جديرة بالقراءة في كل أقطار العالم، فهي لم تتل حظها من المطالعة رغم أهميتها العلمية.

\_ ولأنني لمست التجديد في كل أفكاره سواء في الفلسفة الإسلامية من تجديد علم الكلام والتصوف، أو في مجال علاقة العلم بالإيمان، أو في منهجه العلمي الذي استخدمه لبيان الإشارات العلمية وأبعادها الوظيفية.

\_ النظرة السطحية لفكر الأستاذ النورسي بأنه يعادي الفلسفة، في حين لمست التفلسف الحقيقي في فكره الحجاجي والمنطقي، فكان من الواجب أن أبحث في فكر هذا الرجل المبدع لأستخرج منه مواطن التجديد في الفكر الإسلامي وأبرهن على خصوبة الفلسفة الإسلامية، وبيان الإتحاد الفعلي بين الكتاب المنظور في الطبيعة والكتاب المقروء، الأمر الذي يعمق ويجدد ويوقظ الإيمان ليتحد مع العلم، في عملية النهضة الحضارية المنشودة.

\_ لأن النورسي رحمه الله عالج هذه القضايا وهو يعيشها ويتألم لانحطاط المسلمين وتخلفهم فجاءت كتبه ترجمة حرفية لمعاناته، وقد سمي بالرجل القرآني لكثرة اهتمامه بالقرآن الكريم واستخراج كنوزه اللغوية والعلمية والجمالية، وفي تعريفه لرسائل النور التي ألفها يقول: "رسائل النور هي درس قرآني يوافق أفهام هذا العصر"، كما أنه اضطلع بمهمة تفسير القرآن الكريم مقدما مادة علمية معرفية جديدة لم يسبقه أحد إليها.

<sup>2</sup> \_ النورسي: صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص 515

لأن منهجه وطريقته في الإقناع والرد على الخصوم لها صدى كبير في دخول غير المسلمين للإسلام كونه يتحدث باللغة التي يفهمونها لغة العلم والمنطق السليم.

**ثالثاً أهداف البحث:** تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق بعض الأهداف من بينها:

بيان الجانب الذي لم يسلط عليه الضوء في فكر النورسي، وهو أبعاد الإشارات العلمية في الكون، للاستفادة منها في الأحداث التناغم بين العلم والإيمان، وتوظيفه في الحياة الإجتماعية.

كما قصد هذا البحث إبراز أفكار النورسي حول الحضارة الغربية وكيفية التعامل معها، وذلك من خلال مؤلفات رسائل النور وإبراز الرؤية النورية الجديدة في التقدم الحضاري، وكيفية تطبيقها عملياً.

إبراز الحقيقة الثابتة وهي أن العلم بكل تخصصاته يدعو إلى الإيمان وأن الطبيعة هي مخلوق يشهد على وحدانية الله سبحانه وتعالى.

بيان القواعد التي يجب إتباعها ومراعاتها لدى الباحثين في دراسة الإشارات العلمية في الكتاب المقروء والكتاب المنظور، وإبراز مكانته العلمية بين مفكري عصره من خلال مقارنة آرائه في الحضارة الغربية مع المهتمين بها من المفكرين المعاصرين.

بيان الرؤية الجديدة للكتاب المنظور والكتاب المقروء والناطق، وبيان التكامل الوظيفي بينهما، وإبراز التعامل الحقيقي والتفاعل الوظيفي مع أسماء الله الحسنى من خلال تعميق الإيمان التطبيقي.

كيفية التعامل مع الحضارة الغربية دون التخلي عن الثوابت، وموقع الإنسان المسلم في ظل هذا الصراع الحضاري، ومكانته وسط التدافع الحضاري وكيفية توظيف الرؤية النورية في المجتمع.

#### رابعاً\_ أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في بيان الإشارات العلمية الموثقة في الكون، بأسلوب علمي تجريبي يواكب روح العصر ومستجداته، مع استخراج الحكمة من أداء وظيفتها على أتم وجه، وبيان الأبعاد الوظيفية والجمالية التي تتضمنها، كما تأتي أهميته في سياق الكشف عن الوجه الإعجازي الذي لم يسَلط عليه الضوء في فكر النورسي، فالكثير يظن أنه خصاًلإعجاز البلاغي في كتابه المعروف "إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز"، لكن غايته كانت مقارعة الحجة العلمية بالحجة القرآنية ليدحض موقف الخصوم ويثبت موقفه الصحيح بمنهج يقنع العدو قبل الصديق، وحرى بهذه الدراسة أن تكشف عن هذه الحجج.

كما تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على تساؤلات المجتمع المعاصر ومعضلاته من خلال الرؤية النورية، وبيان المعادلة الإيمانية والمعرفية للإنسان المسلموكيفية مواجهة الآخر في إطار الصراع الحضاري.

#### خامساً\_ خطة البحث:

للإجابة على المشكلة المطروحة والتأكد من صدق الفرضيات أنجزنا الخطة الآتية في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

**التمهيد:** خصصته للتعريف بمصطلحات البحث حتى تتضح الرؤية وتتوحد النظرة، وحتى لا أخط في بحثي هذا خبط عشواء.

#### الفصل الأول: خصصته للأستاذ النورسي، ويتضمن أربع مباحث:

1\_ قراءة في التحولات الجذرية للدولة العثمانية: شرحت فيه الأوضاع السياسية والثقافية والعلمية، كي نستطيع فهم مشروعه الإصلاحية من خلال الظروف التي عايشها والتحولات التي عرفتها الأمة الإسلامية آنذاك.

2\_ النورسي: تأملات في سيرته، وملامح شخصيته بين توصيفه الشخصي وقراءة الآخرين لشخصه، حتى نتعرف على العلم الذي أسس لمنهج جديد في فهم القرآن الكريم بنظرة عصرية توافق الفهم العصري وتساعد الأمة على تجاوز الأزمة.

3\_ المرجعية الفكرية والدينية وترجمة إرثه العلمي : تحدثت فيه عن جهاده الفكري والعلمي.

4\_ منهجه العلمي ومواطن التجديد فيه: سلّطت الضوء على مبادئ ووسائل ومواطن التجديد في الفلسفة الإسلامية بصفة خاصة، والفكر الحضاري بصفة عامة.

**الفصل الثاني:** الإشارات العلمية وتمثلاتها في الطبيعة، وينقسم بدوره إلى ثلاث مباحث هي كالتالي:

1\_ الإشارات العلمية: المفهوم والخصائص.

2\_ مصادر إثبات الإشارات العلمية.

3\_ تمثلات الإشارات العلمية في الكتاب المنظور والمقروء والناطق.

**الفصل الثالث:** أبعاد الإشارات العلمية في الطبيعة، ومركزية الإنسان المسلم في الكون بين العلم والإيمان، وينقسم بدوره إلى أربع مباحث هي كالتالي:

1\_ الإشارات العلمية ودلالاتها الوظيفية بالنسبة للإنسان المسلم، و موقف الغرب منها، وطرق التعامل مع الحضارة الغربية حسب تصور النورسي.

2\_ الأبعاد الوظيفية للإشارات العلمية، ووظيفة العلم والإيمان في حياة المسلم وفق تصور النورسي.

3\_ كيفية توظيف الرؤية الحضارية النورية في حل مشكلات العصر، وموقف العلماء العرب والغرب من الفكر النوري الجديد، و مصير الحضارة الغربية، ومستويات التدافع الحضاري في عالمنا المعاصر.

**الخاتمة:** ضمنيتها أهم النتائج التي توصلت إليها مع التوصيات.

**سادسا\_ منهجية البحث:**

اعتمدت منهجية في هذا البحث وحاولت التقيد بها قدر المستطاع تتلخص فيما يلي:

\_ اقتصرت على كليات رسائل النور في بيان منهج النورسي في استخراج الإشارات العلمية المبنوثة في الكون، ذلك لأنها \_الكليات\_ كافية ووافية وجامعة لكل التخصصات العلمية، بل لم أستطع الإلمام بكل ما هو موجود فيها لكثرة دررها وكنوزها.

\_حاولت التركيز على تحليل أفكاره واستنطاقها واستنتاج ما يمكن استنتاجه للأخذ به، والاستدلال بمنهجه المنطقي والواقعي.

\_ لم أشر إلى المعلومات الخاصة بالمصادر والمراجع في هوامش الصفحات عند أول ذكر لها، لأنني قمت بالإشارة لها بالتفصيل في فهرس المصادر والمراجع.

\_ بالنسبة لكليات رسائل النور، اكتفيت بذكر عنوان المجلد وصفحته تقاديا لتكرارها، كونها المصدر الأساس في بحثي.

\_ تجدر بي الإشارة إلى المنهج الذي اتبعته في هذا البحث ويتلخص في النقاط التالية:

**1\_ المنهج الإستقرائي:** وهو تتبع واستقراء آراء النورسي رحمه الله المبنوثة في رسائله، وأقواله المتعلقة باستخراج الإشارات العلمية وشرحها تارة، وتبيان أبعادها وبيان أثرها ووظيفتها تارة أخرى، وتوضيح أساليبه البرهانية في الرد على الخصوم ، وترتيبها وفق الفصول والمباحث، ثم بيان الفكرة وتحليلها وشرحها من قبل الباحث.

**2\_ المنهج التحليلي:** بعد استقراء آراء النورسي رحمه الله وجمعها وترتيبها، حاولت تحليلها تحليلًا علميًا ولو أنني لم أصل إلى هذه المرحلة لكن استعنت بأصحاب التخصص في هذا المجال حتى لا أحمى عن جاد الصواب، مبينة أسلوبه في البرهنة وفي المحاججة وفي التجديد، كونه انفراد برؤية تجديدية في علم الكلام والتصوف وقدّم لهما مفهوم عصري عملي، لدرجة أن سمّاه بعض العلماء بمتكلم العصر الحديث.

**3\_ المنهج التاريخي:** من أجل دراسة مراحل نشأة النورسي والأحداث التي عاشها والتي صقلت شخصيته.

**سابعاً\_ الدراسات السابقة:**

بخصوص الدراسات السابقة قسمتها إلى قسمين:

**القسم الأول: الدراسات الأكاديمية التي حول الإشارات العلمية.**

اطلعت على الدراسات الأكاديمية التي أقامتها هيئة الإعجاز العلمي، كما أن هناك رسائل علمية وهي قليلة أذكر منها:

\_ **الإشارات العلمية في آيات الحديد في القرآن الكريم:** شكرية إسماعيل جودة، جامعة القدس، تحت إشراف الدكتور البرغوثي

\_ **الإشارات العلمية في القرآن الكريم:** كتاب للدكتور كارم سيد غنيم بين النظرية والتطبيق.

**\_ آليات الإقناع في الخطاب القرآني:** رسالة ماجستير للباحث هشام بلخير، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب واللغات، إشراف د محمد بوعمامة 2012م  
**القسم الثاني: الدراسات الأكاديمية التي أنجزت حول رسائل النور.**

رسائل النور في حد ذاتها موسوعة علمية مستخلصة من نور القرآن وضياء السنة النبوية، ورغم الدراسات الكثيرة التي سلّطت الضوء على جوانب عديدة منها، وقد لاحظت أن الدراسات السابقة كانت متجهة نحو الجانب الدعوي والإصلاحي واللغوي، فارتأيت أن أسلط الضوء على جانب يبدوا غامضا أثناء قراءتنا للرسائل وهو الجانب الفلسفي ونظرة النورسي للفلسفة وبيان منهجه في بيان الإشارات العلمية المبنوثة في الطبيعة والكون وهو ما سمّاه بالكتاب المنظور، وعلاقتها بالكتاب المقروء وهو القرآن الكريم.  
سأقتصر على بعض الدراسات نظرا لكثرتها وأهميتها:

**\_ منهج بديع الزمان النورسي في بيان إعجاز القرآن الكريم:** مراد قمومية، جامعة الجزائر، تحت إشراف الدكتور عمار جيدل.

**\_ "الإعجاز البياني في القرآن الكريم عند بديع الزمان النورسي":** لطيفة الفارسي، قسم اللغة العربية، جامعة الشارقة، تناولت فيها وجوه الإعجاز التي جدد فيها النورسي.

**\_ بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة:** قدمها حسن عبد الرحمن بكير، جامعة طرابلسكلية الدعوة الإسلامية قسم الدراسات العليا تحت إشراف د محمد مصطفى بلحاج.

**\_ البحوث المقدمة في المجالات العلمية والمقدمة للمؤتمرات الدولية:**

اعتمدت على مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، فقد وجدت فيها دررا كثيرة، وكنوزا علمية فتحت لي أبوابا كثيرة في بحثي ومن بين تلك البحوث:

**\_ التعليم طريقا للتحضر:** للأستاذ عمار جيدل وهو بحث منشور في مجلة النور، العدد الثاني.

**\_ الأبعاد الوظيفية للإنسان:** للأستاذ عمار جيدل كذلك، منشور في نفس المجلة.

ـ " من معالم التجديد عند النورسي": للأستاذ محسن عبد الحميد، وهو بحث منشور في مجلة النور، العدد الخامس، 2012.

وجدت في تحليل الدكتور محسن عبد الحميد الدكتور عمار جبدل معالم كثيرة جدد فيها الأستاذ النورسي كالتصوف والتجديد الحضاري حيث قدما مفهوما جديدا يمكن لأي شخص معاصر أن يفهمه ويعيشه دون أن ينغلق على ذاته ويتجرّد من ملذات الدنيا، فأنقذ النورسي الجيل من التصوف المنحرف الذي أثر سلبا على الأمة الإسلامية.

كما أشار الدكتوران إلى معالم التجديد في المنهج، وكيفية مواجهة الغزو الغربي والمد الإلحادي.

ـ البوطي يتحدث عن النورسي: نافذة النور.

إشكالية أبعاد الإشارات

العلمية في الطبيعة

### ظبط المصطلحات:

بادئ ذي بدئ ينبغي تحديد المعنى العام لمفهوم الإطار النظري في هذه الدراسة تجنباً لأي خلط أو غموض في التحليل، ومن خلال هذا التمهيد نحاول بيان مفردات عنوان البحث، وإيراد ما قصد بها في اللغة والاصطلاح، لنستطيع فيما بعد توضيح الرؤية وضبط الأفكار، مادام لكل أمة نسقها الفكري وأطرها المعرفية، وأمتنا الإسلامية تستند إلى مصادر تتسم بالثبات والشمول والمطلقية من جهة، والتجدد والمعاصرة واحتواء الآخر من جهة أخرى، فإن نسقها الفكري يحتاج إلى ضبط وتدقيق في المصطلحات العلمية، سواء في مجال المفاهيم أو الأصول، ولأن دخول مفاهيم من خارج منظومتها الفكرية واستبدالها بمفاهيم أخرى قد يخلق مشكلة في الفهم الدقيق لقضاياها الحضارية.

ولمّا كان النورسي رحمه الله من أبناء الإسلام وحضارته، فإن فكره يشكل حلقة مكملة لحلقات الوعي الحضاري الإسلامي، ودراسة أفكاره وجهوده لا بد أن تكون في سياق حركة البناء الحضاري، ولكي نفهمها لا بد من إدراجها ضمن هذا السياق الحيوي، وإلا أفقدناها الكثير من فاعليتها، فمثلاً حين ندرس مصطلح "الطبيعة" أو "الإشارات" أو "العلم" يجب أن لا نفصل هذه المصطلحات عن السياق النهضوي الإسلامي، وندرسها كمفاهيم نظرية مجردة، منفصلة عن واقعها وموضوعها، كونها تحمل الكثير من الإيحاءات و الأبعاد. لهذا ارتأينا أن نقدم ضبطاً دقيقاً لما سنتناوله بالتحديد في إشكالية أبعاد الإشارات العلمية في الطبيعة.

### أولاً\_ إشكالية:

لغة: هي القضية التي تثير نتائجها الشكوك، وتحمل على الارتباب والمخاطرة، وهي على وجه الخصوص القضية التي لا يمكن فيها الإقرار بالإثبات أو النفي، على حد سواء أو تحتل النفي والإثبات معاً، ونقصد بالإشكالية في هذا البحث الرسالة الإستخلافية الحضارية التي تحملها الإنسان، وهي إشكالية لأنها ذات شأن عالمي تدخل في سياقها الإنسانية جمعاء بمنطق العلم والإيمان.

أولاً\_الأبعاد.

ج\_ البعد قد يعني الحزم والرأي،" نقول: إنه لذو بعد، بضم فسكون، أي لذو رأي وحزم، يقال ذلك للرجل إذا كان نافذ الرأي ذا غور وذا بعد رأي"<sup>3</sup>.

د\_ البعد قد يعني المذهب، "يقال: لا بعد له، أي لا مذهب له"<sup>4</sup>.

2\_ "البعد" في سياق البحث: هناك أبعاد معنوية متعلقة بالتصورات ذات الأفق التربوي، وأبعاد مادية عملية تطبيقية ذات أفق وظيفي، وقد أخذ لفظ البعد معاني عديدة في البحث عديدة، اختلفت باختلاف مستعملها حسب مذهبهم، والمقصود ب"البعد" في هذا البحث فهو ضد القرب، وهو استخدام مجازي يأتي بمعنى الهدف الذي تحمله الإشارات العلمية في الطبيعة، أي أنها تتعدى حدود وجودها الطبيعي إلى أهداف وظيفية وجمالية ووجودية، فتصبح بذلك إشارات ودلائل علمية وعملية ناطقة في الطبيعة.

ثانياً\_الإشارات:

لغة: الإشارة تدل على ما تشير إليه الموجودات فهي شيء يخبر بشيء آخر، أو يعرف به أو يحل محله"<sup>5</sup>

الإشارات في سياق البحث: نقصد بالإشارات في هذا البحث الآيات والدلائل والشواهد التي تدل على الحقائق العلمية، التي وردت في القرآن الكريم فتصبح هذه الإشارات تابعة له شاهدة على صدقه وثبات حقائقه.

وقد قالت العرب قديماً: "رب إشارة أبلغ من عبارة"

ثالثاً\_ العلم:

معنى العلم في الاصطلاح يأتي للدلالة على مجموعة الحقائق والوقائع والنظريات والمعلومات التي تزخر بها المؤلفات العلمية ، وقد جاء في قاموس أكسفورد أن: "العلم هو ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بنسق مترابط من الحقائق المبرهنة بصيغة قوانين عامة، ومسلمات مستخلصة عبر طرق ومناهج موثوق بها، لاكتشاف الحقائق الجديدة في ذات التخصص".

<sup>3</sup> محمد رضا الزبيدي: تاج العروس، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، الكويت، 1992، ص 435/7

<sup>4</sup> ابن منظور: لسان العرب المحيط، دار الجبل، لسان العرب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1988،

ص 132\_231/1

<sup>5</sup> جميل صليبا: المعجم الفلسفي 75،

ويفيد أيضا معنى الإحاطة والإلمام بالحقائق وطريقة التفكير عنها والمنظومة الفكرية التي تنتج لك الحقائق مشتملة على مجموعة الفرضيات والنظريات والقوانين والاكتشافات المبينة لحقيقتها، بل وكل ما يتصل بها، ويقابله مصطلح المعرفة التي تعني الدراية والإدراك بالحقيقة العلمية وتغلب في طبيعتها نوعية طريقة تفكير أو بحث عن حقائق أكثر من تمثيله للقوانين الثابتة<sup>6</sup>.

**أ\_ العلم في الحضارة العربية الإسلامية:** تميز العلماء العرب بتنوع العلوم وموسوعية الثقافة، إذ نجد "أبو حامد الغزالي" مثلا فقيها وأصوليا ومتكلما وصوفيا ومنطقيا، ونجد في مؤلفاتهم تنوعا كبيرا في أفكارهم وعلومهم حول الإنسان والحيوان والنبات والأرض، ولا غرابة في ذلك كون القرآن الكريم يحوي هذه المواضيع، بداية من نشأة الكون إلى مصير الإنسان، إلى ما وراء الطبيعة، فنبغوا في الطب "كالرازي وابن سينا" والرياضيات والهندسة "كالخوارزمي"، وفي الفيزياء لدرجة أن كان لهم السبق في فهم الجاذبية الأرضية فهما علميا صحيحا قبل اكتشافها بمئات السنوات، وكان الريادة "لابن الهيثم" في البصريات، بل ساهم "جابر بن حيان" في التأسيس للمنهج التجريبي.

أما حجة الإسلام "أبو حامد الغزالي" فقد ألف في قدم العالم وأبديته، و"ابن رشد" الذي ألف في المنطق، وغيرهم ممن وضع أسس العلوم الطبيعية في صورتها النظرية قبل أن يتفطن لها الأوروبيون بمئات السنين.

### ب\_ العلم في الحضارة الغربية الأوروبية:

بحث العلماء الأوروبيون في مسائل كثيرة منها المباحث الطبيعية، والأخلاقية والجمالية والمعرفية، وما تضمنته من قياس واستدلال واستقراء ومنطق، ومن غير المنصف القول بأن هذه العلوم وليدة الفكر الأوروبي لأن السبق كان للعرب المسلمين في كل المجالات، وطوره الأوروبيون سواء بالتحليل أو التركيب أو النقد والتمحيص، مثلما كان مع نقدهم للمنطق الأرسطي واتجاههم نحو فكرة القانون وجعله هدفا لكل بحث علمي يستند إلى الملاحظة الحسية، وفصلهم بين الفلسفة والعلم وظهور التخصصات العلمية الدقيقة، وهذا لم يمنع من

<sup>6</sup> [\\_ttp://ar.wikipedia.org/wiki/](http://ar.wikipedia.org/wiki/)

وجود نزعة علمية في الفلسفة ونزعة فلسفية في العلم، وما يثبت ذل ظهور المذاهب الفلسفية كالمذهب التجريبي والمذهب العقلي والبرغماتي والوجودي.

**2\_ "العلم" في سياق البحث:** في القرن الأخير وقع على مصطلح "العلم" شيء من التقليل والتضييق حسب حاضنة المعرفة، فاقترصر على الماديات والمحسوسات التي تستنتج بالمنهج التجريبي فقط، لكنني أقصد العلم الذي دعا إليه القرآن الكريم والذي نزل وحيا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد نجد إشارة علمية ليس لها دليل مادي تجريبي لكنها تمثل حقيقة ثابتة لا يمكن رفضها علميا.

يقسم أبو حامد الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" العلوم إلى قسمين، محمودة ومذمومة، والعلم المحمود هو النافع للإنسان، أما المذموم فهو الضار، أي ذلك العلم الذي يعطي للتصورات العقلية أبعادا دينية ووجدانية ووجودية تليق بمكانة الإنسان في الأرض ووظيفته الحقيقية التي هي الاستخلاف، ذلك العلم الذي دعا إليه الله سبحانه وتعالى في أول آية نزلت على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، العلم الذي يدعو الإنسان إلى فهم الكون الذي يعيش فيه ليعرف موقعه الحقيقي ووظيفته الأسمى، العلم الذي يتجاوز أدوات المعرفة الحسية التجريبية من سمع وبصر إلى الفؤاد والبصيرة، العلم الذي يجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، العلم الذي يؤدي إلى الإيمان المبني على اليقين لا الإكراه لذلك قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>7</sup>، العلم الذي يثبت الحقائق التي تحرك العقل والوجدان بوصفه الوسيلة المثلى لإدراك الحقيقة.

### رابعا\_ الطبيعة:

**لغة:** تدل كلمة الطبيعة في قواميس اللغة العربية بأنها اسم يدل على الفطرة، وهي مشتقة من الفعل الثلاثي "طبع" أي خلق وأنشأ، نقول: طبع الكتاب أي أنتج نسحا منه بواسطة الطابعة، ونقول: طبع الله الناس أي خلقهم وأنتجهم على صورة معينة، ونقول طبع القماش بالألوان أي رسمه ونقش عليه<sup>8</sup>.

<sup>7</sup> سورة البقرة: الآية 256

<sup>8</sup> معجم المعاني الجامع: مجمع اللغة العربية المعاصر، بنك المعلومات الدولية.

أما في قاموس المعجم الوسيط فالطبيعة هي السجية وعلم الطبيعة هو الفيزياء الذي يبحث في طبائع المادة وصورها من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة.

إصطلاحاً:

**1\_ الطبيعة عند العلماء الماديين:** تعرف بأنها العالم الطبيعي أو المادي الذي يحيط بنا، والذي يمتد من الذرات إلى المجرات إلى المحيطات، ولا يدخل في مفهوم الطبيعة عند الماديين من ينتج عن نشاط الإنسان في الكون لأنها نشاطات مكتسبة ولا تدخل ضمن النشاط الطبيعي، فهي كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية "natura" وتعني الأصل والتصريف الفطري الذي لا يتدخل في تكوينه الإنسان.

أما فلسفة الطبيعة فهي تدرس الطبيعة دراسة فلسفية أي دراسة نظام الكون المادي، من حيث علاقاته والقوانين التي تتحكم في الظواهر الطبيعية والمبادئ الأساسية التي يحتكم إليها العقل في تفسير العالم المادي، وكانت سائدة قبل وجود العلوم الحديثة وهي التي مهّدت لها لتسمى فيما بعد بالعلوم التجريبية وفي مقدمتها العلوم الفيزيائية، واستخدمت مناهج عديدة أهمها المنهج التجريبي فهي لا تؤمن إلا بالتجربة الحسية.

وقد جاء في معجم جميل صليبا: "الطبيعة هي ما جاء في الأرض والسماء من كائنات خاضعة لنظم مختلفة، وهي بهذا المعنى مرادفة للكون"

**2\_ الطبيعة في سياق البحث:** يسميها الأستاذ النورسي بعالم الشهادة وهي السنن الكونية في الوجود، والعلاقات الموجودة بين الظواهر التي تربط الأسباب بالمسببات، الخاضعة للمسبب الأول وهو الله سبحانه وتعالى، ويقول النورسي رحمه الله في هذا السياق: "إن الصانع ذي الجلال وهو القادر على كل شيء، وهو نفسه خالق الأسباب وخالق المسببات، وهو الذي يربط المسببات بالأسباب بحكمته سبحانه... وقد أوجد بقدرته وجه "الطبيعة" التي يقوم عليها عالم الشهادة الخارجي للوجود، ثم خلق الأشياء وأنشأها على تلك الطبيعة ومازج بينها بتمام الحكمة"<sup>9</sup>

<sup>9</sup> \_النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص263

ويقول كذلك: "الطبيعة هي شريعة إلهية كبرى أوقعت نظاما دقيقا بين أفعال وعناصر وأعضاء جسد الخليقة المسمى بعالم الشهادة، هذه الشريعة الفطرية هي التي تسمى "بفطرة الله" أو "الطبيعة" وهو محصلة خلاصة القوانين الاعتبارية الجارية في الكون"<sup>10</sup>.

**تعريف النورسي للطبيعة:** يعرف النورسي الطبيعة بأنها "ليست تابعة بل مطبوع، وليست نقاشة بل نقشا، ولا فاعلة بل قابلة للفعل، ولا مصدرا بل مسطر، ولا ناظما بل نظام، ولا قدرة بل قانون"<sup>11</sup>.

انطلاقا من هذا التعريف النوري للطبيعة نحاول فهم الإشارات العلمية واستنطاقها وبيات تمثلاتها الكونية والبرهنة على فساد الاعتقاد السائد الذي يؤله الطبيعة ويجعلها خالقة لذاتها متكونة بذاتها، وفشلها في توظيف الأبعاد الوظيفية للإنسان التي خلق الله الطبيعة مسخرة له.

<sup>10</sup> \_النورسي: المثنوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص414

<sup>11</sup> \_النورسي: الكلمات، تر. إحسان قاسم الصالحي، ص827

# الفصل الأول: الأستاذ بديع الزمان

## سعيد النورسي.

المبحث الأول: قراءة في التحولات الجذرية للدولة العثمانية.

المطلب الأول: الأوضاع السياسية.

المطلب الثاني: الأوضاع الثقافية.

المطلب الثالث: الأوضاع العلمية.

المبحث الثاني: تأملات في سيرة الأستاذ النورسي .

المطلب الأول : المولد والنشأة.

المطلب الثاني: التحول الفكري والسياسي.

المطلب الثالث: وفاته ورفاته.

المبحث الثالث: ترجمته الفكرية وآثاره العلمية .

المطلب الأول: رسائل النور، طلبية النور.

المطلب الثاني: النورسي بين التوصيف الشخصي وقراءة الغير لها.

المطلب الثالث: النورسي المجدد الديني والمجدد الإيديولوجي<sup>1</sup>.

المبحث الرابع: منهجه العلمي ومواطن التجديد فيه.

المطلب الأول: طبيعة المنهج العلمي النوري.

المطلب الثاني: مواطن التجديد في منهج النورسي.

المطلب الثالث: قضايا التجديد والصراع الحضاري.

<sup>1</sup> \_ هذا المسمى أطلقه الأستاذ عشراتي سليمان على الأستاذ النورسي .

المبحث الأول: قراءة في التحولات الجذرية للدولة العثمانية:

المطلب الأول: الأوضاع السياسية.

إنّ شخصية ذكية مثل شخصية بديع الزمان سعيد النورسي لا يمكن أن تفهم إلاّ بعد الإحاطة بالظروف الزمكانية التي صقلت موهبته، وأحدثت فيه نقلة نوعية غيرته من "سعيد القديم" إلى "سعيد الجديد" إلى "خادم القرآن"، فقد ولد في زمن تكالبت الأعداء فيه على الدولة العثمانية، وبالضبط في عهد "السلطان عبد الحميد" والتي شهدت أشد فتراتها ضعفاً وتكالباً من الأعداء في الداخل والخارج، فرغم دهاء السلطان عبد الحميد السياسي ودعوته إلى الوحدة والتكاتف إلا أن ندرة الإخوان وضعف المعين وقلة الناصر ممن حوله جعله يعجز أمام الانقلاب الذي حيك ضده والتي حاولت اجتثاث الدولة العثمانية من جذورها، ألبسه الإعلام العالمي الفاسد ثوب الردة ظلماً وعدواناً، وألبس الخونة ثوب النخبة وهم في الواقع أصل النكبة، وكان الانقلاب على يد "جمعية الإتحاد والترقي" التي تحركها أيادي المخابرات الأجنبية، إذ يقول الدكتور عبد العزيز الشناوي: "وقد ظل الطابع الديني الإسلامي ملحوظاً في الدولة على الرغم من أن قادة انقلاب سنة 1909م وهم أعضاء جمعية الإتحاد والترقي ومعظمهم من ضباط الجيش كانوا قد ابتعدوا عن الخط الإسلامي الواضح، وأمعنوا في الأخذ بنظام الحكم المركزي الذي وجدوه قائماً حين جاؤوا إلى الحكم، ثم حاولتهم تحطيم نظام الشرافة في الحجاز"<sup>1</sup>، وقد كانت هذه الجمعية البذرة الأولى للعلمانية، وبعد سنة من قيام هذا الانقلاب باسم الثورة الدستورية، قامت ثورة مضادة هي باسم جمعية الإتحاد المحمدي وطالبت بعودة الشريعة الإسلامية، لكن كانت الهجمة مضاعفة والمكيدة مدروسة بدقة فباعت المحاولات بالفشل، وبعد تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم حاول إيقاظ الضمير الإسلامي من الداخل والخارج بإصلاحات عديدة أهمها إحياء الخلافة والالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية وإصلاح التعليم بإدخال العلوم الدينية واللغة العربية في المقررات الرسمية، غير أن عدم رضوخه للتهديدات الأوروبية اليهودية جعله ضحية ثانية بحيث خلع بأيدي محلية دائماً، فقد قال "هرتزل" الذي يعتبر رئيساً للجمعية الصهيونية "أنه يفقد الأمل في

<sup>1</sup> عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة مفتري عليها، ملترنم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الأول، 1980، ص: 73

تحقيق آمال اليهود في فلسطين وأن اليهود لن يستطيعوا دخول (الأرض الموعودة) قائماً على الحكم مستمراً فيه<sup>1</sup> ثم جاء الاتحاديون بالسلطان "محمد رشاد" كسلطان شكلي فقط ينفذون باسمه كل خططهم المدمرة للدولة الإسلامية مطبقين دكتاتورية حمراء دامية، أوصلوا بها البلاد إلى تمزق وانهايار من خلال الاغتيالات والتصفيات وفي الأخير الدخول في الحرب العالمية الأولى.

يقول الأستاذ إحسان قاسم الصالحي واصفاً حال الأمة الإسلامية آنذاك: "تلك هي الصورة البائسة التي خلفتها الحرب وراءها: شعب مهزوم قد أنهكته الحرب، يئن تحت وطأة أقدام الغزاة وجروح عميقة في وجدان هذه الأمة التي فقدت كل شيء بنته بعرقها وجهادها وعقيدتها في عدة قرون"<sup>2</sup>.

هيات ظروف الاتحاديين وسياستهم الجائرة التي استهدفت عرى الإسلام فنكثتها عروة عروة إلى أن تمّ إلغاء الخلافة سنة 1924 وإزالة كل ما يتعلّق بها من أحكام الشريعة الإسلامية، واللغة العربية، والحجاب، والآذان، ومنصب شيخ الإسلام. وحذفت المادة الثانية من الدستور التي تنصّ على أن الإسلام دين الدولة<sup>3</sup>، كما غدت مظاهر الإلحاد واضحة جلية في سلوك البعض منهم، و ظهر الفسوق، و نودي بالمساواة بين المرأة والرجل لتصبح تركيا دولة علمانية على النموذج الغربي، وسرعان ما تم تلميع صورة "كمال أتاتورك" من قبل الإعلام الغربي في البيئة الإسلامية ليصبح قائداً منقذاً لشعبه من ظلماته بحيث مرّت تركيا بثلاث مراحل هي: مرحلة تأسيس الجمهورية من 1923 إلى غاية 1938م، وفي نهاية هذه المرحلة توفي أتاتورك ليخلفه "عصمت إنونو" في بداية الرحلة الثانية وهي مرحلة التوجه نحو الديمقراطية التي دامت بين 1938 و 1960 وفوز الحزب الديمقراطي في الانتخابات فوزاً ساحقاً ليصبح "جلال بايار" رئيساً و"عدنان مندريس" رئيساً للحكومة، هذا الأخير الذي عرف بتوجهه الإسلامي وعاشت الدولة في فترته نوعاً من السلام الداخلي سرعان ما انقلب عليه الجيش في المرحلة الثالثة التي كانت مرحلة الانقلابات من 1969 إلى غاية 1980 بحجة

<sup>1</sup> \_أنظر: مذكرات السلطان عبد الحميد، تر الدكتور محمد حرب، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1991، ص: 29

<sup>2</sup> \_إحسان قاسم الصالحي، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي، شركة سوزلر للنشر، جمهورية مصر

العربية، الطبعة الأولى، سنة 2000، ص: 10

<sup>3</sup> \_الشناوي، الدولة الإسلامية دولة مفترى عليها، ص: 86

وضع حد للتطاحن الحزبي ووضع حد للفوضى والشقاق، وانتهت بالحكم على الرئيس "جلال بايار" بالمؤبد و"عدنان مندريس" بالإعدام، فانتهت إسلامية الدولة والعودة من جديد إلى الدولة العلمانية.

### المطلب الثاني: الأوضاع الثقافية.

احتضنت الدولة الإسلامية في هذه الفترة المتأزمة كل التيارات الثقافية، فظهرت القومية العربية في بلاد الشام، والجامعة الأمريكية في بيروت<sup>1</sup>، كما ظهرت المدارس اليسوعية في لبنان وسوريا...إلخ.

اتسمت الأوضاع الثقافية آنذاك بالانبهار بالثقافة الغربية الأوروبية ووصف الزمن السابق بالرجعية والتخلف التي نسبتا إلى النظام العثماني السابق، ووصفت الثقافة الإسلامية بالانحطاط والانغلاق عكس الثقافة الغربية والأوروبية التي تتسم بالتفتح والتسامح الديني والحوار والتطور في نظرهم، عرفت الأوضاع الثقافية بالقلق الحضاري والاضطراب الفكري، وشهدت زلزالا خطيرا هز كل ما توارثته الدولة الإسلامية من قيم وأفكار ومثل عليا، حيث بدأ تأليه العلم والتكنولوجيا، والبعد عن الإيمان، عرفت هذه الفترة بإقصاء الخطاب الديني لدرجة منع العلوم الشرعية تعليما وتعلّما، والتشكيك في المشتغلين بها وتحسيسهم بالاغتراب داخل مجتمعاتهم وبين أهلهم، وإقصائهم من الوظائف الحكومية وتخويف الناس من الاحتكاك بهم، بل ومحاولة فصل القرآن عن حياة المسلمين، إذ قال "غلاسدروف" وزير المستعمرات البريطاني مخاطبا نواب المجلس: " مادام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به"<sup>2</sup>، فكانت ضربة قاضية استهدفت قلب الأمة الإسلامية، وجاء رد النورسي رحمه الله مدويا: " لأبرهننّ للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا ينطفئ نورها"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> \_ عمر فروخ ومصطفى الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، ص: 95

<sup>2</sup> \_ النورسي، سيرة ذاتية، تر إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، اسطنبول، 1996 ص: 564

<sup>3</sup> \_ النورسي، سيرة ذاتية، تر إحسان قاسم الصالحي، ص: 89

### المطلب الثالث: الأوضاع العلمية.

كان مستوى المدارس في هذه الفترة ضعيفا جدا، بمناهج بالية قديمة تفقر للإصلاح والتغيير ومواكبة العصر، ومواد دراسية جامدة لم تتغير منذ القرن الخامس عشر، بعدها استبدلت المدارس التعليمية الدينية بمؤسسات غربية جديدة بحجة مواكبتها للتطور العلمي الذي تحمله البرامج التعليمية الجديدة ومواكبتها للعصر، لدرجة استبعدت المناهج الدينية من المقررات الدراسية بحجة رفضها للتطورات العلمية المعاصرة .

كانت الحاجة ملحة لبروز شخصية إصلاحية متميزة، واعية دارسة لظروف عصرها، وتجربة إيمانية تجدد العزم في القلوب وتحيي الإيمان فيها من جديد وتوقظ الضمائر التي قتلها الغزو الفكري، وليس أنسب لذلك من بديع الزمان سعيد النورسي الذي وصفه الدكتور "عشراتي سليمان"<sup>1</sup> بالمجدد الروحي والمجدد الإيديولوجي، هذا المفكر العالم الزاهد الثائر والمصلح الذي عاش مشاكل الأمة وأثقلت جرحها كيانه لدرجة ضحى بكل غال ونفيس من أجل عودة الإسلام وبعثه من جديد، فكان بحق شوكة في حلق العلمانية بخطة محكمة أساسها فقه الأولويات فلم يخسر أعدائه قبل أصدقائه لأنه امتلك الحق ودافع عنه بمنطق سليم وصدق وعزم ويقين، فكان بحف كما وصفته الدكتورة الألمانية "شكران واحدة" بالرجل الذي وزن الأمة أو برجل القدر.

المبحث الثاني: تأملات في سيرة النورسي ومسيرته.

### المطلب الأول: المولد والنشأة.

ولد الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في قرية "نورس" الواقعة شرقي الأناضول بتركيا وهي إحدى قرى قضاء "خيزان" التابع لولاية "بنليس" الواقعة على امتداد سفح المنحدرات الجنوبية لسلسلة جبال "طوروس" سنة 1294هـ\_1877م<sup>2</sup>.

كان والده "ميرزا" صوفيا ورعا يضرب به المثل، لقب ب"الصوفي ميرزا" لتقواه وورعه، لم يذق حراما ولم يطعمه لأولاده ، فقد اندهش أحد مدرسي أبنائه من قدراتهم خاصة "سعيد"

<sup>1</sup> أستاذ التعليم العالي بجامعة البيض، وعضو في هيئة تحرير مجلة النور للدراسات الحضارية بإسطنبول.

<sup>2</sup> بديع الزمان النورسي، سيرة ذاتية، ص35

فذهب إلى قرية الوالد "ميرزا" ورآه عائداً للبيت وخلفه بقرتان وثوران مكممة أفواهها، فسأله عن السبب فأجاب بتواضع: "حقولنا مفتوحة وملبئة بالخيرات، وفي طريقي أمر بحدائق الآخرين، وإن لم تكن هذه الحيوانات مكممة فإنها من الممكن أن تأكل من محاصيلهم، فأكلم أفواهها حتى لا يشوب رزقنا شيء من الحرام" فلما رأى الشيخ صلاح الوالد سأل الوالدة "تورية" ما طريقتك في تربية أبنائك حتى حازوا على هذا الذكاء النادر؟

أجابت: "لم أفارق صلاة التهجد طوال حياتي إلا في الأيام المعذورة شرعاً، ولم أَرْضع أولادي يوماً إلا على طهر ووضوء"<sup>1</sup>. وينتهي نسبهما إلى الإمام الحسين رضي الله عنه.

كان الابن الرابع بين سبعة أبناء في أسرة متدينة متعلمة تتبأ بالمستقبل الواعد، فكبرى أخواته "درية وخانم" عالمة بأمور دينها متزوجة بمعلم "الملا" ماتا أثناء الطواف بالكعبة عام 1945م، والأخ الثالث كان "عبد الله" عالم هو الآخر توفي هو الآخر عام 1913م، أما الأخ الذي يليه فكان "الملا محمد" يدرس في المدارس الدينية، ثم يأتي "عبد المجيد" الذي ترجم كتب أخيه سعيد من العربية إلى التركية<sup>2</sup>.

كان سعيد النورسي شغوفاً بالعلم كثير السؤال، سريع الاستيعاب حتى أنه التهم ما في بطون الكتب من تفسير وحديث ونحو وعلم الكلام وفقه ومنطق، كان نادرة في الحفظ، نابغا في الفهم، سريعاً في تقديم الحلول، خاصة بعدما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يبشره في المنام أنه سيوهب له علم القرآن الكريم<sup>3</sup>.

## ثانياً\_ مسيرته العلمية:

### 1\_ دراسته لشتى العلوم ( اللغوية\_ الشرعية\_ الفلسفية\_ التجريبية ).

بدأ تحصيله العلمي بحفظ القرآن الكريم أولاً في قرينته "نورس" سنة 1882م وهو ابن الخامسة من عمره، وكان أول شيوخه أخوه الكبير "الملا عبد الله" يدرسه في أيام العطلة الأسبوعية، وفي سنة 1888م انتقل إلى "بتليس" في مدرسة جديدة وتتلذذ على يد أستاذه

<sup>1</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص39

<sup>2</sup> \_شكران واحدة، بديع الزمان سعيد النورسي، تر محمد فاضل، مراجعة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر والتوزيع، سنة 2007، ص16\_17

<sup>3</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص45\_57

"محمد الجلاي" وأخذ الإجازة منه رغم صغر سنه كونه عكف على الدراسة الجادة وانقطع عن العالم بجانب ضريح الولي "أحمد خاني" يدرس أمهات الكتب حتى أظهر تفوقا عجيبا في الحفظ والذكاء، فقد قرأ "ألفية ابن مالك للسيوطي" ثم كتاب "الجامي"<sup>1</sup> في النحو، وامتنح في مقامات الحريري وفي جمع الجوامع في أصول الفقه لابن السبكي لدرجة أذهل بها العلماء في سنه الصغير فقال فيه "فتح الله أفندي" إن اجتماع الذكاء الخارق مع القوة الخارقة للحفظ شيء نادر جدا<sup>2</sup>، وطلع كتبا كثيرا في جميع المجالات، كشرح المواقف في علم الكلام لعضد الدين الإيجي وتحفة المحتاج في شرح المنهاج لابن حجر الهيثمي<sup>3</sup>.

التحق بعدها بمدرسة الملا فتح الله أفندي في "سعد" وكان كلما عرض عليه الشيخ كتابا ليقرأه أجابه النورسي بأنه أتم قراءته، فتعجب منه وعزم على امتحانه وكان كلما سأله سؤالا صعبا أجابه جوابا شافيا وافيا، وحدث مرة أنه ناظر وناقش العلماء وبرز نبوغه وقدرته الفذة في الإقناع بالحجة والبرهان القاطع، فوصفه أستاذه بقوله: "لقد جمع جمع الجوامع جميعه في جمعة"<sup>4</sup>.

واستمر النورسي في حصاده العلمي، واستمرت شهرته تجوب آفاق تركيا وصار مقصد العلماء، وقد أضاف لقائمة محفوظاته الكثير من الكتب كـ "مطلع الأنوار في المنطق" للقاضي سراج الدين الأرموي و"مرقاة الأصول في علم الأصول" للخسروي، والقاموس المحيط للفيروز آبادي وأمثالها من كتب رد الشبهات وكتب النحو والصرف وعلم الكلام، وفي سنة 1892م ذهب إلى "ماردين" يلقي دروسا بالجامع ويجيب عن أسئلة الناس وهو ابن الخامسة عشر، لكن الوالي نفاه من المدينة بوشاية من بعض الحاقدين، سرعان ما عرض عليه والي "بتليس" أن يقيم في منزله لحبه له ولعلمه وورعه، بعدها ذهب إلى "وان" بدعوة من الوالي لخلوها من العلماء 1894م واستقر بها خمسة عشر سنة انكب فيها على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ، سبر أغوار

<sup>1</sup> \_الجامي هو العالم الصوفي الشهير نور الدين عبد الرحمن الجامي، له كتب في النحو مثل "الكافية لابن الحاجب" وهو جزء من المنهج الدراسي يدرس في المدارس الدينية.

<sup>2</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص74

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 44

<sup>4</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص 52

هذه العلوم بنفسه دون معونة أحد دون اللجوء إلى مدرس يدرسه عن طريق نظام المناقشة مع مدرسي الثانوية، مثلا أجرى مناقشة في الجغرافيا وألزمه الحجة بعد أكثر من أربعة وعشرين ساعة، وعلى الشاكلة نفسها ألزم مدرس الكيمياء والرياضيات، حتى سمي "ببديع الزمان"<sup>1</sup> من أهل العلم اعترافا بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع.

يخبر النورسي رحمه الله أحد طلابه " مصطفى صنغور " عن طريقة حفظه قائلا: " كنت أبيت هناك وقد حفظت ما يقرب عن تسعين كتابا في الحقائق، وكنت أعيد ما حفظته ذاكرتي ثلاث ساعات يوميا فأكمله في ثلاثة أشهر، فيا إخواني إني أشكر الله كثيرا على تكراري لتلك المحفوظات حيث أصبحت وسيلة للعروج إلى حقائق القرآن الكريم، ثم بلغت القرآن الكريم وشاهدت أن كل آية كريمة منه تحيط بالكون إحاطة تامة، وبعد ذلك أغناني القرآن الكريم عن غيره"<sup>2</sup> الأمر الذي جعله يؤسس طريقة جديدة في التدريس تقدم الحقائق الدينية ممزوجة بالعلوم الحديثة وإثباتها بأسلوب أوضح وعرضها بما يلاءم تفكيرهم، يقول الدكتور "محسن عبد الحميد": "ومن هنا فإنه حشد معارف عصره العقلية والعلمية لتوسيع مدلولات الأدلة القرآنية بطريقة عصرية وأسلوب حديث، خلط فيه العقل بالعاطفة حتى يحدث تأثيره المطلوب في الجيل الجديد"<sup>3</sup>.

تعمق النورسي في العلوم الفلسفية والشرعية في وقت قياسي جعله يكون شخصية موسوعية تصدق عليها ألقاب كثيرة، بحيث كان متكلمًا في علم الكلام، منطقيا فيلسوفا في العلوم العقلية، مربيا في العلوم الاجتماعية، مجتهدا في العلوم الشرعية، فلما ذاع صيته في أوساط شيوخه ومعلميه لقب بسعيد المشهور، وبالأستاذ، كما لقب ببديع الزمان أول مرة من طرف شيخه الملا فتح الله نظرا لما رأى فيه من حدة الذكاء وقوة الحافظة بشكل يشبه إلى درجة كبيرة بديع الزمان الهمداني<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> \_ النورسي: سيرة ذاتية، ص 63

<sup>2</sup> \_ النورسي، سيرة ذاتية، ص 11

<sup>3</sup> محسن عبد الحميد، النورسي رائد الفكر الإسلامي الحديث في تركيا، مجلة الأمة، ع 1982، ص 48

<sup>4</sup> النورسي، سيرة ذاتية، ص 65

أما النورسي فيؤكد على عدم استحقاقه لهذا اللقب وأنه اسم معنوي لرسائل النور وملك لها وليس له<sup>1</sup>، يقول النورسي رحمه الله: "إن لقب بديع الزمان الذي منحه منذ سنوات عديدة مع عدم استحقاقه، ليس لي وإنما هو اسم معنوي لرسائل النور، قد قلده مؤلفها الظاهر إعانة وأمانة، والآن أعيد الأمانة لصاحبها"<sup>2</sup> كان طالب العلم سعيد النورسي شديد الاحتفال والاشتغال و التعلق بالفلسفة والعلوم العقلية وكان لا يقنع ولا يكتفي بالعلوم القلبية وحدها كأكثر أهل الطرق الصوفية، بل كان يجتهد لإنقاذ عقله وفكره، فحمدا لله على أن وفق على جمع الطريقة مع الحقيقة بفيض القرآن وإرشاده، حتى بين برسائل النور التي ألفها " سعيد النورسي " حقيقة: " وفي كل شيء له آية \* \* \* تدل على أنه واحد"<sup>3</sup>.

ثالثا\_ مرجعيته الفكرية والسياسية والدينية.

#### أ\_ المرجعية الفكرية:

عبد القادر الكيلاني: سمّاه النورسي رحمه بأستاذه الأول يقول النورسي رحمه الله: في حوالي الثامنة أو التاسعة من عمري وجميع أهلي وأقاربي ينتسبون إلى الطريقة النقشبندية ويستمدون من شيخ مشهور هناك هو الغيث الخيزاني، كنت على خلافهم... ما قرأت من أورايد وأذكار طوال حياتي إلا وأهديتها أولا إلى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إلى الشيخ الكيلاني، إلا أن انشغالي بالعلم كان يعيق الاشتغال بالطريقة الصوفية"<sup>4</sup>

لقد كان الشيخ الكيلاني مرشده في كثير من الحالات المتأزمة التي مرّت عليه، بكتابه " فتوح الغيب " ففي سنة 1339هـ مرّ بأزمة روحية حادة فاستمد من الشيخ الكيلاني همة عالية حتى تجاوز ذلك القلق الفكري، ومرة أخذ يفكر في مسألة الموت و في بحثه عن الحقيقة استنجد بكتاب فتوح الغيب فوقع نظره على عبارة " أنت في دار الحكمة فاطلب طبيبا يداوي قلبك" يقول النورسي: " يا للعجب لقد كنت يومئذ عضوا في دار الحكمة الإسلامية، والحال أنني كنت أشد مرضا وأحوج إلى العلاج من أي شخص آخر..قلت: "كن أنت طبيبي أيها الشيخ" \_ يقصد الكيلاني \_ وبدأت أقرأ ذلك الكتاب كأنه يخاطبني أنا بالذات، كان شديد

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 64

<sup>2</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص 64

<sup>3</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص 202

<sup>4</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص 63

اللهجة يحطم غروري، فأجرى عمليات جراحية عميقة في نفسي"<sup>1</sup>، أما الأستاذ الثاني فكان الفاروق السهرندي من خلال قراءته لكتابه " المكتوبات " ووجد في رسالتين منه لفظة "ميرزا بديع الزمان" ووجد أن الحديث كأنه موجه إليه ويخاطبه باسمه، وقد دعاه إلى توحيد القبلة أي إتباع إمام واحد ومرشد واحد واكتشف الأستاذ النورسي بأن هذا المرشد هو القرآن الكريم. المرجعية المعنوية كانت علوم اللغة العربية من صرف ونحو وبلاغة ولغة، والعلوم الإسلامية من حديث وفقه وأصول فقه وتفسير وعلم كلام وسيرة وأخلاق، والعلوم الطبيعية من فلك وفيزياء وكيمياء وجغرافيا وفلسفة ورياضيات، و فكر الغرب المادي وفلسفتهم بداية من اليونان إلى الحديثة إلى المعاصرة، وكذا الأسفار التي كان يقوم بها مهّدت له الطريق للقاء العلماء والوجهاء ورجال الحكم والسياسة أمثال السلطان عبد الحميد الثاني ومصطفى كمال والشيخ السنوسي وأئمة الأمة الإسلامية.

**ب\_المرجعية السياسية:** عاصر الأستاذ النورسي رجال الإصلاح في العالم العربي، واستلهم عديد الأفكار الإصلاحية منهم، فقد كان ابن باديس في الجزائر وابن عاشور في تونس والأفغاني و رشيد رضا ومحمد إقبال، وحسن البنا ومحمد عبده وغيرهم من رجال الإصلاح الذين كان منهجهم الدعوي مشابها لمنهج الأستاذ، وأفكارهم مشتركة ساهمت في تغيير الأوضاع الفاسدة في مجتمعاتهم، ونذكر على سبيل المثال ما وجدناه في مؤلفات النورسي.

### جمال الدين الأفغاني:

التقى الأستاذ النورسي مع أحد طلاب الأفغاني استقدمه السلطان عبد الحميد صيف 1892م للاستعانة به في نشر سياسة الإسلام الوحدوي التي كان يدعوا إليها الأفغاني، وقد شرح لسعيد النورسي في لقائه معه أفكار الأفغاني حول السياسة الحكيمة العادلة التي تحدد المبادئ التحررية للحد من نظام الحكم الدكتاتوري السائد آنذاك، ومقاومة تجاوزات الإمبريالية الأوروبية، يقول النورسي رحمه الله: " فأسلافي في هذه المسألة هم: السيد جمال الدين

<sup>1</sup> \_النورسي، المكتوبات، تر.إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر والتوزيع، ص455

الأفغاني ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده..<sup>1</sup>، فقد تأثر رحمه الله بالأفغاني في مسألة الإتحاد الإسلامي واستنهاض المسلمين وتوحيد صفوفهم وإحياء الحضارة الإسلامية، وفي فترة التعددية الحزبية التي تجلّت بفوز الحزب الديمقراطي ظهر النورسي كقائد اجتماعي مهتم بالتطورات السياسية من أجل سلامة الحياة الاجتماعية، مبينا موقفه من التعددية الحزبية واصفا إياها بأنها أعمدة الديمقراطية، بشرط السعي نحو وحدة الشعور الديني والمرجعية الإسلامية المتلائمة مع التطورات العلمية الحديثة ومتطلبات العصر في شتى مجالاته السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية.

### ج\_ المرجعية الدينية:

#### القرآن الكريم:

اعتمد النورسي رحمه الله على نفسه في تحصيل العلوم المادية معتمدا على أسلوب النقاش وإفحام الأساتذة في تخصصاتهم بالحجة بعدما يقضي أياما وشهورا في حفظ وتعلم قراءة الكتب في كل التخصصات، وقد نجح في ذلك بقوة ذاكرته وسعة خياله العلمي وحدة ذكائه، واستخدم هذا المخزون العلمي مدرجا للولوج إلى معاني القرآن الكريم وإثبات حقائقه، ولم يتخذ غير القرآن الكريم أستاذا ومرشدا ودليلا إلى الحقيقة، ومن خلال خبرته في التدريس وإلقاء الخطب في المساجد ووعيه بواقع النظام التعليمي السائد الفاسد صاغ نظريات فكرية جديدة حول إصلاح التعليم التي مفادها توحيد العلوم الدينية مع العلوم الحديثة، وبدأ بنفسه من خلال ازدواجية الطرح النوري بحيث قام بتفسير الإشارات العلمية من خلال تجلياتها في الكون و السبق الذي أخبرنا به النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا ينطق عن الهوى بل هو كلام رب العالمين أنزله الوحي الأمين على سيد المرسلين.

حاول النورسي تطبيق نظريته من خلال إنشاء جامعة في شرقي الأناضول تسمى "بمدرسة الزهراء" على غرار جامع الأزهر في القاهرة وعزم أن يجعل منها قرينة له.

### المطلب الثاني: التحول الفكري والسياسي.

<sup>1</sup> \_ النورسي، صيقل الإسلام، تر. إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر والتوزيع، ص 418

كان النورسي رحمه الله يلقي الدروس في المساجد والمدارس آخذاً بعين الاعتبار الآية الكريمة ﴿ سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْلُونَ لَسُنْحَتٍ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾<sup>1</sup>، لكن حين علم أن أوروبا تحيك مؤامرة خبيثة ضد القرآن الكريم، حدث تحول جذري في فكر الأستاذ النورسي، فقد صدر خبر في الصحف المحلية يقول فيه وزير المستعمرات البريطاني "وليم غلادستون" وفي يده المصحف: " ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به" فرد النورسي قائلاً: " لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها"<sup>2</sup>.

فغير النورسي اهتماماته وفقه أولويات العصر جزاء هذا التهديد الصريح، مستعينا بحقائق القرآن الكريم الكونية والمعرفية والإيمانية، مجدداً عزمه على إيقاظ الوعي من جديد وشحذ الهمم وإنقاذ الإيمان، فانقسمت هذه الفترة إلى ثلاث مراحل هي:

#### المرحلة الأولى: مرحلة المواجهة سياسياً.

تبدأ هذه المرحلة سنة 1907 وتميزت بالولوج في التفكير الفلسفي والعقلي للمضي في مشروعه الإصلاحية خاصة لما أدرك أن الدولة العثمانية بدأت تتصدع وتكالبت عليها الذئاب، ولما كان أساس التغيير هو التعليم جدّ النورسي في إصلاح المناهج التعليمية وتجديدها، في سنة 1907 وصل إلى اسطنبول من أجل الحصول على الموافقة لإنشاء جامعة الزهراء التي دعا إلى الجمع في التدريس فيها بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة بقوله: " ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتترى همة الطالب وتعلوا بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية"<sup>3</sup> حيث علق على باب غرفته عبارة: " هنا يجاب عن كل سؤال وتحل كل مشكلة" الأمر الذي فتح شهية العلماء لمناظرته وكشف حقيقة مستواه العلمي، "فزاره عالم

<sup>1</sup> \_سورة المائدة الآية 44

<sup>2</sup> \_سيرة ذاتية ص 66

<sup>3</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص 568

اسمه "حسن أفندي" قضى عمره في التدريس وفي اليوم التالي حضر الدرس قائلاً لطلابه: " لم أشاهد مثله أبداً.. إنه من نوادر الخلق.. لم يجئ بمثله قط"<sup>1</sup>.

وهنا قدم للسلطان " عبد الحميد" عريضة يطلب فيها فتح المدارس التي تعلم العلوم الحديثة كالرياضيات والفيزياء والكيمياء، بجانب العلوم الدينية كالفقه وأصول الفقه وعلم الحديث.. إلخ، وانتقد فيها مساوئ حكمه ومفاسد النظام والاستخبارات لقصره الحكومي، مما أثار غضب حاشية السلطان ولفقوا للنورسي التهم وأحالوه للأطباء بغية الكشف عن قواه العقلية واتهموه بالجنون.

**أولى محطات النورسي** سياسياً هي دخوله في مواجهة سلمية مع الدولة مطالباً إياها بالقيام بإصلاحات ضرورية لإنقاذ كيانها من الزوال، والنهوض بالوضع المأساوي التي حلّ بالدولة نتيجة الفساد المتفشي فيها وأنظمة التعليم المتخلفة، لهذا شارك في تأييد الجمعيات الدينية والسياسية والإصلاحية منها ( الإتحاد المحمدي التي تأسست في 1909م وأعلن النورسي عن تأسيسها في خطبة في جامع آيا صوفيا وسط اجتماع ديني حاشد، جمعية الإتحاد والترقي التي أيدهم في البداية حين حملوا لواء الحرية والشريعة، لكن حين أزيل عن وجهها القناع اليهودي أصبح ندّاً قوباً للذين خانوا أمانة البلاد وانشقوا عنها ، جمعية الهلال الأخضر) كان عمل هذه الجمعيات متمركزاً حول المعارضة السلمية لجمعية الإتحاد والترقي ومحاربة العنصرية والجهل المتفشين في المجتمع، والمطالبة بحقوق الأقليات، ونشر العلوم الدينية لتوعية الشعب، وفي هذه الفترة في سنة 1825م حدثت اغتيالات كثيرة في الوسط السياسي والتي نسبت في الغالب لجمعية الإتحاد والترقي، بعدها حدث عصيان داخل ثكنة العسكرية انتهى بعزل السلطان عبد الحميد وسبق البعض إلى المحاكمات وكان من بينهم سعيد النورسي الذي قدّم إلى أعواد المشنقة، بتهمة أنّه كان يكتب في جريدة معادية للاتحاديين، وقد أظهر شجاعة قائلاً: " لو كان لي ألف روح لكنت مستعداً لأن أضحى بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشريعة، إذ الشريعة سبب السعادة وهي العدالة المحضة

<sup>1</sup> - إحسان قاسم الصالحي، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي، شركة سوزلر للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 2010، ص20

وهي الفضيلة، أقول الشريعة الحقة لا كما يطالب بها المتمردون"<sup>1</sup>، بعدها تمت براءته لشدة إقناعه بالحجة.

بعدها زار الشام وألقى الخطبة الشامية باللغة العربية وشخص أمراض الأمة كالتالي:

\_اليأس والقنوط \_ موت الصدق فينا حب العداوة تجاهل الروابط الروحية\_ ذبوع الاستبداد\_ حب المنفعة الشخصية، وبعد تشخيص الداء قدم النورسي الدواء وكيفية تطبيقه"<sup>2</sup>، بعدها شارك النورسي في الحرب العالمية الأولى ضد الروس وأسر في سجونهم أثناء تأدية واجب الجهاد، بعد خروجه عيّن عضواً في دار الحكمة الإسلامية.

**ثاني محطات النورسي** كانت من التعليم ، فقد أرقّ تدني المستوى التعليمي المقصود كاهل النورسي وحاول جاهداً إنقاذه بشتى الوسائل، فبعد محاولاته الفردية في نشر العلم والتوعية في كل المدن التي كان يزورها، والتي لم تحقق الهدف المنشود سافر إلى اسطنبول لمقابلة السلطان عبد الحميد لإقناعه بالقيام بإصلاحات علمية لنشر المعارف والعلوم وفتح المدارس بمناهج جديدة تواكب التطور العلمي، ولما التقى بالسلطان بيّن حقيقة الوضع الذي أوضح فيه نقداً للوضع السياسي، قوبل بالرفض بل اتهم بالجنون، غير أن الطبيب برّاه قائلاً: " لا يوجد بين القادمين إلى اسطنبول من يملك ذكاء وفطنة أكثر منه، إنه نادرة العالم"<sup>3</sup>

صمّم ان يكرّس حياته لإظهار إعجاز القرآن الكريم وربط الناس بالإسلام وإنقاذ الإيمان في قلوبهم فقال " لأبرهنّ للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن أن ينطفئ نورها" وقضى حياته كلها من خلال رسائل النور أن يثبت أستاذية القرآن في الكون كله لتعود للمسلم ثقته بدينه وبأستاذيته لأنه يحمل القرآن في قلبه، فانعطف في مسار جديد أصر فيه إلا أن يثبت أستاذية القرآن الكريم في الكون كله من خلال رسائل النور وقرّر أن يسخر كل العلوم الدينية والحديثة لتبيان حقائق القرآن حتى يعزز العلاقة بين المسلمين والكتاب الكريم ومنذ ذلك الوقت سمّى نفسه خادم القرآن ، فقدّم مشروعاً لإنشاء جامعة إسلامية حديثة في شرقي الأناضول باسم الزهراء تقوم على نشر حقائق الإسلام وظل قرابة سنة ونصف

<sup>1</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص134

<sup>2</sup> \_النورسي، سيرة بديع الزمان سعيد النورسي، الخطبة الشامية، ص 117

<sup>3</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص 97

يحاول إقناع المسؤولين بفكرته وقد ذاع صيته وعلمه بين الناس فتجمع الطلبة حوله يسألونه وهو يجيبهم ويدرسون على يده كل أنواع العلوم .

لما عجزت الدولة في إسكات صوته المدوي بالحق حاولت إغراءه بالمال فرفضت فحاولت تهديده فردّ عليهم قائلاً: " لو كانت نتيجتها إلقائي في البحر، فإن البحر سيكون لي قبراً واسعاً، وإن نفذ إعدامي فسأرقد في قلب الأمة، علماً أنني عندما حضرت لإسطنبول حضرت وقد وضعت روحي على راحة كفي، فافعلوا بي ما بدا لكم " <sup>1</sup>.

في سنة 1911 زار بلاد الشام وألقى خطبة في المسجد الأموي سميت بالخطبة الشامية ثم رجع إلى إسطنبول لإتمام مشروعه "مدرسة الزهراء" إلا أن نشوب الحرب العالمية الأولى قضت على هذا المشروع ، وقد التفت إلى الجهاد مع المتطوعين ضد القوات الروسية وقد جرح ووقع أسيراً لسنوات بعدها تمكن من الهرب راجعاً إلى إسطنبول.

**ثالث محطات النورسي** كانت مشاركته في الحرب العالمية الأولى حين انهزمت الدولة العثمانية ضد البلقان وقد كان عضواً في إحدى التشكيلات الخاصة للمتطوعين في الحرب، عاد إلى مدينة "وان" وشكّل سرية عسكرية مع طلابه وأتباعه للوقوف ضد الخطر الروسي وقد تمكنوا من صد هجمات الأرمن ( عملاء الروس) غير أن القوة كانت لصالح الروس فتمكنوا من اختلال مدينتي " أرضروم" و " بتليس"، وبعد مواجهات شديدة وقع النورسي في الأسر، وأرسل إلى أحد السجون في شمال شرق روسيا، وقد كان معلماً للعدو قبل الصديق. وهو في سجون الاستعمار حاول الروس استغلال مكانته بين أتباعه فطلبوا منه إقناعهم بتسليم الأسلحة، فرفض بشدة ولم يبالي بغضبهم، فعلمهم قيمة التمسك بالمبادئ والتضحية في سبيلها إن استلزم الأمر، بل كان الدرس الثاني أجمل حين قدم القائد العام إلى المعسكر وقام الكل للتحية إلا النورسي، لأن عقيدة المسلمين تأمر بعدم الخضوع لغير الله ، وحينها أمر القائد بإعدامه فوراً لكن النورسي قرأ القرآن وصلى ركعات وذهب مسرعاً إلى المشنقة (مكان الشهادة) حينها اقتنع القائد أن الموقف ليس استهزاء بل تنفيذ لأوامر الله فعفا عنه وهو بين حبال المشنقة. <sup>2</sup>

<sup>1</sup> النورسي، المرجع نفسه، ص 98

<sup>2</sup> النورسي، سيرة ذاتية، ص 154\_157

**رابع محطات النورسي** هي مواجهته لكمال أتاتورك سياسيا وفكريا، وهذه المرة تأزم الوضع نظرا للقرارات التي اتخذت ضد الإسلام واللغة العربية والآذان، حينها حاول أتاتورك استمالة النورسي وإغرائه بالمال لكنه رفض، وفي سنة 1918 عين الأستاذ عضوا في دار الحكمة الإسلامية تقديرا له إذ كانت عضوية الدار لا تمنح إلا لكبار العلماء<sup>1</sup>، بعدها توجه إلى أنقرة بدعوة من كمال أتاتورك سرعان ما اختلف معه فأراد إبعاده إلى شرقي الأناضول فعينه واعظا هناك، رفض الأستاذ وبقي في أنقرة يكتب ويؤلف لكنه اضطره فذهب إلى مدينة "وان"، وانكب على دراسة العلوم العقلية الفلسفية ويسخرها في خدمة إثبات الحقائق الإيمانية، وتفنيد الآراء الإلحادية التي نشرها الكماليون، وفي هذه المرحلة ألف رسالة الطبيعة وقدم الأدلة العقلية على وجود الله ووحدانيته فنقض فلسفتهم بالفلسفة نفسها، مستخدما حججا فلسفية ومنطقية وعقلية .

في سنة 1923 وعلى قمة جبل "أرك" قضى معظم وقته متعبدا متأملا، لكن الحكومة لاحقته وأرجعته إلى اسطنبول ثم إلى قرية نائية تدعى "بارالا" ظنا منهم انه سيقضى عليه هناك، لكن حكمة الله شاءت أن تكون مدينة بارالا مصدرا لنور القرآن، فقد كتب الأستاذ النورسي رسائل النور التي هي تفسير للقرآن الكريم بطريقة نورانية عجيبة كيف لا وهي تستلهم نورها من كلام الله سبحانه وتعالى، وكان الأستاذ النورسي يستغرق الأيام في قراءة آيات القرآن الكريم وتأمل معانيها الكونية والجمالية وقد كتب في السجن، كما كتب ورصاص الروس ينهال على رأسه .

أظهر الأستاذ من خلال رسائل النور أن الله كتابين، الكتاب المقروء الذي هو القرآن الكريم والكتاب المنظور وهو الكون الذي تتجلى فيه قدرة الله وإرادته وأسماءه وصفاته لذا فلا يوجد تناقض بين العلم القرآني والعلم الكوني، لذا فهو يقول: "العلوم الدينية هي ضياء الوجدان والعلوم المدنية هي نور العقل، ومن امتزاجهما تتجلى الحقيقة"<sup>2</sup>

أكد الأستاذ حقيقة وحدة العلوم وبيّن أن القرآن الكريم هو المصدر الأساس للعلم والمعرفة، وان كل العلوم تنبثق من مشكاة القرآن الكريم وقد حاول تجسيدها في مدرسة

<sup>1</sup> عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، إعجاز القرآن اللغوي في فكر النورسي، ص: 316

<sup>2</sup> احسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي، حياته وآثاره، ص: 162

الزهراء من خلال فرض رقابة القرآن الكريم على كل العلوم الوافدة من الغرب، فلم يقطع الصلة بينه وبين علوم الغرب مثلما يفعل بعض المتعصبين، بل أشار إلى بعض محاسن المدنية الغربية إذا ما خضعت لرقابة القرآن الكريم مسترشدا بالحديث الشريف "الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها"، إذ يقول: " لو أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات جماعات، بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام"<sup>1</sup>، فقد أحال النورسي المستقبل كله للإسلام إذا جمع المسلمون بين أمرين هامين هم الشريعة والعلم، فيقول: " نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائق الإيمان، لسنا كمن ترك التقليد بالبرهان تقليدا للرهبان كما هو دأب سائر الأديان، وعلى هذا فإن المستقبل الذي لا حكم فيه إلا العقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامه إلى العقل والمنطق والبرهان"<sup>2</sup> وبشهادة الأجانب أنفسهم إذ تقول الباحثة الألمانية المسلمة "جاجليا مريم دمير": "وقد حلل بديع الزمان القرآن لنا ووضح لنا برسائل النور الطريق الذي رسمه القرآن للمستقبل"<sup>3</sup>.

### المرحلة الثانية: المعاناة والمواجهة فكريا (سعيد الجديد).

#### أولا: من السياسة إلى اعتزال السياسة.

في هذه المرحلة تمكنت جمعية الاتحاد والترقي بقيادة كمال أتاتورك من الوصول إلى الحكم وإحداث تغييرات جذرية في الدولة تسببت في هدم أركان الدولة كالإلغاء الخلافة، فصل الدين عن الدولة، إلغاء المدارس الدينية، وإلغاء اللغة العربية من العملية التربوية ووضع الحروف اللاتينية مكانها، للحيلولة دون فهم القرآن الكريم، حتى أنه تمادى إلى المقدسات ومنع الآذان، وكانت الضربة قاسية جدا على النورسي ولم يتحملها حينها اعتزل السياسة وقرّر تغيير توجهه لا تغيير هدفه قائلا: " إن الإيمان والشريعة والحياة ثلاث مسائل عظيمة في العالم الإسلامي والإنساني وأعظم هذه الثلاثة هي الحقائق الإيمانية، ولأجل ألا تكون هذه الحقائق القرآنية الإيمانية أداة لتيارات أخرى ولقوى أخرى، ولأجل الإيفاء بالخدمة

<sup>1</sup> النورسي، صيقل الإسلام، ص 464

<sup>3</sup> سعاد يلدم يرم، بديع الزمان سعيد النورسي، فكره ودعوته، بحث مقدم في المعهد العالي للفكر الإسلامي، ص 107

<sup>2</sup> النورسي، صيقل الإسلام، ص 465

المقدسة التي هي إنقاذ الإيمان إيفاء تاما ينفر طلاب رسائل النور الخواص الصادقون نفورا شديدا من السياسة"<sup>1</sup>، والسبب في نفور النورسي من السياسة هو الفتنة التي أحدثتها في قلوب الناس، فأصبحوا يحبون في السياسة ويكرهون في السياسة، والأصل هو أن الحب في الله والكره في الله، وهذا ما سحق فؤاد النورسي رحمه الله فغيّر منهجه من السياسة إلى تعميق الجانب الروحي والوجداني، إذ يقول: "إنني أستطيع تحمل كل آلام الشخصية، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي كأنها وجهت إلى قلبي أولا، ولهذا ترونني مسحوق الفؤاد، ولكنني أرى نورا ينسينا هذه الآلام إن شاء الله تعالى"<sup>2</sup>

تيقن النورسي أن السياسة في هذه الظروف مسلك خاطئ فآثر مسلك التجديد والعودة إلى المنهج القرآني وبناء أجيال جديدة على عقيدة صحيحة، فوضع أسس تربوية لتزكية النفوس وتهيئتها لعملية التغيير، وترسيخ قواعد علمية رصينة للتنمية المعرفية والثقافية قرّر من خلالها مواجهة المد الإلحادي ولو على المدى البعيد من خلال تأليفه لرسائل النور.

في سنة 1922 انزوى النورسي في عزلة إلا من قراءة القرآن الكريم والتأمل في معانيه وإشاراته، وقد استأنس بقراءة كتاب "فتوح الغيب" للشيخ عبد القادر الكيلاني، وكتاب مكتوبات للإمام أحمد الفاروق السرهندي، هذه القراءة الجديدة أحدثت في داخله نقلة نوعية ولدت "سعيد الجديد" الذي يريد أن "يترقى بتعاقد القلب والعقل، أي أنه يتوصل بهدي القرآن إلى طريق لجوهر الحقيقة من خلال استخدام العقل والقلب معا"<sup>3</sup> حتى أن البعض اعتبره صوفيا، إلا أن لمسة التجديد عند النورسي غلبت على كل أفكاره حتى في التصوف، يقول: "إن مسلك رسائل النور ليس مسلك الطريقة الصوفية بل هو مسلك الحقيقة، فهو مقتبس من مسلك الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة الصوفية بل هو زمان إنقاذ الإيمان"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> \_النورسي، الملاحق؛ ملحق قسطنطيني، ص 156

<sup>2</sup> النورسي، سيرة ذاتية، ص 167

<sup>3</sup> شكران واحدة، الإسلام في تركيا الحديثة النورسي، 257

<sup>4</sup> النورسي، الملاحق، ص 262

هذا لا يعني أنه يرفض التصوف بالعكس كان يجلّه ويقدر مشايخه أمثال "الكيلائي" و"النقشبندي"، يقول الدكتور فريد الأنصاري: " لم يسجل النورسي قطيعة مع الفكر الصوفي بما يجعله وإياه طرفي نقيض وإنما الذي يمكن قوله : هو أنه جدد الفكر الصوفي نفسه بمحاولة إعادة إنتاج الحقائق القلبية الإيمانية لا بواسطة هياكل الطريقة وقواعدها من مشيخة وبيعة وأوراد قولية وفعلية ، ولكن إنتاجه الإيماني كان ينطلق بصورة مباشرة من نبع القرآن الفياض"<sup>1</sup>.

وبدأ رحلة التأليف والطبع والنشر مع العلم أنه كان يكتب من قبل ويحاضر ويناقش، غير أنه في هذه الفترة تفرغ للتأليف والكتابة، وكانت رسائل النور ثمرة نورانية لا تقدر بثمن أورد من خلالها دلائل قاطعة على وجود الله ووحدانيته، مغيرا توجهه السياسي إلى الفكري لأن الحرب الآن فكرية فالإسلام يضرب في الصميم، والعقيدة تشوّه من قبل العدو لطمس الهوية وإحداث شرخ في الأمة الإسلامية، فحاول النورسي التصدي لموجة الشك والإلحاد التي ظهرت في أوساط المتأثرين بالمدنية الغربية.

### ثانياً\_اعتزال الحياة الاجتماعية إلى الحياة الروحية.

وجد النورسي في القرآن الكريم ملاذا لم يجده في غيره فأغناه عن كل ما سواه، خاصة وأنه لم يكن على وفاق مع قادة النظام الجديد، فانسحب من الحياة الاجتماعية واحتل القرآن الكريم المكانة الأولى في حياته، وأدرك أن تجديد قوة العالم الإسلامي يكمن في إيقاظ الإيمان وليس في تقليد الحضارة الغربية، ونجح في منهجه الجديد من خلال تفسير القرآن الكريم وتبيان إشاراته سواء اللغوية في كتابه "إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز" أو إشاراته العلمية التي شرح بعضها في مجلّده الأخرى من رسائل النور، والتأمل في القرآن المنظور الذي هو تجسيد للقرآن المقروء.

بابتعاد النورسي عن السياسة واعتزاله الحياة الاجتماعية تفرغ للعبادة والكتابة، قدّم براهين علمية في سياق تعاليم القرآن الكريم وتوافقها مع العلم أثبت بها المعتقدات التي

<sup>1</sup> فريد الأنصاري، النورسي من برزخ التصوف إلى معراج الإيمان، مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم، مركز رسائل النور،

هدّدها الاستعمار والحضارة الغربية بالزوال، ورسّخ الإيمان في القلوب وأعاد له روحه من جديد.

### ثالثاً: رحلاته في المنفى.

قضى النورسي قرابة ربع قرن في المنفى والسجن والإقامة الجبرية، وتعرض لمحاولات اغتيال بدس السم في أكله الأمر الذي تسبب في مرضه وموته، بقي للنورسي رحمه الله تحت الحراسة في اسطنبول مدة عشرين يوم حيث صدر الأمر بنقله إلى مدينة "بوردر" التي بقي فيها سبعة أشهر ثم نقل إلى "اسبارطة"، إذ شرعت السلطات بنفي النورسي وطلبته الذين كوّنهم ووضعوه في سجن انفرادي حتى لا يؤثر فيهم ولعزله نفسياً وتحطيم معنوياته، غير انه كان محروساً من كيد الكائدين بل بالعكس تهيأت له الظروف النفسية من هدوء وسكينة ليؤلف رسائل غاية في العمق ولا يفهمها إلا من هو أهل لها هي "الشعاعات".

لم يتركوه في ذلك المنفى لأنه كان يلقي الدروس الدينية واجتذب الكثير من الطلاب، فأصدر أمر بإبعاده عن محبيه وطلبته وحضره عن التأليف ونشر أفكاره، لكن هذه المرة إلى قرية نائية يصعب اتصالها بالعالم الخارجي، ولا يمكن الوصول إليها إلا بالحمير وليس فيها كهرباء وغاز، وشاء الله سبحانه وتعالى أن تكون تلك القرية مصدراً للنور والإلهام حيث التّف كل شبابها ونساءها وحتى أطفالها فغدوا طلاب نور أوفياء مخلصين، بل ألف النورسي جُلّ الرسائل في هذه القرية (المكتوبات\_ اللغات\_ الكلمات) ولم يكن له أي مرجع سوى القرآن الكريم وذاكرته القوية. وركز في هذه المرحلة على إثبات الحقائق الإيمانية، بالأدلة العقلية والمنطقية وبطريقة فلسفية علمية يفهمها أهل ذلك العصر، وقضى في هذه القرية ثماني سنوات ونصف.

وفي سنة 1935م أُلقي القبض على النورسي من جديد بتهمة النفوذ الديني الذي حضي به في الأوساط الشعبية، واتهم بتعليم طلابه التصوف الذي كان آنذاك خروجاً عن القانون بحيث حلت طرقها وأغلقت التكايا الصوفية، لكنه أجاب قائلاً: "إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة الصوفية بل زمان إنقاذ الإيمان، فكثير من الناس يدخلون الجنة دون إتباع الطريقة الصوفية، لكن أحداً لا يدخل الجنة دون عقيدة، لذا فقد آن الأوان للعمل من أجل العقيدة"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>النورسي، سيرة ذاتية، ص: 304

وبعد دفاعه عن قضية لباس المرأة وميراثها وجاء دفاعه مناهضا للقانون المدني الجديد، أدانته المحكمة وسجن سنة كاملة بعدها كان منفاه الثالث في " قسطموني " تحت الإقامة الجبرية في بيت أمام الشرطة العسكرية لسبع سنوات، استغل فيها النورسي الفرصة لإكمال تأليف الرسائل حتى أصبحت مصدر قلق للهيئات المسؤولة، منها رسالة " الآية الكبرى " و"ملحق قسطموني" وبهذه المنطقة الباردة جدا أصيب بأمراض شديدة كالروماتيزم والآلام الشديدة وهو في الستينات من عمره، يقول رحمه الله: "إنني أحمد الله خالقي حمدا لا يتناهى، إذ أسعفني بالإيمان الذي هو دواء مقدس لكل داء، وأغاثني بدواء الرضا بالقضاء النابع من الإيمان بالقدر، مما دفعني للشكر ضمن الصبر، على الرغم من برودة الشتاء هنا، ولا سيما في غرفتي، وعلى الرغم من وحشة الغربة من جهات ثلاث، وضيق الأمراض العصبية الثلاثة، وعلى الرغم من الإنفراد التام، والعزلة الكاملة، وتعرضي لما لا يتحمل من المشقات والمضايقات"<sup>1</sup>، وبعدها اشتدت المضايقات والاعتقالات ومنعت الرسائل من الطبع والنشر والقراءة، وحاولت السلطات دس السم في طعامه للتخلص منه، غير أن الله كتب له الشفاء.

بعد كل المضايقات والسجون والتعذيب الذي نزل على النورسي وهو يقارب السبعين سنة يحوّل إلى المنفى الرابع في " أمير داغ " حيث وضع تحت الإقامة الجبرية ومنع من الصلاة في المسجد لكي لا يختلط بالناس ثم دس السم في طعامه للمرة الثانية ومورس عليه التعذيب النفسي والجسدي واعتقل طلابه وسيقوا الى السجون، فقد وصف النورسي نفسه في هذه الفترة بأن المرض قد تملكه حتى أصبح ضعيفا خائر القوى في حالة بائسة، كل هذه المحاولات لم تتل من عزمته بل بالعكس كانت تؤكد للناس أنه على صواب وتزيدهم ثقة به فكان يربي ويصلح وهو مسجون لأن الاعتقال مسّ جسده أما روحه وعقله فكانا حرين طليقين، وكانت الرسائل تسرّب من السجون إلى الخارج من خلال طلبته وزوّارهم<sup>2</sup>.

المرحلة الثالثة: مرحلة الاستقرار ( سعيد الثالث).

<sup>1</sup> \_النورسي، ملحق الملاحق، ملحق قسطموني، تر، إحسان قاسم الصالحي، ص: 102

<sup>2</sup> كل هذه المعلومات موجودة في سيرة ذاتية للنورسي في صفحات متفرقة

المرحلة الثالثة من حياة النورسي رحمه الله هي عشر سنوات الأخيرة التي قضاها في ضوء انتشار الرسائل والتغييرات التي حدثت، خاصة حين تولّى الحزب الديمقراطي بزعامه "عدنان مندريس" المعروف بعدالته وتوجهه الإسلامي، فغيّرت الأوضاع نظرة النورسي للسياسة ورجع إليها من جديد دعماً للعدالة والقضية الإسلامية، وهذا هو سر تسمية المرحلة الثالثة من حياته بـ"سعيد الثالث" لإعلاء كلمة الشعب وإصلاح أخطاء النظام الفاسد، فأرشد النورسي الطبقة الحاكمة وأقنعهم برسائل النور وكيفية تبني مبادئ سياسية تتوافق مع القيم الأخلاقية، وقد كتب النورسي إلى الرئيس "جلال بايار" قائلاً: "إننا سعيماً لأجل إسعاد هذه الأمة والبلاد وبجعل السياسة أداة للدين، وفي وثام معه تجاه أولئك الذين جعلوا السياسة المستبدة آلة للإلحاد وعذبونا"<sup>1</sup>.

بدأت أنوار انفراج الأزمة تلوح في الأفق بتمكن الحزب الديمقراطي من الفوز في الانتخاب سنة 1960 فتغيرت الكثير من القوانين منها حرية التعبير، عدم محاربة الدين، بل وسمح للنورسي التدريس علناً وطبع الرسائل بصورة رسمية، وسمحوا بالآذان بعدما كان ممنوعاً، وفتحو مدارس العلوم الشرعية .

اعتمد منهجاً جديداً يعكس اهتمامه بإحداث تغيير اجتماعي وعمل إصلاح من تغيير البنية التحتية مدرجاً في الصعود وصولاً إلى القمة، وقد شدّ الرحال إلى المدن والقرى يتفقد طلابه، مجدداً عزائمهم مبيناً لهم منهجه داعياً لهم بالتوفيق في العمل الدعوي، ورغم كبر سنه وتدهور حالته الصحية وهجوم الصحافة العلمانية عليه الأمر الذي أدى إلى التضيق على تحركاته ، ولم يثن ذلك من عزمه وواصل مسيرته التي بدأها منذ سنين ، بل شارك في العمل الصحفي بنشر المقالات وإلقاء الخطب والمحاضرات العلمية والدروس لتتنوير عقولهم وإيقاظ ضمائرهم وبث روح المسؤولية فيهم وعدم السكوت على الظلم ولإنقاذ الإيمان في قلوبهم كما ألقى الخطبة الشامية في الجامع الأموي وكانت حجة في تبيان أمراض الأمة الإسلامية وأسباب ضعفها، وأعطى حلاً لتجاوز الضعف والخطر لمواكبة الركب الحضاري وللتصدي للغزو الخارجي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> -النورسي، الملاحق، ملحق أمير داغ، ص: 316

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 113

تحت صمت الليل وضغوطات النهار لم يبأس وقد شاركت كل طبقات المجتمع في هذا العمل من نساء وشيوخ وعجائز وأطفال ومساجين وكانت كل الأمكنة مدارس وحلقات حتى السجن كان مدرسة يوسفية يلقن الأستاذ فيها الدروس للمساجين ويؤلف فيها الرسائل.

حين انتهى التصييق بدأت المرحلة العلنية للرسائل في الطبع والترجمة والنسخ والتدريس فأنشأ طلبة النور مدارس نورية في كل مناحي تركيا، وأصبحت الرسائل تنتشر حتى في الجرائد، لكن حين نشر رسالة "البرهان الأكبر" في جريدة "الجهاد الأكبر" شكلت لجنة للتحقيق في الرسائل بتهمة أنها تحريضية ثم جاءت البشرية ببراءتها، حينها فرح الأستاذ فرحا كبيرا وقال: "هذا هو عيد رسائل النور، كنت أنتظر مثل هذا اليوم، انتهت مهمتي إذن وسأرحل قريبا"<sup>1</sup>.

**المطلب الثالث: وفاته ورفاته.**

**أولا: وفاته.**

في ديسمبر 1959م قام النورسي برحلة إلى أنقرة وقونيا واسطنبول من أجل دفع قضية رسائل النور وتشجيع طلبة النور في معاهدهم العلمية، فكان لقاء وداع، فحالته الصحية كانت متدهورة، كما قام بتحذير "عدنان مندريس" والديمقراطيين من الخطر الذي يحدق بهم، وتأكدت مخاوف النورسي وتمت الإطاحة بمندريس وسقطت البلد في أيدي العسكر ثم عادت إلى حكامها السابقين، وأحدثت هذه الرحلات الجهادية للنورسي سخط الأوساط المعادية للإسلام، فما إن حلّ عام 1960م وأبلغته الحكومة بمكوته في أميرداغ وأن لا يخرج منها، وفي الشهر الثالث من هذه السنة مرض مرضا شديدا ودخل في غيبوبة عدّة مرات، فودّع طلابه وقام باستئجار سيارة نحو "أورفة" لأنه كان يود الموت هناك ونزل محمولا على أكتاف طلبته، فلاحقته السلطات محاولة إرجاعه غير أن الأجل سبقهم يوم 23 مارس 1960م الموافق لـ 26 رمضان 1379هـ.

فارق الحياة مخلفا ساعة يد وسجادة صلاة ولفافة رأس وجبة، وللمسلمين كافة رسائل النور رحم الله الأستاذ النورسي وأدخله فسيح جناته والغريب أننا في رسائل النور نطالع إشارة إلى أن قبر النورسي سيهدم وأنه بلغ الثمانين حين وفاته من خلال قوله:

<sup>1</sup>سيرة ذاتية، ص: 437

قبري المهدم يضم تسعا وسبعين جثة.

لسعيد ذي الآثام والآلام.

وقد غدا شاهد القبر تمام الثمانين.

والكل يبكي معا لضياح الإسلام.<sup>1</sup>

ولأن النورسي استطاع بعلمه وجهاده المعنوي أن يهز أركان تركيا من أقصاها إلى أقصاها، وأن يقذف الرعب في قلوب أعدائه، لم ينته حقدهم عليه بوفاته بل لحق رفاته.

**ثانيا: المنفى الأخير.**

دفن النورسي رحمه الله في "أورفة" غير أن الحكومة لم تتركه يرقد بسلام في قبره الذي نبشته في ليلة ظلماء فرض فيها حظر التجوال ليتسنى لها بعدها نقل جثمانه إلى منطقة مجهولة لا يعرف مكانها لحد اليوم، "فكانه ضرب آخر من النفي بعد الرحيل شأن الربانيين الذين يعيشون الانقطاع التام عن الدنيا فلا تكشف لرياضهم آثار"<sup>2</sup>، والعجيب أنه أوصى طلابه في كثير من المرات أن يكون قبره مجهولا، فكان العدو يحقق له آخر أمنية تمنّاها قبل موته، يقول رحمه الله: "إن قسما من أهل الدنيا في الوقت الحاضر يولون توجههم إلى شخص الميت نفسه ومقامه ومنزلته الدنيوية بدلا من الزيارة المشروعة لكسب رضا الله ونيل الثواب الأخروي كما كانت في السابق، لذا أوصي بعدم إعلام موضع قبوري حفاظا على سر الإخلاص ولئلا أجرح الإخلاص الذي في رسائل النور، فأينما كان الشخص سواء في الشرق أو الغرب وأيا كان فإن من يقرأ الفاتحة تبلغ إلى تلك الروح"<sup>3</sup>.

لم تعلم الحكومة أن مشروع النورسي متواصل متأصل في نفوس طلبته، ولم تعلم أن في نفيه الأخير تحقيق لأمنيته قبل وفاته وتجسيد لإرادته التي كان يقصد من وراءها الفصل

<sup>1</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص552

<sup>2</sup> (روى أخوه عبد المجيد الحادثة بقوله: "فقامو بهدم القبر وإخراج التابوت منه، وعندما فتحو التابوت قلت في نفسي: لا بد أن عظام أخي الحبيب صارت رمادا، لكننا إن لمست الكفن حتى خيل لي أنه توفي الأمس... وعندما كشف الطبيب عنه نظرت إليه وإذا عليه شبه ابتسامة، احتطنا ذلك الأستاذ العظيم ووضعناه في التابوت الآخر وأخذناه إلى المطار.. واتجهت الطائرة إلى أفيون ومنها نقل التابوت في سيارة إسعاف إلى إسبارطة حيث دفن في مكان لا يزال مجهولا" سيرة ذاتية ص 551

<sup>3</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص551

بين شخص النورسي ورسائل النور أي إذا كان النورسي قد مات فقبره غير موجود فهو حي قي قلوب محبيه بأفكاره التي استمدها من القرآن الكريم كيف لا وقد ألفها في ظروف لم تسمح له بالاستناد إلى أي مرجع غير القرآن الكريم وكانت وصيته كالتالي: "اجعلوا قبوري في مكان مخفي غاية الإخفاء، ويلزم أن لا يعرف مكانه عدا واحد أو إثنان من طلابي، هذه وصيتي لكم فالحقيقة التي منعتني من المسامرة والمحاورة في الدنيا تمنعني بلا شك بعد وفاتي، لذا أوصي بعدم إعلان موضع قبوري حفاظا على سر الإخلاص ولئلا أرحر الإخلاص في رسائل النور"<sup>1</sup>

يلخص الأستاذ عشارتي سليمان حياة النورسي ووفاته بأسلوبه الجميل فيقول: "لقد راوحت حياة النورسي بين السرية والسفور، بين السياسة والتعليم، بين المحفلية والانعزال، بين السجن والتحرر، بين المدنية والعسكرية، بين التحضر والفطرية، بين الروحي والعقلي، ولم يكن في هذا كله في وضع الفصامية، ولا استهواه حال تمثيل الأدوار واختطاف الأضواء شأن المتهافتين، ومن لا تحدهم عقيدة وجودية، يراهنون من أجل إرساء دعائمها بأرواحهم، بل تكاملت لديه طبيعة تمازج بصرامة ووعي في صنع رؤاها وقناعاتها\_ بين المقومات الأخلاقية والوجدانية، فكان من ثمة ظهور النموذج الفكري والروحي المستميت الذي كانت له قدرة خارقة على الصمود تسديد الضربات"<sup>2</sup>

### المبحث الثالث: ترجمته الفكرية وآثاره العلمية.

كل أعماله مجموعة في مؤلفات رسائل النور منها ما كتبه بالعربية ومنها بالتركية، وحين منعت الدولة الطبع بالعربية لجأ إلى النسخ باليد، وكان جهادا فعليا ورغم رداءة خط الأستاذ النورسي إلا أن طلبته لم يتوانوا عن الكتابة ولو للحظة بالليل والنهار، وبقي الطبع متواصلا حتى بعد وفاة الأستاذ النورسي.

### المطلب الأول: رسائل النور وطلبة النورسي.

<sup>1</sup> النورسي، سيرة ذاتية، ص: 551

<sup>2</sup> عشارتي سليمان، النورسي في رحاب القرآن ص: 13\_14

أولاً\_ رسائل النور: رسائل النور هي تفسير قيم للقرآن الكريم، تحمل براهين وأدلة دامغة يدافع بها النورسي عن الحقائق الإيمانية، وتخطب كل لطائف الإنسان ( عقله ونفسه وروحه ووجدانه) فلا تدع له جانباً مشككاً يزعزع الإيمان فيه، وهي تتخذ من القرآن الكريم مصدراً وحيداً ومرجعاً يستلهم منه النورسي أفكاره، مع العلم أنه صرح \_رحمه الله\_ أن الرسائل لم تكن بنات أفكاره بقدر ما كانت فتوحات نورانية تتجلى له من خلال تأمله في الآيات القرآنية، لذلك لم يكن طلبته يفارقونه ليل نهار، يملي عليهم ويسجلون بسرعة، سواء في الجبال أو البساتين أو السجون، لأن خطه كان رديئاً وغير مفهوم، فمثلاً "رسالة الحشر" أملاها على طلبته وهو يغدوا ذهاباً وإياباً على ضفاف بحيرة "بارلا" وهو يردد قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>1</sup>.

أما رسالة "المعجزات الأحمدية" فقد أملاها على بعض طلبته خلال ثلاثة أيام وفي شعب الجبال والبساتين وبمعدل ساعتين أو ثلاث ساعات يومياً، فكانت حصيلة ذلك (ثلاثمئة ونيف) من معجزات الرسول صلة الله عليه وسلّم، مع ذكر ما فيها من نقول وروايات، كل ذلك دونما مراجعة من مصدر<sup>2</sup>، فهي تفسير لمعاني القرآن الكريم تعالج قضايا الإنسان العقدية والاجتماعية وقارئ الرسائل لا يسأم من تكرارها عديد المرات، لما فيها من القصص والعبر البرهانية فيشعر بحروف الآيات القرآنية \_ناهيك عن معانيها\_ تسري في عروقه سريان الدم، أما عن أسلوبها فهو ممزوج يجمع اللين والرقّة في خطاب المؤمنين والشدة والصلابة حين يخاطب الملحدّين، كما يجمع الدقة العلمية في خطاب العلماء مع البساطة والعفوية في خطاب العامة، واتخذ من أسلوب ضرب الأمثال سبيلاً لإثبات هذه الحقائق، يقول رحمه الله: "إن الأسس الإيمانية كانت رصينة متينة في العصور السابقة، وكان الانقياد تاماً كاملاً، إذ كانت توضيحات العارفين في الأمور الفرعية مقبولة، وبياناتهم كافية حتى لو لم يكن لديهم دليل، أما في الوقت الحاضر فقد مدّت الضلالة باسم العلم يدها إلى أسس الإيمان وأركانها، فوهب لي الحكيم الرحيم\_الذي يهب لكل صاحب داء دوائه المناسب\_ وأنعم

<sup>1</sup> \_ سورة الروم الآية 49

<sup>2</sup> \_ النورسي، المكتوبات، ص 114

عليّ سبحانه شعلة من ضرب الأمثال التي هي من أسطع معجزات القرآن وأوضحها، رحمة منه جلّ وعلا لعجزي وضعفي وفقري واضطراري، فله الحمد والمنة: فبمنظار ضرب الأمثال قد أظهرت الحقائق البعيدة جدا أنها قريبة جدا، وبوحدة ضرب الأمثال قد جمعت أكثر المسائل تشتتا وتفرقا، وبسلم ضرب الأمثال قد توصل إلى أسمى الحقائق وأعلاها بسهولة ويسر ومن نافذة ضرب الأمثال قد حصل اليقين الإيماني بحقائق الغيب وأسس الإسلام مما يقرب من الشهود، فاضطر الخيال إلى الاستسلام وأرغم الوهم والعقل إلى الرضوخ، بل النفس والهوى، كما اضطر الشيطان إلى إلقاء السلاح<sup>1</sup>.

لهذا قارئ الرسائل في نور دائم، بجوارحه ووجدانه وعقله وجسده في سياحة قلبية روحية دائمة لا يملّ ولا يسأم، يجول الكون والطبيعة بالأدلة العلمية، ويصعد إلى السماوات السبع ويخترق عالم الغيب تصديقا قلبيا إيمانيا، يحضر جلسات الأنبياء ويجلس في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فتنتعش روحه وترقى إلى أعلى المقامات، كما تملأ القلب يقينا بمجيء الحشر والقيامة والجنة بإيراد الحجج العقلية العلمية الكونية على هذه الحقائق الإيمانية، يقول النورسي رحمه الله: " كما كليات رسائل النور وهي موسوعة تفسيرية لإثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم وهي لمعة براءة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة وترجمة معنوية نابغة من فيوضاته"<sup>2</sup>.

### الرسائل المكتوبة باللغة العربية:

إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز: ألفه النورسي سنة 1916م، هو تفسير للقرآن الكريم ورغم عدم إتمامه إلا أنه تحفة لا تقدر بثمن، بداية من سورة الفاتحة إلى الآية الثالثة والثلاثين من سورة البقرة، ولم يكتب الله له تكملتها كونه كان في جبهات القتال وكتبها ورصاص العدو ينهال عليهم، أثناء الحرب العالمية الأولى، ركّز فيها على بيان الإعجاز النظمي للقرآن الكريم، وتبيان التناسب بين السور والآيات، كما فصل في وجود الآيات

<sup>1</sup> \_النورسي، المكتوبات، ص477

<sup>2</sup> \_النورسي، الملاحق، ص 220

المتشابهات في القرآن الكريم، والحكمة منها، وأشار إلى وجود الآيات الكونية والحكمة من إبهامها وعدم التصريح المباشر بها في القرآن الكريم، وهو مجلّد يحتاج إلى قراءة وتفصيل لما يحتويه من كنوز لغوية وعلمية كما يحتاج إلى علماء في التخصص ليكملوا مشوار النورسي رحمه الله في تفسيره للقرآن الكريم، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يسخر لهذا العمل من هم أهل له.

**\_المتنوي العربي النوري:** ألفه سنة 1922م، في مرحلة التحوّل النفسي، من سعيد القديم إلى سعيد الجديد، هو استعراض للحقائق الإيمانية وفق المنهج القرآني والسنة النبوية الشريفة، وقد شرح فيها التوحيد وأثبت الحشر بالأدلة العقلية والموت واليوم الآخر قاصدا الوصول إلى الحقيقة الأولى وهي التوحيد، كما استعرض الإشارات العلمية في الكون وأسرار الأحياء والأموات من أجل بيان عظمة الخالق الواحد سبحانه وتعالى.

**\_قزل إيجاز على سلم المنطق:** هو حاشية على كتاب السلم المرونق المنظوم للشيخ عبد الرحمن الخضريفي علم المنطق مع شرح الملا عبد المجيد وهو ضمن مؤلف صيقل الإسلام، تحيّر منها العلماء الفطاحل فساقطهم إلى الإعجاب والاهتمام.

**\_تعليقات في علم المنطق:** وهي رسالة في علم المنطق هو تعليق على كتاب برهان الكننبوي في المنطق، وهي رسائل تخاطب العلماء وبعض الخواص منهم.

**\_صيقل الإسلام:** مختصر المحاكمات البديعية، واحتوى على مؤلفات سعيد القديم، التي تضم قزل إيجاز وتعليقات في علم المنطق.

**\_الخطبة الشامية:** قدم فيها أمراض الأمة الإسلامية وطرق علاجها، وأوضح أسباب تخلف العالم الإسلامي، وهي موجودة في صيقل الإسلام.

### - مؤلفاته باللغة التركية:

**\_الكلمات:** ألفها في "بارلا" سنة 1926م، تضم ثلاثا وثلاثين كلمة في 940صفحة، تحدث فيها عن الإيمان والعبادات والعلاقة مع الله، والدنيا والآخرة والجنة والنار والقدر والملائكة، تأديب النفس، وتحدث فيها عن وظيفة الإنسان في هذا الوجود، وأثبت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما بيّن كيفية فهم وحل ألغاز الكون، وأشار إلى معجزات الأنبياء وعلاقتها بالتطور العلمي، كما كتب في ماهية الإنسان وجوهر "الأنا" وحقيقته.

**\_المكتوبات:** تضم ثلاثا وثلاثين مكتوب، بدأ بتأملاته في الكون والطبيعة مستشهدا بآيات القرآن الكريم، ثم تحدث عن الخضر عليه السلام والأنبياء ومعجزاتهم، والدجال، ثم أجاب عن أسئلة حول الفتن التي وقعت في زمان الصحابة الكرام، كما تحدث عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ورسائل اجتماعية أخرى، كما أوضح الحكمة من خلق الشر والشياطين.

**\_اللمعات:** تضم ثلاثين لمعة وهي شرح للعقائد الإسلامية، ممزوجة بالتفسير وعلم الكلام، تحدث فيها عن السنة النبوية الشريفة، وأسماء الله الحسنى، وحكم الاستعاذة من الشيطان الرجيم، ورسائل أخرى في دساتير القرآن الكريم، خصص فيها رسالة يرد فيها على الطبيعيين والماديين، كما دحض من خلالها نظرية داروين في التطور، وتحدثت عن تجليات الأسماء الحسنى وتجلّي اسم الله الأعظم.

**\_الشعاعات:** تضم خمسة عشر شعاع تحدث فيها عن دلائل وجود الله ومناجاته، وعن الوحي والإلهام، ودلائل نبوة الأنبياء عليهم السلام، كما تحدث فيها عن جمال الكون ومزايا الإنسان التي لا يظهرها إلا توحيد الله سبحانه وتعالى، ووظف رسالة الآية الكبرى التي بين من خلالها براهين التوحيد ووجود الله سبحانه وتعالى، كما تعرض فيها لبيان الحكمة من تكرار آيات القرآن.

**\_الملاحق في فقه دعوة النور:** مجموعة من الرسائل جرت بينه وبين طلابه الأوائل، وهي ذات طابع توجيهي إرشادي وتضم ثلاثة كتب هي: ملحق بارالا \_ ملحق قسطنطيني \_ ملحق أميرداغ، وكل ملحق عبّر عن مرحلة من مراحل دعوة النورسي وكفاحه، لذلك كانت ذات طابع حماسي تبتث في الطلبة روح الصمود والشجاعة لمواجهة الأزمات، تمثلت في الرسائل التالية:

**\_ السانحات والمناظرات** رسالتان باللغة التركية تسلط الضوء على الأوضاع السياسية والاجتماعية في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، بين فيها الأمراض التي أصابت الدولة العثمانية وكيفية العلاج منها.

**\_ الخطوات الست:** ألفها ردًا على احتلال الإنجليز لاسطنبول تفنّد أباطيلهم، وتشد من همم المسلمين في تلك الأوقات العصيبة.

\_ محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة:

\_ **سيرة ذاتية:** هي استعراض لحياته الطويلة والمليئة بالأحداث الكثيرة ، وهي قراءة فعلية حقيقية لزمان الأستاذ النورسي، ونتاجه العلمي والثقافي، وجهاده الفكري والإصلاحي، كانت مبعثرة بين ثنايا مؤلفاته ، جمعها الأستاذ إحسان قاسم الصالحي وأعدّها وحققها في مؤلف سمي بهذا الاسم، ورتّبها حسب التسلسل التاريخي.

تنوعت أشكال الخطاب في رسائل النور من شعر ونثر ، إلى خطاب علمي ، فلسفي، ديني، فكري، ويقول الأستاذ عشراي سليمان واصفا أسلوب النورسي: " لقد عصرن الصورة التعبيرية ، وارتحل بالخطاب الديني بعيدا نحو التحديث والموضوعية، وخصّب أسلوب الوعظ وجعله يرقى إلى صعيد المقاربة العقلية والطرح العلمي، لقد أدمج الخطاب الإسلامي في أرضية الواقع، وأوصله بثقافة المدنية الصناعية وفتّحه على المشاركة في حل الهموم الفكرية العالمية"<sup>1</sup>

**ثانيا\_ مضمون رسائل النور:**

**1\_ الإسلام هو منقذ البشرية:**

يقول النورسي رحمه الله: " أشد الناس إحادا وتنكرا للدين مضطر إلى أن يلجأ للدين في آخر المطاف، لأن نقطة استناد البشر عند مهاجمة المصائب والأعداء من الداخل والخارج مع عجزه وقلة حيلته وكذا نقطة استمداده لآماله غير المحدودة الممتدة إلى الأبد مع فقره وحاجته، ليس إلا معرفة الصانع والإيمان به والتصديق بالآخرة، فلا سبيل للبشرية المتيقظة إلى الخلاص من غفوتها سوى الإقرار بكل ذلك"<sup>2</sup>.

**2\_ القرآن الكريم هو المصدر الوحيد والأوحد:** انطلاقا من مقولته الشهيرة: " لأبرهنن للعلم أن القرآن شمس معنوية لا يخبوا سناها ولا ينطفئ نورها" صار القرآن بالنسبة له مؤنسا وسندا ومرجعا ومصدرا لأفكاره وتأملاته الكونية ومؤلفاته العلمية، سواء في حصاره أو سجنه أو منفاه أو عزلته حين جرّده السلطات من كل شيء، كان القرآن الكريم أنيسه.

<sup>1</sup> \_ عشراي سليمان، المعنى القرآني في رسائل النور، ص156

<sup>2</sup> \_ النورسي، صيقل الإسلام، الخطبة الشامية، تر إحسان قاسم الصالحي، ص: 464

3\_ الإيمان والعلم توأمان لا ينفصلان: يرى النورسي أن العلم يقوي الإيمان من خلال تعريفه بالخالق سبحانه وتعالى، فكل علم من العلوم يدل على خالقه من جهة تخصصه، كما أن ترابط العلم والإيمان هو السبيل الوحيد لرفي الإنسان علميا وحضاريا فيتقوى فيه الإيمان ويداوي هذا الأخير جميع جروحه وضعفه وعجزه بالتوكل على الله سبحانه وتعالى، مفوضا أمره إليه مسلما أنقال أعباء الحياة عليه، من خلال الإيمان الصادق بحقائق الموت والبعث والقبر، فالاهتمام بالبحث العلمي ضرورة عقائدية تفرضها متطلبات العصر وحالة التخلف التي تعيشها الأمة.

3\_ المستقبل للإسلام كدين وحضارة: للنورسي رؤية مستقبلية تكاد تتحقق بإذن الله وهي أن أوروبا وأمريكا حبلى بالإسلام وستلده يوما ما، والحضور الفعلي للأمة الإسلامية يكون بإعلاء كلمة الله الذي يتوقف على التقدم المادي والدخول في إطار المدنية الحقيقية.

4\_ الجهاد المعنوي من أولويات التغيير: يرى أن السلاح يقتل حامله خاصة إذا استخدم ضد المسلمين من بني جلدتنا، يقول رحمه الله: "إن الجهاد المسلح لا يحشد كليا إلا ضد العدو الخارجي. والجهاد في أي مجتمع مسلم هو جهاد معنوي يتصل بتطوير الأفكار وإصلاح القلوب والأرواح، ويكون جهادا إيجابيا ضد التخريب المعنوي.

استطاعت رسائل النور أن توجد مساحة مهمة لبقاء المشروع الإسلامي حاضرا بقوة في الحياة الفردية والجماعية، فهو ما يمكن التعبير عنه بصمود المشروع النصي كفاعل اجتماعي وأخلاقي وسياسي وفكري، ونقصد بالمشروع النصي خلوه من الأشخاص\_النورسي وطلبة النور\_ وبقاء المضمون المتمثل في القرآن والسنة ثم رسائل النور كتفسير روحي للقرآن الكريم، وهذا ما دعا إليه النورسي رحمه الله وهو التمسك بالمنهج لا بالرجل بالمحمول لا بالحامل حتى أنه أوصى زوّاره في مرضه بأن يطالعوا رسائل النور فهي البديل عن شخصه.

ثالثا: طلبه النور.

لا نستطيع الحديث عن آثار الأستاذ النورسي دون الحديث عن طلبته الذين عملوا بإخلاص وجهد منقطع النظير فكانوا يده التي تكتب خاصة وأن خطه لم يكن حسنا، وصوته المسموع بالليل والنهار خاصة وأنه تعرض للمضايقات طيلة حياته، حتى المرأة وجدها في

جنبه تسانده في الدعوة، خاصة وأنه عاش يتيما وبدون أخوات ولا زوجة، والعجيب أن طلبة النورسي ليسوا فقط من عايشوه بل في كل زمان ومكان تجد طلبة له يحملون نفس الصفات وما تزال الأمة الإسلامية تلد هؤلاء الطلبة المخلصين المتبعين للرسالة المحمدية الأوفياء لأستاذهم على الدرب سائرين .

ومن طلبة الأستاذ النورسي من قضى نحبه في حياة أستاذه أو بعد وفاته، ومنهم من ينتظر وما زالوا على درب أستاذهم لم يبدلوا في نهجه متبعين القرآن الكريم وسنة الحبيب المصطفى ونذكر منهم:

1\_ **الحافظ توفيق الشامي:** سمي بالحافظ لحفظه كتاب الله والشامي لمكوته في الشام من أوائل الطلاب الذين لازموا الأستاذ في منفاه وفي بارلا وكان خطه جميلا لذا كان الأستاذ يملئ عليه الرسائل وهو يكتبها بخطه.

2\_ **خلوصي يحي كيل:** تجسدت فيه كل المقاييس التي كان الأستاذ يشترطها في طلبته، وكان عسكريا برتبة نقيب لذلك تكرر بعده عن الأستاذ وكان يواسيه دائما لأن الأستاذ كان يعلم أن خلوصي إلى جانب الاحتراف العسكري يبحث عن استبسال من نوع آخر ميدانه القلب ومقوماته الروح والإيمان والقرآن ، فقد كان يحترف قتالية جديدة ضد عدو خفي وفي هذه المهمة لم يتخلى عن وطنيته وبنديته وسلاحه.

3\_ **عبد المجيد:** وهو أصغر إخوة الأستاذ النورسي، ترجم العديد من الرسائل إلى العربية كما ترجم "المتنوي العربي" و"إشارات الإعجاز" إلى التركية، وكان مدرسا ثم مفتيا للعلوم الإسلامية .

4\_ **عبد الرحمن:** ابن شقيق الأستاذ، كان يحبه حبًا شديدًا لدرجة اتخذه الابن الروحي، حزن الأستاذ على موته حزنا شديدا، كتب سيرة النورسي منذ ولادته ونشرها في كتاب.

5\_ **عبد القادر بادلي:** من أبرز طلبة النور، نشط في كل الأعمال وكان ملازما للأستاذ النورسي رحمه الله.

\_ **بيرم يوكسل:** كان رجلا مخلصا مضحيا لازم الأستاذ النورسي وخدمه بنفسه وقام على شؤونه حتى وفاته، وكان ضمن البعثة العسكرية المتوجهة إلى كوريا واليابان، فسلمه النورسي رحمه الله الرسائل والخطبة الشامية ليسلمها إلى القائد العام للجيش الياباني، توفي سنة

1997 وفي المؤتمر العالمي للنورسي سنة 2002 قدّم البروفيسور الكوري "جميل لي" محاضرة استهلها بقوله: "نحن أزهار تفتّحت من التراب الذي وطأته أقدام بيرم بوكسل في كوريا.

\_ **مصطفى صونغور**: وصفه الأستاذ النورسي بأنه أحد أبطال النور الشباب وأثنى على خدماته وهمته، له جهد كبير في خدمة الرسائل ونشرها وسجن عدة مرات، ولازم الأستاذ ملازمة تامة حتى وافته المنية وأخذ عنه دساتير رسائل النور، توفي سنة 2012م.

\_ **طاهري موطلو**: كان صاحبه في السجن، تولى أمر الرسائل في الكتابة والتوزيع في أحلك الظروف. طبع رسالة الآية الكبرى سرّاً باسطنبول إذ كانت الرسائل ممنوعة ومحاربة بشكل رسمي، عانى من الرقابة والملاحقة والسجن، فاستغل الوضع وكان مدرسا للمساجين يعرفهم بحقائق القرآن والإيمان، توفي عام 1977م

\_ **زبير كوندوز آلب**: نذر نفسه لخدمة الإيمان والقرآن من خلال نشر رسائل النور، كان مثالا للإخلاص والمثابرة حتى أصبح أقرب تلاميذ الأستاذ إليه تولّى إدارة طلاب النور بعد وفاة الأستاذ النورسي، توفي سنة 1971م.

\_ **جيلان جليشقان**: لازم الأستاذ النورسي وهو في الحادية عشر من عمره، وقضى حياته كلها في خدمة الرسائل ونشرها حتى وافته المنية سنة 1963م.

5\_ **سيراني صنو خسرو**: من الأوائل الذين استنسخوا رسائل النور ونشروها في أحلك الظروف، وقد كتب مصحف بتوجيه من أستاذه لإظهار الإعجاز في التوافقات اللطيفة للفظ الجلالة.

6\_ **السيد أحمد غالب**: من أوائل طلاب النور، خطاط وشاعر، قال عنه النورسي: "لقد خدم هذا الأخ بإخلاص وصدق في تبييض الرسائل وقام بخدمات جليلة كثيرة، ولم يبد منه أي ضعف أمام أي مشكلة من المشاكل مهما كانت، كان يحضر الدرس في أغلب الأوقات وينصت بكل اهتمام وشوق"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> بديع الزمان النورسي، اللغات، ص: 75

7\_ عبد الله جاويش: كان ساعي بريد الرسائل ينقل ما كتبه سليمان وصبري والحافظ الشامي وخلوصي وخسرو وغيرهم ويخترق الغابات والأنهار وينفذ تحت جناح الليل وينتشر في كل الأنحاء كالنور ينشر ضياء رسائل النور.

9\_ سعيد أوزدمير: شارك في طباعة الرسائل باللاتينية وفي نشاطات كثيرة لخدمة الرسائل وتدريسها في المساجد وبثها إذاعيا، توفي سنة 2016 ودفن في أنقرة.

10\_ عبد الله يكين: قدم حياته في سبيل نشر العلم وخدمة الرسائل توفي سنة 2016 ولا يمكن الحديث عن طلبة النور دون ذكر الأحياء منهم الذين مازالوا على الدرب سائرين ينشرون الرسائل في كل بقاع العالم.

11\_ محمد إفرنجي: أقام النورسي رحمه الله في بيته يقوم "إفرنجي أب" بخدمته حتى توفي، وكانت ثقة الإمام في عمله وإخلاصه وتفانيه شديدة، كما كانت شفقتة كبيرة عليه، وافته المنية منذ أشهر قلائل رحمه الله رحمة واسعة.

لو تحدثنا عن الطلبة لطال الحديث ولن تعبر الكلمات عن الخدمة المتفانية التي قاموا بها، فقد كانوا خدام القرآن ومازالوا كذلك، تسري في دمائهم الخدمة والعطاء ولا يعرفون كلمة "أنا" بل هو الآخر دائما يتفنون في خدمته، و في أول مشاركة لي في الندوة العالمية للأكاديميين الشباب في اسطنبول سنة 2015م حين رأيت الإخلاص والتفاني في سلوك طلبة النور وأخلاقهم العملية التي تشدك وتأسرك فهمت تضحية النورسي رحمه الله وأدركت الحقيقة التي أوصى بها زواره وهي أن الذي يريد زيارته فليزر طلبته فسيراه، فكتبت رسالة للأستاذ إحسان قاسم الصالحي أملاها الضمير بلغة الروح، دونها في كتابه "رحلتي مع رسائل النور" قائلة: "أستاذي الفاضل: ما تعلمناه كان عظيما، وما قدمتموه لنا كان أعظم: العلم، المحبة، التواضع، الإخلاص، الأخوة، الخدمة، ليس ثمة كلمة "أنا" في قاموسكم، بل هو "الآخر" فقط تتفنون في خدمته، وسأهدي هذه الأخلاق النورية لكل من أعرفهم"<sup>1</sup>.

سفير الرسائل الأستاذ إحسان قاسم الصالحي: هو مترجم رسائل النور من اللغة التركية إلى العربية، ولد في كركوك، العراق سنة 1937م، وترجمته لم تكن حرفية بل كانت تحمل نفس المعاني والأحاسيس بطريقة عجيبة، فالحضور القوي الذي نلمسه لمترجم الرسائل،

<sup>1</sup> إحسان قاسم الصالحي، رحلتي مع رسائل النور، اسطنبول، 2016م، ص 266\_267

والإحساس الصادق بلغة القلب قبل اللسان التي تجاوزت النقل الحرفي إلى النقل الروحي، ناتج عن إخلاص الأستاذ إحسان في عمله الأمر الذي جعله يترجم كل الرسائل بجهد ألف مفكر والعجيب أنها لم تكن ترجمة نصية بل كانت ترجمة نفسية للمعنى قبل الحرف، فحين تقرأ الرسائل المترجمة للأستاذ إحسان قاسم الصالحي تحس بأنفاس الأستاذ النورسي فيها، وكأنك تجلس أمامه تتصت لكلماته وتعيشها، فتفرح تارة وتبكي تارة أخرى، وتجتمع فيك الأحاسيس حتى أنها تنقلك من مكانك وتبعثك إلى حيث أردت ولا تعيدك إلا متى أردت، وتسافر بك في كل الأمكنة التي تشهد بالإخلاص والتفاني في العمل.

**\* طلبه النور بعد وفاة النورسي رحمه الله:**

إن سر استمرار دعوة النورسي في تركيا ونجاحها يعود إلى ثبات طلبته على نفس النهج، وإتمامهم لمشواره العلمي والدعوي رحمه الله وكأنه لم يموت، حتى أنه حينما رأى رسائل النور متوغلة في قلوب الناس وأداء طلبه النور مهامهم بذلك الإخلاص والتفاني ابتسم ورحب بالموت قائلاً: "كنت أنتظر مثل هذا اليوم، لقد انتهت مهمتي إذن، وسأرحل قريباً"<sup>1</sup> وضع طلبه النور أسس وطرق منهجية لمواصلة العمل بعد وفاته لم يحدوا عنه قيد أنملة، أهمها:

- \_ الاهتمام بدراسة رسائل النور وقراءتها يومياً وهضمها جيداً.
- \_ تركيز الاهتمام بالعمل الإيجابي والابتعاد عن العمل السلبي والعناية بالبناء لا الهدم.
- \_ عدم استخدام الإسلام لأغراض شخصية أو سياسية، وعدم انحياز طلبه النور لأي وجهة سياسية بالعكس كان عليهم القيام بدور المرشدين والمصلحين، وعدم إبداء الخصومة مع الحكام.
- \_ الثبات على الوظيفة الأصلية وعدم التبدل والغير في أداء المهام مهما تبدلت وتغيرت الظروف، والعمل على نشر الإسلام في المجتمعات العربية والأوروبية بشكل تدريجي حتى ينجحوا في جذب المجتمع إلى الإسلام الصحيح فكراً وعملاً.

<sup>1</sup> \_ النورسي، سيرة ذاتية، ص: 527

العمل على نشر رسائل النور بنفس النظرة القرآنية الكونية التي كان يتحدث عنها النورسي و إحياءها في قلوب الأجيال جيلا بعد جيل.

وكل دولة لم تبقى الأمور هادئة بعد وفاة النورسي بل وقع انقلاب عسكري في 27 مارس سنة 1960م أطاح بالحكم الديمقراطي، ونظرا لحقدهم على الحركات الإسلامية لم يدعوا طلبة النور في شأنهم بل واصلوا حركات الاعتقال والنفي، والمحاكمات لهم، فانقسمت صفوفهم إلى عدة أجنحة قصد تعدد الخدمات وتجديد طرق التناسب مع الوضع السياسي لخدمة الدعوة كي لا تقمع وتموت مثل بقية المشاريع الإصلاحية التي سبقت دعوة النورسي في بقاع العالم الإسلامي.

و حين انسحب قادة الانقلاب العسكري من الحكم وسلّموه إلى المدنيين، قامت أحزاب جديدة أهمها "حزب العدالة" مع العلم أنه قدّم اقتراح على طلبة النور بتشكيل حزب سياسي إسلامي من قبلهم، لكنهم رفضوا هذا الاقتراح احتراما لوصية النورسي، وفضلوا إعطاء أصواتهم لحزب العدالة الذي كان قريبا من قلب عامة المسلمين في تركيا لأسباب عديدة أهمها أن طلبة النور كانوا مدركين أن الظروف في تركيا لا تساعد على التحزب السياسي كون الانقلابات العسكرية ستتجدد من حين لآخر، وسيعود مسلسل الدم والإرهاب من جديد ضد المسلمين وضد الحركات الإسلامية.

غلبت الحكمة على منطق طلبة النور وكانوا السباقين لدعم الأمن والسلام في تركيا وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وهذا دأبهم منذ بداية مشوارهم الدعوي، وأمام هذه الاضطرابات السياسية ظهرت أجنحة متعددة في حركة النور منها ما ابتعد عن السياسة وتفرّغ لدراسة رسائل النور ونشرها في المجتمع بل وطبعها وترجمتها إلى اللغات الأخرى كون رسائل النور ليست موجهة للمجتمع التركي فقط بل للعالم أجمع، وقسم آخر اقترب من السياسة بحذر مجبرين على التعامل معها دون الانصياع لسلبياتها والدخول في متاهاتها، وقسم آخر خاض بحرّها في السنوات الأخيرة مع العلم أن طلبة النور القدامى يعارضون هذا المسلك ويذكرون دائما أن مهمة الحركة هي نشر الوعي الديني حسب المنهج القرآني الذي رسمه النورسي رحمه الله، لا الانخراط في حزب سياسي وإيهام الناس أن حركة النور تسير خلف حزب معين، بل بقوا يسيرون على نفس النهج الإسلامي قسم يهتم بإلقاء

الخطب والمواعظ تسجيلها ونشرها، وقسم يعلم الأجيال في المدارس القرآنية وفي الدرساخانات والمؤتمرات والملتقيات، وقسم يهتم بالطباعة والنشر حتى أصبحت تركيا رائدة في هذا المجال، مجال التربية والتعليم والنشر والطبع.

**ففيما يخص المطبوعات** لديها الكثير من المجلات مثل "يني نسل: أي الجيل الجديد" و"يني آسيا: أي آسيا الجديدة" ومجلات للمرأة والأطفال والعلم والمجتمع والأدب والتاريخ... الخ، طبعت سلسلة علمية إيمانية وترجمتها إلى العربية منها: داروين ونظرية التطور\_ الإنسان ومعجزة الحياة\_ الانفجار الكبير\_ أسرار الذرة\_ مذكرات نحلة.

ترجمت رسائل النور إلى العديد من لغات العالم، وأصدرت موسوعات عديدة في تاريخ السلاطين العثمانيين وفي الطبيعة وخوارقها وفي علماء الإسلام والصحابة الكرام، كما أنشأت مراكز لتسويق الكتب هاتقيا.

وفيما يخص التربية والتعليم أنشأ طلبة النور مدارس عديدة لتحفيظ القرآن، وبنيات وأقسام داخلية لمختلف مراحل الدراسة للطلبة، حيث تتم تربيتهم تربية إسلامية وفق منهج أصيل في المعاملات مع التفاني في الخدمة دائما والإخلاص في العمل.

يقومون يوميا بعقد اجتماعات ودروس وحلقات لتلاوة القرآن وتدارس رسائل النور ومناقشة أمور الحياة، كما تم إنشاء مخيمات صيفية يمتزج فيها الترفيه مع الرياضة مع التوجيه والتدريس، وقد تغلغت هذه الحركة وتوسعت في أوساط تركيا وكسبت أنصارا ومؤيدين كثيرين في كل الأوساط خاصة منها الأوساط الجامعية التي كانت حكرا على مقلدي الغرب.

**المطلب الثاني: النورسي بين توصيفه الشخصي وقراءة الغير له:**

**أولا\_ المناخ ثقافي:**

العصر الذي عايشه الأستاذ النورسي كان النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وهو عصر الهجمة الشرسة على الإسلام في كل بقاع العالم الإسلامي وتقسيمه إلى دول وأقاليم، حينها ظهرت حركات إسلامية رفعت لواء الإصلاح والتغيير أبرزها: حركة محمد عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية (1703م\_1793م)، ثم ظهرت حركة جمال الدين الأفغاني (1839\_1897م) ثم واصل

حملة التغيير تلميذه محمد عبده (1849\_ 1905) الذي حاول الجمع بين الرؤية العقلية والاجتماعية للنص الديني، بعدها لمع نجم محمد رشيد رضا (1865\_1935) الذي حاول كذلك تفسير القرآن الكريم بأسلوب سهل ومادة معرفية غزيرة ومباحث لغوية أصيلة.

وفي المغرب العربي رفع لواء الإصلاح والتغيير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (1879\_1973م) له تفسير التحرير والتتوير الذي انتهج فيه مسار التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، وليس ببعيد زمكانيا كان الشيخ عبد الحميد ابن باديس.

( 1889\_ 1940م) يقود مشعل الإصلاح والتربية في مجتمع يئن تحت وطأة الظلم والظلام ومع كثرة مسؤولياته كتب تفسيره " مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"

وقد اطلع النورسي على هذه الحركات الإصلاحية المتزامنة مع منهجه ورسالته المكمله لها، لا شك أنه اطلع على تفاصيل هذه المدرسة في اتجاهها بدليل الجسور المنهجية والفكرية المشتركة بينه وبينها"<sup>1</sup>.

اشترك النورسي مع ابن باديس رحمهما الله في العديد من النقاط، منها اعتزال السياسة في ظروف معينة نتيجة فقهما للأولويات، واشتركا في مبادئهما الإصلاحية وهي البدء بإصلاح النفس التي تشمل القلب والروح، "مراجعتهما واحدة هي المرجعية الدينية والقاعدة واحدة هي الفرد والمجتمع والمنهج واحد هو التربية الروحية"<sup>2</sup>.

يرجع الدكتور محسن عبد الحميد أسباب تميّز النورسي عن معاصريه من رجال الإصلاح إلى الظروف الزمانية والمكانية التي لم تساعدهم على تكملة المشروع الإصلاحي، فحددوا المنهج و والتوجه والحركة وبيّنوا أسس الفكر الإسلامي الحديث وتركوا لأتباعهم مهمة نشر الفكر الإصلاحي وإتمامه، أما النورسي رحمه الله فعمره الذي ناهز الثمانين وظروفه الصعبة المليئة بالنفي السجن والعزلة والوحدة، استغلها لخدمة الدين الإسلامي وطلبتة من بعده أكملوا مساره العلمي لشدة تعلقهم بمنهجه لا بشخصه الكريم وكان هذا طلبا منه لهم خشية ضياع الإخلاص.

<sup>1</sup> د محسن عبد الحميد، معالم التجديد عند النورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2002م، ص70  
<sup>2</sup> إشكالية المنهج العلمي في فكر الإمامين النورسي وابن باديس، رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة بن سعدي حورية، سنة 2016م جامعة الجزائر2، قسم الفلسفة.

ثانياً: توصيفه الشخصي.

**\_ الواقعية:** تميز الأستاذ النورسي بخصال صقلت شخصيته الموسوعية وهي، تضلعه في العلوم بدون تمييز بينها، عقلية أو دينية، وقد شهد علماء عصره على ذلك بامتحانات شاقة وكثيرة، والسر في ذلك يعود إلى حفظه القرآن الكريم فكان يجيب على جميع الأسئلة التي يسأل عنها من العلوم المتنوعة بلا تردد، فكان واقعياً في طرحه ومنهجه وأساليب دعوتهم لأنه عايش الأزمة من صلب واقعها.

**\_ عزة النفس:** كما عرف بعدم قبوله الزكاة والصدقات والهدايا، والراتب من الدولة ولا من الأغنياء رغم فقره فقد كان زاهداً متقشفاً عفيفاً تحصيلاً للإخلاص، تكذيباً لمن يدعي أن علماء الدين يعيشون بعلم الدين ويستزقون آيات الله سبحانه وتعالى.

عرف النورسي بمواظبته على المجاهدة ورياضة النفس، فكان يعيش على الخبز والماء لانبساط الفكر وتنوير العقل، وكان يمضي الليالي الطوال بدون أكل، يقول رحمه الله: "كنت أتمتع بروح معنوية تتسم بالفخر والاعتزاز"<sup>1</sup>.

**\_ شغفه وولعه بالعلم:** كان شغوفاً بمطالعة الكتب والعلوم المختلفة، ومن عاداته مطالعة حوالي مائتي وخمسين صفحة في اليوم الواحد، مع شرط الفهم من أصعب الكتب.

تميز بحفظه لتسعين متناً من متنوع العلوم مثل "القاموس المحيط" و"جمع الجوامع" حفظه في جمعة واحدة، وكان هدف الأستاذ النورسي نبيلاً ولم يفكر في نفسه بل انتبه لحال المسلمين وحاول إنقاذ الإيمان في قلوبهم، فكانت هذه غايته حتى لقي ربه رحمه الله، ولم يكن يكتب إلا بجهد وصعوبة، فقد كان يسجل كتبه ورسائله بواسطة الإملاء حتى تبقى محفوظة في قلوب طلاب النور.

**\_ العزوف عن الدنيا وملذاتها:** لم يتزوج عمره كله وعندما سئل عن السبب أجاب بأنه لا يستطيع القيام بواجبات الزوجة على ما هو فيه من حياة القلق والاضطراب والغربة والسجن، حتى أنه كان لا يحب ربط رسائل النور التي هي من تأليفه بشخصه الفاني بل يربطها بالقرآن الكريم الذي هو منبعها الأصيل، حتى لا تغتر نفسه ويدخلها الرياء.

<sup>1</sup> \_ النورسي، سيرة ذاتية، ص 63

**خادم القرآن:** يقرر علماء اللسانيات والفلاسفة أن الإنسان كائن عاقل، قادر على التمييز والتفكير والتعلم في حين ورثنا عن الرسول صلى الله عليه وسلم صفة "الإنسان القرآني" إذ تصفه أمنا عائشة بأن خلقه القرآن صلى الله عليه وسلم، وعلى نهجه سار الكثير من العلماء والمسلمين ومنهم الأستاذ النورسي الذي كان يتلو القرآن بقلبه وعقله بحيث يسلم قلبه للقرآن ليصوره ويبدله كيفما يشاء، حتى يصير قلبه القرآن وخلق القرآن وحله للمعضلات حلا قرآنياً، فكانت كل حركاته وسكناته قرآنية، ينظر إلى الجبال والشمس والسموات والأرض آيات من الله سبحانه وتعالى يستحضر تجلياته في كل مخلوقاته.

أدى إدراك الأستاذ النورسي للقرآن الكريم إلى حقيقة مفادها : أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن على نبيه عليه الصلاة والسلام مفتاحاً لمغاليق القلوب المؤمنة ومنبعاً لماء الحياة، فهذه النعمة المتمثلة في فعالية التغيير بالقرآن منبع لا مثيل له لبعث الحياة من جديد في القلوب التي سكنها الشك وضعف إيمانها.

كان لا يرى هذه التجليات في الطبيعة فقط بل في نفسه وروحه كذلك، يستشعر نعم الله ويعيش العناية الإلهية والإحسان الإلهي.

**الموهبة الخارقة:** لقد أنبأت وقائع طفولته عن تميز وقابلية وملكات ، موهبته لم تكن الذكاء وقوة الذاكرة فقط بل كانت فوقهما بكثير، فقد كانت موهبته خاصة تحدّى بها الواقع وزرع بها في تربة بلده نجاحاً مستقبلياً، كانت موهبته بصيرة تلمح الحل قبل طرح الإشكال، كيف لا وقد كان يمشي على خطى الأنبياء، لاحظ فيه أهله هذه الموهبة حتى سمّوه بديع الزمان ، لاحظوا فيه بصمة فوق عقلية خارجة عن حدود المعهود ، اجتمعت فيه جل ملكات العقل وخلجات الروح وهمسات القلب ، لذلك سلخ الأستاذ النورسي عمره كله لإسعاف الإنسانية بما يحفظ لها سكينتها وحيويتها.

### النورسي المجدد الروحي والمجدد الإيديولوجي.<sup>1</sup>

كان الأستاذ النورسي يهتف دائماً بصوت مرتفع " اثبتوا على نهج القرآن ، ولا تغرّبكم أهواء الدنيا ومباهجها" في الوقت أعلن الاستعمار الحرب على القرآن جدّد النورسي علاقة الدين بالمواطن التركي فأحى الإيمان في القلوب، وجمّد العلمانية في مهدها رغم كل الضغوطات،

<sup>1</sup> \_ هذا اللقب لقبه به الأستاذ عشراتي سليمان في كتابه

ولأن الإشارات العلمية كثيرة وترتبط بالقرآن الكريم اتجه الأستاذ النورسي لدراستها، إذ يرى أن الإشارات العلمية في القرآن هي خلاصة اللطائف الطبيعية والأسرار الجمالية في الكون، وهي منبع الإشراق ومصدر انبثاق الإعجاز. ويعتقد أن هناك فائدة كبرى من وراء فهمنا لآيات الكون وفي ثناياها ارتكاز جوهرى لفهم الخطاب القرآني.

### المطلب الثالث: النورسي والفلسفة.

#### أولاً: مفهوم الفلسفة عند الأستاذ النورسي.

تعرف الفلسفة لغة بأنها محبة الحكمة أما اصطلاحاً فهي تساؤل نقدي ببناء ينصب حول كل ميادين المعرفة، سواء الوجود أو الأخلاق أو القيم، ظهرت مع العبقورية اليونانية و التي أصبحت مرجعية للفلسفات التي جاءت بعدها عبر التاريخ ونقصد الفلسفة الإسلامية والفلسفة الأوروبية الحديثة والفلسفة المعاصرة.

تناولت الفلسفة عبر العصور كل القضايا التي شغلت عقل الإنسان آنذاك وقدمت حلولاً كثيرة لمشكلات كل عصر، "وقد درس النورسي في مرحلة الصبا كتب فلاسفة اليونان والإسلام كذلك أمثال كتب "أرسطو" و"الفارابي" و"ابن سينا" و"ابن رشد" وغيرهم، وهو في مرحلة "سعيد القديم"، فالقارئ لرسائل النور يلمس فيها نظرة عدائية للفلسفة، فهل كان النورسي رحمه الله معادياً لها متتكراً لقيمتها؟ أم أنه كان فيلسوفاً بحق، مستخدماً لكل أساليبها البرهانية المنطقية التجريبية من أجل إثبات الحقائق الإيمانية، ما هي فلسفة النورسي الحقيقية التي نستقرئها من خلال قراءتنا لرسائل النور، هل تنكر النورسي للفلسفة بالفلسفة أم أثبتها بالحجة والبرهان القرآني؟

#### ثانياً\_ فلسفة النورسي:

تبدوا نظرة النورسي للفلسفة سلبية للوهلة الأولى، لكن المتصفح لرسائل النور التي ألفها يكتشف أنها تشجع على العقل، وتربطه بالنقل، ليتمكن في الأخير من فهم فلسفة الأخلاق التي وظفتها الرسائل وجسدتها في الواقع العملي، ليتبين له أن نقد الرسائل للفلسفة ليس عامّاً بل جزئياً فقط.

لم يصدر حكماً على الفلسفة بقدر ما ميّز بين نوعين منها، نوع استند إلى أسس مادية طبيعية ونسبها للعلم، ونوع استند على الحكمة والعقل المؤسس على العقيدة يهتم بالنظم

الاجتماعية والقيم الأخلاقية والمثل الإنسانية وتعين على رقي وتقدم المجتمعات، والقسم الثاني يؤيدها النورسي ولا يعارضها بل هو واحد من ممثليها، فقد كان النورسي فيلسوفاً على منواله فجاءت رسائل النور مثلاً حياً على الحجاج العقلي والفلسفي من خلال المحاكمات العقلية والاستدلال على أفكاره الدينية العقائدية بطريقة عقلية، وقد شجّع النورسي على التفكّر بل أعطاه قيمة كبيرة حيث يقول: "التفكّر كالعشق إلا أنه أغنى منه واسطع نورا، وأرحب سبيلاً إذ هو يوصل السالك إلى إسم الله الحكيم"<sup>1</sup>.

### 1\_ مسألة العقل والنقل.

احتلت هذه المسألة الصدارة في الساحة الفكرية عند علماء الكلام والفلاسفة، حيث قدّم الغزالي النقل على العقل وجعل بعض المسائل توقيفية لا يسمح للعقل بالتدخل فيها، بينما وفق ابن رشد بينهما وقال بأن الحكمة ويقصد بها الفلسفة هي الأخت الرضيعة للشريعة ولا يمكن أن ينفصلا عن بعضهما البعض، فهما متداخلتان في المنزلة أي ما تقرره الشريعة تقره الفلسفة وما تدّعيه الفلسفة تؤيده الشريعة.

في سياق الحديث عن التأويل بحث النورسي في كيفية تحكيم التأويل عن طريق العقل أو النقل خاصة المتشابه منها، "فالنقل يؤول على مقتضى العقل متى ظهر تعارضه معه، وبهذا يصير النقل ممثلاً بحكمة القرآن هو الأصل، والعقل ممثلاً في فلسفة البشر هو الفرع متى ثبتت موافقته لما جاء به النقل، لذا جاز أن نسمي التفريق أو الفصل في الدرجة بين الحكمة والفلسفة الذي قابل به النورسي الوصل التداخلي بينهما باسم التفريق أو الفصل الاستتباعي حيث أن الفلسفة تصبح تابعة للحكمة وخادمة لها"<sup>2</sup>.

يعتقد المفكر المغربي "طه عبد الرحمن" أن النورسي عمل بمبادئ الفلسفة الثلاثة في مرحلة تفلسفه وهي: الاندهاش الذي هو منطلق التفلسف، والاستشكال الذي هو صياغة الإشكاليات بغية الوصول إلى الإجابة، والاستدلال الذي هو المنهج البرهاني الموصل إلى الحقيقة، وكان موقفه من الاتصال بين العقل والنقل موافقاً لفلاسفة الإسلام، لكن بعد انقلاب

<sup>1</sup> \_النورسي، الكلمات، ص: 558

<sup>2</sup> \_طه عبد الرحمن، فصل المقال ما بين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الانفصال عند بديع الزمان سعيد النورسي،

مجلة حراء، العدد 3، 2006، ص15

الفلسفة الحديثة على القيم الدينية آنذاك واستبدالها بالعلم وتقنياته، تغيّر موقف النورسي ونلاحظ ذلك في قوله: "راجعت أول ما راجعت تلك العلوم التي اكتسبتها سابقاً أبحث فيها السلوى والرجاء، ولكن كنت للأسف إلى ذلك الوقت مغترفاً من العلوم الإسلامية مع العلوم الفلسفية ظناً مني ظناً خطأ جداً\_ أن تلك العلوم الفلسفية هي مصدر الرقي والتكامل ومحور الثقافة وتطور القلب، بينما تلك المسائل الفلسفية هي التي لوّثت روعي كثيراً، بل أصبحت عائقاً أمام سموي المعنوي، " نعم بينما كنت في هذه الحالة، إذا بحكمة القرآن المقدسة تسعفني، رحمة من العلي القدير، وفضلاً وكرماً من عنده سبحانه، فغسلت أدران تلك المسائل الفلسفية وطهرت روعي منها\_ كما هو مبين في كثير من المسائل\_ إذ كان الظلام الروحي المنبثق من العلوم الفلسفية يغرق روعي ويطمسها في الكائنات، فأينما كنت أتوجه بنظري في تلك المسائل فلا أرى نورا ولا أجد قبساً، ولم أتمكن من التنفس والانسراح، حتى جاء نور التوحيد الساطع النابع من القرآن الكريم الذي يلقي " لا إله إلا الله " فمزّق الظلام وبدده، فانشرح صدري وتنفس بكل راحة واطمئنان"<sup>1</sup> .

انتقد النورسي رحمه الله الاتصال بين الحكمة والشريعة وتوسل الشرع بالعقل نقداً وظيفياً بناءً لا هدماً ومنهج فلسفي كما هو معروف، فالذي يؤسس النقل على العقل ويقدم هذا الأخير على مرتبة الوحي يصاب في رأي النورسي بأمراض قلبية أولها مرض الغرور لأنه في تقديمه للعقل الناقص النسبي على الوحي الكامل المطلق إعلاءً لشأن العقل ومنحه مكانة غير مكانته.

### 2\_مسألة الفلسفة المادية:

قطع النورسي عهداً على نفسه بأن يدافع عن العقيدة الإيمانية ضد المد الإلحادي العلماني بمنهج علمي دقيق حتى يقيم الحجة عليهم وبلغتهم، خاصة وأن العصر الذي شهدته سادت فيه مفاهيم وأفكار علمانية تحاول تشويه العقيدة وطمس الهوية الإسلامية باسم العلم، رغم الاتصال الوثيق بينهما إلا أن هذا المد حاول خلق قطيعة بين العلم والدين، واستطاع النورسي بمنهجه العقلي الرد عليهم، حيث انتشرت شعارات كثيرة تعادي الدين وتنفي وجود الخالق مثل: خلو العقل من كل المبادئ الفطرية كالتوحيد (والإيمان بالله وملائكته ورسوله

<sup>1</sup> \_النورسي، اللغات، ص: 337

واليوم الآخر والقدر) التجربة والطبيعة هما مصدر الوجود، وللصدفة دور كبير في نشأة الظواهر، " لا إله والحياة مادة" - " ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع" ... إلخ.

ردّ النورسي على الماديين بكتابه المدرج في مؤلفاته "كاللغات" و"إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز" والتي سماها: "رسالة الطبيعة" والتي أثبت من خلالها وجود الله الخالق الذي يسيّر الكون بحكمة وتقدير، يقول في مستهلها: "أيها الإنسان: اعلم أن هناك كلمات رهيبية تفوح منها رائحة الكفر النتنة، تخرج من أفواه الناس، وتردها ألسنة أهل الإيمان دون علمهم بخطورة معنى ما يقولون، وسنبين ثلاثاً منها هي في غاية الخطورة:

أولها: قولهم عن الشيء: "أوجدته الطبيعة" أي أن الأسباب هي التي توجد الشيء المعين.  
ثانيها: قولهم عن الشيء: "تشكّل بنفسه" أي أن الشيء يتشكّل من تلقاء نفسه، ويوجد نفسه بنفسه، وينتهي إلى صورته التي انتهى إليها كما هي.  
ثالثها: قولهم عن الشيء: "اقتضته الطبيعة" أي أن الشيء طبيعي، والطبيعة هي التي اقتضته وأوجدته.

نعم ! ما دامت الموجدات موجودة وقائمة أمامنا بما لا يمكن إنكارها مطلقاً، وأن كل موجود يأتي إلى الوجود في غاية الإتقان والحكمة، وهو ليس بقديم أزلي بل هو محدث جديد.  
فيا أيها الملحد ! إما أن تقول إن هذا الموجود وليكن هذا الحيوان مثلاً - تجده أسباب العالم، أي أنه يكتسب الوجود نتيجة اجتماع الأسباب المادية، أو أنه تشكّل بنفسه، أو أنه يرد إلى الوجود بمقتضى الطبيعة ويظهر بتأثيرها ! أو أن تقول: إن قدرة الخالق ذي الجلال هي التي تجده، لأنه لا سبيل إلى حدوثه غير هذه الطرق الأربعة، حسب موازين العقل، فإذا ما أثبت إثباتاً قاطعاً أن الطرق الثلاثة الأولى محالة، باطلة ممتنعة، غير ممكنة، فبالضرورة والبداهة يثبت الطريق الرابع وهو طريق وحدانية الخالق بيقين جازم لا ريب فيه"<sup>1</sup>.

قدّم النورسي رحمه الله أدلة علمية تجريبية على بطلان أقوال الماديين:

ففيما يخص القول الأول:

<sup>1</sup>النورسي، اللغات، ص: 247

ـ "أوجدته الطبيعة" بين بطلانها بتقديم أمثلة من الواقع التجريبي وهي وسيلة من وسائل المنهج الاستدلالي عند النورسي، فهذا القول يشتمل على محالات كثيرة قدّم منها ثلاثة هي: الاستحالة الأولى: استحالة تشكّل تريباق في الصيدلية لوحده بمقاييس دقيقة أو بتصادم القناني وسيلان ما فيها، بل لا بد من وجود عقل منظم لهذه العملية.

الاستحالة الثانية: إسناد الخلق إلى الأسباب المادية ليس له معنى سوى أن عناصر الطبيعة تجتمع وتؤثر في حدوث الظواهر، وهذا محال لأن الإتقان الواضح والانتظام المدهش في خلق أبسط الأشياء كجناح ذبابة مثلا لا يمكن أن يصدر إلا من خالق عظيم.

الاستحالة الثالثة: استحالة إسناد النظام والانتظام الكوني لدرجة يكون معدل الخطأ فيها صفرا، إلى الطبيعة المادية الجاهلة للأسباب والمسببات.

"تشكّل بنفسه": ينطوي هذا القول كذلك على استحالات ثلاث هي:

الاستحالة الأولى: إسناد هذا العلم والشعور والعقل والذرة في جسم الإنسان خرافة خرقاء، وبلاهة بلهاء لأنك أيها الإنسان موجود بلا شك وأنت لست من مادة بسيطة وجامدة تأبى التغيير، بل أنت معمل عظيم متقن الصنع، أجهزته دائمة الصنع<sup>1</sup>.

الاستحالة الثانية: إسناد خلق العالم إلى فكرة "تشكّل بنفسه" لا يبعد عن إسناد خلق المصنوع المنظم الواحد المتناسق إلى جزئياته، وهذا محال إذ يستحيل إسناد النظام إلى ذراته، يقول رحمه الله: "المصنوع الواحد المنتظم والمنسق الذي لا يمكن أن يكون بسر الوجدانية إلا أثرا من آثار الواحد الأحد محال أن يسند إلى تلك الذرات غير المحدودة"<sup>2</sup>.

الاستحالة الثالثة: يقدم مثال الكتاب الذي نقرأه إن اعتقدنا أنه مستنسخ باليد يلزم عن ذلك وجود قلم واحد يحركه كاتبه بعلمه وفكره، أما إذا اعتقدنا أنه تشكّل بنفسه، وأسندت كتابته للطبيعة فهذا محال ولا يقبله العقل فكيف بالموجودات الأخرى المحكمة التنظيم.

"اقتضته الطبيعة" أي أن الطبيعة تملك قضاء وتقتضيه على الموجودات و قدّم النورسي استحالات ثلاثة أيضا، هي:

<sup>1</sup> \_النورسي، اللغات، ص: 231

<sup>2</sup> \_النورسي، اللغات، ص: 232

الاستحالة الأولى: الإتقان الموسوم بالبصيرة والحكمة البالغتين، سواء في الأحياء أو الجمادات، إن لم يسند إلى الخالق الحكيم باسم القدر الإلهي فهذا عبث وجهل وانحطاط لأن الطبيعة الجامدة لا يمكنها ذلك، ويقدم مثالا على تجليات الشمس وانعكاساتها الضوئية.

الاستحالة الثانية: إسناد الخلق والإيجاد إلى الطبيعة معضلة لا يقبلها العقل الإنساني، كون الطبيعة في حد ذاتها لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا، وهذا ظلم لها إذ يحملونها ما لا طاقة لها.

الاستحالة الثالثة: يحدّث النورسي الماديين الذين ينسبون الخلق للطبيعة قائلا: "أطل برأسك من تحت مستنقع الطبيعة، لترى الصانع الجليل الذي تشهد له جميع الموجودات، من الذرات إلى المجرات، بألسنة متنوعة، وتشير إليه إشارات مختلفة، وشاهد تجليات ذلك المصور الجليل الذي شيّد قصر العالم البادخ، ودوّن خطته وبرنامجه وقوانينه في تلك الكراسة، وأنقذ نفسك من ذلك الهذيان الآثم الرخيص"<sup>1</sup>.

إن النورسي بهذا المنهج العلمي الدقيق الذي يرد به على الماديين المنكرين وجود الله والغيبيات والآخرة، فيلسوف وبامتياز فقد استخدم الأدلة العلمية والمنطقية التي أفتق بها الكثيرين ودخلوا الإسلام من خلال قراءتهم لرسائل النور.

### 3\_ المحاكمات العقلية دليل على التفلسف عند النورسي.

دخل النورسي رحمه الله في مناظرات مع خصومه وخصوم الإسلام، ونفذ من الإعدام باستخدامه للحجج العقلية، وأثبت براءته من التهم الموجهة إليه بالاستدلال العقلي، وحين اتهم بالجنون أقر الطبيب الذي حاوره بأنه أعقل العقلاء، ولا تخلو محاكماته العقلية من الحجج والبراهين العقلية المقنعة التي كان يدافع بها عن الحقائق الإيمانية.

وقد استخدم النورسي أسلوبين فلسفيين في محاكماته العقلية هما:

<sup>1</sup> \_النورسي، اللغات، ص: 239

1\_ الرد على المشككين في العقيدة الإسلامية، فقد سلك مسلكاً منطقيًا، فالنص القرآني يحتمل عدة تأويلات إلا أن ماهيته متقلة بالحكمة والحقيقة، والمنهج المتبع في الرسائل يقدم البراهين التي تثبت حقائق الإيمان خاصة براهين وجود الله ووحدانيته، وهو طريقة فعّالة في دحض موقف الخصوم، ففي البرهنة على حقائق الكون الدالة على الخالق سبحانه وتعالى يستعرض الشبهات التي يوردها الخصم ثم يقدم الدليل على تنفيذها ويبطلها ثم يثبت موقفه بالحجة والبرهان العلمي.

وكثيراً ما استخدم أسلوب التشبيه لتقريب المعنى إلى الأذهان، فقد شبه الكون بالكتاب وسمّاه "الكتاب المنظور" لكي يكون النظر إلى الكون قراءة وتأمل وتدبر وتفكر، وشبه سطح الأرض بالصحيفة التي تضم كتباً بعدد طوائف الكائنات الحية، تكتب لنا في موسم الربيع روائع الأفكار ببساتينها وأشجارها وثمارها بنظام متقن لا يمكنه أن يترك للصدفه مجالاً.

2\_ إبراز حقيقة العقيدة والنصوص الشرعية، وذلك بالدليل العقلي الذي يثبت به قضايا العقيدة الإسلامية، والدليل القلبي الذي يشهد للقضايا الإيمانية، وحتى الأدلة العلمية، يقول النورسي: "إن عقلي قد يرافق قلبي في سيره فيعطي القلب مشهوده الذوقي ليد العقل فيبرز العقل على عادته في صورة البرهان التمثيلي، ومن تلك الحقائق أن الفاطر الحكيم كما أنه بعيد بلا نهاية كذلك هو قريب بلا غاية"<sup>1</sup>.

3\_ الاستشهاد بمعجزات الأنبياء وإشارات القرآن الكريم، من أجل حث البشرية على العمل المتواصل وطلب العلم والاستزادة منه للوصول إلى أعلى مراتب التحضر، يقول النورسي رحمه الله: "نفهم من أستاذية القرآن وإشارات درسه: أن القرآن يذكر معجزات الأنبياء، إنما يدل على البشرية على أن نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترقي، وحث الإنسان على ذلك وكأنه يقول له: "هيا اعمل واسع لتتجز أمثال هذه المعجزات، فاقطع مثلاً مسافة شهرين في يوم واحد كما قطعها سليمان عليه السلام، واعمل على مداواة أشد الأمراض المستعصية كما داواها عيسى عليه السلام، واستخرج الماء الباعث على الحياة من الصخر وأنقذ البشرية من العطش كما فعل موسى عليه السلام، وابحث عن المواد التي تقيك شر الحرق بالنار والبسها كما لبسها إبراهيم عليه السلام، والتقط أبعد الأصوات واسمعها

<sup>1</sup> \_النورسي، المثنوي العربي النوربي، القاهرة، دار سوزلر والنشر، 2002، ص: 403

وشاهد الصور من أقصى المغرب والمشرق كما فعل ذلك بعض الأنبياء، وألن الحديد كالعجين كما فعل داوود عليه السلام، واجعل الحديد في يدك كالشمع ليكون مدارا لجميع الصناعات البشرية... وهكذا قياسا على هذا نجد أن القرآن الكريم يسوق البشرية إلى الرقي المادي والمعنوي، ويلقي علينا الدروس ويثبت أنه أستاذ الجميع<sup>1</sup>.

#### 4\_ النقد والتحليل:

توظيف النقد البناء في رسائل النور لم يكن بغية الرفض والإنكار والعداء، بل من أجل تبيان الجانب النافع والأخذ به وجعل الفكر مستنيرا أكثر موضحا مواطن الضعف والقوة في أفكارنا سواء العربية أو الغربية الدخيلة، ولقد بدأ النورسي بنفسه منتقدا ذاته القديمة مبينا أثر العلوم العقلية والنقلية على توجهه الفكري، كما توجه بالنقد لواقعه المتأزم من حيث أفكاره المتفشية فيه وسياسته ومبادئه الغربية التي سادت عقول أفراد مجتمعه، انتقدها محاولا بيان إيجابياتها وسلبياتها محافظا على الأصالة والهوية من جهة، منفتحا على الثقافة الغربية العلمية المتطورة من جهة أخرى.

نورد في هذا السياق حادثة وقعت للنورسي حيث أتى المستشرق الشهير "ألفريد جليوم" إلى جامعة اسطنبول ليلقي خمس محاضرات أثارت مواقف مختلفة متعارضة لدى طلبة الفلسفة، حيث أنكر هذا المستشرق الآيات القرآنية التي تصف السماوات السبع قائلاً أن علم الفلك قد تقدّم وأثبت أنه لا توجد سبع "طباقا" في الفضاء، لذلك فالآية تناقض العلم، فكتب النورسي رسائل وجهها لطلبة الفلسفة وزّعها قبل المحاضرات المتبقية، بعدها ألغى المستشرق محاضراته بعد قراءته للرسائل دون أن يعقب، والأرجح أن هذه الرسائل تضمنت الدلائل العلمية الإعجازية على وجود السماوات السبع التي أوردها في اللّمعات التي فسّر فيها قوله عزّ وجل: ﴿اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾<sup>2</sup>.

إن المبادئ الثلاثة التي تنطلق منها الفلسفة عامة (الدهشة والاستشكال والاستدلال) إن تقيّدت بمعطيات الشريعة الإسلامية لوصل الإنسان إلى الحقيقة المطلقة وكان ذلك الحكيم الذي يستخدم عقله المتفلسف لأحكام الشريعة فيصبح الاندهاش الفلسفي في قضايا الطبيعة

<sup>1</sup> \_ النورسي، صيفل الإسلام، الخطبة الشامية، ص: 469

<sup>2</sup> \_ سورة الطلاق: الآية 12

خادما للحقائق العلمية التي جاء بها القرآن الكريم منذ آلاف السنين، اندهاشا من عظمة الله الحكيم سبحانه وتعالى في الخلق والموت والبعث، أما المبدأ الثاني وهو الاستشكال الفلسفي فلا يحق للعقل البشري أن يتعدى حدوده وإلا وقع في متاهات أيضا، فللسؤال مقاصد حصرها النورسي في: التوحيد\_النبوة\_الوحي\_الآخرة\_العدالة.

هذا لا يعني أن لا يتساءل العقل عن الكون والموجودات وإشاراتنا العلمية الدالة على حقيقتها، ولكن الغاية من التساؤل في هذه الموجودات لا بد أن يكون المقصد الأساس منها هو إثبات الألوهية والنبوة أو العدالة... الخ

### المبحث الرابع: المنهج العلمي عند النورسي.

ضبط النورسي رحمه الله المنهج الذي كان يراه مناسبا لإخراج الأمة من أسوأ فترات حياتها، حيث تربص بها الأعداء من كل حذب وصوب، ومن أبنائها العاقين قبل أعدائها، وهو منهج علمي دقيق يشمل كل ما تحتاجه الأمة للصمود أمام المحن، وأمام حملات التغريب داخلها، وأهم المبادئ التي اعتمد عليها النورسي:

### المطلب الأول: طبيعة المنهج النوري

أولا\_ مبادئ المنهج النوري: انطلق الأستاذ النورسي من مبادئ وضعها ولم يحد عنها طيلة حياته أولها:

**1 القرآن الكريم هو المبدأ الأساسي:** علاقة النورسي بالقرآن فريدة من نوعها، يملأها الحب والإخلاص والخدمة المتناهية، والخطاب القرآني عند النورسي يختلف عن باقي الخطابات القرآنية التي سبقته، لما يحتويه من وجوه إعجازية متناثرة في صفحات رسائل النور لمواجهة المد العلماني الذي رفع شعاره أبناء الأمة قبل أعدائها، لهذا فهم النورسي مسبقا أن الحرب دينية أكثر منها عسكرية، فقرر إنقاذ الإيمان في القلوب وإحياء نوره وبلغه العصر التي يفهمها العلمانيون، ومنذ أن سمع وزير المستعمرات البريطاني يقول: " مادام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكما حقيقيا، لذلك لا مناص لنا من أن نزليه من الوجود، أو نقطع

صلة المسلمين به" هزّ الأستاذ النورسي، وأقضى مضجعه ، فأعلن قائلاً: " لأبرهنن للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا ينطفئ نورها"<sup>1</sup>.

ففي خضم الصراع كان أصحاب القرار السياسي الموكلون برسم خرائط الهيمنة الإستراتيجية الغربية يرفعون أصواتهم بنفس النداء: اسحبوا القرآن من يد المسلمين يخل لكم السبيل نحو العالم الإسلامي، وتتمكنوا من إخضاع أقطاره والاستحواذ على خيراته بدون مقاومة، إزاء هذا التحرش بالقرآن يردد الأستاذ النورسي : "اثبتوا على نهج القرآن وعضوا على تعاليمه بالنواجذ".

حاول الأستاذ التمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى دون سواه، فقد جعله المصدر الوحيد لكل معارفه والملمه الأصيل في منهجه إذ يقول رحمه الله: " طريق المعراج الذي يعلنه ببلاغته المعجزة لا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبني الإنسان ونحن قد اخترنا هذا الطريق"<sup>2</sup>

**2\_ فقه الأولويات (أولوية الجهاد المعنوي قبل الجهاد المادي):** تظن النورسي رحمه الله للوضع ومتطلباته، فكان من أولى أولوياته العودة بالإسلام إلى نقائه وصفائه وذلك بتجديد الإيمان وتقويته وإنقاذه عند البعض، فحدد ببراعة علمية الآليات التي يمكن بها إنقاذ الأمة الإسلامية، وكيفية الرقي بالإنسان من الإيمان العامي إلى الإيمان الحقيقي، فكان من أولوياته أن السياسة الحقيقية هي البعد عن السياسة وتقوية الإيمان الحقيقي في نفوسهم، إذ ليس أنجع من الإيمان القوي الراسخ كسلاح لمواجهة الفكر التغريبي والمد العلماني المدعوم من جبهات داخلية وخارجية، تستغل حالة الوهن التي تعيشها الأمة الإسلامية وشبابها الغافل، وهذا العصر بالضبط هو عصر حفظ الإيمان بالدعوة العلمية بلغة العلم المدعومة بالمنطق الديني، وذاك هو الإيمان الحقيقي ، فتكوين الأحزاب السياسية أو الانخراط فيها كان مهمة فاشلة لأنها كانت ستوأم في مهدها مثل باقي الأحزاب خاصة أن النورسي كان مستهدفا متهما بالانخراط معهم ونفى هذه التهمة عن نفسه في العديد من المرات.

<sup>1</sup> \_النورسي، سيرة ذاتية، ص: 65

<sup>2</sup> \_النورسي، صيقل الإسلام، ص:

كما أنه فضّل عملية التأليف وإثبات حقائق الإيمان بأسلوب علمي دقيق ثم قام بإلقاء الخطب لتوعية المسلمين بالخطر المحقق بهم، مثل الخطبة الشامية التي ألقاها في المسجد الأموي لخص فيها أمراض الأمة وكيفية علاجها بأسلوب علمي دقيق، كما غير توجه المسلمين من التشبث بالدنيا والتعلق بملذاتها وخوفهم من الموت وعالم الآخرة، إلى الثواب ونعيم الجنة والقرب من الله سبحانه وتعالى ولقاء الأحبة الذين سبقونا وأولهم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فتهون الدنيا في عيونهم وقلوبهم من أجل انتصار الإسلام وعودته من جديد، فالسلاح المادي في هذه الحالة لا يجدي نفعا لأن القوى غير متكافئة ولا مناص من الجهاد المعنوي، خاصة إذا كان الخلاف داخلي، فإن الحل يكون بتتوير العقول، وإصلاح القلوب للوقوف في وجه المخربين الداخليين بشكل إيجابي وذلك بالإخلاص والتقاني في العمل من أجل تأمين الأمن الداخلي وحفاظا على سلامة أرواح المسلمين، يقول النورسي رحمه الله: "إن الجهاد المسلح لا يحشد كليا إلا ضد العدو الخارجي، فالصراع المسلح داخل البلاد الإسلامية هو ما يصبوا إليه العدو الخارجي، ومن هنا كان يحرص على تجنب الفتن بين المسلمين".

**3\_ التعلق بالمنهج لا بالأشخاص واختيار من هم أهل لهذه المهمة:** أكد النورسي رحمه الله على عدم التعلق بالأشخاص بل بالعلم الذي نفع الله بهم الأمة، وقد وصّى طلبته بدفنه في مكان غير معروف حتى لا يكون قبره محلا للتبرك، وحتى يتفرغ الطلبة لنشر علمه ولا ينتكسوا بعده، الذين يملكون الاستعداد الجدي، والصبر على المحن والإخلاص التام، مستعدا للتضحية بكل ملذات الدنيا في سبيل إنقاذ الإيمان، هم طلبة النور كوّنهم ودرّبهم على التزام الجماعة مهما تفرقت بهم الظروف فقال لهم: "إن هذا الزمان زمن الجماعة، فلو بلغ دهاء الأشخاص فردا فردا حدّ الخوارق، فربما يغلب تجاه الدهاء الناشئ من شخص الجماعة المعنوية"<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الملاحق، ص: 100

حذّره من الفرقة مهما كانت أسبابها فقال: "إياكم إياكم أن تجد الفرقة فرجة فيما بينكم، احذروا...إننا مكلفون بالتضحية بحياتنا وسعادتنا الدنيوية في سبيل الحفاظ على التساند الذي هو الرابطة الوثقى لرسائل النور"<sup>1</sup>.

دعا الأستاذ النورسي طلبته إلى أن يطهروا قلوبهم من كل الأمراض خاصة الحقد والانتقام، فقال لهم: "أوصي طلابي ألا يحمل أحدهم شيئاً من روح الانتقام في قلبه ولو بمقدار ذرة وأن يسعوا سعياً جاداً لنشر رسائل النور، وليرتبطوا بها ارتباطاً وثيقاً"<sup>2</sup> أوصاهم بأن لا يشتغلوا بالسياسة لأن الوقت وقت إنقاذ الإيمان فقال: "نحن طلاب النور آلينا على أنفسنا ألا نجعل من رسائل النور أداة طيعة للتيارات السياسية، بل للكون كله، فضلاً على أن القرآن الكريم قد منعنا بشدة من الانشغال بالسياسة"<sup>3</sup>.

**4\_ردود الفعل المدروسة:** مسيرة النورسي رحمه الله حافلة بردود الأفعال الإيجابية فتحوّل النتائج السلبية إلى إيجابية، فحين كان هدف الأعداء الهجوم على الإسلام وبالأخص القرآن الكريم ردّ قائلاً: "لأبرهنن للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبوا سناها ولا ينطفئ نورها"، وجاء ردّه الفعلي الساعي إلى تأسيس مدرسة الزهراء تقوم بتدريس العلوم المادية والدينية معاً، وقام بتفسير القرآن الكريم وتبيان إعجازه بطريقة علمية، وحين أخفق محاولاته في تأسيس المدرسة نتيجة الظروف السياسية آنذاك، لم ييأس وزاول التدريس طيلة حياته، وألّف رسائل النور التي هي جامعة متنقلة في حد ذاتها، وحين منع كمال أتاتورك الكتابة بالعربية قام بنسخها وكل واحد ممن يملئ عليه النورسي رحمه الله خفية عن الرقابة السياسية يقوم بعملية النسخ بيده، بمساعدة النساء والأطفال اللواتي كنّ يقمن بمهام الرجال حتى يتفرغ أزواجهن وإخوتهن وآبائهن لمهمة النسخ والكتابة والتوزيع في ظلمات الليل وأطراف النهار.

**5\_الإخلاص وإتقان العمل دون انتظار النتائج واستعجال حدوثها:** تميّز المشروع الإصلاحى عند النورسي بعدم استعجال النتائج وكان شعاره رحمه الله هو زرع البذرة الصالحة وإن لم يذق ثمارها فستتعم بها الأجيال اللاحقة، وبالفعل ضحّى النورسي بحياته في

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص: 211

<sup>2</sup> الملاحق في دعوة النور، ص: 100

<sup>3</sup> الشعاعات، ص: 405

سبيل إنقاذ الإيمان وإعلاء كلمة الحق ولم يذق ثمار هذا العمل الجبار لكن تركيا الآن تتعم بالحرية وانتشار الدين والإيمان الحقيقي بل تكاد تعود إلى مجدها الأول أيام الفتوحات الإسلامية، ولم يكن همه أن ينعم هو بنتائج جهوده بالعكس لم تكن الدنيا تعني له شيئاً وملذاتها كانت آخر شيء يفكر فيه فلم يملك بيتاً ولا سيارة ولا زوجة ولا أبناء ولم يكن له قبر معلوم بعد موته، فكان يقوم بالعمل وينتظر النتائج من الله تأتيه راحة لأن المقدمات كانت مدروسة بدقة ولا بد من أن تليها نتائجها بالضرورة.

**6\_ استشراف فكر العدو وتوقع الأسوأ منه دائماً:** لم يأمن النورسي لعدوه يوماً طالما كان الهدف استئصال القرآن من القلوب وطمس الهوية ونشر التفرقة في صفوف المسلمين، فكان النورسي واعياً بهول الكارثة وحجمها رغم قلة الحيلة وانعدام الناصر والمعين وقف صامداً محددًا لمواطن الخلل والضعف في الأمة الإسلامية مشخصاً الدواء والعلاج، فكانت خطته منظمة تأتي كردود أفعال ذكية لهجومات العدو الذي استغل وهن الأمة وضعفها واستخدم أبنائها العاقين ممن استهوتهم الحداثة، فحاول قدر المستطاع إنقاذ الإيمان في قلوبهم حتى تترسخ فيها العقيدة ولا يحدون عن الحق، رافضاً الفوضى في عمله بالعكس كان يساير القانون ويجاريه حتى لا يعتبره متمرداً خارجاً عنه إلا في الضرورة، ضماناً لوحدة الصف وعدم وقوعه في أخطاء قد تند مشروعته قبل ولادته.

### ثانياً\_ وسائل التبليغ و منهج النورسي :

آثار الأستاذ النورسي ورسائله ليست كلاماً حوته كتب ومجلدات، بل تحويه صدور العلماء والطلبة وحتى العامة من الناس، بل أفكاره القرآنية أصبحت مجسدة في أفعالهم من خلال المدارس المبنوثة في أقطار تركيا، حالمة بعودة الأمة الإسلامية القوية المتحدة القائدة. وكان الأستاذ النورسي في جديده قديماً وفي قديمه جديداً، ففي قديمه كان ينظر بعين الشريعة، وفي جديده أكرمه الله تعالى بمنظور الحقيقة، وكلاهما حق يبتغي ومنهج يسلك، فجمع فيه نفاذ البصيرة ومضاء العزيمة، وصلابة الموقف لم تزده الصعاب إلا إصراراً على موقفه الثابت، ودفاعاً عن رأيه الصائب، في مواجهة تيار عاصف وفتنة تغيرت معها معالم تركيا.

**1\_ وسائل التبليغ:** لم يستطع النورسي تبليغ أفكاره عبر المؤسسات التربوية أو الاجتماعية لأنه عاش حياة مليئة بالمضايقات في وضع سياسي لم يسمح له بذلك وبتوفيق ربّاني وصلت أفكاره إلى كل بقاع الأرض بما فيها العالم الغربي، ونجد الكثيرين من اعتنقوا الإسلام بسبب اطلاعهم على رسائل النور وفيهم الأدباء والمفكرون نذكر منهم "ماري ويلد"<sup>1</sup> والدكاترة أمثال الدكتور "كولن تورنر"<sup>2</sup>.

كانت شخصيته الفذة وتديّته وسلوكه مفتاحاً لقلوب الناس، بداية بطلبته الذين صاروا فيما بعد وسائل للتبليغ، كل في مكانه يمارس وظيفته في الدعوة من القلعة التي يربط فيها، ولم يشترط المساجد أو المدارس لممارسة الدعوة بل كان سلوكه في حد ذاته دعوة، ورغم نفيه كل مرة كي لا يكون تأثيره في الناس كبيراً، إلا أنه كان يكسب طلبة جدد في كل مكان ينفي إليه، وكان القدر الإلهي سخر له النفي كوسيلة من وسائل التبليغ.

الوسيلة الثانية كانت "رسائل النور" التي تحمل أفكاراً من وحي القرآن الكريم لم تمت بموته بل رسخت بقوة في قلوب قارئها، أفكاراً تنبض بالحياة مفعمة بالحيوية لقوة أسلوبها في البرهنة والإقناع، واشترط الأستاذ أن لا نربط الرسائل بشخصه الفاني لذلك كانت أقوى في غياب جسده تحت الثرى، هذه الرسائل التي هي تفسير للقرآن الكريم تختلف اختلافاً جوهرياً عن التفسير السابقة وحتى المعاصرة، إذ ينتقل من معاني الآيات القرآنية إلى إشاراتها اللغوية والعلمية والجمالية، ويبين من خلالها تجليات أسماء الله الحسنى حولها، ثم يبين علاقتها بالتصميم الكوني ومرقع الإنسان المعاصر في الحضارة الحالية ومعاناته ومأساته التي يعيشها حين ابتعد عن هذا المعنى الحقيقي.

الوسيلة الثالثة كانت السجن والمحاكمات، فقد استفاد النورسي من سجنه وحوّله إلى مدرسة يوسفية يلقي فيها الدروس والمحاضرات ويواسي فيها المساجين بل وكتب بعض الرسائل وهو داخل السجن وكون طلبته كذلك داخله، أما المحاكمات فقد كانت محاضرات علنية غير

<sup>1</sup> ماري ويلد: باحثة ومؤلفة وكاتبة ألمانية، بعد إسلامها غيرت اسمها إلى "شكران واحدة" بعد قراءتها للرسائل باللغة الإنجليزية،

<sup>2</sup> كولن تورنر: أستاذ جامع بجامعة مانشستر انتسب للإسلام سنة 1975 بعد قراءته للرسائل.

مباشرة للذين يشهدونها فيأخذوا منها العبرة في الشجاعة وعدم الخوف من الموت فهو شهادة في سبيل الله.

**2\_ منهج التبليغ:** كان أسلوبه الخطاب العقلي الممزوج بالقلب والروح، فلم يعتمد على العقل وحده الخالي من العاطفة، ولا على القلب وحده الخالي من الاستدلال العقلي، لذلك من يقرأ الرسائل يحس بأنفاس النورسي فيها بل يحسها حية تخاطبك في كل لحظة تعيشها، سواء في الألم فتواسيك بعظم الجزاء، أو في العمل أو الصحة أو الموت الذي يحببك النورسي فيه إن قدم واقترب أجلك.

استخدم الأستاذ تفسير القرآن الكريم وتبيان إشاراته العلمية في الكون والطبيعة، فكان أسلوبه برهانيا واقعيا علميا يدخل في العقول والقلوب ويقوي الإيمان، فكانت الرسائل نورا ينفذ إلى الأرواح بمنهجها، فقد أدرك الأستاذ النورسي أن تفسير القرآن الكريم ليس في كلماته فقط بل في معانيه كذلك، وكثيرا ما اعتقد أن القرآن الكريم يحتوي على العديد من الآيات التي تشير إلى الكون وما فيه من كائنات حية أو جامدة وإلى العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها والسنن الإلهية التي تحكمها وما يستتبعه كل ذلك من استخلاص للعبر، وتفهم للحكمة من وجودها.

استخدم النورسي أسلوب ضرب الأمثال لتوضيح وتقريب المعنى لأنه أقرب إلى الفطرة الإنسانية لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾<sup>1</sup>.

ومعنى ضرب الأمثال هو أن يأتي النورسي إلى أمر معنوي قد يغيب عن بعض العقول فهمه، فيشخصه ويمثله بأمر حسي يعرفه الجميع، ليستدل عليه خواطرم كما تستدل عيونهم على الأشياء المنصوبة، فالأمثال نماذج الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدى النفوس الحاضرة بما أدركت الأخرى عيانا، ومن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعُلَمَاءُ﴾<sup>2</sup>، وتظهر الأمثال في جل صفحات الرسائل ولها دور كبير في تقريب المعنى.

<sup>1</sup> سورة محمد: الآية 3

<sup>2</sup> سورة العنكبوت الآية 43

ثالثاً: مواطن التجديد في منهج النورسي.

يعتبر المشروع الإصلاحى النورسى تعبىر خالص عن تبنى منهج الإقناع والتدرج فى المطالب حسب الأولويات وما تتطلبه الظروف السائدة، بعيداً عن أى شكل من أشكال العنف والقوة مستخدماً "الصبر الجميل" سلاحاً تجاه نفسه والسلطة والواقع، يقول الأستاذ عشارى سلیمان: "لقد جدّد النورسى فى المادة الفكرية إذ عالج المسائل الإيمانية من خلال التوضيح التبصيرى، والتجلية التحسيسية، وليس فقط بواسطة الحجاج لصورى العقيم، واستثمر فى لغة الخطاب التنويرى بحيث جعلها لغة نافذة، وهذا بانقائه لمادتها اللفظية والمصطلحية، إذ كان اللفظ ينبع من فكره ومن فهمه هو للموقف القرآنى، وليس مستمداً من فهم وراثى، إتباعى استظهارى"<sup>1</sup>.

هذا وقد سمّاه الدكتور العراقى محسن عبد الحميد "بمجدد عصره"، فقد قدّم النورسى لنا من خلال منهجه مشاعره المتأججة الصادقة ونقل لنا كيانه القرآنى فى تجربة كونية معرفية خالدة، ليحصل لنا الاندماج الكونى الذى حصل له ونعايش الوجود مسبحين الخالق وقد عرض لنا منهجه من خلال قراءات ثلاثة هى قراءة الكون المنظور من خلال تجليات الأسماء الحسنى، وقراءة الكون المقروء من خلال النصوص القرآنية ذاتها، وقراءة الكون الناطق من خلال سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون قدوتنا فى الحياة كونه أرقى المخلوقات، وهذا التجديد لم نجده إلا فى فكر النورسى رحمه الله، وإذا كان العصر الذى عاشه النورسى عصر علمانية وطغيان الكفر والإلحاد والتكر للدين باسم العلم، كان لابد للمنهج الدعوى أن يتجدد حسب متطلبات العصر، فالأستاذ عالم بيئة لذلك كان منهجه الملاحظة والاستقراء، وتأملاته فى الإشارات الكونية المستنقاة من الطبيعة تتحول إلى منهج إثبات واستدلال، فكل الموجودات حوله دلائل القدرة الإلهية مستخدماً الاستقراء تصاعدياً وتنازلياً، تارة بالاستنتاج وتارة بالتحليل والتركيب، وهو فى استدلالاته يلامس الغيب الذى يخفى وراء الأسباب والمسببات متجاوزاً بذلك النزعة الوضعية التى تتوقف عند الحواس والتجربة، فالطبيعة حاضرة ويقوة فى فلسفة النورسى فهو لا يتغزل بالجمال المادى الحسى فقط بل بالجمال المعنوى، مستخدماً كل الطرق والوسائل المنهجية التى توصل إلى الحقيقة،

<sup>1</sup> \_عشارى سلیمان، النورسى ومنهجه إلى الدعوة، ص: 15

من مشاهد طبيعية وقصص وتمثيل وحجاج بمختلف أنواعه، وحتى الجدل بين الخير والشر السيد والعبد السلطان والرعية القائد والجند، وكان مسرح الأحداث يتراوح بين الحقيقة والوهم الواقع والخيال الحلم واليقظة، بغية المزوجة بين الفيزيكا والميتافيزيكا، وهو في استدلالاته يستخدم كل أنواع التقابل بين الوجود والعدم الموت والحياة السعادة والشقاء الكفر والإيمان.

غلب على منهج النورسي الطابع الحواري، يحاور نفسه تارة وغيره تارة أخرى، ويحاور الأحياء تارة والجمادات تارة أخرى، ينتقل من الماكروفيزياء (الجال والشمس والقمر.. ) إلى الميكروفيزياء (الذرات والإلكترونات....) إلى الميتافيزياء (الملائكة والروحانيات...).

يتدرج النورسي في استقراءه للطبيعة وما ورائها إلى أسماء الله الحسنى، ليظهر تجلياتها في الكون، من أجل إثبات الحقائق الإيمانية وتأكيد حقيقة الربوبية من خلال استجلاء معاني الأسماء الحسنى في الظواهر الكونية من حوله.

ومن أبرز الجوانب التي جددها النورسي:

## 1\_ علم الكلام.

من خلال القراءة المتأنية لرسائل النور نلحظ مواطن التجديد في علم الكلام في نقاط أهمها المسائل نفسها التي كان علم الكلام يدرسها لكن طريقة البرهان والدفاع والحجاج لا بد أن تتغير، مثلا التوحيد الذي حوله من نظريات عقلية مجردة يقرأها الفرد المسلم ولا يدرك كنهها إلى حياة مفعمة بالإخلاص والاستقامة والتضحية من خلال الأدلة العقلية الواقعية التي تنفذ إلى عقول الناس وقلوبهم فتلامس أرواحهم، وقد ركز في البداية على إصلاح البنية التحتية للمجتمع بعدها ندافع بالأفعال لا بالأقوال عن عقيدتنا ضد المشككين في الدين.

أ/ تجديد المنهج اعتمادا على الحجج النقلية المعجزة : تقديم الحجة المادية التي يقتنع بها غير المسلمين الذين لا يؤمنون إلا بمعطيات العلم، فبين لهم السبق القرآني لتعزيز عقيدة التوحيد، يظهر ذلك في قوله: " لقد أوضح علماء الكلام الطريق العقلي والمبرهن لتلك المعرفة الإيمانية"

ب/ تجديد الإيمان: أي الدفاع عن الحقائق الإيمانية أولا لإنقاذ الإيمان بالحجج البرهانية العقلية المستنبطة من القرآن الكريم، لأن العدو لم يقدر على الأمة إلا بعد أن وجد هذه الثغرة لينفذ منها ويشكك في العقيدة الإيمانية.

كما وازن بينها مثلا بين المدنية الغربية والمدنية الإسلامية، وبين الدهاء العلمي والهدى الإلهي، وبين شقاء الفاسق وسعادة المؤمن، وبين حكمة القرآن وحكمة الفلسفة... الخ. هناك لمسات تجديدية كثيرة للنورسي في هذا المجال منها تبيان إعجاز نظم القرآن الكريم، وأسلوبه، وعالميته، من أجل بيان أوجه إعجازه التي لا حصر لها.

## 2\_ التجديد في أسلوب دعوته:

نلمس التجديد عند الأستاذ النورسي في مسألة الصراع الحضاري، هو صراع حجة ودليل لا صراع سيف وقوة، فأوروبا في طريقها إلى إفلاس روحي رهيب نتيجة الإلحاد المنتشر فيها، هذا الفراغ يملأه المسلمون بشرحهم لعقائد الإسلام بالحجة والدليل العلمي الذي يناسب عقولهم، وسيف القرآن أقوى من سيوف الدنيا والدليل على ذلك الأفواج الغربية في ألمانيا وروسيا وأوروبا التي تدخل في الإسلام في الآونة الأخيرة.

من مظاهر التجديد عند النورسي رحمه الله اهتمامه بمسألة الإشارات العلمية وتفسيرها من حيث دلالاتها الوظيفية في الكون، لم يردد آراء السابقين بل ربط المسألة بالواقع وحاول الرد على الذين ينكرون ذلك بالدليل والحجة القاطعة وبلغة العصر وهي لغة العلم، وكل هذه الإشارات تثبت حقيقة الموجد لهذا الوجود، إذ يقول: "إن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه، هي معرفة خالق الكون سبحانه، والإيمان به والقيام بعبادته، كما أن وظيفة فطرته وفريضة ذمته هي معرفة الله والإيمان به، وتصديق وجوده ووحدانيته، إذعانا وبقينا"<sup>1</sup>.

كان شعار النورسي رحمه الله العودة إلى الله قبل الدعوة إليه، ولم يتخذ موقفا معاديا لأي طرف من الأطراف، بالعكس وجّه الدعوة إلى كل الجماعات السياسية والاجتماعية ورحّب بهم على الرغم من أخطائهم، إلا أنه اعتبرهم إخوانا له في ملة الإسلام، ومن الواجب الاتحاد ضد العدو الأكبر الذي يعصف بالأمة، لم يحمل الضغينة لأحد رغم الظلم الذي وقع عليه وعلى طلبته وقد حكم عليه بالإعدام في كثير من المرات ولم يثأر لنفسه بالعكس كانت ردوده إيجابية ومدروسة دائما، وتجنب تكفير الناس والتعصب للأفكار ما استطاع وعندما

<sup>1</sup> النورسي، الشعاعات، ص: 135

طلب منه بعض المسئولين أن يساندوهم في إنشاء دولة كردية رفض رفضاً شديداً حفاظاً على وحدة الأمة الإسلامية رغم جذوره وأصوله الكردية.

### 3\_ التجديد في التصوف:

جدّد النورسي كذلك في مسألة التصوف الذي طالما اعتبره السالكون طريقاً إلى الله دون عودة، كان متصوفاً معاصراً يساير التطور الحضاري الذي يسلكه العلماء بعلمهم ودعوتهم إلى الله، خاصة والمخاض العسير الذي يعيشه العالم الإسلامي نتيجة تنوع الأفكار وتباينها وتضاربها، الذي أدى إلى خصومات مذهبية تذهب إلى حد القتال، فغيّر النورسي رحمه الله النظرة القديمة للتصوف من تهويمات روحية وتسيبجات وجدانية تنسحب من حركة التغيير وصنع الحضارة إلى جمع رفيق متبصر عميق بين النص الظاهري وتدخل النظر العقلي.

استعان النورسي بالتصوف المعاصر الذي يلتزم بأحكام الشريعة ويقاوم البدع والضلالة، فيجمع بين الاهتمام بقضايا العصر والتمسك بأحكام الشريعة دون إفراط أو تفريط، فلا ينكص المتصوفة المعاصر عن أداء واجبه نحو مجتمعه بحجة الانطواء والعزل، إذ رسم النورسي رحمه الله الطريق العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى درجات الرقي الإيماني والخلقي، مسترشداً بالآيات القرآنية والسنة النبوية الشريفة يقول رحمه الله: "إن إتباع السنة النبوية المطهرة هو أجمل وألمع طريق موصلة إلى مرتبة الولاية من بين جميع الطرق، بل أقومها وأغناها، والإتباع يعني: تحري المسلم السنة السنينة وتقليدها في جميع تصرفاته وأعماله، والاستهداء بالأحكام الشرعية في جميع معاملاته وأفعاله"<sup>1</sup>.

استخدم النورسي التصوف وسيلة ومنهج حقيقي للذود عن الدين الإسلامي، لأن الفترة التي تمر بها الأمة الإسلامية ليست فترة استغراق وتأمل وجداني، فقد تجرأ المد الإلحادي لدرجة المجاهرة بمناهضة الإسلام وعدائه بل واتهامه بكل صور العنف والإرهاب، فخلخل تماسك الأمة أخلاقياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً، ولما كان النورسي رحمه الله عالماً من علماء الأمة ومصلحاً من رواد الإصلاح فيها، تحمّل مسألة التوجيه والتقويم والحماية، فمن الحكمة أن يمسك العصا من الوسط ولا يفرض في مقومات الأمة وثوابتها وبين مسابرة الركب

<sup>1</sup> \_ النورسي، المكتوبات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص573

الحضاري في عصر فتن بالعلم لدرجة التأليه وعبد العقل وقلّد الغرب وجعله قدوة، لذلك خاطب رحمه الله البعض ممن سمّوه بشيخ الطريقة، \_أي المتصوف\_ قائلاً: "أيها السادة: لست شيخاً صوفياً، وإنما أنا عالم ديني، والدليل على هذا أنني لو كنت قد علّمت أحداً من الناس الطريقة الصوفية، طوال هذه السنوات الأربع التي قضيتها هنا، لكان لكم الحق في الارتياب والوقوع في الشكوك، لكنني لم أقل لمن أتاني إلا أن الزمان ليس زمان الطريقة، الإيمان ضروري، والإسلام ضروري"<sup>1</sup>.

جدّد في مسألة الجهاد الذي لا يشن إلا ضد العدو الخارجي، أما العالم الإسلامي فلا بد من الحفاظ على وحدته وتماسك صفه مهما اختلفت المذاهب والإيديولوجيات، والجهاد في هذه الحالة يكون بالدعوة والعلم وانتقاد الإيمان حتى يعود الإسلام إلى دياره ويعود المسلمون إلى وعيهم، أما التناحر الداخلي فتلك هي غاية العدو الكافر.

### المطلب الثالث: قضايا التجديد في الفكر الحضاري.

#### أولاً\_ فلسفة الأخلاق عند النورسي.

في الوقت الذي تصدّعت فيه القيم وتزعزعت فيه المبادئ وانهارت فيه الأخلاق، توجه النورسي رحمه الله إلى شباب الأمة الغافل مؤدياً وظيفة الإصلاح والتوجيه والإرشاد، فأقام فلسفة أخلاقية يعيد فيها إحياء الأخلاق المحمدية مؤسساً لمنظومة جديدة يكون فيها العمل والفعل الخلقي أساساً لكل سلوك، ومحمد صلى الله عليه وسلّم قدوة لمجتمع ضيّع مبادئه وأخلاقه وقدوته أمام مد علماني إحدادي العرض منه مسح الهوية وتغييب التراث والأصالة وتأليه العلم والتكنولوجيا.

#### 1\_ مفهوم الأخلاق النورية:

##### أ\_ التعريف اللغوي:

<sup>1</sup> \_النورسي، المكتوبات، ص: 81

الخلق بسكون اللام وضمها هي السجية، والأخلاق في اللغة هي التصرفات الإنسانية الصادرة عن أوصاف النفس وسجاياها الباطنة، أو هي سيماء النفس وصورتها الباطنة، وفي الحديث: " ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء"<sup>1</sup> " إن الرجل ليلبغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم"<sup>2</sup>

### ب\_التعريف الفلسفي:

كثيرا ما أعجبنا بأخلاق كانط التي أقامها على الواجب والإرادة الخيرة، وقد أعلنها بمبادئه المثالية الملائكية عبر مقولات الثلاث " اعمل كما لو كانت الإنسانية ممثلة في شخصك " " اعمل كما لو كان على مسلمتك أن تصبح قانونا عاما " " اعمل كما لو أنك ذات مستقلة" لكن مع الإعجاب الشديد لم نستطع نحن البشر أن نجسدها في أفعالنا ربما لأنها لا تتلاءم مع الطبيعة الثنائية التي خلقنا الله سبحانه وتعالى بها.

أما أبو حامد الغزالي فيعرف الأخلاق بأنها هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال ببسر وسهولة من غير حاجة لفكر وروية، فإن كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها أفعالا قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا"<sup>3</sup>

لكن النورسي له رؤية جديدة واقعية للأخلاق، فقد أوقد الهمّ الرسالي عنده الهمة العالية وجعله في مهمة دائمة قادته إلى تجديد الأخلاق القرآنية في مجتمعه، انطلاقا من شهادة أمنا عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الحبيب المصطفى كان قرآنا يمشي على الأرض، وكان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن<sup>4</sup>.

جدّد النورسي المفهوم الأخلاقي الذي انحصر في الفضائل، إلى منظومة متكاملة من العلاقات النفسية والاجتماعية والوجودية، متحديا الغزو الثقافي الغربي وأخلاقه المميعة، يقول النورسي رحمه الله: " إن أصول الأخلاق في القرآن عالية علو ما جاء في كتب الديانات الأخرى جميعها، وإن أخلاق الأمم التي دانت له تحوّلت بتحول الأزمان والعروق،

<sup>1</sup> أخرجه الترمذي وصححه الألباني

<sup>2</sup> رواه أحمد

<sup>3</sup> \_الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د\_ط\_ ب\_ت، ص53

<sup>4</sup> \_رواه مسلم.

وإن أهم نتيجة يمكن استنباطها هي تأثير القرآن العظيم في الأمم التي أذعنت لأحكامه، فالديانات التي لها ما للإسلام من السلطان على النفوس قليلة جداً، وقد لا تجد ديناً اتفق له ما اتفق للإسلام من الأثر الدائم، والقرآن هو قطب الحياة في الشرق وهو ما نرى أثره في أدق شؤون الحياة<sup>1</sup>.

## 2\_ مواطن التجديد في فلسفة الأخلاق:

جدّد النورسي رحمه الله في مسألة الأخلاق أيما تجديد وربط السنة النبوية الشريفة بالأخلاق وجعلها الأصل، فالسنة كلها محصورة في هذا الجانب لقوله صلى الله عليه وسلّم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"<sup>2</sup>، ومن فاته هذا المعنى فاته إتباع السنة، أي أن مقياس إتباع السنة النبوية الشريفة مرهون بدرجة التخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلّم، وهي نفسها أخلاق القرآن، التي جعلت أخلاقه معجزة في حد ذاتها نظراً لاتفاق الأعداء على كمال أخلاقه، يقول رحمه الله: " إن أعظم معجزة للرسول صلى الله عليه وسلّم بعد القرآن الكريم هو ذاته المباركة، أي ما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلّم من الأخلاق السامية، والخصال الفاضلة، وقد اتفق الأعداء والأولياء على أنه الناس قدراً، وأعظمهم محلاً، وأكملهم محاسن وفضلاً"<sup>3</sup>.

وسر الإعجاز في ذات الرسول الكريم التخلق بالأخلاق الإلهية كما اصطلح عليها النورسي في قوله رحمه الله: " الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية هي التخلق بالأخلاق الإلهية، أي التحلي بالسجايا السامية والخصال الحميدة التي يأمر بها الله سبحانه وتعالى وأن يعلم الإنسان عجزه فيلتجأ إلى قدرته تعالى، ويرى ضعفه فيحتمي بقوته تعالى، ويشاهد فقره فيلوذ برحمته تعالى، وينظر إلى حاجته فيستمد من غناه تعالى، ويعرف قصوره فيستغفر ربه تعالى، ويلمس نقصه فيسبح ويقدم كماله تعالى"<sup>4</sup>، بهذا المعنى انتهج النورسي المنهج الأخلاقي كسلاح دعوي في وجه المشككين في الأخلاق الإسلامية دعاء التحرر والعلمانية، لإدراكه العميق بخطورة الحرب الأخلاقية التي يشنها الغرب ضد المسلمين.

<sup>1</sup> \_النورسي، إشارات الإعجاز، ص: 273

<sup>2</sup> \_رواه ابن السعد والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني الجامع الصغير.

<sup>3</sup> \_النورس، المكتوبات، ص: 218

<sup>4</sup> \_النورسي، الكلمات، ص: 631

بحث النورسي رحمه في الأخلاق القرآنية المحمدية التي غيرت طبائع وقلوب المجتمع الجاهلي الغليظة القاسية المتوحشة إلى درجة السيادة والرحمة والشفقة بل غيرت تلك الأخلاق من عبادة صنم العباد إلى عبادة رب العباد، محاولا اكتشاف السر الرباني لهذا التغيير عساه يمسك برأس خيط التغيير لإنقاذ المجتمع الإسلامي ويجدد أخلاقه لإنقاذ دينه وإيمانه، فكان رأس الخيط الذي اكتشفه النورسي رحمه الله والذي تجسّد في أخلاقه الرسول صلى الله عليه وسلّم ثم الصحابة والتابعين وبعدها النورسي وطلبته هو "التكر للأنا" والسعي في حوائج الناس صلاحا وإصلاحا، فمن خلال استقراء النورسي لأخلاق مجتمعه توصل إلى أن سر فساده "تعظيم الأنا" حسب القاعدة التي تقول: "إذا شبعنا أنا فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع" و"اكتسب أنت لآكل أنا، وأتعب أنت لأستريح أنا"، فحاول جاهدا مجاهدة هذا المرض العضال الذي سيطر على النفوس بتبيان حقيقة الإنسان الذي لا يختلف عن سائر المخلوقات إلا في تميزه بالعقل الذي يبين له طبيعة عجزه وفقره وحاجته إلى خالقه فيعبده حق عبادته، فالإنسان عند النورسي هو ثمرة شجرة الكون وثمر الشجر هو أضعف ما فيها وأجمع لخصائصها، وهذا يعني أن الإنسان مثل الموجودات الأخرى في حاجة مستمرة إلى خالقه مفتقر في بقائه إلى إرادته سبحانه، ولا يجوز له أن يعظم أناه بدل أن يعظم خالق هذا الأنا فيقع في الشرك وعبادة الهوى والنفس فيتكبر عن عبادة الله في حين تستسلم كل الموجودات لخالقها يتعالى الإنسان بتعاضم "الأنا" داخله لقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤﴾<sup>1</sup>، وقوله كذلك: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ٣٩ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلِيًّا صِرَاطَ مُسْتَقِيمٍ ٤٠﴾<sup>2</sup>.

### 3\_ خصائص الأخلاق عند النورسي:

<sup>1</sup>سورة الإسراء الآية 44

<sup>2</sup>سورة الأنعام الآية 38\_39

اختلف الفلاسفة حول طبيعة الأخلاق من حيث الثبات والتغير، ومن حيث المصدر، فقد ذهب أفلاطون قديماً ديكرت حديثاً وكانط إلى القول بثبات الأخلاق من حيث أن مصدرها هو ملكة التمييز بين الخير والشر الثابتة وهو لعقل الإنساني القادر على هذا التمييز دون تدخل الدين، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم محبوباً في قومه قبل نزول الوحي ويسميه قومه بالصادق الأمين لأخلاقه العالية، أما النورسي رحمه فلم ينف العقل كأداة للتمييز، لكنه يرى أن الأخلاق من مصدر ربّاني وقد جاء القرآن الكريم ليبيّن لها، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وهنا نجد لها مفهوميين، الأول ميتافيزيقي فالأخلاق من صفات الملائكة وربما أسجد الله ملائكته لآدم عليه السلام\_أبو البشر\_ لسمو وكمال أخلاقه، كما أن للأخلاق بعد أخروي فهي معيار الدخول للجنة، وأقرب الناس للرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة مكاناً محاسنهم أخلاقاً كما جاء في الحديث النبوي الشريف، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أقرّبكم مني منزلاً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً في الدنيا"<sup>1</sup>، والبعد الثاني هو البعد الفيزيقي\_الطبيعي\_ كون الأخلاق ممارسات وسلوكات يومية يقوم بها الإنسان ليثبت إنسانيته ويرقى بها إلى أعلى الدرجات، ويجاهد نزعة الشر الموجودة فيه كونه كائن طيني فيه من الغرائز ما هو موجود عند الكائنات الحية الأخرى.

وتتميز الأخلاق عند النورسي بخصائص أهمّها:

### أ\_الثبات:

حين ربط النورسي الأخلاق بالدين وبالقدوة جعلها ربانية ثابتة واقعية نورانية وتستمد نورها من نور القرآن والسنة ولهذا فهي تختلف عن التعاريف السابقة لها وفي هذا يقول الأستاذ شريط: "إذا قلنا أن الأخلاق التي يتكلم عنها النورسي تختلف من حيث المفهوم عن الأخلاق التي تكلم عنها الفلاسفة فأولئك كانوا يجعلون منها مفاهيم تنظيرية سواء عن طريق العقل أو عن طريق الحس، بينما مفهوم النورسي يجعل منها الأخلاق التي أودعها الله سبحانه عبده محمد صلى الله عليه وسلم وبالتالي مصدرها هو الله والرسول الكريم محمد المبلغ عن الله"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> رواه أبو هريرة، عن الألباني، صحيح الجامع.

<sup>2</sup> -الأخضر شريط، أفكار من النور، مؤسسة كنوز الحكمة، 2011، ص: 60

يقول الأستاذ النورسي: "إن القرآن يجد الحلول لجميع القضايا ويربط ما بين القانون الديني والقانون الأخلاقي ويسعى إلى خلق النظام والوحدة الاجتماعية"<sup>1</sup> ولا ينبغي أن تفهم الأخلاق على أنها طرف أو جانب من جوانب الحياة الاجتماعية، بل هي جوهر الإسلام وروحه وهدفه وغايته وهي البعد الحقيقي له الساري في جميع جوانبه فكل الأحكام الدينية والتشريعات القرآنية هي من صميم الأخلاق سواء كانت سياسية كالعدل والشورى والعصبية... الخ أو اجتماعية كالعفة والوفاء والطهارة والصدق... الخ أو نفسية كالأمل والتفاؤل والحب... الخ

**ب\_ الإيمان:** يربط الأستاذ الأخلاق بالإيمان، فليصح إيمانك لا بد أن تكتمل أخلاقك فقد قال: "الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية، التخلق بالأخلاق الإلهية أي التحلي بالسجايا السامية، والخصال الحميدة التي يأمر بها الله سبحانه وتعالى"<sup>2</sup>. كما أنها مظهر من مظاهر التدين، وكل من فاقك في الأخلاق فاقك في الدين، لهذا كان الالتزام بالأخلاق الإسلامية عنوان الالتزام بالإسلام.

**ج\_ الواقعية:** يعتقد النورسي بنسبية الأخلاق رغم فطريتها في الإنسان، في المستوى العملي وفي درجة تطبيقها في الواقع إذ يقول: "إن الفضائل والأخلاق وكذا الخير والشر أغلبها أمور نسبية تتغير كلما عبرت من نوع إلى آخر وتتباين كلما نزلت من صنف إلى آخر، وتختلف كلما بدلت مكانا بمكان"<sup>3</sup> من خلال هذا القول يتبين البون الشاسع بين بعض الأخلاق المتقاربة، فالتواضع غير التذلل والوقار غير التكبر والاقتصاد غير الخسة... الخ .

فعزة النفس مثلا عند الفقير تجاه الغني لو وجدت عند الغني تجاه الفقير لكانت تكبرا، لكنه يغير نفس الخلق إلى تواضع معه، وكذلك الحزم والجدة والهيبة في مكانها تعتبر وقار، لكن في البيت تصبح تسلطا وتكبرا.

وقيمة الأخلاق عظيمة وأثرها في المجتمع أقوى من الخطب و الدروس إذ هي الوسيلة التي تجعل الغير من أصحاب الديانات الأخرى يدخلون إلى الإسلام يقول: "ولا أننا أظهرنا

<sup>1</sup> النورسي، إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، ص: 258

<sup>2</sup> النورسي، المكتوبات، ص: 643

<sup>3</sup> النورسي، صيقل الإسلام؛ السانحات، ص: 333

بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام، وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجا، بل ربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام<sup>1</sup> فحسن الخلق والتعامل الأخلاقي مع الآخرين، قد يحولهم من موقع العداوة والخصومة إلى موقع الولاء والانسجام، لقوله تعالى: ﴿وَلَا أَسْئِئَةُ تُدْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا أُلْدِءَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدُوَّةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۗ﴾<sup>2</sup>.

#### 4\_ أبعاد الأخلاق: نلمس للأخلاق عدة أبعاد عند النورسي منها:

أ\_ **البعد الروحي الوجودي**: أي أن الإنسان كلما تمسك بالأخلاق سمى بروحه نحو عالم روحاني تربوي يليق بشرف الاستخلاف في الأرض فيصبح الإنسان الذي أسجد الله له ملائكته في مكانه الصحيح وهو أنه أشرف المخلوقات فهو بروحه إنسان لا بجسده، وبالتالي يحقق ماهيته الفعلية في هذا الوجود.

ب\_ **البعد العلمي العملي**: الأخلاق في نظر النورسي هي تجسيد فعلي في الواقع مبني على دراية وعلم صحيح مأخوذ من معينه الصافي وهو القدوة محمد صلى الله عليه وسلم ولما كان خلقه القرآن فهذا يعني أن أفعاله وأقواله وتقريراته كلها كانت أخلاقيات المجتمع المسلم المجسدة على أرض الواقع.

ج\_ **البعد الجمالي**: الإنسان كلما عرف جمال الصدق وقبح الكذب وقرّ الأول واحتقر الثاني وقس على هذا كل الفضائل والردائل لهذا كانت الأخلاق لصيقة بالجمال دائما ولنتأمل معا العلاقة بينهما في قول النورسي: "فإن شئت أن ترى ملية الإسلام والحجر الأساس للاتحاد الإسلامي ونقشه، فدونك التوقير اللائق الغيور النابع من الحياء والحمية، والتبسم البريء الناشئ من الاحترام والرحمة"<sup>3</sup>.

ويؤكد طه عبد الرحمن علاقة الأخلاق بالجمال فيقول: "لقد ساد الاعتقاد بأنه لا أخلاق في الجماليات، أو كما يقال لا أخلاق في الفن والإبداع، بحجة أن القيمة الخلقية موجهة \_ بكسر الجيم المشددة\_ وأمرة تعتمد أساليب الردع والارتداع بينما القيمة الفنية تستند إلى

<sup>1</sup> النورسي، صيقل الإسلام؛ الخطبة الشامية.

<sup>2</sup> سورة فصلت، الآية 33.

<sup>3</sup> النورسي، صيقل الإسلام، ص: 394

أحوال الشعور والوجدان وتتوسل بأساليب الذوق والإمتاع، لكن هذا الاعتقاد يكذبه التخلق المؤيد أيما تكذيب ذلك أن الجمال عند هذا المتخلق لا ينبني على قيم أخلاقية فحسب بل إن الأخلاق نفسها تصير عنده بمنزلة قيم جميلة صريحة<sup>1</sup>.

## 5\_ الأخلاق الإلهية:

الأستاذ النورسي في تعريفه للأخلاق بأن هدف الإنسانية هو التخلق بالأخلاق الإلهية، وقد يتساءل سائل كيف يستطيع الكائن الناقص أن يتصف بصفات الكمال، لا تتحقق هذه المهمة إلا من خلال معرفة الإنسان لربه، من خلال أسمائه وصفاته، بحيث ينصاع الأنا داخل الإنسان انصياعاً تاماً لأوامر الله ونواهيه، ويوضح الأستاذ النورسي وظيفة الأنا بقوله: "إن الإنسان مرآة عاكسة لتجليات أسماء الإلهية الحسنى وهو مرآة لها في ثلاثة أوجه: الوجه الأول: كما أن الظلام سبب لرؤية النور، فالإنسان يعرّف بضعفه وعجزه وبفقره وحاجاته وينقصه وقصوره، قدرة التقدير ذي الجلال وقوته العظيمة، وغناه المطلق، ورحمته الواسعة، فيكون بهذا مرآة عاكسة لكثير من تجليات الصفات الإلهية..."

الوجه الثاني: إذ أن ما وهب من نماذج جزئية ( العلم، القدرة، البصر، السمع، التملك، الحاكمية) يصبح من خلالها مرآة عاكسة يعرف منها الصفات المطلقة لله سبحانه وتعالى وإدراك علمه وقدرته وبصره وسمعه وحاكميته وربوبيته، فيفهم من ذلك الصفات المطلقة للربوبية بالنسبة لمحدوديتها عنده.

الوجه الثالث: من حيث نقوشها الظاهرة عليه..(إن) (الماهية) الجامعة للإنسان فيها أكثر من سبعين نقشا ظاهرا من نقوش الأسماء الإلهية الحسنى، مثلا يبين الإنسان من كونه مخلوقا اسم الصانع ( الخالق) ويظهر من حسن تقويمه اسم الرحمن الرحيم ويبدل من كيفية تربيته ورعايته على اسم (الكريم) واسم (اللطيف) ...<sup>2</sup>

## 6\_ الأخلاق رسالة:

<sup>1</sup> طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائث الغربية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000،

ص: 88

<sup>2</sup> النورسي، الكلمات، ص: 11

الأستاذ النورسي يؤكد رسالة الأخلاق كمعطي سلوكي يجسد كل ما هو قولي، وهو يجعل الأخلاق العملية محفز ومقوم أساسي في الدعوة إلى الله وإلى الدخول إلى الإسلام إذ يقول: " لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجا"<sup>1</sup>.

فحسن الخلق والتعامل الأخلاقي والحضاري مع الآخرين قد يحولهم من مواقع العداوة والخصومة إلى مواقع الولاء والانسجام، والشخصية المطلوبة التي تمثل الإسلام وقيم القرآن هي المتخلقة بأخلاق القرآن التي يمكن لها أن تعيد بناء حضارة إنسانية تتناغم فيها الأخلاق بين النظرية والتطبيق .

### 7\_ أخلاق طلبة النور كنموذج معاصر:

تتجسد الأخلاق حية في طلبة النور الذين تربو على يد الأستاذ النورسي فكانت أخلاقهم وسيلة تغيير إيجابية في المجتمع ، وهذه التربية الأخلاقية لم تتوقف بموت الأستاذ النورسي بل تواصلت بعده من خلال رسائل النور التي ألّفها بإخلاصه وصدقه وجهاده الفعلي فكل قارئ للرسائل يصبح طالب نور ويكتسب تلك الخصال الحية والإسلام الحي النابض بالحب الثابت، كلما عايشتهم اكتشفت فيهم صفاء الإيمان ونقاء السريرة وصدق الإخلاص ودوام العطاء وكل من يقابلهم يحس بنفس الإحساس ويغمره نفس الشعور واتفقت الآراء حول أخلاقهم ، يقول عنهم الدكتور " أديب إبراهيم الدباغ" : " عندكم\_ يقصد طلبة النور\_ وجدنا عظمة أصولنا الإيمانية وهي تشع بالنظارة والري، وفي رياضكم وقفنا على منابت جذورنا القرآنية وهي تموج بالخصب وتسح بالعطاء. فلا والله لا أدري ما أقول: أنتم بالإيمان تحيون أم يحيا الإيمان بكم ؟ فمذ عرفناكم عرفنا كيف يتحول الإيمان في نفس المؤمن إلى يقظة وجدان وصحوة فكر وهزة ضمير ولهفة مشتاق"<sup>2</sup>.

أما الدكتور محسن عبد الحميد فيقول : " إن من لا يصاحب طلبة النور ولا يخالط أجيالهم الشابة في إيمانهم العميق وهدوءهم البريء وأخلاقهم العالية ونظافتهم البديعة، ودروسهم

<sup>1</sup> النورسي، صيقل الإسلام، ص 464

<sup>2</sup> أديب إبراهيم الدباغ، سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان، دار الأنوار اسطنبول،

الإيمانية المطهرة، لا يعلم مدى عمق أثر الإمام النورسي في تربية الجيل الجديد على حب الله ورسوله ثم حب العلم والفكر والعرفان والتغيير"<sup>1</sup>.

ويصف الدكتور عشارتي طالب النور فيقول: "يتفرغ طالب النور إلى حياته يسعى إليها ويجد، دون هواده أو وهن، متدثرا تعاليمها القرآنية الإيمانية، ومستتبطا مواعظها وترشيداتها، فيغدوا بمسلكه وإخلاصه يجسد المحامد التي وجه إليها القرآن، وحرص عليها الربانيون، وبذلك ينتصب كل نوري مثالا للصدق، ونموذجا للكمال"<sup>2</sup>.

تساءلت كثيرا عن سر هذا النور في وجوههم ناهيك عن أعمالهم وحبهم وإخلاصهم وتقانيهم في الخدمة، وعن أخلاقهم العالية ما مصدرها ؟

— هذه الأخلاق العالية مستمدة من استحضار معية الله سبحانه وتعالى وهي مرتبة الإحسان، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، يقول الأستاذ النورسي: "يفكر طالب النور دائما في حضور الخالق الرحيم سبحانه ورؤيته له، أي أنه حاضر وناظر له دائما، فلا يلتفت عندئذ إلى غيره، ولا يستمد من سواه، حيث النظر والاتفات إلى ما سواه يخل بأدب الحضور وسكينة القلب"<sup>3</sup>

— مستمدة كذلك من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته الشريفة التي هيمنت على قلوبهم لا تغادر سلوكهم ليلا ولا نهارا يقول الأستاذ: "شعاع السنة المطهرة هو الإكسير النافذ، فهي كافية ووافية لمن يبتغي النور، فلا داعي للبحث عن النور خارجها"<sup>4</sup>.

— مستمدة كذلك من إيمانهم بالملائكة وتشابهم في صفاء ونقاء أرواحهم، يؤمنون بالملائكة إيمانا عميقا حتى يستشعر وجودهم معهم، فيأمنون بهم في كل لحظة، كونهم مخلوقات موجودة تماما مثل وجودنا في هذا الكون.

— مستمدة من الإيمان باليوم الآخر كحياة مشهودة شهادة عين وبصيرة لكثرة ما استلهموا من الرسائل دلائل وجودها ورأوا في الكون والطبيعة نظائرها، وصدق الدكتور فريد الأنصاري

<sup>1</sup> محسن عبد الحميد، النورسي نحو فهم عصري للقرآن الكريم، 1998

<sup>2</sup> عشارتي سليمان، النورسي ومنهجه في الدعوة إلى القرآن، ص: 275

<sup>3</sup> النورسي، اللغات، ص: 247

<sup>4</sup> النورسي، اللغات، ص: 90

حين قال: "إن طلاب النور يشعرونك أنك أمام عمّال الآخرة، إن أنداء الجنّة تفوح من قلوبهم وهم يمارسون مهامهم"<sup>1</sup>.

### ثانياً\_فلسفة الحضارة عند النورسي:

يتفق النورسي مع مالك بن نبي \_رحمهما الله \_ حول قضية الأساس الذي تقوم عليه الحضارة وهو الأساس الديني ويعتبره المقوم الأساسي والدافع القوي نحو التقدم والازدهار، ويرى أن الحضارة الإسلامية بنيت على أسس هي: الدين والحق والتعاون، يقول رحمه الله:"1\_نقطة استنادها الحق بدل القوة ومن شأن الحق دائماً: العدالة والتوازن، ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء،2\_هدفها الفضيلة بدل المنفعة، وشأن الفضيلة: المحبة والتقارب، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول المحبة،3\_دستورها في الحياة: التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات،4\_خدمتها للمجتمع: بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن الهدى: الارتقاء بالإنسان إلى ما يليق به مع تنوير الروح ومدّها بما يلزم،5\_رابطتها الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة وأخوة الإيمان، وشأن هذه الرابطة: أخوة خالصة وطرد العنصرية والقومية السلبية"<sup>2</sup>.

كانت المرحلة التي عاشها النورسي رحمه الله \_نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين\_ مرحلة حاسمة في تاريخ الأمة الإسلامية، ظهر البون الشاسع بين الحضارتين \_الإسلامية والأوروبية\_ في جميع الميادين وبالأخص الجانب العلمي والتطور التكنولوجي المذهل الذي أوقع شباب الأمة الإسلامية في فخ التقليد الأعمى، فاستقطبت الحضارة الأوروبية العقول والقلوب، والمغلوب مولع بتقليد الغالب كما قال ابن خلدون، وفي هذا الوقت انتشت أوروبا وشعرت بالعظمة والقوة وهزت كيان الحضارة الإسلامية بل شككت في أصولها لدرجة أن قلبت ثوابتها إلى متغيرات، لكن العلماء الصادقين الموضوعيين وقفوا ثابتين لم يهتز لهم طرف إزاء الحضارة الزائفة، ولقد كان موقف النورسي رحمه من هذه الحضارة منصفاً منطقياً واضحاً.

<sup>1</sup> \_الد. أديب إبراهيم الدباغ في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي، استانبول 1992،

<sup>2</sup> \_النورسي، الكلمات، ص: 842

استطاع النورسي استيعاب حضارة الغرب من حيث نشأتها وتطورها، وتبيان أصولها وأهدافها ليعرف الحجم الحقيقي لها فلا يضحكها ولا ينقص من قيمتها، وقد كانت نظرته لها موضوعية بحيث لم يرفضها كاملة ولم يقبلها كاملة، واختار الموقف الوسط، حيث يقول: "إن أوروبا اثنتان: إحداهما أوروبا النافعة للبشرية بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدت خدمات لحياة الإنسان الاجتماعية بما توصلت إليه من صناعات وعلوم تخدم العدل والإنصاف... وأوروبا الثانية التي تعفنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمادية الجائفة، وحسبت سيئات الحضارة حسناً لها، وتوهمت مساوئها فضائل، فساقت البشرية إلى السفاهة وأردتها الضلالة والتعاسة"<sup>1</sup>، فالجانب الإيجابي في الحضارة الغربية هو المرجعية الدينية وهي المسيحية غير المحرفة التي عرفت بالمحبة والمعرفة والبحث عن الحقيقة في ظل السلام، وهذا ما نجده عند فلاسفة التنوير الذين حملوا لواء العقل والعلم، " فكبار الفلاسفة من أمثال ديكارت وليبنتز وباسكال ونيوتن لم يكونوا من دعاة اللائكية لا في الممارسة النظرية ولا في الممارسة العملية، بل إن البعض منهم كانوا من ذوي المشروعات الإصلاحية في مجالي المسائل الدينية كـ "ليبنتز" أو التعليم الفلسفي الديني كـ "نيوتن" هذا فضلاً عن كون جيل من الفلاسفة الألمان وكل كبارهم في القرنين التاليين كانوا في الأصل رجال الدين"<sup>2</sup>، ويؤكد النورسي على ضرورة ربط الدين بالحضارة، بل يعتبره أسّ الأسس التي ترتكز عليه، وما وصلت إليه الحضارة من رقي وتقدم علمي وتكنولوجي وصناعي في القرن السابق كان نتيجة ارتباطها بالدين وحين ابتعدت عنه وحاربته وقعت في المتاهات وبدأ عصر سقوطها، وهذه المنجزات العلمية صورة جميلة للجهد الإنساني الذي يتناسب مع فطرته السليمة والتي تتفاعل مع الكون، وتساير المنهج الربّاني الذي يدعو إلى التأمل والتفكير وطلب العلم ويثمن العمل.

هذا إلى جانب الوافد الإسلامي الذي تسرّب إلى أوروبا الذي مدّها بالزاد العلمي الكافي الوافي الشافي، والذي بنت عليه معارفها واستخلصت منه آفاقاً علمية جديدة فتحت لها أبواب التقدم العلمي على مصراعيها، والحقيقة التي لا مرأى فيها هي أن الإسلام هو مفجر تلك

<sup>1</sup> \_ النورسي، اللغات، ص: 162

<sup>2</sup> \_ أحمد زرمان، النورسي والموقف من الحضارة الغربية، المؤتمر العالمي السابع لبديع الزمان سعيد النورسي،

الطاقات العقلية الخالدة ومنه انبثقت الحضارة، لما تضمنه من دعوة صريحة إلى العلم، وهذه الحقيقة أدركها غير المسلمين ردًا على من زعم أن القرآن هو سبب تخلف المسلمين لتقدمه النقل على العقل، في حين أن الإسلام لا يحجر على العقل كما يزعم شائئوه جهلاً، بل إن العقلانية في الإسلام يشهد لها الخصوم أنفسهم، وفي قول " ماكسيم روندسون " : " القرآن كتاب مقدس تحل فيه العقلانية مكانا جد كبير، فالله لا ينفك فيه يناقش ويقيم البراهين " وهذه العقلانية علمية وعملية تقدم النقل دون أن تنكر دور العقل في مجالاته الصحيحة، لذلك لم يقبل مفكرو الإسلام منطق أرسطو القائم على عقلانية تجريدية، والذي لا يعترف بالاستقراء، وبالمقابل يقدمون منهج بديل أصيل<sup>1</sup> وهم في ذلك مثل غيرهم يستحقون الثناء والتقدير والتمجيد، كما أنهم جديرون بأن يتبوعوا مكانهم في تاريخ الفكر البشري، لأنهم بالفعل قد ابتكروا علما واكتشفوا منهجا<sup>2</sup>.

لقد كان النورسي رحمه الله منصفا حين لم يعاد الحضارة الغربية مثلما فعل الكثيرون، بل اعتبرها مرحلة طبيعية من مراحل تطور الإنسانية، وركّز على القاعدة التي تقول: "خذ ما صفا دع ما كدر"، أي كما أخذ الغرب من المسلمين الجانب الإيجابي في حضارتهم وهو الجانب العلمي وطوّروه إلى أن وصلوا إلى العالمية، يجوز للمسلمين أن يأخذوا الجانب الإيجابي من الحضارة الغربية المتطورة مع الحفاظ على الكيان الديني والثقافي، ويحرص النورسي على ضرورة الانتقاء بحيث يقتبس المسلمون ما يساعدهم على التطور بما يتلاءم مع الأوضاع الاقتصادية، أي اقتباس العلوم الطبيعية التي تساعد على نهضة الأمة علميا واقتصاديا، دون الوقوع في التبعية والحاجة إلى الاستجداء بالغرب وجلب مهاراتهم، دون اقتباس الجوانب الثقافية والعقائدية التي قد يكون جلبها ضربة قاضية للأمة الإسلامية لأن فيها قضاء على أخص خصائصها وأثبت ثوابتها التي لا تتغير.

يتفق النورسي مع مالك بن نبي \_ رحمهما الله \_ في مسألة تأسيس الحضارة على الدين، فالتصور الذي يحمله الإنسان عن حقيقة الوجود والكون هو أساس كل الجهود الحضارية، وأساس كل التغيرات الإنسانية الكبرى كونها الدافع الأقوى في التقدم والرقي، يقول مالك بن

<sup>1</sup> \_ماكسيم روندسون، الإسلام والاشتراكية، دار الطليعة، بيروت، 1979، ط1، ص: 75

<sup>2</sup> \_محمود يعقوبي، مسالك العلة وقواعد الاستقراء عند الأصوليين وجون ستيوارت مل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1994، ص: 235

نبي رحمه الله: "الحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء ويكون للناس شرعة ومنهاجا.. فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية"<sup>1</sup>، أما الجانب السلبي في الحضارة الغربية فهو طغيان المادة والبعد عن الدين، واعتبار الطبيعة جامدة وجدت من فراغ، وللصدفة دور كبير في حدوثها، بل استبدلت الوحي بالعقل وعظمت الإنسان وأصبح البقاء للأقوى، وقد لخص النورسي الأسس التي قامت عليها الحضارة الغربية في قوله: "إن أسس المدنية الحاضرة سلبية وهي خمسة تدور عليها رحاها: 1\_ نقطة استنادها: القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هذا تنشأ الخيانة، 2\_ هدفها وقصدها: منفعة خسيصة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة التزاحم والتخاصم، ومن هذا تنشأ الجناية، 3\_ دستورها في الحياة: الجدل والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام التنازع والتدافع ومن هذا تنشأ السفالة، 4\_ رابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين، وشأن القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع وهو المشاهد، ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك، 5\_ خامستها هي أن خدمتها الجذابة تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامها، وإشباع الشهوات والأهواء، وشأن الأهواء والنوازع دائما مسخ الإنسان وتغيير سيرته، فنتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخا معنويا"<sup>2</sup>، وقد ظهرت تجليات هذا المسخ في الدول الأوروبية من خلال العديد من المظاهر، مثل الانحلال الخلقي و طغيان الفساد وإطلاق العنان للشهوات والاندفاع نحو المال وتقديسه، وتغيير خلق الله ومحو عالم الغيب وعدم الاعتراف به كونه غير خاضع للتجربة العلمية، وصار مقياس التحضر هو ما تحققه من منافع مادية ملموسة، وما توصلت إليه العلوم المادية غير المضبوطة بالضوابط الأخلاقية، وقد أيد هذه الفكرة العلماء الغربيون أنفسهم أمثال العالم البيولوجي "ألكسيس كاريل" الذي قال: "إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لأنها لا تلاءمنا، لقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ أنها تولدت من خيالات الاستكشافات العلمية، وشهوات الناس وأهوائهم ونظرياتهم ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير

<sup>1</sup> \_مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط3، 1967، ص51:

<sup>2</sup> \_النورسي، الكلمات، ص: 841

صالحة لحجمنا وشكلنا"<sup>1</sup>، والبديل الذي يراها مناسباً لهذه الحضارة العاتية هو الحضارة الحقّة التي جاء بها الإسلام، يقول رحمه الله: "إن تنامي الأخوة بين المسلمين يسرع في هز المدنية الحاضرة ويقرب دمارها، وستتبدل صورة المدنية الحاضرة وسيقوّض نظامها وعندها تظهر المدنية الإسلامية وسيكون المسلمون أول من يدخلونها بإرادتهم"<sup>2</sup>.

### ثالثاً\_ فلسفة العلم عند النورسي:

ربط النورسي رحمه الله العلم بالإيمان، وهذا الترابط هو سبيل خلاص الأمة، والعلم المقصود هو الذي يعرفنا بالخالق العظيم، والكون كله كتاب علم، و قراءة إشارات العلم هي مهمة الإنسان الباحث عن الحقيقة، ولكي تتحقق النهضة العلمية الواعية لابد من اقتران العلم بالإيمان حتى لا يشوّش ذهن الإنسان القاصر عن إدراك الحقيقة إلا بالتسلّح بالإيمان القلبي العميق، بما لا تراه حواسه فيما وراء العالم المادي المحسوس، فالإيمان محراب العلم والكون صحيفته التي تحمل دلائل الوجود المادي واللامادي، والسياحة في الكون والتفكر في مخلوقاته فريضة على الإنسان تذيب الغفلة وتقوي الإيمان وتزيد في تقواه ويقينه لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾<sup>3</sup>، وما تزويد الإنسان بالحواس والعقل إلا دليل على وظيفتهما في قراءة الكون والتدبر والتفكر والتأمل في المخلوقات التي بثّها الله سبحانه وتعالى كآيات وإشارات ودلائل على قدرته في الآفاق والأنفس.

رسائل النور هي المنبع الفيّاض الذي يفيض علماً وإيماناً وحكمة وحضارة، وتتناسب مع الصراع الذي تعيشه الأمة الإسلامية من تراجع وتخلف، بعدما كانت الأمة الرائدة القائمة في السابق، والعلم بالنسبة للنورسي هو أولى الخطوات نحو التقدم المادي والحضاري والديني، لكن حسب النورسي لا يجوز أن يمضي العلم بمفرده في التأسيس للحضارة وللإنسان في حد ذاته، بل لابد أن يسترشد بالإيمان ويمضي في طريقه بمعوية القرآن الكريم ولا يحيد عنه قيد أنملة، لذلك كان كل عصر يقدّم تفسيراً للقرآن الكريم حسب علومه واكتشافاته ورحابة معارفه، وفي عصر النورسي رحمه الله قدّم لنا تفسيراً جديداً مغايراً يتناسب مع النهضة

<sup>1</sup> \_ ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة شفيق أسعد فريد، مؤسسة المعارف، بيروت، ط2، 1977، ص38

<sup>2</sup> \_ النورسي، الكلمات، ص: 849

<sup>3</sup> \_ سورة فاطر، الآية 28.

العلمية التي بهرت أنظار المسلمين في أوروبا، وجاهد جهادا عظيما بما يملكه من علم غزير وعقيدة راسخة من أجل إحياء وبعث الإيمان من جديد في النفوس.

للعلم فضل كبير في رفع مكانة الإنسان لدرجة أن سجدت له الملائكة مباشرة بعدما علّمه الله سبحانه وتعالى الأسماء كلّها لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٣٣﴾<sup>1</sup>

أي أن الله سبحانه وتعالى منح الإنسان العلم ليمهد له الطريق نحو تحمل الأمانة وهي خلافة الأرض لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾<sup>2</sup>. وقد نال الإنسان بالعلم الأفضلية ليس فقط على الملائكة بل حتى السماوات والأرض والجال، وهذه إشارة إلى قدرة الإنسان على تحقيق كل أهدافه وسمّوه إلى أعلى المراتب بواسطة العلم، يقول النورسي في هذا الصدد: "كأن الله سبحانه وتعالى يقول بالمعنى الإشاري: يا بني آدم إن تفوق أبيكم آدم في دعوى الخلافة على الملائكة، كان بما علّمته الأسماء كلّها، وأنتم بنوه ووارثوا استعداداته ومواهبه، فعليكم أن تتعلّموا الأسماء كلّها، لتثبتوا جدارتكم أمام المخلوقات لسلم الأمانة العظمى، فلقد مهّدت الطريق أمامكم لبلوغ أسمى المراتب العالية في الكون، فالطريق مفتوح أمامكم، واستمسكوا بكل اسم من الأسماء الحسنى، واعتصموا به لتسموا وترتفعوا"<sup>3</sup>.

1\_ الإيمان محراب العلم: العالم المؤمن لا يحيد عن الصواب مهما أوغل في بحوثه وكل علم يدل على خالقه من جهة تخصصه، ويقود العالم إلى اسم من أسمائه الحسنى، فعلم الهندسة مثلا ينتهي بالعالم إلى مشاهدة تجليات "القادر\_المقتدر\_العادل" لما فيها من دقة وتناسب في الخلق بحيث نسبة الخطأ فيها صفر، وعلم الطب منتهاه إلى اسم الله "الشافى" من خلال تجليات هذا الاسم العظيم وما خلق الله سبحانه وتعالى من أدوية مبنوثة على سطح الأرض وما على العالم إلا البحث والتأمل والتدبّر، والعلوم التجريبية من فيزياء وكيمياء وفلك تشير إلى اسم الله "الحكيم" من خلال تدبيره لشؤون خلقه في السماوات والأرض ورعايته لهم قوّبها

<sup>1</sup> سورة البقرة الآية 34

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 29

<sup>3</sup> النورسي، الكلمات، ص: 290

وضعيفها، وإذا كان العلم هو إدراك الشاهد والإيمان هو إدراك الغائب... فكلما كان الأساس العلمي المعتمد كان الإيمان قويا، فالعلم الإسلامي عصمة من الانحراف الإيماني، فالراسخون في العلم هم أقرب الناس إلى الإيمان الصحيح، لأنهم يقفون على أرض صلبة يستكشفون من فوقها عالم الغيب فلا يعلمونه وإنما يؤمنون به إيمانا صحيحا<sup>1</sup> والإيمان بالرسول كذلك منبع من منابع العلم، يتعلم العالم من معجزات الأنبياء الكثير من الصناعات والعلوم، ونذكر على سبيل المثال:

\_العلوم الطبيعية والكيمياء وعلاقتها بمعجزة إبراهيم عليه السلام، قوله تعالى: ﴿يُنَارُ كُونَهُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ﴾<sup>2</sup>، في إشارة إلى أن الإنسان يمكنه اكتشاف أنواع من الجلود تقيه من حرارة النار، واختراع مواد من الطبيعة مضادة للنار، بل توصل العلماء في عصرنا إلى اكتشاف نار باردة.

\_علم التنقيب وعلاقته بمعجزة موسى عليه السلام: من خلال قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۗ﴾<sup>3</sup>، في هذه الآية إشارة إلى قدرة الإنسان على استخراج الكنوز المدفونة في الأرض بداية بالماء الذي هو سر الحياة، إلى الكثير من المعادن كالذهب والماس واللؤلؤ المدفون في البحار... الخ

\_علم الطيران والاتصالات وعلاقته بمعجزة سليمان عليه السلام: من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحُ عُذُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾<sup>4</sup>، إشارة إلى تسخير الريح وقطع مسافات بعيدة في وقت قصير وهذا ما وجّه الإنسان إلى اختراع الطائرة .

\_علم الطب وعلاقته بمعجزة عيسى عليه السلام: من خلال قوله تعالى: ﴿وَأُبرئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتِي بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ﴾<sup>5</sup>، إشارة إلى عدم يأس الإنسان من الأمراض التي تصيبه

<sup>1</sup> د. إبراهيم أحمد عمر: العلم والإيمان، مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام، الرياض الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ص46

<sup>2</sup> \_سورة الأنبياء، الآية 68

<sup>3</sup> \_سورة البقرة، الآية 59

<sup>4</sup> \_سورة سبأ، الآية 12

<sup>5</sup> \_سورة آل عمران، الآية 48

فالذي خلق الداء خلق معه الدواء، في صيدلية الكون كل أنواع الأدوية وما على الإنسان إلا أن يبحث فيها<sup>1</sup>.

إن سر تقدّم المسلمين الأوائل وتحقيقهم لحضارة إسلامية راقية هو جمعهم بين العلم والإيمان، وسر تخلف المسلمين في العصور المتأخرة هو أنهم وضعوا القرآن الكريم وراء ظهورهم، ولم يقدّروه حقّ قدره وانبهروا بحضارة الغرب، لهذا كان النورسي رحمه الله على يقين بأن هذا العصر هو عصر إظهار الحقائق الإيمانية، التي لا تكتمل إلا بالعلم والتعلّم، يقول الدكتور محمد رشدي عبيد: "لقد بذل النورسي في هذا المجال الكثير، ومما قام به، تجريد الفكر من المعلومات غير الحيوية وغير العملية وغير الحقيقية، وأفسح المجال لمقابلاتها الإيمانية، وجعل نفسه نموذجاً لذلك التجريد، كما وفق في التوفيق العقلي بين ما تدرّكه الحواس وما لا تدرّكه، وذلك بغرس الإيمان بالغيب في الوعي البشري، دون تصادم مع واقعات الحس ومقررات العقل المنطقي السليم، ونتائج العلوم التجريبية اليقينية القطعية، فوسّع من أفق الواقع المكاني والزمني في وعي الإنسان"<sup>2</sup>.

يعتقد النورسي رحمه الله أن العلم الحقيقي لا بد أن يستفاد من جوانبه الإيجابية المدعّمة بالإيمان الحقيقي، فما الفائدة من علوم لا تدل على خالقها ولا تهدي إلى سعادة الإنسانية، فما فائدة علم الطب مثلاً إذا تحوّل إلى عبث بالخلايا السرطانية وتجارة للأعضاء البشرية، وما فائدة علم الاقتصاد إذا كانت الشعوب تعاني الفقر والجوع والحرب والمجاعة، وما فائدة علم العسكرية إذا تحوّل إلى حروب نووية ودمار شامل؟

وضع النورسي رحمه الله مجموعة من القواعد الأساسية للبحث العلمي عن طريق الإقناع العقلي القائم على التحقيق العلمي، بتفسير ما أشار إليه القرآن الكريم من علوم كونية بما يتفق مع توصل إليه العلم من حقائق ثابتة وبراهين قطعية لا تقبل الشك والجدل، فالاهتمام بالبحث العلمي ضرورة تفرضها العقيدة الإسلامية، وعلى كل متخصص أن يجتهد ويخلص في القلعة التي يربط فيها ويتعلّم منها كل دروس العلم، ومن بين هذه القواعد:

<sup>1</sup> \_سنفصل في هذه العلوم في الفصل الثالث .

<sup>2</sup> \_محمد رشدي عبيد، مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي، اسطنبول، سنة 1992، ص: 86

أ\_التواصل وعدم القطيعة بين المعارف السابقة واللاحقة: لكل عصر فلسفته وعلومه ولا بد من مواكبة هذه العلوم بالنقد الإيجابي من أجل التطور والتقدم، واستخدام هذه العلوم في بيان عظمة الخالق وسبق القرآن الكريم في بيان هذه الاكتشافات والإشارة إليها، وهذه الإشارات هي السلاح الذي يواجه به المسلمون المد الإلحادي الذي يشكك في العقيدة الإسلامية ويظهر تخلف المسلمين، يقول النورسي رحمه الله: "قد يكون بديهياً في الحاضر ما كان نظرياً في الماضي، ففي العالم ميل للاستكمال، وبه يتبع العالم قانون التكامل، لأن الإنسان من ثمرات العالم وأجزائه، ففيه كذلك ميل إلى الترقى المستمد من الميل إلى الاستكمال، وميل الاستكمال هذا ينمو ويتزعرع مستمداً من تلاحق الأفكار.. إن مسائل كثيرة في هذا الزمان، قد أصبحت في عداد البديهيات والعلوم المعتادة، بينما كانت في السابق أموراً نظرية شديدة الخفاء والغموض، ومحتاجة إلى سرد البراهين، وهكذا نرى كثيراً من مسائل الجغرافيا والفلك والكيمياء والهندسة العملية، يعرفها حتى صبيان هذا الزمان، علماً أنها كانت خفية على "ابن سينا" وأمثاله من الفلاسفة، مع أنه لو وزن "أبو الفلّسفة" بمئات من فلاسفة هذا الزمان لرجحهم في الذكاء ودقة الفكر وكمال الحكمة وسعة القريحة، فالنقص إذاً ليس في ابن سينا فهو ابن الزمان، بل في أبيه الزمان"<sup>1</sup>.

ب\_استنطاق الإشارات العلمية في الكون لبلوغ الحقيقة: إن جيل الحاضر والمستقبل لن يقنع بالبراهين الخطابية والنصية، بل لابد من استخدام الأدلة المنطقية والبراهين العقلية، ويقول النورسي رحمه الله: "لما كان المهيم هو الحق والبرهان والعقل في خير القرون وعصور السلف الصالح، لم يكن للشكوك والشبهات موضع كذلك نرى أنه بفضل انتشار العلوم في الوقت الحاضر وهيمنتها بصورة عامة وفي المستقبل هيمنة تامة إن شاء الله سيكون المهيم هو الحق بدلاً من القوة، والبرهان بدلاً من التعصب والفسطحة، والحمية بدلاً من الأحاسيس المادية، والعقل بدلاً من الطبع، والهدى بدلاً من الهوى"<sup>2</sup>، فالجهاد العلمي هو الجهاد الحقيقي في هذا العصر، حيث فتن الناس بالنهضة العلمية، وما صاحبها من تطورات مذهلة وتكنولوجيا عجيبة.

<sup>1</sup> \_النورسي، صيقل الإسلام؛ محاكمات عقلية، ص: 30

<sup>2</sup> \_النورسي، صيقل الإسلام، محاكمات عقلية، ص: 46

**2\_ العلم سلاح الإيمان:** يرى النورسي رحمه الله أن التطور العلمي يساعد على فهم أكبر وأعمق لشريعة الإسلام، وهذا يعني تأصيل المسؤولية على الباحثين المسلمين بملاحقتهم للتطور العلمي دائماً، لأن هذا يعطيهم قوة في الفهم ووضوحاً في براهينهم، على عظمة الإسلام وقوته الحقيقية المدعومة بالمعرفة والعلم، ولكي ينجح الإنسان في الوصول إلى الحقيقة نجاحاً يليق بمقام الدعوة الإسلامية، لا بد أن يتقيد بمجموعة من الشروط هي:

**أ\_ إتباع المنهج القرآني في إثبات الحقائق العلمية:** إن كان من الأصول المقررة في تعارض العقل مع النقل، هو اعتبار العقل أصلاً ويؤول النقل، فإن العقل في هذه الحالة لا بد أن يكون عقلاً حقاً، متبعاً للمنهج القرآني في الأصل، أي أن المطلوب من الباحث في مجال العلم أن يصل بعقله أولاً إلى درجة النضج والوعي، تؤهله لفهم كنوز القرآن ثم تسخير هذا النضج في إيضاح الحقائق القرآنية، بأسلوب يتناسب مع التطور العلمي في عصرهم.

**ب\_ تفسير القرآن بالقرآن والسنة:** لكي يصل الباحث إلى الحقيقة لا بد أن يبحث عن الحقيقة في درر القرآن الكريم وأصدافه، ولا يشوّه الحقيقة بالأراء الدخيلة، فمعناه فيه وهو لا يحتاج إلى غيره لتفسيره، يقول النورسي في هذا الصدد: "نعم، إن لكل زمان حكمه، والزمان كلّهُ مفسر، أما الأحوال والأحداث فهي كشافة، وإن الذي يستطيع أن يكون أستاذاً لي الأفكار العامة هو الأفكار العلمية العامة أيضاً، فبناءً على هذا واستناداً إليه أريد تشكيل مجلس شورى علمي، منتخب من العلماء المحققين، كل منهم متخصص في علم، ليقوموا بتأليف تفسير للقرآن الكريم بالشورى بينهم، تحت رياسة الزمان الذي هو مفسر عظيم، ويجمعوا المحاسن المتفرقة في التفاسير، ويهدبوها ويذهبوها"<sup>1</sup>.

**ج\_ تحري الموضوعية والبحث عن الحقيقة المجردة:** فالباحث يجب عليه سبر أغوار الموضوع وأن يتجرد من المؤثرات الزمانية، وأن يزن الموازين بالمنطق والعلم بموضوعية، دون إفراط وتقريط.

**د\_ التخصص في العلم:** لا ينبغي إدعاء المعرفة في كل العلوم، بل لا بد من التخصص في الجزء واعتباره أساساً وأصلاً، والباقي متمم ومكمل له لأن من ادعى الكل فاته الكل، ولأن الله سبحانه وتعالى أودع في البشر ميول واستعدادات مختلفة تتناسب وملكاتهم العقلية

<sup>1</sup> \_ النورسي، صيقل الإسلام، محاكمات عقلية، ص 35

والنفسية والجسمية، لهذا يدعوا النورسي رحمه الله أن يكون الباحثون متخصصون ومن أولي الأبواب، يدفعهم العقل والإخلاص، إلى خوض بحار العلم وكشف أستار المجهول للناس، وبهذا يسدون للشريعة الإسلامية حقها القائم على الوعي والفهم العميق.

#### رابعاً\_فلسفة الإيمان:

للنورسي رحمه الله رؤية عملية جديدة للإيمان تتسجم مع الحديث النبوي الشريف، عن عمر بن الخطاب رضي الله قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، وقال: "يا محمد أخبرني عن الإسلام" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً" فقال: "صدقت" فعجبنا له يسأله ويصدقه، فقال: "أخبرني عن الإيمان" قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" فقال: "صدقت"، قال: فأخبرني عن الإحسان"، قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" قال: "فأخبرني عن الساعة"، قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل"، قال: "فأخبرني عن أماراتها"، قال: "أن تلد الأمة ربنتها وأن ترى الحفاة العراة يتناولون في البنيان"، ثم انطلق، فلبث ملياً، ثم قال: "يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"<sup>1</sup>.

يؤمن النورسي رحمه الله بأن أعظم مهمة تنفذ الإنسان من ظلمات الجهل والذل والإلحاد هي الإيمان الراسخ في القلوب، فإن اهتز أو فقد أضع الإنسان مهمته الحقيقية واتبع هواه وظل عن السبيل، لذلك كانت قضيته الأساس إنقاذ الإيمان، بعدها تسهل المهمة وتذلل الصعاب، فهو يحقق بفضل الإيمان الكمال الذي ينشده دائماً والمطلق الذي لا يمكنه بلوغه بجسده الفاني وعقله القاصر، لكن الإيمان إذا تأصل في الروح أصبحت خادمة للعقل والجسد، فتسري فيه سريان الدم في العروق وتكون الحياة كلها مبنية على هذا الإيمان الحقيقي، لأن هذه الروح المشبعة أصبحت قادرة على استقبال الوحي الإلهي وفهمه على حقيقته

<sup>1</sup>رواه مسلم.

بموضوعية لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً مَّهْدِيَةً بِهِ - مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَمَهْدِيَةٌ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٤٩﴾<sup>1</sup>.

فالمؤمن يعيش السعادة في كل الحالات مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان له خير، وإن أصابته ضراء صبر فكان له خير"<sup>2</sup>، ويقول النورسي رحمه الله: "إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة، بينما يتردى بظلمة الكفر إلى أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم، ذلك لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل ويربطه بوثاق شديد ونسبة إليه، فالإيمان إنما هو انتساب، لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلي الصنعة الإلهية فيه، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده، أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، وتغشى ظلمته الصنعة الربانية وتطمس على معالمها، فتتقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته فحسب، وقيمة المادة لا يعتد بها فهي في حكم المعدم، لكونها فانية زائلة وحياتها حياة حيوانية مؤقتة"<sup>3</sup>.

إن الجديد الذي أضفاه النورسي لمفهوم الإيمان هو الطابع العلمي والعملي، إذ يتجسد الإيمان في شخص الإنسان سلوكاً ومظهراً وعقيدة، بحيث تزول كل الشكوك حول القضايا الإيمانية كونها جزء لا يتجزأ من كينونة المؤمن وقد يستغني عن أحد أعضائه ولا يستطيع أن يستغني عن إيمانه لأنه جوهره الحقيقي، لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَا يَلْتَكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ١٥﴾<sup>4</sup>.

فلسفة الإيمان عند النورسي ترتكز على نقاط كثيرة أهمها:

<sup>1</sup>سورة الشورى، الآية 49

<sup>2</sup>رواه مسلم.

<sup>3</sup>\_النورسي، الكلمات، ص: 348

<sup>4</sup>سورة الحجرات، الآيات: 14، 15.

**1\_الإيمان انتساب:** أي أن العبد المؤمن ينتسب إلى الله سبحانه وتعالى وفق الإلزام الإلهي الذي تحمّله الإنسان، فالعلاقة بينه وبين الله تتوطّد وتتقوى كلّما كان الإيمان في القلوب أقوى، وكانت الأعمال خالصة لله وحده إيماناً بالثواب والعقاب، وهذا الانتساب هو تكليف وتشريف في نفس الوقت، فيكتسب قيمة أسمى من كل المخلوقات، وهي قيمة المكلف من طرف خالقه سبحانه وتعالى وهو أدرى منك بأنك قادر على أداء مهمتك بإتقان، ولا يكلف إلا المؤمن المسئول القادر على تحمل الأمانة، فما أعظمه من تكليف وتشريف، لأن المؤمن يضحى بروحه كونه على يقين بأن الجزاء من جنس العمل، بل والحسنة بعشر أمثالها، والإنسان بإيمانه يأخذ وثيقة ينتسب بها إلى الله تعالى فيصبح هذا الانتساب قوة لا حدود لها، وشرف لا قيود له.

وعلى النقيض فاقد الإيمان وهو الكافر يقطع كل صلة له بخالقه، فيصبح مخلوقاً لا نسبة له مع الله سبحانه وتعالى، اللهم إلا النسبة القهرية التي له بحكم كونه مخلوقاً يسيره خالقه كيفما يشاء، فيسقط الكفر عن هذا المخلوق صفة الإنسانية ليرتدّي إلى أسفل المخلوقات وأرخصها وأدّناها، وهو بكفره يعلن عدم أهليته للضيافة الربانية ومن ثمة عدم أهليته مقام الجنة والنعيم، لأنه باختياره حرم نفسه من وثيقة الانتساب التي تؤهله للعمل باسم الله وبمعونته، هذه الوثيقة العجيبة التي تجعل من البذرة الصغيرة مصدراً لخيرات كثيرة بسر الانتساب والإيمان بالله.

**2\_الإيمان يظهر آيات الله في الإنسان والكون:** فالأثر الإيجابي الذي يحدثه الإيمان في عمق الإنسان، لا يحدثه أي علم مهما بلغ تطوره المادي، وفور دخول الإيمان في قلب الإنسان ورسوخه فيه تنقلب حياته، ليعيد قراءة الكون من جديد بلغة جديدة عميقة، فيقلب صفحات الوجود كأنها صفحات تقرأ وتتبض كائناتها بالحياة، بل ويجد في صفحات ما وراء الوجود كتاباً آخر لم يقرأه بعد، ولم يستشعر حقائقه التي تحمل صدقاً أكثر عمقا من صدق الوجود نفسه، فيحس بأنفاس الكائنات وهي تسبح وتقوم بوظائفها كاملة غير منقوصة، فيشعر بخجله وهو الكائن العاقل، كما يحس الأسرار الكامنة وراء أستار الوجود أو ما يعرف بالميتافيزيقا، فيتحرر من سجن النهائي إلى فضاء اللانهائي.

"شهادة المخلوقات على خالقها هي في حقيقة الأمر واقع إثبات محض لوجوده ولذاته تعالى، أي هي شهادة على الذات والوجود معاً، وفي إثبات الوجود والذات يقف المخلوق مشيراً إلى خالقه إشارة دلالية إقرارية واعترافية، ولأجل هذا تأخذ منحى علمياً ومعرفياً، وتتميز عن العلم والمعرفة في شهود المخلوق وشاهديته على ذات الله ووجوده، ومن ثم شهادة لا علماً، لأن الشهادة لا تتأتى إلا لمن حصل له من اليقين العلمي ما يتجاوز معه دائرة العلم ليدخل في صميم مفهوم الشهادة، ومعناها كعلم ومعرفة لا يطلقان إلا على ما هو موجود وثابت ومتحقق بالفعل تحققاً لا ينكره إلا مكابر وجاحد"<sup>1</sup>، فالإيمان الصادق يفتح عين الإنسان وظائف الموجودات في الكون ونظامها المتقن بدقة متناهية، فيرى فيها إشارات علمية واضحة على ضرورة القيام بواجبه في هذا الكون المسخر له.

**3\_ الإيمان يظهر تجليات الأسماء الحسنى وصفاته على الإنسان:** يقول النورسي رحمه الله: "إن الله تعالى قد خلق الإنسان مرآة جامعة لجميع أسمائه الحسنى، وأبدعه معجزة دالة على قدرته... وخلق على صورة خليفة الأرض الذي يملك من الأجهزة الحساسة حيث تتمكن من قياس أدق تجليات الأسماء الحسنى"<sup>2</sup>.

إن انتساب الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى بالإيمان تكسبه قيمة أعلى من قيمة التكليف والتشريف إلى قيمة ارفع من قيمة الملائكة وهي الخصوصية التي انفرد بها عن باقي المخلوقات، حيث تتجلى فيه الصفات والأسماء فيصبح مخلوقاً نورانياً روحاً وجسداً، يقول النورسي رحمه الله: "إذن الإيمان\_ الذي هو عبارة عن الانتساب إلى الصانع سبحانه\_ يقوم بإظهار جميع آثار الصنعة الكامنة في الإنسان، فتتعيّن بذلك قيمة الإنسان على مدى بروز الصنعة الربّانية، ولمعان تلك المرآة الصمدانية، فيتحول هذا الإنسان\_ الذي لا أهمية له\_ إلى مرتبة أسمى المخلوقات قاطبة، حيث يصبح أهلاً للخطاب الإلهي، وينال شرفاً يؤهله للضيافة الربّانية في الجنّة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> \_ عبد الشفيق الماحي، معالم إيمانية أو البعد العقدي في فكر النورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى،

2003 ص: 18

<sup>2</sup> \_ النورسي، المكتوبات، ص: 469

<sup>3</sup> \_ النورسي، الكلمات، ص: 349

إن الإيمان الراسخ في قلب المؤمن يجعله ضيفا كريما في دار كريمة، قدم إليها ليقوم بوظيفة كلفه بها صاحب الدار ثم ينال الجزاء الذي يختاره له، وحق الضيف عليه هو التكريم لذلك فهو مكرم على الدوام، سخرت له الدار كلها بما فيها من نعم ظاهرة وباطنة، وما عليه إلا التمتع والشكر على الدوام حتى يستشعر قيمتها، وواجب الضيف أن يصدق تصديقا جازما ويؤمن بيقين أنه ستنتهي ضيافته في هذه الدار الفانية لينال الجزاء الذي ينتظره في الدار الآخرة التي تنتظره ليس كضيف ولكن كأفضل المخلوقات على الإطلاق.

وقد سمى الله سبحانه وتعالى ذاته الجليلة بأسماء كثيرة ليس لمجرد التعريف والإعلام، بل لما توجبه تلك الأسماء من إشارات وما تقتضيه من مظاهر في الكون، وهذا يدل دلالة واضحة على المستوى العلمي والمعرفي للاسم، وبالإيمان تتجلى على المؤمن أعظم تجليات الأسماء الحسنى، فالحياة في حد ذاتها أعظم تجلٍ لاسم الله "الحي"، وقيامه بحفظ مخلوقاته وتدبير شؤونها تجلٍ لاسمه "القيوم"، وعدم وجود التفاوت والاختلال وهذا التوازن الموجود في الكون تجلٍ لاسمه "العدل" وكل الموجودات هي تجليات لأسمائه الحسنى.

**4\_ الإيمان يضيء اللمسة الجمالية التفاؤلية على حياة الإنسان:** تواجه الإنسان مشاكل كثيرة بداية بكثرة الأعباء والمسئوليات إلى الأمراض والشيخوخة والموت والقبر وما بعده، تنقل كاهله لدرجة اليأس لكن الإيمان هو الأمل والنور الذي يسهل عليه الطريق بل يفتح له أبواب السعادة والتفاؤل ويحول تلك النظرة التشاؤمية إلى نظرة جمالية فيسعد بالمرض لأنه مكفر للذنوب لقول النبي صلى عليه السلام: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياها"<sup>1</sup>، ويقول النورسي رحمه الله: "إن التفكير بزوال اللذة يولد آلاما كثيرة، وبنور الإيمان تزول تلك الآلام، محيلا زوالها إلى ثمرات جديدة من أمثالها بلا انقطاع، هذا وإن أشد الحالات ضيقا وهما لروح الإنسان ما يتولد من آلام الفراق وحسرات الوداع، فنور الإيمان قد أودع الله فيه ما يذهب تلك الآلام بدوام تجدد الأمثال والوصال، ولا ريب أن التجدد لا يبعث حزنا أليما، وإنما يبعث

<sup>1</sup> رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى،

التجدد \_ من زاوية الإيمان\_ لذة فائقة في أن الفراق إنما هو لأجل لقاء في دار أخرى بهيجة<sup>1</sup>.

ومن الإيمان ينبثق سرور المؤمن واطمئنانه وسكينته ويزول خوفه من المرض والموت والقبر، ويصبح الموت راحة له لا عذاب، ولقاء له مع الأحبة الذين سبقوه وأولهم الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وسلامه، ويصبح القبر مجلساً منوراً بنور القرآن والإيمان لا رهبة فيه ولا خوف ولا عدم فيه ولا فناء، يقول النورسي رحمه الله: "أما القبر نفسه فهو ليس فوهة بئر، وإنما هو باب لعالم منور، وإنه طريق لا يؤدي إلى الأبد، وليس طريقاً ممتداً ومنتهياً بالظلمات والعدم، بل هو طريق إلى عالم النور، وعالم الوجود، وعالم السعادة"<sup>2</sup>.

5\_ الإيمان يورث المحبة والأخوة: يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾<sup>3</sup>، فالإيمان يوحد القلوب ويجعلها على قلب واحد، والإنسان مفطور على المحبة وتكتمل كلما اكتمل إيمانه وتضعف بضغفه، تزيد بالطاعات التي تتزايد لتصل إلى أقصى درجات المحبة ومنتهائها.

يقول الشافعي رحمه الله:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه \*\*\* هذا محال في القياس بديع.

لو كان حبك صادقاً لأطعته \*\*\* إن المحب لمن يحب مطيع.

علامة الإيمان هي المحبة وعلامة الصدق هي الأخوة، والمؤمن هو ذاك العاشق لوظيفته التي كلّفه الله سبحانه وتعالى بها وهي الخلافة في الأرض، فتكون الطاعة والعبادة مصحوبة بالمحبة والصدق لتكتمل المهمة والوظيفة، ومن أحب الله ولم يعمل على مرضاته لم يكن محباً حقيقياً، ومن خضع له وعبده بدون حب لم يكن مؤمناً حقاً، وحين يبلغ المؤمن درجة الإيمان الصادق المعزز بالمحبة الخالصة يرتقي إلى منزلة الابتلاء، وهذا الأخير يشبه النار التي تخلص الذهب من شوائبه، وكذلك الإيمان لا يخلص مما يكدر صفائه إلا بكل أنواع البلايا، ليقابلها المؤمن بالصبر والشكر، والمؤمن إن تقبل الابتلاء بالصبر تحولت

<sup>1</sup> \_النورسي، المكتوبات، ص: 476

<sup>2</sup> \_النورسي، اللغات، ص: 346

<sup>3</sup> \_سورة الحجرات، الآية 10

ساعات عذابه وألمه وكأنها يوم من العبادة، وعمره الفاني يغدو طويلا مديدا، والمؤمن الصابر مبشر من الله سبحانه وتعالى بالبشرى العظيمة وهي الجنة وتكفير الخطايا والذنوب. إن قلبا يحمل هذا الإيمان الراسخ لن تقهره أصعب الظروف وسيمضي في طريقه عازما على تحقيق الهدف دون هواده، مشحونا بعزم يفوق مقاييس الإنسان العادي، فأفقه واضح، وطريقه مفتوح وإرادته حرة، وقلبه مستكين فلا تصيبه المخاوف ولا الهواجس ولا الاضطرابات التي تهز الآخرين هزًا.

أدرك النورسي أن سبب تأخر المسلمين وفشلهم في قيادة العالم يعود إلى زعزعة الإيمان في قلوبهم بل إن لم نقل ضياعه، فقد كان المحفز الكبير لانتصار المسلمين سابقا هو قوة إيمانهم رغم عدم تطور علومهم في وقت الجاهلية ولكن لما تعزز الإيمان وتوثق في قلوبهم كبرت عزائمهم واشتدت نحو تحقيق النصر في كل المجالات سواء العلمية أو الفتوحات الإسلامية، أو اللغة والفصاحة، فوجدوا أنفسهم قادرين على العالم أجمع، وتخطي كل الحواجز رغم صعوبتها.

لما كان الإيمان هو الأصل وهو التصديق الفعلي دون أن تشوبه شائبة، بالله والملائكة والنبیین والكتب السماوية والقدر واليوم الآخر، جعله النورسي القضية الأساس في قراءة الكون واستنطاق آياته وإشاراته، فالخلق إشارة إلى الخالق، والكون أمارة المكوّن، والصنعة دليل الصانع، وعليه تصبح الإشارات الكونية كلّها معرضا لترسيخ الإيمان وتجديده كلّما ضعف، فتورثه اليقين والعلم المطلق، فالكون من منظور الإيمان هدية ربّانية ومنحة إلهية عظيمة، خلقه على أحسن وأجمل صورة .

يقول الدكتور الشفيح الماحي أحمد: "إذا كان نور الحياة قد أضفى على الإنسان كل علم ومعرفة نوعا ووظيفة، فإن نور الإيمان يتجاوز تلك المعاني الضيقة ليترقى فتتكشف فيها الأشياء كلها بنسبتها الإسنادية لله تعالى، فذلك علم من نوع خاص يتخطى القشرة السطحية لمعاني الأشياء وينفذ إلى باطنها، فتتجلّى له على حقيقتها الإلهية"<sup>1</sup>، فالإيمان معونة للمؤمن على اجتياز الصعاب وتخفي الأعباء، وأن لا يستعين بغير الله سواء كان ذاته أو آخر

<sup>1</sup> \_ الشفيح الماحي أحمد، معالم إيمانية أو البعد العقدي في فكر النورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى،

متفوقا عليه، فيصبح بنور الإيمان متوكلا على خالقه في جميع شؤون حياته، يقول النورسي رحمه الله: "خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان مظهرا لجميع تجليات أسمائه، وجعله مدارا لجميع نقوشه البديعة، وصيِّره مثلا مصغرا وأنموذجا للكائنات بأسرها، إلا أن نور الإيمان إذا استقر في قلبه كشف ذلك النور وعلى الفور جميع ما على الإنسان من نقوش حكيمة فيقرأها بتفكر، ويشعر بها في نفسه شعورا كاملا، ويجعل الآخرين يطالعونها ويتأملونها، أي كأنه يقول: "هنا أنا ذا مصنوع الصانع الجليل ومخلوقه، أنظر كيف تتجلى في رحمته وكرمه"<sup>1</sup>، وهذا يعني أن العلم والإيمان هما الجناحان اللذان يرتقي بهما الإنسان، ولا بد من تكاملهما وإذا اختل التوازن لم يحقق الإنسان هدفه، يقول النورسي رحمه الله: "وظيفة الإنسان الفطرية إنما هي التكمّل بالتعلم، أي الترقّي عن طريق كسب العلم والمعرفة، والترقي عن طريق العبودية بالدعاء والتضرع والتوسل والرجاء بلسان الفقر والعجز"<sup>2</sup>.

### خامسا\_ العلم والعمل والإيمان:

إن المصطلحات الثلاثة مرتبطة مع بعضها البعض أشد الارتباط، ولا يمكن أن تنفصل عن بعضها وإلا ضعف ونقص أحدها ، فالعمل يثبت العلم وذلك مما يزيد في تعميق إيمان المؤمن، هو يدخل السلوك الإيماني في نظرية المعرفة العلمية، فيندمج العلم بالإيمان في العمل، كما أن عدم اتباع الإيمان بالعمل يؤدي إلى زواله، تماما مثلما يؤدي عدم العمل بالعلم إلى زوال العلم ذاته، " فإذا قام الإنسان بما يلزم من أمر أوجبه علم وإيمان فإنه في كل عمل يعمل به يزداد إيمانا بالغائب الذي أخبر عنه ذلك العلم لأن العمل يرقى الإنسان (حواسه وقلبه) فيجعلها أكثر مقدرة على الإدراك فيصبح الإنسان بالشاهد زيادة وإضافة وإحاطة وتسمى كذلك خبرة، وأكثر إيمانا بالغائب لأن قدراته أصبحت أكبر قدرة على إختراق الحجب، ولا يعلم الغيب إلا الله"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> \_النورسي، الكلمات، ص: 349

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات، ص355

<sup>3</sup> \_إبراهيم أحمد عمر: العلم والإيمان، مدخل إلى نظرية المعرفة، ص 64

# الفصل الثاني

## تمثلات الإشارات العلمية في الطبيعة

المبحث الأول: الإشارات العلمية: المفهوم والخصائص.

المطلب الأول: مفهوم الإشارات العلمية.

المطلب الثاني: أهداف وأهمية الإشارات العلمية.

المطلب الثالث: أنواع الإشارات العلمية في الطبيعة المذكورة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مصادر إثبات الإشارات العلمية.

المطلب الأول: مصادر الإثبات.

المطلب الثاني: منهج النورسي في بيان الإشارات العلمية.

المطلب الثالث: القواعد الأساسية في المنهج النوري.

المطلب الرابع: مسالك المنهج النوري.

المبحث الثالث: تمثلات الإشارات العلمية في الطبيعة.

المطلب الأول: تمثلاتها في الكتاب المقروء (القرآن الكريم).

المطلب الثاني: تمثلاتها في الكتاب المنظور (الطبيعة).

المطلب الثالث: تمثلاتها في الكتاب الناطق (شخص الأنبياء).

المطلب الرابع: تمثلاتها في الميتافيزيقا.

تعمق النورسي رحمه الله في تأملاته سواء في الطبيعة (الكتاب المنظور) أو القرآن (الكتاب المقروء)، جعله يفهم العلاقة الحميمة والتكاملية والوظيفية بينهما، كان يرى الآية في الطبيعة ويترجمها في القرآن ويمنحها الدلالة الوظيفية في موقعها، وتوصل إلى التكامل بين العلم والإيمان لاكتشاف عظمة الخالق وتجليات أسماءه الحسنى في الطبيعة، وقد ربط العلم بالبراهين والدلائل التجريبية التي تتناسب مع معطيات عصره، كما ربط الإيمان بالعقيدة حتى لا يزيغ عن الحق ويسقط في متهات الكفر والعياذ بالله، فإتباع المنهج العلمي الاستقرائي ضرورة لا بد منها حتى يقتنع أصحاب الملل الأخرى ويدخلون في الإسلام عن قناعة، لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۗ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۗ ۱۸ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۗ ۱۹ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۗ ۲۰﴾<sup>1</sup>، فكان الهدف من تبيان الإشارات العلمية في الطبيعة و ورودها في القرآن الكريم إقامة الدليل العلمي لغير المسلمين على صدق الرسالة السماوية على لسان النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۗ ۹۵﴾<sup>2</sup>، من معاني هذه الآية أن آيات الله في الكون وفي النفس الإنسانية لا تنتهي، و الله سبحانه وتعالى يأمرنا بالتدبر والتفكر في الأنفس و الآفاق، لتبرز إشاراتها بوضوح، ولا يمكننا فهمها بالتفسير اللغوي فقط بل لابد من توظيف الحقائق العلمية الثابتة من أجل الفهم والإقناع ، وإن العلوم التجريبية تصاغ في أغلب دول العالم صياغة مادية تتكر أو تتجاهل الميتافيزيقا والغيبيات، ولا تؤمن إلا بما هو مادي ملموس، وللكثيرين منهم مواقف عدائية من قضية الإيمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر والبرزخ والبعث... الخ، لذلك لابد من انتهاج منهج علمي دقيق بلغة معاصرة، نرد بها على الهجمات الشرسة التي يشنها الغرب ضدنا كل حين بالعلم تارة، وبالسلاح تارة أخرى، وأقوى سلاح نمتلكه ويستحيل للغرب امتلاكه هو سلاح الإشارات العلمية ودلالاتها في الطبيعة وتوافقها مع معطيات الدين الإسلامي، والسبق الذي يمتلكه هذا الدين في إظهار الحقائق العلمية قبل مئات القرون.

<sup>1</sup> سورة الغاشية الآية 17\_20.

<sup>2</sup> سورة النمل الآية 95.

كل هذه الحقائق لها إشارات كونية دالة على وجودها في الطبيعة ولا بد لها من منهج علمي دقيق يوضحها ويقنع بها الرافضين لها بلغتهم ومنهجهم ، وكان النورسي من بين الذين رفعوا لواء التحدي في إثبات الحقائق الإيمانية على أساس من الحقائق العلمية الثابتة، أو بالنظريات السائدة أو بالفرضيات القابلة للدراسة العلمية ، كيف لا وقد ذابت شخصيته في حب الكون واستتطاق مخلوقات الله سبحانه وتعالى، ليثبت وحدانيته وعظمة وقداسته أسمائه الحسنى التي أنارت الوجود كله، لذلك عندما سأل طلبة النورسي أستاذهم قائلين: " عرفنا بخالقنا، فإن مدرّسينا لا يذكرون الله لنا" أجابهم النورسي رحمه الله قائلًا: "إن كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دائماً، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة، فأنصتوا لتلك العلوم دون المدرّسين"<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> \_النورسي: الشعاعات ، ص 243

المبحث الأول: الإشارات العلمية \_ المفهوم والخصائص \_

المطلب الأول: مفهوم الإشارات العلمية.

أولاً \_ الإشارات:

لغة: الإشارات جمع، مفردا إشارة، والإشارة: التلويح بشيء يفهم منه ما يفهم من النطق و"أشار وشور": أوماً ويكون ذلك بالكف والعين والحاجب، وشور إليه بيده: أي أشار<sup>1</sup>، أشار إليه بيده أو نحوهما إشارة، أوماً إليه معبراً عن معنى من المعاني، فالإشارة ترادف النطق في فهم المعنى<sup>2</sup>، تشير: معناها تدل وتوحي، فالإشارة هي الدلالة.

إصطلاحاً: هي "ما يتبع اللفظ من غير تجريد قصد إليه"<sup>3</sup> وهي الثابت بنفس الصيغة من غير أن يسبق له الكلام، إشارة النص: هو العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة لكنه غير مقصود ولا سيق له النص، كقوله تعالى: " وعلى المولود له رزقهن" سيق لإثبات النفقة، وفيه إشارة إلى أن النسب إلى الآباء<sup>4</sup>

تمتاز الإشارة بأنها سريعة قصيرة \_ غير مباشرة لا تفصح عن المراد إفصاحاً مباشراً خفية لا يفهمها إلا من يتقطن لها.

فلسفياً: تناول "بييرس" تعريف الإشارات بأنها "هي شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما بصفة ما، أي أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة أو ربما علامة أكثر تطوراً"<sup>5</sup>.

أما ارنست كاسير فهو يفرق بين الإشارة والرمز فيقول: "الإشارة مرتبطة بالشيء الذي تشير إليه على نحو ثابت وكل إشارة واحدة ملموسة تشير إلى شيء واحد معين، أما الرمز فعالم الإنطباق أي يوحي بأكثر من شيء واحد وهو متحرك متنقل ومتنوع"<sup>6</sup>

<sup>1</sup> \_ ابن منظور الأفرريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414، الجزء الرابع، ص 436

<sup>2</sup> الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ص 326

<sup>3</sup> \_ أبو حامد الغزالي: المستصفى، دار الكتب العلمية، بيروت 1413، الجزء الثاني، ص 83

<sup>4</sup> الجرجاني: التعريفات، تحقيق ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ط1 لبنان بيروت دار الكتب العلمية،

1983 ص 27

<sup>5</sup> د كعوان محمد: الملتقى الوطني الرابع "السيمياء والنص الأدبي" المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة

<sup>6</sup> المصدر نفسه

**التعريف القرآني:** وردت الإشارة في القرآن بعدة ألفاظ، ففي قوله عز وجل في سورة مريم: ﴿فأشارت إليه﴾ وفي سورة آل عمران: ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ أي أن الإشارة مرادفة للآية في القرآن الكريم.

### ثانياً\_ العلمية:

**لغة:** العلم في اللغة هو مصدر الفعل "علم"، وهو: "إدراك الشيء على حقيقته"<sup>1</sup>  
**إصطلاحاً:** هو نسق المعارف العلمية والحقائق والوقائع والنظريات ومناهج البحث التي تزخر بها المؤلفات العلمية، وهو سلسلة من القوانين المترابطة والأطر النظرية التي تنتج من المحاولة والملاحظة بشكل منتظم.<sup>2</sup>

وهو النشاط الإنساني الذي يهدف إلى زيادة قدرة الإنسان على السيطرة على الطبيعة.  
**التعريف القرآني:** يعتبر العلم من أكثر الألفاظ وروداً في القرآن الكريم، سواء بالتعيين أو بما يرادفه، أو ما يرشد إليه ولم يأمر الله سبحانه وتعالى بالزيادة إلا في العلم، لقوله تعالى ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ وقد جاءت بصيغ مختلفة منها:

"أعلم" لقوله: ﴿والله أعلم بما يكتُمون﴾ وبصيغة "عَلَّمَ" لقوله: ﴿إنك أنت عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ وبصيغة "عليم" لقوله: ﴿والله عليم بالظالمين﴾ واختلاف هذه الصفات دليل على أن صفة العلم من أعظم الصفات الإلهية شأنها شأن القدرة والإرادة.

العلم هو صفة الشيء على ما هو عليه، فهو يمثل أعلى مستويات المعرفة بحيث يكون المرء على علم بالشيء الذي يريد معرفته، وبذلك يكون العلم "صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً" بحيث يحصل ذلك المطلوب "في النفس حصولاً لا يطرق إليه احتمال كذبه"<sup>3</sup>  
العلم هو نوع من المعارف تتسم بالوحدة والتكامل والنسقية، بتعبير آخر هو "المعرفة المصنفة التي تم الوصول إليها بإتباع قواعد المنهج العلمي الصحيح مصاغة في قوانين

<sup>1</sup> \_المعجم الوسيط: معجم اللغة العربية ، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، ص624، الجزء الأول، سنة 2004.

<sup>2</sup> \_وكيبيديا.

<sup>3</sup> الأمدي: المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين، نفي كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب، لعبد الأمير الأعصم ص

عامة للظواهر الفردية المتفرقة، فالعلم يقوم على دراسة وتحليل الظواهر وهو جزء من المعرفة، هذه الأخيرة أنواع: معارف حسية ، فلسفية وعلمية.

**ثالثا\_الإشارات العلمية:** من خلال المعاني اللغوية والاصطلاحية في كلمتي (الإشارات\_العلمية) يمكن القول بأن الإشارات العلمية إشارات تدل على وجود ظواهر في الطبيعة يمكن تفسيرها تفسيراً علمياً، ومنها ما يشير إلى سننه تعالى وطريقته في إيجاد المخلوقات، وفي تدبيره لأمرها، وهي دلالات فريدة من نوعها تكشف لنا بعض التلميحات الكامنة في الكون والقرآن، بحيث يستنبط منها الإنسان \_ كل حسب قدراته العقلية\_ توجيهات ربانية تهدف إلى إصلاح الحياة البشرية وإرشاد الإنسان إلى ما تستقيم به أمور دينه ودنياه. أما التفسير بالإشارات العلمية فالمقصود به استنباط العلوم بمختلف أنواعها سواء الكونية، النفسية، العقلية، كما أنه شرح آيات القرآن الكريم وبيان معناها بما تقتضيه إشارتها، كما أنه النظر في آيات القرآن الكريم ذات المضامين العلمية من زاوية علمية.

**المطلب الثاني: أهداف وأهمية الإشارات العلمية.**

**أولاً\_الأهداف العامة:**

**أ\_وسيلة للدعوة:** في ظل التقدم العلمي والتقني المذهل فقد الإنسان إنسانيته في غياب وسائل الدعوة الحديثة، لأن كل عصر يتطلب وسيلة دعوية تتواءم مع تطوره، فبداية الإصلاح هي أن نعود إلى فلسفة شمولية النظرة واحترام التخصص، ففي انبهارنا بالتقدم العلمي والتقني في الحضارة الغربية أخذنا بمنهج الفصل بين المعارف فلم نستطع أن نحقق نجاحاً إنسانياً ولا اللحاق بالحضارة الغربية" فبداية الإصلاح في واقعنا الراهن هي الربط بين العلم والإيمان، فالله سبحانه يستشهد على ألوهيته ووحدانيته وقدرته ببديع خلقه وكلها إشارات علمية تدعو إلى تعميق الإيمان في القلوب، لكل عصر من العصور وسائل للدعوة يتبعها الدعوة، وقد أيد الله سبحانه وتعالى رسله بالأدلة والبيانات التي تتناسب مع المستوى العقلي والعلمي للبيئة التي وجدوا فيها، والقرن العشرين وما بعده هو عصر الماديات والعلوم المتطورة الذي يفرض على العلماء والدعاة امتلاك الدليل العلمي والمادي الذي يدافع به عن العقيدة، هذا الدليل يحتوي على إشارات علمية وحقائق في الطبيعة تؤكد العلوم المختلفة، والتي أصبحت تنسب إلى مكتشفي قوانين الطبيعة في العصر الحديث متجاهلين ورودها في القرآن الكريم

قبل آلاف القرون، وهناك أهداف عامة للإشارات العلمية وأخرى خاصة يمكن تلخيصها فيما يلي:

**ب- تعميق الإيمان:** حين تستخدم الإشارات العلمية في ميدان العلوم الطبيعية، تساعد كثيرا في تعميق الإيمان في القلب، لذلك يقول أحد العلماء البيولوجيين "كلما ضعف إيماني دخلت مخبري" وكثيرا ما يستعين مفسرو القرآن الكريم بعلوم الفلك والصيدلة والطب والبيولوجيا، فإثبات العقيدة والدفاع عنها ضد المشككين فيها في عصرنا يكون بالدلائل العلمية والمنطقية والفلسفية، فالإشارات العلمية في الكون تؤكد بأن للكون إله واحد لا شريك له لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ١٩٠﴾<sup>1</sup>.

**ج- تجديد الحوار العلمي:** أي الرد على حجج وأباطيل المنكرين والملحدين، باللغة التي يفهمونها وهي لغة العلم، فنحن نحيا في زمن فتن الناس فيه فتنة كبيرة بالعلم ومعطياته، ولم يصبح لديهم إيمان عميق بكل الحقائق خاصة الغيبية منها، لذلك أبقى الله سبحانه وتعالى إشارات خالدة تبين عجز الإنسان عجزا كاملا عن تفسير ما في الكون إلا بالعودة إلى كتاب الله ولغته وتوظيف الأبعاد العلمية فيه، فلا بد إذن من تجديد الخطاب وتنويعه من لغوي وعقلي وديني إلى علمي خاصة وأن الهجمة الشرسة ضد الإسلام تستهدف هذا الجانب بنشر الأمية والجهل وتجويع الشعوب تارة، وبالإساءة إلى الإسلام والمسلمين تارة أخرى، فهذا المنهج العلمي هو أعظم سلاح في أيدي المسلمين للدفاع عن عقيدتهم في زمننا هذا.

**د- توظيف النظرة الإسلامية للحياة:** التأمل في الإشارات الكونية يجعل من الإنسان كائنا كونيا يسعى لأداء وظيفته الوجودية وهي الاستخلاف في الأرض واستخلاص سنن الله في الكون، من أجل توظيف هذه السنن في عمارة الأرض حتى لا يحيد الإنسان عن هدفه الأسمى ووظيفته الحقيقية ولا يتيه في هذا الكون، فيفقد نفسه ومن حوله، فهي توضح معنى وجود الإنسان في الكون، ومهمته الحقيقية، فهذه الإشارات العلمية تحمل حوارا وجدلا عميقا يعطي لعقل المخاطب الدليل الإيماني الذي ينفذ لاحقا إلى وجدانه فتلتزم به الجوارح.

**ثانيا- الأهداف الخاصة:** معرفة الإشارات العلمية في الطبيعة تعمق فهمنا لظواهر الكون وتتجاوز ذلك إلى إثبات الحقائق الإيمانية بالدليل القاطع وبلغة العلم في زمن طغيان المادة

<sup>1</sup> سورة آل عمران الآية 190.

والثروة، ففي فهم الإشارات العلمية دعوة لفئة من المتخصصين في العلوم الكونية والتعمق في الدراسات العلمية في كافة المجالات وهذه الفئة هي التي ستواجه المد التكفيري الإلحادي بلغتهم ومستواهم العلمي لامتلأها نفس المستوى، ومنه إظهار الإعجاز العلمي في القرآن في عصر العلم والتكنولوجيا .

إن تبيان الإشارات العلمية فتح جديد لإقناع غير العرب وكافة الإنسانية بالقرآن الكريم وإثبات أنه من عند الله، وهو خطوة لتجديد الإيمان في قلوب المسلمين وحمايتهم من خطر الغزو الفكري، وفي استنباط الإشارات العلمية من الطبيعة نقلة نوعية ننقل بها من الإيمان الفطري إلى الإيمان اليقيني البرهاني، بل هو السبيل إلى دخول أكثر الغربيين للإسلام، فحن الآن في أمس الحاجة إلى التفقه في آيات الله وإشاراته العلمية حتى نفحم أعداء الإسلام ونرد موجات التشكيك ونتسلح بأعظم سلاح تواجه به المتطاولين الذين أفسدوا عقول شباب الأمة الإسلامية.

فهم الإشارات العلمية في الطبيعة وتفسيرها يجعل من الإنسان كائنا قادرا على فهم الكون وألغازه، فيفهم وضعيته داخل الكون ومكانته السامية التي بينها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۥ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُونَ﴾<sup>1</sup> ويفهم وظيفته الحقيقية وهي الخلافة في الأرض، فيقوم بواجبه على أتم وجه.

### ثالثا\_ تعريف القرآن الكريم.

لم يختلف العلماء في تعريف القرآن الكريم حيث قال البخاري أنه: "إنه الكلام المعجز، المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته"<sup>2</sup>، ومنهم من توسط فقال: " هو اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسل، للإعجاز بصورة منه المتعبد بتلاوته"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة الجاثية، الآية 12.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، ص 203/6

<sup>3</sup> تفسير القرآن العظيم 450/4

وقد عرّف القرآن الكريم نفسه بنفسه في العديد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَيَّ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>1</sup>.

### تعريف النورسي للقرآن الكريم:

أما بديع الزمان سعيد النورسي فقد عرّف القرآن الكريم بقوله: "هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم.. وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السماوات والأرض.. وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المضمرة في سطور الحادثات.. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة.. وكذا هو خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية والإلتفاتات الأبدية الرحمانية.. وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي.. وكذا هو خريطة العالم الأخروي.. وكذا هو القول الشارح والتفسير الواضح والبرهان القاطع والترجمان الساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه.. وكذا هو مربّي للعالم النساني.. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية.. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر.. وهو المرشد المهدي إلى ما خلق البشر له.. وكذا هو للإنسان: كما أنه كتاب شريعة كذلك هو كتاب حكمة.. وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة.. وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر.. وكما أنه كتاب واحد لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة حاجات الإنسان المعنوية، كذلك كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل، حتى إنه قد أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصوره حتى كأنه مجموعة الرسائل"<sup>2</sup>.

لا يتعارض تعريف النورسي للقرآن الكريم مع التعاريف السابقة التي تجمع خصائصه الظاهرة وميزاته الواضحة، وتعريف النورسي جمع حقائقه وأسراره الباطنة وغاياته ومحتوياته وعلومه، فالقرآن الكريم ليس مجرد آيات تتلى في أوقات من الليل والنهار، بل يجب أن يقرأ

<sup>1</sup> سورة الشعراء الآية 192-196.

<sup>2</sup> النورسي: إشارات الإعجاز، ص 18

بوعي ويتدبر على أساس أنه توجيهات حية صالحة لكل زمان ومكان، ففيه دعوة للحياة المتجددة لا حياة تاريخية وقصص مضت، والقرآن الكريم كائن حي يعمل ويتحرك في المجتمعات المسلمة التي جعلته سلوكا وأخلاقا مثلما وصفت أمنا عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم قائلة: "كان قرآنا يمشي على الأرض".

ففي مجتمع درج أبنائه على تلقي القرآن على أنه أنغام يطرب لها وأصوات شذية ينفعل معها لدرجة البكاء دون وعي لكلماته، نام القرآن في حسهم، قام النورسي بإعادة بناء البنى التحتية لهذا المجتمع، وارتأى تغيير النظرة السطحية للقرآن وذلك باستخراج كنوزه الباطنة من إشارات دقيقة أوحى إليها بالرمز تارة وبالظواهر الطبيعية تارة أخرى وهي مستترة عن الأنظار ليمتحن الله قدرة العقل الإنساني على الوصول إليها لإنقاذ الإيمان في قلوبهم، ففي القرآن الكريم ارتباط وثيق بين عالم الواقع وعالم الغيب وعالم الشهادة وعلى الإنسان إدراك ذلك والبرهنة عليه، وارتباط وثيق كذلك بين الكون والإنسان والحياة ككل، إشارة إلى القدرة الإلهية في الخلق وفي النظام وفي إحداث التناسق العجيب بينهم، وفي هذا إثبات للألوهية بطريقة عقلانية وعلمية تفيد في إقناع غير المسلمين الحاملين لكتاب الله.

### المطلب الثالث: أنواع الإشارات في القرآن الكريم:

تحدث النورسي عن أنواع عديدة للإشارات في القرآن الكريم نذكر منها:

#### أولاً- الإشارات اللغوية-الإعجاز في البلاغة:-

نزل القرآن في زمن بلغت البلاغة فيه قمة مجدها وتربعت على عرش مفاخر العرب، وكانت البلاغة أرغب متاع في أسواقهم، وجاء القرآن مماثلاً لما كانت عليه معجزات الأنبياء، من جنس ما كان رائجا في أزمانهم، فنزل متحدياً ببلاغته بلاغة عصره وكل العصور التالية، فتحداهم وكسر غرورهم، ويعتبر النورسي الإشارات البلاغية أهم الإشارات في قوله: "إن إثبات النبوة بالمعجزات، وأعظم المعجزات هو القرآن، وأدق وجوه القرآن ما في بلاغة نظمه"<sup>1</sup>.

وقد اهتم النورسي رحمه الله بنظرية النظم متأثراً بوضعها "الجرجاني" رحمه الله فطبقها معنى ومبنى مفصلاً في معارفها لغوية وعقلية وذوقية "فمضى يستنبط دقائق لغوية ولمعات

<sup>1</sup> - إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي، ص175

بيانية، وإشراقات معنوية، برهن بها تفوق على الفنون اللغوية والأدبية جميعها، ويعود سر النورسي بإعجاز نظم القرآن إلى إدراكه أن البلاغة والأدب من الفنون المؤثرة في البشرية فكريا وعاطفيا ووجدانيا<sup>1</sup>.

تتجسد الإشارات البلاغية في القرآن عند النورسي في أربع صور حيث يقول: "هذه البلاغة المعجزة نبعث من جزالة نظم القرآن وحسن متانته، ومن بداعة أساليبه وغرابتها وجودتها، ومن براعة بيانه وتفوقه وصفوته، ومن قوة معانيه وصدقها ومن فصاحة ألفاظه وسلاستها"<sup>2</sup>. كان النورسي يمعن النظر والفكر في تناسب الكلم، وتعلق بعضه ببعض، ويدقق في العلاقة بين الألفاظ، ويركز على دلالة اللفظة في سياقها، وهو ما يعرف عند البلاغيين "بالمعنى ومعنى المعنى" وعند النورسي "بالنقش الأعظم" ويشير إلى ذلك في كل السور التي فسرها والتي يبين فيها الجزالة والمتانة في النظم، فكان منهجه فيه: البدء بمقدمة يجعلها مدخلا لتفسير الآية أو الآيات ثم يبين بعد المقدمة نظم الآية مع ما قبلها وما بعدها، ثم نظم الجمل في الآية، ثم نظم الكلمات داخل الجملة الواحدة، وأحيانا يأتي بنظم الحروف داخل الكلمات، وليزيدنا النورسي توضيحا لفهم النظم يشبهه بعقارب الساعة فيقول: "كما أن عقارب الساعة العادة للثواني والدقائق والساعات، يكمل كل منها نظام الآخر، كذلك النظم في هيئات كل جملة من جمل القرآن، والنظام الذي في كلماته، والانتظام الذي في مناسبة الجمل كل في اتجاه الآخر"<sup>3</sup>.

\_ الصورة الثانية هي البلاغة الخارقة في معناه، فإذا تدوقنا بلاغة المعنى في القرآن فإن الأسماع و القلوب تفرع وتعود للفكر روحه، وللقلب حياته، وللروح قيمتها، ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>4</sup>. نجد البلاغة الخارقة في المعنى فلك أن تتخيل كل المخلوقات وهي تسبح الخالق سبحانه عز وجل ، تدب فيها الروح والسماء والأرض تنبضان بالحياة.

<sup>1</sup> \_ أ.د. زياد خليل الدغامين: من قضايا القرآن والإنسان في فكر النورسي، القاهرة، شركة سوزلر للنشر ص37

<sup>2</sup> \_ الكلمات: النورسي، تر إحسان قاسم الصالحي ص 423

<sup>3</sup> \_ إشارات الإعجاز: النورسي ص 22

<sup>4</sup> \_ سورة الصف، الآية:1.

\_ الصورة الثالثة هي البلاغة الخارقة في أسلوبه، ففي القرآن الكريم أكثر من شكل تعبيرى من خطاب وحوار وقصة، فيأتي الأسلوب على أنماط مختلفة، وأشكال متباينة، من الأمر والنهي، الزجر والوعظ، الترغيب والترهيب، وكلها تلتقي في أهدافها من التأثير على عقل السامع وقلبه ووجدانه، لذا جاءت أساليبه مباينة لأساليب البلغاء، ففي القصص القرآني عبر كثيرة وإشارات عديدة نلمسها في القرآن الكريم، فقد تتجسد سورة طويلة في قصة وقد تتدرج قصة في آية رمزا .

\_ الصورة الرابعة هي البلاغة الخارقة في لفظه، إذ يقول النورسي: " إن القرآن الكريم معجز، وإعجازه في فصاحته"<sup>1</sup>.

فكما أنه بليغ خارق في أسلوبه ومعناه، فهو فصيح في غاية السلاسة في لفظه، والدليل على ذلك أنه لا يتقل على ذهن صبي ولا تسأم منه أذن كونه غذاء القلوب وقوة العقل ضياء الروح، ويورد النورسي مثالا للفصاحة في آية كريمة تظهر فيها جميع الحروف الهجائية، وأجناس الحروف الثقيلة وهي في غاية السلاسة على اللسان، تتجلى في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَيْ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٥٤ ﴾<sup>2</sup> إذ يقول النورسي: " لقد جمعت هذه الآية جميع حروف الهجاء وأجناس الحروف الهجائية، ومع ذلك لم يفقدها هذا الجمع سلاستها بل زادها بهاء إلى جمالها ومزج نغمة من الفصاحة نبعت من أوتار متناسبة متنوعة، حيث وضعت هذه الحروف بوضع منتظم خارق، مع مناسبات خفية، وانتظام جميل، ونظام دقيق، وانسجام لطيف تثبت بيقين جازم أنه ليس من صنع البشر ولا يمكنه أن يفعله"<sup>3</sup> فإذا قرأنا هذه الآية ألف مرة نجدها في غاية السلاسة كما أنها لا تولد السأم والملل بسبب التآلف الصوتي في نظم الحروف ورصفها، وترتيبها وصياغتها

<sup>1</sup> \_الكلمات: بديع الزمان النورسي، تر إحسان قاسم الصالحي، ص 435

<sup>2</sup> \_سورة آل عمران، الآية 154.

<sup>3</sup> \_الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي، تر إحسان قاسم الصالحي، ص 437

وإحياءاتها، التي تسترعي الأسماع وتستهوِي النفوس بطريقة لا يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور.

### شمولية القرآن وخطابه لجميع البشر.

تتمثل جامعية القرآن وشموليته في نظر النورسي في أن معاني القرآن شاملة، وعامة أفاض منها جميع الإنس والجن، ألفاظه وضعت وضعا بحيث تكون له وجوه كثيرة تمنح كل قارئ حظه ونصيبه من أبواب مختلفة، علمه يحوي جميع العلوم المتعددة، وما تلك العلوم إلا قطرة من بحر القرآن، مباحثه شاملة جامعة لكل ما في الكون من الأزل إلى الأبد، أسلوبه جامع شامل بدلالاته وإشاراته لأنواع الكلام، إيجازه يحوي إشارات وإيماءات يلمحها جميع طبقات البشر، كل على حسب فهمه وعلمه، مقاصده ومسائله ومعانيه وأساليبه ولطائفه ومحاسنه تجتمع في موضع واحد دون أن ينشأ منه اختلاط واختلال نظامه، " نعم إن القرآن قد جمع المباحث الكلية لما يخص الإنسان ووظيفته، والكون وخالقه والأرض والسموات والدنيا والآخرة والماضي والمستقبل والأزل والأبد فضلا عن ضمه مباحث مهمة أساسية ابتداء من خلق الإنسان من النطفة إلى دخوله القبر، ومن آداب الأكل والنوم إلى مباحث القضاء والقدر"<sup>1</sup>.

ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه يستفيد منها العامي والمتعلم، القارئ والمستمع، العربي والأعجمي، ينهل من فيضه جميع العلماء على اختلاف علومهم، ويذكر النورسي عدة أمثلة لبيان هذا الوجه، فمثلا قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠﴾<sup>2</sup> وقد استنبط النورسي وجها آخر من وجوه الإعجاز وهو مخاطبته لجميع الطبقات في جميع العصور، وقد نظر في الحرف الواقع في القرآن وأدرك أن له دلالات متعددة، ففي قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ٣٦﴾<sup>3</sup> يبين النورسي أن هذا الكلام يفهمه العوام (إلى) أي أن الشمس تجري إلى مستقر لها

<sup>1</sup> \_ د مأمون فريز جزار: الوَلُو والمرجان من حكم بديع الزمان سعيد النورسي، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2013 ص 140

<sup>2</sup> \_ سورة الأنبياء، الآية: 30.

<sup>3</sup> \_ سورة يس، الآية: 37.

وستبلغه يوماً، ويفهمه الفلكيون بمعنى (في) أي أن الشمس تنظم حركة مجموعتها بحركة محورية حول نفسها، وقد يفهمها العالم المدقق بمعنى العلة بمعنى الظرفية في آن واحد، أي أن الشمس تجري في مستقر لها لاستقرار منظومتها، لأن الحركة تولد الحرارة والحرارة تولد القوة والقوة تولد الجاذبية التي تجعل كلا في موضعه<sup>1</sup>، وقد ذكر الرازي المعنى الأول أي أن الشمس تجري إلى مستقر لها، وزاد عليه معنى آخر وهو أن اللام للوقت كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾<sup>2</sup> ثم ذكر الرازي رأي علماء الفلك والفلاسفة قائلًا: "إن أصحاب الهيئة قالوا الشمس في فلك والفلك يدور فيدير الشمس، فالشمس تجري مجرى مستقرها، وقال الفلاسفة تجري لمستقرها أي لأمر لو وجدها لاستقر"<sup>3</sup>.

هذا ما يفهمه جميع طبقات البشر من معنى الحرف فكيف باللفظة في جملتها؟ بل كيف بالجملة في آيتها؟ بل كيف بالآية في سورتها؟ بل كيف بالسورة في مجمل القرآن الكريم؟ فمن يتدبر القرآن ويتأمل سوره ويدقق في آياته ويمعن النظر في ألفاظه، يقف حائراً أمام عظمة القرآن قائلًا: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢﴾<sup>4</sup>

### ثانياً - الإشارات الميتافيزيقية: الإعجاز الغيبي.

يرى النورسي أن القرآن الكريم كما يفيدك بدلالاته ونصوصه، كذلك يعلمك بإشاراته ورموزه، ويرى بأن الإشارات الغيبية في القرآن الكريم لا تقتصر على آيات محددة، بل فيه آلاف الإشارات الغيبية لحوادث مستقبلية ذكرها القرآن الكريم بطريق الرمز أو الإشارة أو بطرق أخرى، مما يثبت إعجازه على مر العصور، يقول النورسي: "قال إخبار الغيبي الذي هو أحد أنواع إعجاز القرآن له لمعات إعجازية كثيرة لا تعد ولا تحصى، لذا فإن حصر أهل الظاهر تلك الإخبارات الغيبية في أربعين أو خمسين آية فقط إنما هو ناشئ من نظر ظاهري سطحي، بينما في الحقيقة هناك ما يربوا عن الألف منها، بل قد تكون في آية واحدة فقط أربعة أو خمسة أخبار غيبية"<sup>5</sup>

<sup>1</sup> \_المكتوبات: بديع الزمان النورسي، تر إحسان قاسم الصالحي ص435

<sup>2</sup> \_سورة الإسراء الآية 78

<sup>3</sup> \_تفسير الرازي: ص26\_277

<sup>4</sup> \_سورة الشعراء: الآية 192.

<sup>5</sup> \_اللمعات: اللمعة السابعة، النورسي، تر إحسان قاسم الصالحي، ص 46

الوجوه الأربعة لهذه الإشارات هي:

### 1\_ إعلامه عن غيبات الماضي:

يخبرنا القرآن عن الأمم السابقة منذ آدم عليه السلام إلى نزول القرآن من أمي لا يعرف القراءة والكتابة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ ٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ٤٩﴾<sup>1</sup> وإخبار القرآن الكريم عن وقائع الماضي ليس أمراً عقلياً، حتى يخبر عنه العقل بل هو أمر نقلي متوقف على السماع، ويخبرنا النورسي معنى الإخبار عن الماضي عن طريق بعض الأمثلة التي ساقها لبيان هذا الوجه، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾<sup>2</sup>.

يقول النورسي تحت تفسير هذه الآية: "يخبرنا القرآن عن أعجب حادثة ماضية وغيبية، مثبتا تلك الحادثة وكأنها تحدث أمامنا، بما يخلق من مثيلاتها ونظائرها على وجه الأرض، وبخاصة عند حلول فصل الربيع الذي نجد فيه عياناً أكثر من مائة ألف كمثال على الحشر لأكثر من مائتي ألف نوع من النباتات، وأمم الحيوانات التي تخلق وتنشأ في بضعة أسابيع فقط"<sup>3</sup> وقد أثبت النورسي بالأمثلة كثرة الإخبارات الغيبية في القرآن والتي لا يمكن حصرها، بل هناك إيماءات وإشارات خفية من باب الإخبار الغيبي، مثل قصة أهل الكهف التي وردت في القرآن الكريم وقد أشار إليها علم الآثار سنة 1963 حيث اكتشف عالم الآثار الدكتور "رفيق وفا الدجاني" في منطقة الرحيب بالأردن مغارة الكهف أين وجد فيها ثمانية قبور ووجد الفك العلوي لجمجمة الكلب عند باب الكهف حيث كان يحرسهم وقام بأبحاث حول الكهف من حيث موضع دخول الشمس"<sup>4</sup> فوجد الوصف الدقيق للقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ

<sup>1</sup> سورة العنكبوت، الآية 49

<sup>2</sup> سورة هود، الآية: 7.

<sup>3</sup> الشعاعات: النورسي، ص 185

<sup>4</sup> -الد يوسف الحاج أحمد: موسوعة الإعجاز العلمي: في القرآن الكريم والسنة المطهرة، مكتبة ابن حجر للطباعة والنشر

والتوزيع، الطبعة الثانية 2003 ص 40

فَفَجَوَّةٌ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَمْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَمْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَمْ يَهْدِ اللَّهُ وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا<sup>1</sup>.

## 2\_ إعلامه عن غيبات المستقبل:

أخبرنا القرآن عن حقائق مستقبلية على لسان الحبيب المصطفى كهزيمة أعدائه، وغلبة الروم ودخول بيت الله الحرام، كما أجبر عن هلاك فرعون وبقاء جسمه إشارة على أن يبقى عبرة لكل طغاة العالم أن الله قادر على كل شيء في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَفُلُونَ<sup>2</sup>﴾ يقول النورسي: "تفيد الآية الكريمة بأسلوب معجز إشارة غيبية إلى أن الجسد الذي اكتشف في العصر الأخير، هو نفسه جسد فرعون الذي غرق، فكما ألقى به الساحل في الموضع الذي غرق فيه فسيلقى به كذلك"<sup>3</sup> وقد أشار النورسي إلى أن هذه الإشارة هي إخبار عن المستقبل في حين فسرها الآخرون أنها إخبار عن الماضي، "ففي الوقت المعاصر اكتشف العلماء مومياء رمسيس الثاني في مدينة "طيبة" بوادي الملوك وقد أكدت لجان عالمية مصرية وأوروبية وأمريكية أن جميع المومياء بدأت بالتحلل نتيجة تأثير البكتيريا ما عدا مومياء رمسيس الثاني \_فرعون موسى\_ "<sup>4</sup> مثلاً إخبار القرآن عن نصر المسلمين في غزوة بدر، وكذلك موت أبي لهب على الكفر لقوله تعالى: ﴿سَيَصْلِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ ۳﴾ وكذا فتح مكة لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا<sup>5</sup>﴾<sup>6</sup>.

## 3\_ إعلامه عن غيبات الكون وأسراره:

يخبرنا المولى عز وجل عن الحقائق الإلهية والأمور الكونية، وهي أمور غيبية فتحت طلسم الكون التي لا يمكن لأحد مهما وصل إلى درجة من العلم أن يصل إلى هذه الحقائق بعقله،

<sup>1</sup> \_سورة الكهف الآية 17

<sup>2</sup> \_سورة يونس: الآية 92

<sup>3</sup> \_الكلمات : النورسي، ص 461

<sup>4</sup> \_الد يوسف الحاج أحمد: موسوعة الإعجاز العلمي، المرجع نفسه ص 44

<sup>5</sup> \_سورة المسد الآية 3

<sup>6</sup> \_سورة الفتح الآية 27

ويبدوها النورسي بفاتحة الكتاب " بسم الله الرحمن الرحيم" هذه الآية التي كلها توحيد، فصفتي الرحمة تدل على الصفات العينية التنزيهية، والصفات الغيرية الفعلية وهي: العلم والقدرة والإرادة والبقاء والبصر والسمع والكلام.

تعمد الأستاذ النورسي إيراد الإشارات الطبيعية من الآيات التي أثرت فيها الشبهات ليرد على المشككين خاصة الغرب بلغتهم وبلسانهم العلمي، يقول: "إن كل آية من الآيات الواردة في هذه الرسالة إما أنها أصبحت موضع انتقاد الملحدين، أو أصابها أهل العلوم الحديثة أو مستها شياطين الجن والإنس وأوهامهم"<sup>1</sup>.

يوظف الأستاذ النورسي خياله لتدعيم حججه من خلال "رسالة الطبيعة" فيتخيل سائحا يسأل الموجودات في الكون عن خالقها إنطلاقاً من قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ- وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا<sup>2</sup>﴾ فيسأل السماوات والأرض والبحار وغيرها من مخلوقات الكون، ويعرض دلالتها على الخالق سبحانه ، وبعدها إلى عالم الإنسان ثم عالم الملائكة فعالم الغيب والشهادة فالبرزخ فالقبر فالنبي صلى الله عليه وسلم بأوصافه وأقواله وأفعاله، وحين يصل إلى القرآن الكريم يجد هذه الشهادات كلها مدونة فيه وبالتفصيل والتنظيم والتدقيق.

لقد تناول الأستاذ النورسي الإشارات العلمية في الطبيعة والكون والعالم وعلاقتها بالإنسان والغاية من وجودها بطريقة جديدة، نلمسها من خلال العلاقة الحميمة والألفة الميتافيزيقية بداية بالذرات إلى المجرات، يجتاز المنظور المحسوس إلى ساحة الغيب والميتافيزيقا، يتحدث مع البصر ويحاور البصيرة القادرة على تجاوز المحسوس إلى المعقول، يمر بعالم الملائكة، الموت البعث النشور، والأجمل أنه يدخل الجنة ليذيق النفس البشرية طعم السعادة الأبدية بلغة القرآن والبرهان.

#### 4\_ إعلامه عن غيبات الآخرة والبرزخ:

<sup>1</sup> الكلمات ص 420

<sup>2</sup> سورة الإسراء الآية 44

إن عقل الإنسان لم يدرك أحوال الآخرة والبرزخ بمفرده ولا يراها، إلا أن القرآن الكريم بيّنها وفصلها وأثبتها إثباتاً يصل لدرجة المشاهدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾<sup>1</sup>.

يقول النورسي: " هذه الآية مع ما قبلها إشارة إلى القيامة والحشر"<sup>2</sup> وبهذا يظهر النورسي مفهوم الإشارات الغيبية وقد كان مولعاً بالكشف عن الجديد من أسرار القرآن الكريم، وقد حاول البحث عن كل سلاح يقوي به أبناء عقيدته في مواجهة التيار الجارف للإلحاد، المشكك في القرآن وقدسيته، وهذا ما جعل باب الإعجاز مفتوحاً إلى يوم القيامة، وأنه يمكن للخلف أن يضيف لما قدمه السلف حسب التطور العلمي.

### ثالثاً- الإشارات القانونية: الإعجاز التشريعي.

المقصود بالتشريع سن القوانين والأحكام التي تنظم حياة الناس، فتبين لهم حقوقهم وواجباتهم، والمقصود بالإشارات التشريعية: إظهار جوانب تفوق مجموعة التشريعات التي سنّها الله عز وجل في القرآن، وهي خارقة للعادة مقرونة بالتحدي أظهرها الله تأييداً لدعوى الإسلام والنبوة، مع عجز الفكر البشري عن التبصر مسبقاً بمقاصد أو الإتيان بمثلها<sup>3</sup>، وقد تضمن القرآن الكريم تشريعات ومناهج ومبادئ ونظم، شملت كافة مجالات الحياة، سواء فرد أو جماعة، أو الجانب العقدي، أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، فجاء من الأزل إلى الأبد.

في التشريع القرآني إشارات علمية فيها حكمة عظيمة أثبتتها الأبحاث العلمية، ففي تحريم لحم الخنزير مثلاً حفاظ على صحة الإنسان إذ اكتشفت الأبحاث العلمية ما في دم الخنزير من بكتيريا وديدان ورجس لا تموت بموت الخنزير وذبحه.

وفي تحريم الربا حكمة اقتصادية لأن الدراسات أثبتت أن الربا يؤدي إلى هلاك الشعوب بالفقر المتنع، لأن النظام الربوي يقصر الثروة على يد فئة قليلة من الناس، يقول النورسي

<sup>1</sup> -سورة البقرة، الآية 24

<sup>2</sup> - إشارات الإعجاز : النورسي، 184

<sup>3</sup> -التشريع وسن القوانين في الدولة الإسلامية: أحمد محمد مفتي سالم صالح الوكيل، جامعة الملك سعود، كلية العلوم

الإدارية، مركز البحوث، ص5

في هذا الصدد: "في وجوب الزكاة وحرمة الربا حكمة عظيمة ومصلحة عالية، إذ لو أمعنت النظر في صحيفة العالم نظرا تاريخيا وتأملت في مساوي جمعية البشر لرأيت أس أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية كلمتين فقط هما:

إحدهما: "إن شبت فلا علي أن يموت غيري من الجوع".

والثانية: "اكتسب أنت لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا"<sup>1</sup>.

### رابعا-الإشارات بالفظلكة والظلاصة.

المقصود بالفظلكة مجمل ما فصل وخلصته<sup>2</sup>، وخلصه الآية أي إجمال القصة بعد التفصيل، ويبدو أن النورسي يقصد بالفظلكات الفواصل القرآنية<sup>3</sup> التي أشار إليها سابقه، لكنه قدّم مفهوما عاما وشاملا، ويقول: "إن في الخلاصات والفظلكات التي في ختام الآيات لمعات إعجازية كثيرة فضلا عما تترشح منها من رشحات الهداية حتى بلغ بدهاة البلاغة أنهم لم يتمالكو أنفسهم من الحيرة والإعجاب أمام هذه الفظلكات"<sup>4</sup>.

ويضرب النورسي أمثلة متعددة لهذا النوع من الإشارات نذكر منها:

#### 1\_ فظلكة الأسماء الحسنى:

يبين النورسي أفعال الصانع الجليل ويبسط أعماله أمام النظر، ثم يستخرج منها الأسماء الحسنى ليتبنت مقصدا من مقاصد القرآن الكريم، فمثلا قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى إلى السماء سواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم﴾.

ويبين لنا النورسي أن كل ما في الكون هو انعكاس لأسماء الله الحسنى، فما من شيء إلا وهو مرتبط باسم من أسمائه الحسنى، ذلك لأن المولى عز وجل متصرف في الكون خلقا

<sup>1</sup> \_ بديع الزمان سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، المرجع نفسه، ص 51

<sup>2</sup> \_ معجم المعاني الجامع: معجم اللغة العربية المعاصر، مادة فظلكة، شبكة المعلومات الدولية.

<sup>3</sup> \_ الفواصل عند الرماني هي حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني، وفيها بلاغة... والفواصل تابعة

للمعاني، في كتابه النكت في اعجاز القرآن ص 97

<sup>4</sup> \_ الكلمات: النورسي ص 493

وإيجادا، من حيث هو خالق، مصور، بديع، محي، مميت، رازق، مهيمن، رحمن، رحيم... وكل اسم من أسمائه عزوجل هو تجلي من تجلياته في الكون.

### 2\_ فذلكة التدبر والتفكر:

يمثل النورسي لهذا الشكل بقوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ وتبين هذه الآية أن القرآن الكريم قد ذكر في هذه الآية أشياء قد تتعرض للتغيير، يقيدها ويجملها بالأسماء الإلهية التي هي نورانية، أو يأتي بخلاصة تسوق العقل إلى التفكير والتدبر.

### 3\_ فذلكة الدستور والقواعد العامة:

ويمثل النورسي لهذا الشكل بقوله تعالى: ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ فالذلكة أنت هنا لغرض التهيب وكثيرا ما تأتي الفذلكات في أواخر الآيات وهو ما يسميه البلاغيون بفواصل الآيات، فهي إشارات من حكمة الله سبحانه وتعالى.

### خامسا-الإشارات الكونية.

لقد وقف العلماء والمفسرون من الإشارات الكونية مواقف متباينة، ولم يكشف عنه الستار إلا في العصر الحديث، وقد شملت الدراسات التي تمت في علوم التشريح والنبات والطبيعة والكون، وقد أدلى كلّ بدلوه في مجال تخصصه، فكيف لرجل أمي قبل ألف وأربع مئة سنة أن يتحدث عن أمور علمية دقيقة لم يكشفها العلم الحديث سوى في السنوات الأخيرة، وقد هدى الله عز وجل بهذا البيان علماء متخصصين في علوم شتى للإسلام بعدما تبين لهم الحق من خلال هذا الإعجاز، وقد اتسعت دائرة هذا الطابع من التفسير في العصر الحديث، واعتبروه وجها من وجوه الإعجاز العلمي، ومن رواده النورسي والطاهر بن عاشور<sup>1</sup>.

تتعدد الإشارات الكونية في القرآن الكريم عند النورسي، وتحتوي الطبيعة على إشارات مجملة تتعلق بحقائق علمية مازالت تتكشف وتظهر من خلال التقدم البشري، ويلفت النورسي الأنظار إلى أن معجزات الأنبياء السابقين يمكن أن يأخذ منها إشارات تشوق البشر وتشجعهم على العمل للوصول إلى أشباهها، يقول النورسي: "كأن القرآن يمسح ظهر

<sup>1</sup> \_ الإعجاز العلمي للقرآن وآراء بن عاشور وسعيد النورسي: أد سعاد يلدرم رئيس قسم التفسير، جامعة أتااتورك تركيا

الإنسان بيد التشويق والتشجيع قائلاً: "اسع واجتهد في الوسائل التي توصلك إلى بعض الخوارق"<sup>1</sup> ويذكر العديد من الأمثلة كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَّرَعْدٌ وَّبَرْقٌ﴾<sup>2</sup>، حيث يقول: "إن الرعد والبرق آيتان ظاهرتان من جهة العالم الغيبي في أيدي الملائكة الموكّلين على عالم السحاب لتنظيم قوانينه، ثم إن الحكمة الإلهية ربطت الأسباب بالمسببات، فإذا تشكل السحاب من بخار الماء المنتشر في الهواء، صار قسم حامل لللاكتريك<sup>3</sup> المنفي، وقسم حامل لللاكتريك المثبت، فحين يتقاربان يتصادمان دفعة فيتولد البرق، ثم بالهجوم والانفلاق دفعة، وامتلاء موضع بآخر لعدم الخلو يهتز وتتموج الطبقات فيتولد صدى الرعد، ولا تجري هذه الحالات إلا تحت نظام وقانون يمثلها ملك الرعد والبرق"<sup>4</sup>.

وفي تفسير الآية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾<sup>5</sup> يقول النورسي: "ثم إنني نظرا إلى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾<sup>6</sup> ومستندا إلى التنزيل كما يفيدك بدلالاته ونصوصه، كذلك يعلمك بإشارات ورموزه، لأفهم من أستاذية إعجاز القرآن، في قصص الأنبياء ومعزاتهم: التشويق والتشجيع للبشر على التوسّل، للوصول إلى أشباهها، كأن القرآن بتلك القصص يضع أصبعه على الخطوط الأساسية، ونظائر نتائج نهايات مساعي البشر، للترقي في الاستقبال، الذي يبني على مؤسسات الماضي، الذي هو مرآة المستقبل"<sup>7</sup>.

يبين النورسي أن القرآن الكريم أشار إشارة خفية إلى طلب العلم، تشجيعا منه إلى البحث عن أشباه الخوارق من الصناعات التي لم تكن موجودة من قبل وأوجدها العلم، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَسَلِيمُنَ الرِّيحِ غُدُوها شَهْرٌ وَّرَوَاحِها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ﴾<sup>8</sup> إشارة إلى

<sup>1</sup> إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز: النورسي ص 237

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 18

<sup>3</sup> المقصود باللاكتريك المنفي والمثبت: الكهرباء السالبة والموجبة، ينظر إشارات الإعجاز ص 23

<sup>4</sup> إشارات الإعجاز: النورسي ص 135\_137

<sup>5</sup> سورة البقرة الآية 30

<sup>6</sup> سورة الأنعام الآية 60

<sup>7</sup> إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز: النورسي ص 135

<sup>8</sup> سورة سبأ الآية 12

علم الطيران وبعدها اكتشف الإنسان الطائرة، وفي قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتِي بِإِذْنِ اِلَلّهِ﴾<sup>1</sup> إشارة إلى التقدم في علم الطب والوراثة والجينات واكتشافات الطب الحديثة.

#### سادسا - الإشارات النفسية.

لقد ذكر النورسي أن وقع القرآن على النفوس حتى الذين لا يعرفون العربية وقع خاص، ذو أبعاد نفسية متميزة، وأشار للإشارات النفسية بعض العلماء مثل الخطابي الذي أشار إليه إشارة صريحة قائلا: "في القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا، إذا قرع السمع خلص إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن المهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر لها النفوس، وتشرح له الصدور"<sup>2</sup> كما أشار إليه ابن القيم الجوزية في قوله: "إعجازه بما يقع في النفوس منه عند تلاوته من الروعة، وما يملأ القلوب عند تلاوته من الهيبة، وما يلحقها من الخشية، سواء كانت فاهمة أو عالمة بما يحتويه أو كافرة بما جاء به أو مؤمنة لذلك قال صلى الله عليه وسلم: "القرآن صعب مستصعب"<sup>3</sup>.

وقد عنون السيوطي الإشارات النفسية بعنوان: "الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه"<sup>4</sup> بدليل قوله تعالى: ﴿تَفْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾<sup>5</sup> وقد ذهب الكثير الكثير من العلماء في العصر الحديث إلى تسميته بأسماء أخرى مثل سحر القرآن أو التصوير الفني عند السيد قطب، أما عند الشعراوي فيرى أن الإشارات النفسية يتمثل في تمزيق القرآن حواجب غيب النفس<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة آل عمران الآية 48

<sup>2</sup> بيان إعجاز القرآن : الخطابي ص 92

<sup>3</sup> الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة مصر مصر ط1 ص 250

<sup>4</sup> معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي ص 182

<sup>5</sup> سورة الزمر الآية 22

<sup>6</sup> المعجزة القرآنية: متولي الشعراوي، دار الكتب والمكتبات، ص 35

أما الأستاذ النورسي فقد لمّح إليها وأدخلها في لون آخر من ألوان الإعجاز وهو التكرار، يقول النورسي: "إعلم أنه كلما كان القرآن بمجموعة قوت وقوة للقلوب لا يمل على التكرار بل يستحلى منه، كذلك في القرآن ما هو روح لذلك القوت كلما تكرر تلاً، وفارت أشعة الحق والحقيقة من أطرافه"<sup>1</sup> كما يتحدث في موضع آخر عن القرآن بأن سماعه "لا يورث سأمًا ولا مللاً بل يزيد لذة وحلاوة، ثم إنه لا يتقل على ذهن صبي بسيط فيستطيع حفظه، ولا تسأم منه أذن المصاب بداء عضال الذي يتأذى من أدنى كلام، بل يتلذذ به، وكأنه الشراب العذب في فم المحتضر الذي يتقلب في السكرات، وهو لذيق في أذنه ودماعه لذة ماء زمزم فمه"<sup>2</sup>.

### سابعاً-الإشارات التكرارية.

التكرار هو "الإتيان بالشيء مرة بعد أخرى"<sup>3</sup>، وقد ذكره السيوطي ضمن أنواع الإطناب وأنه أبلغ من التوكيد وهو من محاسن الفصاحة وله فوائد منها: التقرير والتأكيد وتطرية الكلام وتجديد لعهد<sup>4</sup>، وقد تناول العلماء التكرار في القرآن الكريم واعتبروه أسلوباً من أساليب التحدي وأقوى الأدلة على سمو نظم القرآن الكريم وإعجاز أسلوبه<sup>5</sup>.

وقد تناول النورسي التكرار من زاوية نفسية وروحية، وجعله ردًا على المستشرقين الذين يرون في التكرار خلا بلاغياً، ونقصاً جمالياً، بل جعله إشارة من إشارات القرآن الكريم، فبين أنواعه والحكمة منه، لقد فسّر النورسي ورود التكرار في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بفلسفة تجدد اللذة الروحية إذ يقول: "إن قلت: إن في القرآن الموجز المعجز أشياء مكررة تكرر كثيراً في الظاهر كالبسمة وفي" بأي آلاء... فكما أن في غذاء الإنسان ما هو قوت كلما تكرر حلاً وكان أنس، كذلك في الكلام ما هو حقيقة وقوت وقوة للأفكار وغذاء للأرواح كلما استعيد استحسن واستأنس بمألوفه كضياء الشمس، وفيه ما هو من قبيل الزينة والتفكه،

<sup>1</sup> إشارات الإعجاز: النورسي ص 37

<sup>2</sup> الكلمات: النورسي، تر إحسان قاسم الصالحي، ص 435

<sup>3</sup> التعريفات للجرجاني: ص 52

<sup>4</sup> لسان العرب: مادة (ك ر ر) ص 12\_64

<sup>5</sup> الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية، د ط د ت، ص 530

لذته في تجدد صورته وتلون لباسه<sup>1</sup> ويشترط النورسي لحصول اللذة المتجددة في التكرار رهافة الحس، ورقة الذوق.

يبين النورسي الحكمة من التكرار فيقول: "إن القرآن الكريم يظهر نوعاً من إعجازه البديع أيضاً في تكراره البديع البليغ لجملة واحدة، أو لقصة واحدة، وذلك عند إرشاده طبقات متباينة من المخاطبين إلى معاني عدة وعبر كثيرة في تلك الآية أو القصة، فاقترض التكرار، حيث إنه كتاب دعاء ودعوة، وكتاب ذكر وتوحيد، وكل من هذا يقتضي التكرار، فكل ما كرر في القرآن الكريم إذا من آية أو قصة إنما تشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة"<sup>2</sup>

ويمثل النورسي ببعض الآيات والجملة المكررة في القرآن الكريم يبين من خلالها أن التكرار وجه من وجوه الإعجاز، على سبيل المثال "بسم الله الرحمن الرحيم" تكررت مئة وأربع عشرة مرة لأنها حقيقة كبرى، وما من أحد إلا وهو بحاجة إلى هذه الحقيقة كل حين فهي كالهواء الذي نتنفسه كل ثانية<sup>3</sup>.

فهو يرى البسمة جملة عظيمة المحتوى غزيرة المعنى، يمكن للمتأمل فيها أن يستتبط مقامات وأحكام ومقاصد كثيرة، فالحاجة إليها ماسة وقائمة مهما تكررت، وفي قوله عز وجل: "بأي آلاء" و "يومئذ" ، يقول النورسي: "تصرخ كل منهما في وجه العصور وتعلن إعلانه صريحا في أقطار السماوات والأرض أن كفر الجن والإنس وجحودهم النعم الإلهية يثير غضب الكائنات، ويجعل الأرض والسماوات في غيظ عليهم، ويخل بحكمة خلق العام والقصد منه، ويستخف بعظمة الألوهية وينكرها ولذا فهاتان الآيتان ترتبطان بألوف المسائل وقوتها ولو تكررتا ألوف المرات في خطاب عام موجه إلى الإنس والجن لكانت الضرورة قائمة والحاجة إليها مازالت موجودة، فالتكرار هنا بلاغة موجزة جليلة ومعجزة جميلة"<sup>4</sup>.

تتميز سورة الرحمن بتكرار "بأي آلاء ربكما تكذبان" بعد كل آية أو آيتين وسورة المرسلات بورود "يومئذ" بعد كل قصة لأن التكرار في القرآن له عدة أغراض منها البلاغية ومنها

<sup>1</sup> \_إشارات الإعجاز: النورسي ص 37

<sup>2</sup> \_الكلمات: النورسي، تر إحسان قاسم الصالحي ص 521

<sup>3</sup> \_إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز: النورسي، ص 37

<sup>4</sup> \_الكلمات: النورسي، تر إحسان قاسم الصالحي، ص 523

الإعجازية، وهو ضروري لتجدد المعاني وتوليد العبر، "من فوائد التكرار ترسيخ العقيدة في الأذهان وتقريبها في القلوب، مما يحدث انقلاباً عظيماً في العقل الإنساني"<sup>1</sup>.

### ثامنا- إشارات موجودة في الحروف المقطعة.

تسع وعشرون سورة من سور القرآن تبدأ بحروف مقطعة، تدل دلالة إلى أن هذا الكتاب السماوي، بعظمته وأهميته التي حيرت فصحاء العرب وغيرهم، فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يخفى على أحد، فخالق الكون تحدى بهذا الكتاب الجن والإنس ليأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، لكنهم عجزوا وتلك دلالة على أن هذا الكتاب لم يصدر عن فكر بشر.

واختلفت الآراء حول تفسير الحروف المقطعة قديماً وحديثاً:

الوجه الأول: يرى أن هذه الحروف ذكرت لبيان إعجاز القرآن الكريم، وأن الخلق عاجزون عن معارضته مع أنه مركب من الحروف التي يتخاطبون بها.

الوجه الثاني: يرى أن هذه الحروف دالة على إثبات النبوة وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، كما قال عزوجل: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَزَبْتَ الْمُبْطُلُونَ ٤٨﴾<sup>2</sup>

الوجه الثالث: يرى أن كل حرف يدل على اسم من أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته.

### تاسعا- الإشارات الفنية:

تتخر الطبيعة بالكثير من الإشارات الفنية ذكرها القرآن الكريم سواء المادية أو الميتافيزيقية، فهي تخاطب العقل الإنساني بلغة الجمال تتوغل في أغوار روحه، وتجتاز الملك والملكوت لتبرهن له عن حقائق الوجود بكل لغاتها، ولتثبت وحدانية الله سبحانه وتعالى بالرمز والإشارة والآية، فالشواهد الفنية الجمالية في الطبيعة كثيرة، ويستنتق النورسي النجوم في السماء كأنها لوحة فنية حية في قوله: "نحن ألوف العيون الباصرة تطل من السماء إلى

<sup>1</sup> د مأمون فريز جرار: اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان سعيد النورسي، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان،

2013، ص

<sup>2</sup> سورة العنكبوت الآية 48

الأرض وترنوا إلى الجنة، نحن ألوف الثمرات الجميلة لشجرة الخلقة، علقتنا يد حكمة الجميل ذي الجلال على شطر السماء"<sup>1</sup>.

**المبحث الثاني: مصادر إثبات الإشارات العلمية وأهدافها عند النورسي:**

**المطلب الأول: مصادر إثبات الإشارات العلمية.**

اعتمد الأستاذ النورسي على المصادر الإسلامية الأصيلة ورتبها ترتيباً زمنياً حسب الأولوية والأولية، فكان القرآن الكريم أول مصدر حوآ آلاف الإشارات العلمية، استقرأها النورسي من الطبيعة ذاتها وأثبتها بالدليل القرآني، ثم السنة النبوية الشريفة ، بعدها الفلسفة الإسلامية متمثلة في علم الكلام والتصوف .

**أولاً\_ القرآن الكريم:** إن الطابع العام الذي يطبع رسائل النور أنها مستمدة من قوة القرآن الكريم وأنوارها مقتبسة منه فهي تأخذ رونقها وحياتها وقوتها منه، فقد استمد الأستاذ النورسي الإشارات العلمية من قيم وحكم ومضامين القرآن الكريم والآخذ منه لا يحتاج إلى معلم أو مدرس بل يكفيهِ الإقبال الصادق عليه والتدبر الجاد في آياته والنظر الواعي في إشاراته، فالخطاب القرآني هو الوحيد الذي حرر العقول من الوثنية فقد كان المسلمون الأوائل هم قادة أهل الأرض بقدر علمهم وعملهم بتعاليم القرآن الكريم.

وركز النورسي في تعريفه للقرآن الكريم على محاور عديدة نذكر منها:

\_معبر عن جميع الكائنات في الكون من حيث ماهيتها ووظيفتها ومصيرها: فهذه الموجودات كلها متحدة تعمل في نظام واحد بانسجام واتقان لا تحيد عن وظيفتها قيد أنملة، إذ يحمل القرآن الكريم إشارات تدل عن وظيفتها في الطبيعة، لقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾<sup>2</sup>، كما أن القرآن الكريم دليل قاطع على وجود الله سبحانه وتعالى لانعدام وجود خالق مدبر منظم مربي لمخلوقاته، لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 246

<sup>2</sup> \_سورة الإسراء الآية 44

يَنْظُرُونَ إِلَيَّ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١﴾.

يتضمن إشارات كونية تلجم أفواه الماديين الذين لا يعترفون بوجود الخالق سبحانه وتعالى، وتفقد الكثير من النظريات الإلحادية التي تحقر من قيمة الإنسان كالنظرية الداروينية مثلا التي ترجع أصل الإنسان إلى القرده، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>٢</sup>، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ١٢﴾<sup>٣</sup>، فهو نفخة من روح الله أسجد له الملائكة حبا واحتراما، وعاقب من رفض السجود له بالخلود في النار، بل هو خليفة الله في الأرض لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>٤</sup>، بل نسله ليس مقطوعا بل يمتد إلى النسل الشريف إبراهيم عليه السلام وأبونا آدم عليه السلام.

— أنه لسان الغيب في عالم الشهادة، والمفسر لهمامعًا، فالقرآن الكريم يطلعنا على الغيب فنراه بالبصيرة رؤية أوضح مما نرى الكون بالبصر، يرينا الآخرة مستترة بضلال الدنيا، يرينا عالم البرزخ حيث يوجد أمواتنا الذين نشتاقي لهم كل حين فنؤمن به كما نؤمن بالحياة ففي هذه الدنيا، بل يرينا الجنة ونعيمها نسأل الله أن يذيقنا لذة العيش فيها، كما يرينا النار وعذابها نعوذ بالله منها. لقوله تعالى ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَيَّ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾<sup>٥</sup>.

— أنه المجلي والشارح لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه المستترة في صحائف السماوات والأرض، يكشف عن تجليات هذه الأسماء الحسنى في الكون والطبيعة والإنسان، فتتجلى عظمته ويتحقق توحيد الله في الأرض.

— هو المخاطب لجميع البشر على اختلاف طبقاتهم ابتداء من العامي إلى العالم، فهو شامل بدلالاته وإشاراته لأنواع الكلام، إيجازه يحوي إشارات وإيماءات يلمحها جميع طبقات البشر كل على حسب فهمه وعلمه.

<sup>١</sup>—سورة الغاشية الآية 20

<sup>٢</sup>—سورة التين الآية 4

<sup>٣</sup>—سورة الرحمن الآية 12

<sup>٤</sup>—سورة البقرة، الآية 29

<sup>٥</sup>—سورة الجن الآية 26

أنه مصدق للكتب السماوية ومحتو لها لقوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>1</sup>، فهو إن كان كتابا واحدا يحوي كتبا كثيرة لا حصر لها، فهو يحوي كل الحقائق الكونية الإيمانية ويدحض فكرة الانفصال بين العلم والإيمان، نتيجة الانبهار بالعلم والتكنولوجيا والإبداع المادي، وجعلوا من إتباع القوانين العلمية سببا في التقدم والتطور، ومن إتباع الدين سببا في التخلف والرجعية، ويفند القرآن الكريم هذا المنطق بقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾<sup>2</sup>.

هذا إلى جانب الإعجاز العلمي الذي يتجسد في الآيات الكونية الشاهدة على وحدانية الله سبحانه وتعالى الخالق البارئ المصور، وقد جاءت رسائل النور إبداعا حقيقيا في تبيان الإشارات العلمية في الكون، وخاصة منها كتاب "إشارات الإعجاز في رمضان الإيجاز"، الذي ترجم من خلاله القرآن الكريم ترجمة علمية كونية وقد كتبه في خلوة مع الكون ولم يكن لديه سوى كتاب الله سبحانه وتعالى يقرأه تارة تعبدا وتارة تأملا وتارة ترجمة وتأليفا، وجاءت الإشارات العلمية مبنوثة في كل مجلدات النورسي برهنة على الحقائق الإيمانية وعلى التناسق والانسجام الموجود بين العلم والإيمان وهذا ما يتحقق في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾<sup>3</sup>.

ولما كانت رسائل النور تفسيرا للقرآن الكريم تفسيرا جديدا يتناسب مع طبيعة العصر الذي عايشه النورسي وهو عصر انبهر بالمادة وآله العلم لدرجة العبادة وفصل بينه وبين الإيمان، تميزت هذه الرسائل بخصائص غير موجودة في الكتب الأخرى منها:

أ\_ **أستاذية القرآن الكريم:** فهو الوحيد المرشد للإنسان والملمه له في تحركه العقلي ليضبط تفكيره من جهة وسلوكه من جهة أخرى، وفيه تتكشف كل الحقائق سواء الظاهرة منها في الكون أو الخفية منها في الميتافيزيقا، لذلك لا بد من استخراج الأدلة والحجج القرآنية كي لا يحيد عن طريقه ووظيفته الأساسية، يقول النورسي رحمه الله: "فيا أهل الإيمان، احتموا بحماية القرآن الكريم الذي أنقذكم من العدم المطلق ومن جحيم الدنيا والآخرة بكل يقين وثقة

<sup>1</sup> سورة الأنعام الآية 39

<sup>2</sup> سورة العنكبوت الآية 49

<sup>3</sup> سورة فاطر الآية 28

واطمئنان، وأنقذوا أنفسكم من شقاء الدنيا والآخرة<sup>1</sup>، فالقرآن الكريم عند النورسي يفسر بعضه بعضا ولم يكن بحاجة إلى كتاب آخر في تأليفه لرسائل النور، فأبرزت الرسائل القرآن الكريم بصفائه الدائم، وبيّنت تجرد المفسر التجرد الكامل من كل الأهواء والأفكار وتمسكه بدرر القرآن الكريم وحده، كما بيّنت قدرة القرآن الكريم على مخاطبة الطبقات كافة، بداية بالعامّة إلى الخاصة من الناس بأسلوب سهل وشيق، ومخاطبته لجميع لطائف الإنسان القعل والقلب والروح، كما تميّزت بالاجابية في إثبات الحقائق الإيمانية، وهدفت رسائل النور إلى تقويم السلوك الإنساني فقد حوّلت مجتمعا كاملا إلى مجتمع جديد، وغيّرت سلوك الأفراد تغييرا كاملا وطهّرتهم من الأنانية والضلالة والنفاق.

وتناول النورسي مسألة الإشارات العلمية في القرآن الكريم من ناحيتين:

**ثانياً\_ السنة النبوية الشريفة:** المنهج النوري في تبيان الإشارات العلمية معزز بالسنة النبوية الشريفة، ومدعم بتفسيرها وبيانها، وقد بيّن الأستاذ النورسي أهمية السنة من خلال تفسيره للآية الكريمة: "﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾" <sup>2</sup> بقياس منطقي إذ يقول: "نعم إن هذه الآية أقوى قياس وأثبتته من قسم القياس الاستثنائي ضمن المقاييس المنطقية، إذ يرد فيه على وجه المثال: "إذا طلعت الشمس سيكون النهار" ويرد مثلا للنتيجة الايجابية: "طلعت الشمس إذا فالنهار موجود" ويرد مثلا للنتيجة السلبية: "لا نهار فالشمس لم تطلع" فهاتان النتيجتان \_ الايجابية والسلبية \_ ثابتتان وقاطعتان في المنطق، وكذلك الأمر في الآية الكريمة، فنقول: إن كان لديكم محبة الله فلا بد من الإتيان لحبيب الله، وإن لم يكن هناك اتباع فليس لديكم إذن محبة الله، إذ لو كانت هناك محبة حقا فإنها تولد حتما اتباع السنة الشريفة لحبيب الله<sup>3</sup>.

اهتمام الأستاذ النورسي بالسنة النبوية كمصدر للإشارات العلمية يتجلّى في مناحي عديدة أولها اعتبار الرسول صلّى عليه وسلّم الآية الكبرى، هذا البرهان الناطق بوصفه الأنموذج الكامل والواقعي على التوحيد في أقواله وأفعاله وتقريراته، وقد اعتبره النورسي ملهم

<sup>1</sup> \_النورسي: اللغات، ص112

<sup>2</sup> سورة آل عمران الآية 31

<sup>3</sup> بديع الزمان النورسي: اللغات ص 76

الحقائق الكونية ، فحذّر من الروايات الملتبسة بالحديث النبوي، كما حذّر من البدع فقد قال: "إن واجب العلماء هو الصدع بالحق وعدم السكوت عنه عند انتشار البدع، وقد ورد الزجر عن السكوت عن الحق في الحديث النبوي"<sup>1</sup>.

**ثالثاً\_ الفلسفة الإسلامية:** المتمعن في الرسائل يظهر له جلياً بأنه لا يرفض الفلسفة بل بالعكس لقد ملأ رسائله بالأدلة المنطقية وأدلة العلم التجريبي في إثبات الإشارات العلمية ، فجعل بذلك الحس والعقل مصدرين من مصادر المعرفة في الوجود، فالعلوم التي ظهرت في البيئة الإسلامية خدمة لنصوص الوحي، أنجبت أنواعاً عديدة منها الفقه ومنها أصول الدين أو علم الكلام لدى البعض، والتصوف، ومن أبرز مظاهر الفكر الإسلامي التي استعان بها النورسي في منهجه ب:

**أ) علم الكلام:** لقد كان موقف الأستاذ النورسي من علم الكلام مزدوجاً، ففي الوقت الذي أثنى على جهود علمائه موظفاً أفكارهم في منهجه، انتقده بشدة ونبه إلى عدم كفاية مسلك بعضهم في العصر الراهن، ولسنا نجافي الحقيقة إذا قلنا أن علم الكلام المطلوب الآن يجب أن يقوم على أساس من دراسة الآيات الكونية الموثقة في القرآن الكريم، علم الكلام القائم على الأسلوب الاستدلالي، المبني على تدوين إشارات القرآن إلى آفاق الأكوان و آفاق نفس الإنسان.

يقول النورسي رحمه الله: "علم الكلام حسب تقديرنا أوسع من حيث موضوعه من العقيدة الإسلامية، إذ يشمل العقائد والاستدلال عليها من جانبي الإنشاء والهدم، لهذا فعلم الكلام متطور<sup>2</sup> لتطور الإشكالات التي تطرأ عليه بسبب تلبسها بالمعطى الثقافي والسياسي"<sup>3</sup>.

لقد خاض الأستاذ النورسي في علم الكلام من جهة استنباطه للإشارات العلمية من القرآن الكريم، حتى اعتبره الدكتور محسن عبد الحميد "متكلم العصر الحديث" الذي حاول إيجاد علم كلام جديد يتجاوز به المسالك القديمة، التي كانت مطبوعة بالاستدلال العقلي إذ

<sup>1</sup> بديع الزمان النورسي: اللغات ص 86

<sup>2</sup> بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية: داعمّار جيدل شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع ط الأولى سنة 2001 ص 112

<sup>3</sup> بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية: داعمّار جيدل شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع ط الأولى سنة 2001 ص 112

يجمع بين الذوق والقلب والعقل في أعلى مقاييسهم " حاول إيجاد \_ يقصد النورسي \_ علم كلام قرآني يعتمد على الأدلة المتدرجة من المحسوس إلى المجرد، محققا بتجربة واعية المطابقة الكاملة بين القرآن المقروء والقرآن المنظور والقرآن الثالث... من هنا فإنه لن يقتصر على موضوعات علم الكلام القديم وإنما تجاوز ذلك إلى بيان المذهبية الشاملة في الوجود بما فيها الإنسان والطبيعة، فغدا مخططه الكلامي الحديث مواجهها تماما لمخطط الغربي الإيديولوجي"<sup>1</sup>.

ومن مظاهر اهتمام الأستاذ النورسي بعلم الكلام :

\_ مسألة الحرية الإنسانية: " إذا كانت الحرية تعني انعدام القيود فإن الحرية المطلقة تعني أن تكون حرا من جميع القيود، أي أن تتحرر من كل الأشياء الخارجية، الطبيعة ، القانون، الناس، العقل، الوراثة، وإن تحررت من كل شيء ستصبح لاشيء، فاللاشيء أو العدم هو وحده الحر حرية مطلقة، فالحرية المطلقة هي العدم المجرد، ومن هذا فإذا كان الإنسان بالموت يتوقف عن أن يكون شيئا فإنه \_ بالموت أيضا \_ يكون حرا حرية مطلقة، لأنه سيصبح لاشيء"<sup>2</sup>.

للأستاذ النورسي نظرة مخالفة لهذا الموقف حول الحرية الإنسانية بحيث يعتقد أن الحرية تزدهر وتتمو بمراعاة الأحكام الشرعية آدابها والتخلق بالأخلاق الفاضلة وعلى العكس إطلاق العنان لكل المذات بحجة التحرر من القيود ما هو إلا انغماس في قيود أخرى أكثر حيوانية إذ يقول: " إن تفسير الحرية والعمل بها على أنها تحرر من القيود والانغماس في السفاهات والمذات غير المشروعة، والبذخ والإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء إتباعا لهوى النفس... مماثل لمن يتحرر من أسر سلطان واحد ويدخل في استبداد حقراء سافلين كثيرين، فضلا عن هذا النمط من الحرية يظهر أن هذه الأمة غير راشدة، وما زالت في عهد الصبا وليست أهلا للحرية فهي سفیهة وتستحق الحجر عليها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> النورسي، متكلم العصر الحديث: دامحس عبد الحميد، من مؤتمر تجديد الفكر الاسلامي في القرن العشرين ، الطبعة

الأولى سنة 1996 ص 23

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود: الجبر الذاتي، ص 252

<sup>3</sup> بديع الزمان النورسي: صيقل الاسلام ص 439

فالإنسان الحر عند النورسي هو الإنسان الذي يستحضر ماهيته دائماً ويسوق كل ملكاته من أجل الغاية التي وجد من أجلها وهي عبادة الله سبحانه وتعالى.

**\_ اقتباس النورسي للعديد من المصطلحات الكلامية:** يقول النورسي: "ففي هذا الإمكان والمساواة بين الوجود والعدم، يتساوى القليل والكثير، الصغير والكبير، وهكذا فالمخلوقات ممكنات، وحيث أن وجودها وعدمها سواء، ضمن دائرة الإمكان فإن قدرة الواجب الأزلية المطلقة كما تعطي الوجود لممكن واحد بسهولة وبسر، تلبس كل شيء وجوداً يلائمه للتوازن بين الوجود والعدم وتتزع عنه لباس الوجود الظاهري إن كانت قد انتهت مهمته، وترسله إلى العدم صورة وظاهراً، بل إلى الوجود المعنوي في دائرة العلم"<sup>1</sup>.

**مصطلحي الماهية والوجود:** يعتقد فلاسفة الفكر الإسلامي أن الماهية تسبق الوجود وقد حددها الخالق سبحانه وتعالى قبل مجيئه إلى الأرض لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً<sup>2</sup>﴾ فالماهية إذن لم يحددها الإنسان بعد وجوده بل حددها له خالقه قبل مجيئه إلى الدنيا، إذ يقول الأستاذ النورسي " "خليفة" إشارة إلى أنه قد وجد قبل تهيب الأرض لشرائط حياة الإنسان"<sup>3</sup>.

**ب\_ التصوف:** عمل النورسي على توطيد العلاقة بين العقل والقلب، حيث أدرك أن مشكلة العصر هي القطيعة بينهما فإما عقول محشوة بأفكار علمية مجردة فارغة من المحتوى الأخلاقي، وإما أفكار قلبية روحية تفتقر للفعالية، لذلك حاول الرجوع بالإنسان إلى المنبع الأصيل لإنقاذ الإيمان وتجديده، وقد ورد في رسائل النور ذكر للكثير من المتصوفة أمثال الإمام الرباني السرهندي الفاروقي، حجة الإسلام الإمام الغزالي، عبد القادر الكيلاني، محي بن العربي، كما أشار إلى تجديد علم التصوف بما يواكب تطورات العصر ويتجاوز مع طبقات البشر.

**رابعاً\_ الوجدان والفترة:** المصدر الرابع من مصادر المنهج النوري في إثبات الإشارات العلمية الوجدان والفترة، والفترة هي ما جبل عليه الإنسان من أمور مادية ومعنوية لا يمكن

<sup>1</sup> النورسي: الشعاعات ص 394\_395

<sup>2</sup> سورة البقرة: الآية 29

<sup>3</sup> بديع الزمان النورسي: إشارات الاعجاز في مضان الايجاز ص 235

إنكارها و تغييرها، أما الوجدان فهو ذلك الشعور المغروز داخلنا النابع من الفطرة السليمة ، فالإنسان لا يطلع على الحقائق بحواسه فقط بل بالبصيرة وبالوجدان اللذان لا يخطئان أبداً، فهما لا ينسيان الفطرة التي فطرنا الله سبحانه وتعالى عليها وهما أفضل برهان، حتى وإن تعطلّ العقل والحواس تبقى الفطرة مغروزة في قلب الإنسان، يقول النورسي رحمه الله: " لا يمكن أن يكون شيء موهوم مبدءاً لحقيقة خارجية، فنقطة الاستناد والاستمداد حقيقتان ضروريتان مغروزتان في الفطرة والوجدان، حيث أن الإنسان مكرم وهو صفوة المخلوقات، فلولاهما لتردّى الإنسان إلى أسفل سافلين، بينما الحكمة والنظام والكمال في الكائنات يرد هذا الاحتمال، إن الوجدان لا ينسى الخالق مهما عطلّ العقل نفسه وأهمل عمله، بل حتى لو أنكر نفسه فالوجدان يبصر الخالق ويراها"<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: منهج النورسي في تبيان الإشارات العلمية.

الحديث عن الأستاذ النورسي وتأملاته في الطبيعة ومشاهداته كسائح يسأل الكون عن خالقه، واستنطاقه لمفردات هذا الكون وتلك الطبيعة من خلال رسائل النور، يجعلك تجد بين ثناياها أساليب عدّة يبين من خلالها الإشارات العلمية.

حشد الأستاذ النورسي عددا كبيرا من الأدلة للبرهنة على قضايا الإيمان، ولم يكتف بواحد بل جمع بين أنواع عديدة من البراهين، جمعا يبدهد شبهات المشككين ويقضي على دعواهم الباطلة، فمثلا حين يستدل على حقيقة التوحيد يبدأ بهدم حجج المنكرين، ثم يقدم أدلة قطعية على صحة موقفه بأدلة علمية إستقرائية يستطيع بها إزالة الريب والشك في عقول المترددين، وهي برهنة شبيهة بالبرهان بالخلف في الرياضيات.

### أولا\_القواعد الأساسية في المنهج النوري.

- اتباع الأستاذ النورسي في تبيانه للإشارات العلمية منهجا يرتكز على قواعد أساسية أهمها:
- \_الحوار والتفتح على الأديان الأخرى، والتواصل معهم وعدم مقاطعتهم.
- \_تقديم الحجج بأنواعها المباشرة وغير المباشرة: العلمية أو المنطقية أو الدينية.
- \_الموازنة بين الحقائق.

<sup>1</sup> \_النورسي: المثنوي العربي النورسي، ص420

القاعدة الأولى: الحوار والتفتح وعدم المقاطعة.

لا يمكن التواصل مع الغير إلا بالحوار، ولا يمكن محاجبتهم وتفنيد آرائهم إلا بالتحاور معهم، لذلك انتهج النورسي رحمه الله منهج الحوار الهادف ليتواصل مع الغير لدعوتهم إلى هدي القرآن، ورأى أن التواصل هو الوسيلة المثلى لعدم إقصاء الآخر وتقبل إيجابياته دون طمس الهوية.

أ\_ منهج النورسي في الحوار:

اتبع الأستاذ النورسي في حوارهِ مع الغير الخطاب العقلي المنفتح على حضارتهم، بغية كسب عقولهم واستدراجهم إلى الاقتناع، ونوع في أساليب حوارهِ فهو تارة يخاطب نفسه والغرض هنا تربوي وتارة أخرى يخاطب الغير لهدايتهم نحو الصواب، وحتى لا يبقى الحوار مجرد كلمات نظرية لا ترقى لمستوى التطبيق العملي، بدأ بنفسه، من أجل إحياء التواصل بين التنظير الفكري والممارسة العملية، حاول من خلال هذه المنهجية بناء جسور التواصل بين أتباع الأديان والانفتاح على ثقافتهم، وحثهم على التعاون في الأصول المشتركة بينها في مواجهة الانحراف الفكري والخلقي، إذ قال: "إن أهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضاً إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى .. دفعاً لعدوهم المشترك المتعدي، لأن الكفر المطلق يشن هجوماً عنيفاً"<sup>1</sup>.

ب\_ أنواع الحوار في رسائل النور.

تنوعت أساليب الحوار في رسائل النور بين الخطابات الواقعية والخطابات العالمية والذاتية، نذكر منها:

\_ حوار واقعي منطقي: وردت في رسائل النور حواراً صريحة واقعية، منها :

\_ حوارهِ مع الجيل الذي يمكنه إحداث التغيير قصد توعيته وإيقاظه من غفلته وتحديد ماهيته في هذا الوجود، فقد حاور عدداً من الشباب بقصد تربيتهم على المنهج القرآني، منطلقاً من الواقع المعاش، كالابتلاء في الحياة والهرم، ثم استنتج من تلك المقدمات نسبية السعادة

<sup>1</sup> النورسي: الملاحق ص 283

والشقاء في الدنيا، ووجوب الثواب والعقاب في الآخرة، وقدم الحجة عاطفية مخاطبًا مشاعرهم، ووجدانهم الحي ترغيبًا وترهيبًا<sup>1</sup>

\_ حوار مع نفسه مباشرة في بعض الأحيان ومع الآخرين أحيانًا أخرى، بهدف النصح والإرشاد والإيقاظ من الغفلة، فكثيرًا ما يبدأ النورسي رحمه الله حوار بـ"يا نفسي" "يا أيها الأخ" "يا صاحبي" "أيها الغافل الغارق في عبادة الأسباب".

\_ حوار حضاري: يتحاور النورسي رحمه الله مع الشخصية المعنوية لأوروبا، محاولًا تبيان الجانب الإيجابي فيها فبدأ منصفًا في خطاب هو ذلك بتقسيم أوربا إلى قسمين، قسم نافع وآخر مفسد، فشرع ببيان محاسننا لقسم النافع وإفادته للبشرية، ثم أعقب ببيان مفسد القسم الثاني، وإظهار عيوبه ومخاطره على البشرية جمعاء<sup>2</sup>.

يقول النورسي رحمه الله: "إن إجراء المحاوراة الآتية مع الشخصية المعنوية لأوروبا لكبح جماح ما في روحه من أحاسيس نفسانية منحازة لصالح أوروبا.. ولئلا يساء الفهم لابد أن ننبه: أن أوروبا اثنتان: إحداهما: هي أوروبا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقيقية، وأدت خدمات لحياة الإنسان الاجتماعية، بما توصلت إليه من صناعات وعلوم تخدم العدل والإنصاف، فلا أخاطب في هذه المحاوراة هذا القسم من أوروبا، وإنما أخاطب أوروبا الثانية تلك التي تعفنت..."<sup>3</sup>

\_ حوار عالمي: يهدف النورسي رحمه الله من الحوار العالمي بيان عالمية القرآن الكريم ووجوب الرجوع إليه واتخاذ مصدرًا أساسيًا لكل معرف يتطلع إليها الانسان، وهذا هم الحضاري حمله العديد من المصلحين قبله أمثال "ابن باديس والظاهر بن عاشور وغيرهم من المصلحين رحمهم الله، وذلك من أجل إحياء التدبر الحقيقي في القرآن الكريم وإشاراته العلمية.

<sup>1</sup> النورسي : الملاحق ص 165

<sup>2</sup> النورسي: اللغات ص 283

<sup>3</sup> \_ النورسي: اللغات، ص 162

القاعدة الثانية: الدحض والتفنيد.

قام النورسي رحمه الله بدحض وتفنيد الكثير من النظريات الغربية المشككة في القرآن الكريم بذكر الحجج العقلية والعلمية التي لا تقبل الشك، واستطاع النورسي رحمه الله مواجهة خصومه ودحض نظرياتهم حول نشأة الكون من العدم، فدحض آرائهم حول قدرة الطبيعة على الخلق والإيجاد والاقضاء (القضاء)، خاصة في قولهم: "أوجدته الطبيعة" فالطبيعة ليست طابعة بل مطبوعة وليس لها القدرة على الإيجاد، فقدّم حججا منطقية عقلية انطلق فيها من مقدمات عامة متفق حولها ثم استنتج نتائج صحيحة أفنّع بها العلماء بلغتهم العلمية، كما استعان بالعلوم المختلفة كل في مجاله\_ لدحض الشبهات التي تشكك في القرآن الكريم والتي تزعم الإيمان، فكثيرا ما نقرأ في رسائل النور أمثلة عن عالم الأحياء (النحل والنمل والإنسان وأعضائه ووظائفها)، في برهنة الخلق وقدرة الخالق سبحانه وتعالى.

القاعدة الثالثة: تقديم الحجة (القرآنية\_الفلسفية\_البلاغية\_العلمية)

قدّم النورسي رحمه الله حججا متنوعة حسب المخاطبين وحاضنتهم المعرفية، فقارع الفلاسفة بحجج فلسفية، والمناطقة بحجج عقلية، والخطباء بحجج لغوية، سنبينها بالتفصيل :

أ\_ **الحجة القرآنية:** كان القرآن بداية النورسي ونهايته في تقديم الحجج ففي قضايا العقيدة استدل بالآيات القرآنية ، كإثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، "فاستعمل دليلين هما: دليل العناية والغاية والاختراع المستنبطة من القرآن الكريم في برهنة وجود المعنى بالكون، ومخترع خلق الكائنات لغاية"<sup>1</sup>.

"البرهان الإني واللمّي: إصطلاحان يرد شرحهما، فالإني بتشديد النون\_ مصدر صناعي مأخوذ من "إن" المشبهة بالفعل التي تدل على الثبوت والوجود، أما اللّمّي فهو مصدر صناعي مأخوذ من كلمة "لم" للعلية، وفي التعريفات للجرجاني، الاستدلال من العلة إلى المعلول برهان لمّي ومن المعلول إلى العلة برهان إنّي"<sup>2</sup>.

ب\_ **البرهان اللّمّي:** هو الاستدلال بالخالق على الخلق، أي أنه استدلال تنازلي من الأعلى إلى الأسفل، لإثبات الإشارات العلمية المبنوثة في الكون، وأنها ليست صدفة أو بسبب

<sup>1</sup> النورسي: المرجع نفسه

<sup>2</sup> النورسي: إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، ص 46

الطبيعة وحدها بل موجدتها هو الخالق سبحانه وتعالى، وهي تجلي من تجليات أسماء الله الحسنى، وكل اسم من أسمائه له تجلٍ واسع في هذا الكون.

**البرهان الإنّي:** وهو عكس اللّمي، استدلال بالخلق على الخالق، أي تصاعدي من الأسفل إلى الأعلى، واعتمد النورسي رحمه الله كثيرا على هذا الدليل في استنتاج الإشارات العلمية في الطبيعة وتأكيدها على وجود خالقها وموجدتها، بداية بسيد المخلوقات محمد صلى الله عليه وسلّم كشاهد على وحدانية الله بكلامه وخلقه وأفعاله، يقول النورسي: "ومحمد صلى الله عليه وسلّم بذاته ولسانه برهان "إنّي" للألوهية"<sup>1</sup>.

**الحجة الفلسفية:** استخدم علم الكلام بعدما جدد فيه في تفنيد آراء الخصوم والدغاع عن العقيدة الإسلامية، أما الدليل الإمكانى المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾<sup>2</sup> فأعلم أن كل واحدة من ذرات الكائنات باعتبار ذاتها، وباعتبار فرد من صفاتها، وباعتبار واحد واحد من أحوالها، وباعتبار جهة من جهاتها، بينما تراها تتردد بين الإمكانات الغير متناهية في الذات والصفات والأحوال والوجود، إذا انتعشت وقامت وسلكت طريقا معيناً منها ولبست صفة مخصوصة... أفلا تنادي بلسانها المخصوص وتنادي بقصد صانعها وحكمته؟ فهي في مرتبة تتلو بلسانها دلائل وجوب وجود صانعها"<sup>3</sup>.

**دليل الحدوث:** يقول النورسي رحمه الله: "أما بصدد الحدوث فقد قال علماء الكلام: إن العالم متغير، وكل متغير حادث، وكل محدث لا بد له من محدثات، أي موجد، لذا فالكون لا بد له من موجد قديم .

ونحن نقول: نعم، إن الكون حادث، حيث نشاهد في كل عصر وفي كل سنة بل في كل موسم عالما يرحل ويحط آخر مكانه، تمضي كائنات وتأتي أخرى"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> \_النورسي: صيقل الإسلام، ص119

<sup>2</sup> \_سورة محمد، الآية 38

<sup>3</sup> \_النورسي: إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، ص 152

<sup>4</sup> \_النورسي: الكلمات، ص807

**الحجة المنطقية:**

استعان النورسي رحمه الله بالمنطق ليستدل على الحقائق الغيبية التي طالما شكك فيها الملحدون بحجة غياب الدليل التجريبي، فهو يتعامل في خطابه وفق مطالب المنطق، يقول النورسي رحمه الله: "يقولون: إنك تستعمل في "الكلمات" القياس التمثيلي كثيرا، بينما القياس التمثيلي لا يفيد اليقين حسب علم المنطق، إذ يلزم البرهان المنطقي في المسائل اليقينية، أما القياس التمثيلي فيستعمل في المطالب التي يكفيها الظن الغالب، كما هو لدى علماء أصول الفقه، فضلا عن أنك تذكر التمثيلات في أسلوب الحكاية، والحكاية تكون خيالية، ليست حقيقية وقد تكون مخالفة للواقع"<sup>1</sup>.

**الحجة الاستقرائية:** النورسي رحمه الله في رسائل النور يستقرء الواقع والطبيعة وينتقل من جزئياتها ليعمم الحكم على الكليات المتشابهة وهذه قاعدة علمية لا يمكن إلغائها في الوصول تفسير علمي دقيق للإشارات الكونية، يقول النورسي رحمه الله: "لقد ثبت عقلا وحكمة واستقرء وتجربة، أنه لا عبثية ولا إسراف في خلق الموجودات"<sup>2</sup>.

**الحجة القياسية:** كان للقياس الشرطي حضورا قويا في منهج النورسي البرهاني، وكان نهجه هذا قرآنيا، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾<sup>3</sup> يقول النورسي رحمه الله: "كذلك الأمر في الآية الكريمة، إن كان لديكم محبة الله، فلا بد من الإلتباع لحبيب الله، وإن لم يكن هناك اتباع، فليس لديكم إذن محبة الله، إذ لو كانت هناك محبة حقا فإنها تولد حتما اتباع السنة النبوية الشريفة لحبيب الله"<sup>4</sup>.

والقياس عند المناطقة وخاصة عند أرسطو هو قول مؤلف من قولين إذا ثبت صحتها نتج عنهما قول ثالث بالضرورة، والمتأمل في منهج القرآن الكريم يجد القياس في كثير من الآيات التي تخاطب المنكرين المعاندين الجاحدين، خاصة قياس الشاهد على الغائب، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 735

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 604

<sup>3</sup> \_سورة آل عمران الآية 31

<sup>4</sup> \_النورسي: اللغات، ص 76

نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكَرَ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ<sup>1</sup> وقد استلهم النورسي رحمه الله هذا المنهج المنطقي حيث عرض نماذج مضت ليثبت بها نماذج حالية يذكر بها الجاحدين.

### \_الحجة البلاغية:

من خلال مؤلفه إشارات الإعجاز في مصان الإيجاز نلحظ الحجج البلاغية بكثرة استمدها من بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي، فكان هذا التفسير برهانا في حد ذاته على أن الأستاذ كان مجدد عصره، كما وظّف لغة المثال بكثرة والقصص لورود القصص القرآني والتشبيه والاستعارات ليصل إلى هدفه الأسمى وهو إثبات الإشارات العلمية بلغة الخطاب اللغوي القرآني.

الحوار \_ كأداة بلاغية \_ ينتشر في رسائل النور لدرجة الإقناع، فهو يحيل الكلام إلى الإشارات الكونية في حد ذاتها فيجعلها كائنات ناطقة مسبحة بلغتها التي يداعب الأرواح والوجدان، يقول رحمه الله: " تعال يا صديقي إلى نزهة نتجول في العالم الواسع المفروش أمامنا، ها هو ذا جبل أشم، تعال لنصعد عليه حتى نتمكن مشاهدة جميع الأطراف بسهولة... فهل ترى يا صديقي أن تبدل هذه الأحوال وتحول هذه الأوضاع الذي يتم بكل نظام وميزان يحدث من تلقاء نفسه؟ أليس ذلك محال من أشد المحالات؟.."<sup>2</sup>.

### القاعدة الرابعة: المقايسة والموازنة بين الأشياء.

يقول رحمه الله: " إن جميع الموازنات والمقايسات المعقودة في رسائل النور، بين طريق الإيمان والكفر، تبين بيانا قاطعا أن طريق الإيمان والتوحيد أقصر الطرق وأصوبها، وأيسرها، وأكثرها استقامة بينما طريق الكفر والإنكار طويلة جدا وذات مشكلات ومخاطر"<sup>3</sup>.  
قام النورسي بإجراء مقايسات مباشرة وأخرى غير مباشرة، تمثلت فيما يلي:

<sup>1</sup> \_سورة الغاشية الآية 17-21.

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 315

<sup>3</sup> \_النورسي: الشعاعات، ص 649

**1 المقاييسات المباشرة:** أجرى النورسي رحمه الله مقاييسات عديدة بغية تبيان الاختلاف الواضح بينهما، والواضح أن الرؤية النورية تؤمن بضرورة سيادة الحضارة القرآنية كونها قائمة على التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي، وضرورة تجنب مفاصد الحضارة الغربية كونها لا توازن بينهما بل تتسم بالبراغماتية بل تنظر إلى الوجود الإنساني أنه من صنعه وحده وهذا ما أدّى إلى انهياره، علماً أن النورسي رحمه الله لا ينفي الجوانب الإيجابية في الحضارة الغربية لكنه حين يوازن بين القوتين المتدافعتين يجد كفة الحضارة القرآنية ترجح بكثير من المقومات الأصيلة.

**2\_المقاييسات غير المباشرة :** كالمقاييسات بين الأخلاق القرآنية والأخلاق المادية الغربية، وبين الأرواح الطيبة والأرواح الخبيثة، وجمال الدنيا وجمال الآخرة، وحقيقة الدنيا عند أهل الهداية وحقيقة الدنيا عند أهل الغفلة، وبين الدهاء العلمي والهدى الإلهي، يقول النورسي رحمه الله: "الهدى نزل من السماء والدهاء خرج من الأرض، الهدى فعال في القلب، يدفع الدماغ إلى العمل والنشاط، بينما الدهاء فعال في الدماغ يعكس صفو القلب ويكدره، الهدى ينور الروح حتى تثمر حياتها سنابل، فتنتور الطبيعة المظلمة، وتتوجه الاستعدادات نحو الكمال، لكن يجعل النفس الجسمانية خادمة له، فيضع في سيماء الإنسان الساعي الجاد صورة الملك.

أما الدهاء فيتوجه مقدماً إلى النفس والجسم فيخوض في الطبيعة، ويجعل النفس المادية مزرعة لإنماء الاستعداد النفساني وترعرعه، بينما يجعل الروح خادمة، حتى تتبسس بذورها وحباتها، فيضع في سيماء الإنسان صورة الشيطان"<sup>1</sup>.

### القاعدة الخامسة: قاعدة ضرب الأمثال.

استخدم النورسي أسلوب ضرب الأمثال لتقريب الإيمان بالله، لما لهذا الأسلوب من وقع في النفوس وفهم للعقول وإدراك للمعنى بسهولة، فهو يظهر الحقائق ويوصل إلى أسماها وأعلاها بسهولة، واستنبط النورسي هذا الأسلوب من القرآن الكريم لما له من أهمية، ونذكر

<sup>1</sup> \_النورسي: الموازنات بين الكفر والإيمان، ترجمة إحسان قاسم الصالحي شركة سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، 2008

على سبيل المثال في قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾<sup>1</sup>، وقوله كذلك: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ إِذِيءِ إِسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾<sup>2</sup>، كما استتبطها من السنة النبوية الشريفة مثلاً: عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"<sup>3</sup>.

يقول النورسي في هذا السياق: "إن سبب إيرادي التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل هو تقريب المعاني إلى الأذهان من ناحية، وإظهار مدى معقولية الحقائق الإسلامية ومدى تناسبها ورسالتها من جهة أخرى، فمغزى الحكايات إنما هو الحقائق التي تنتهي إليها والتي تدل عليها كناية، فهي إذن ليست حكايات خيالية وإنما حقائق صادقة"<sup>4</sup>.

استخدم النورسي أمثلة كثيرة لتقريب معنى الإيمان بالله وترسيخه نذكر مثلاً في قوله: "إن انقياد كل موجود في كل شأن من شؤونه وفي كل جزء من جزئياته وفي كل ما يقوم به وينجزه، انقيادا مطلقا للمشيئة الإلهية، والقدرة الربانية هو حقيقة عظيمة جلية، فهي لعظمتها وسعتها لا تستوعبها أذهاننا الكليية القاصرة، علما أننا نطالع عيانا وفرة متناهية من الموجودات، وسهولة مطلقة في خلق الإنسان"<sup>5</sup>.

كما ضرب لنا الأمثال لتقريب الإيمان بالرسول، فقد وضع الله سبحانه وتعالى بيد كل نبي معجزة مادية ونصبه رائدا للبشرية في عصره، وأمرنا بإتباعهم في كل صغيرة وكبيرة فمنهجهم هو المنهج الصحيح، ويبين النورسي بأمثلة كثيرة نذكر منها قوله: "إن الإيمان بالله لا يمكن أن يكون دون الإيمان بالآخرة، كذلك لا يمكن ولا يعقل أن يكون الإيمان بالله دون الإيمان بالرسول مثلما ذكر ملخصا في رسالة الحشر.

<sup>1</sup> سورة البقرة الآية 18

<sup>2</sup> سورة البقرة الآية 16

<sup>3</sup> صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، برقم 67

<sup>4</sup> النورسي: الكلمات، ص 47

<sup>5</sup> النورسي: اللغات، ص 268

وذلك: أن الله تعالى الذي خلق هذا الكون إظهاراً لألوهيته وعبوديته، على هيئة كتاب صمداني مجسم بحيث تعبر كل صحيفة من صحائفه عن معاني كتاب، ويظهر كل سطر من أسطره معنى صحيفة، وخلق على شكل قرآن سبحاني مجسم بحيث إن كل آية من آياته التكوينية وكل كلمة من كلماته بل كل حرف من حروفه وكل نقطة بمثابة معجزة تقده وتسبحه، فهل يمكن أن لا يرسل هذا الخالق المعبود الحق أساتذة ليدرسوا معاني ما في الكتاب الكبير ويعلموا ما فيه؟ أم هل يمكن أن لا يبعث مفسرين ليفسروا آيات ذلك القرآن المجسم الصمداني<sup>1</sup>.

كما استخدم ضرب الأمثال لتقريب الإيمان بالغييب، الذي استأثر به الله تعالى لنفسه ولم يطلع على البشر لكن العقل البشري يمكنه الإيمان به من خلال تأمل الكون، وإن كان للإنسان حواس يشاهد بها عالم الشهادة وهي الحواس الخمس من سمع وبصر وذوق ولمس شم، فهو يملك حواساً أخرى سخرها لمشاهدة تجليات عالم الغيب كالسوق والشوق والبصيرة، يقول النورسي رحمه الله: "إن الوجدان لا ينسى الخالق مهما عطل العقل نفسه وأهمل عمله، بل حتى لو أنكر نفسه، فالوجدان يبصر الخالق ويراه، ويتأمل فيه ويتوجه إليه، والحدس يحركه دائماً، وكذا الإلهام ينوره دائماً، والعشق الإلهي يسوقه ويدفعه دائماً إلى معرفة الله تعالى"<sup>2</sup>.

وإستخدم ضرب الأمثال لتقريب معنى الإيمان باليوم الآخر، من حيث هو حقيقة واقعة وحتمية لا مفر منها، والتعلق به يبعث الأمل في النفوس ويطرد اليأس من القلوب سواء للشباب أو الشيخوخة أو المرضى والمبتلين، يقول رحمه الله: "لا تغتموا أيها الشيخ ولا تبالوا كثيراً، فإن لكم شباباً خالداً وهو أمامكم سيأتي حتماً، وحياتة ساطعة بهيجة، وعمراً مديداً أبدياً في انتظاركم، وستلقون أولادكم وأقاربكم الذين فقدتموهم، وجميع حسناتكم محفوظة وستأخذون ثوابها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> \_النورسي: الشعاعات، ص 281

<sup>2</sup> \_النورسي: المثوي العربي النوري، ص 420

<sup>3</sup> \_النورسي: الشعاعات، ص 280

كما استخدم ضرب الأمثال لتقريب معنى الموت، وهو النهاية الحتمية لجميع البشر، وعلى المؤمن أن يستعد للقاء ربه متى أراد الله ذلك، بل ويرتب أموره الدنيوية العاقبة \_المالية والاجتماعية\_ حتى يكون جاهزا ومستعدا في أي لحظة، ويشعرنا النورسي رحمه الله بحقيقة الموت وكأنه مائل أمامك والقبر الذي ينتظرك باستخدامه ضرب الأمثال من خلال قوله: " نظرت إلى وجه الموت المخيف، ورأيت أن الموت لأهل الإيمان تسريح من الوظيفة، والأجل هو بطاقته، فالموت إذن تبادل مكان، ومقدمة حياة باقية، وباب إليها، وهو انطلاق من سجن الدنيا إلى بساتين الآخرة، وهو انتظار زمن الوصول إلى ديوان الرحمن الرحيم لاستلام أجره العمل، وهو دعوة إلى دار السعادة، ولما فهمت حقيقة الموت فهما يقينا أحببته"<sup>1</sup>.

كما ضرب لنا الأمثال لتقريب معنى الأنفس والآفاق، والآفاق معناها النواحي، والآفاق ما ظهر من نواحي الأرض والفلك، وذلك من خلال تبيان عجائب ودلائل الخلق في السماوات والأرض، وفي الإنسان في حد ذاته الذي يعتبر معجزة ربانية خالدة، والمتأمل في أجهزته الداخلية يجد دلائل لا تعد ولا تحصى، وفي خلق الحيوان كذلك من كائنات ضخمة إلى حشرات ميكروسكوبية لا ترى بالعين المجردة، وحتى في خلق النبات معجزات عظيمة.

### المطلب الثالث: مسالك المنهج النوري.

المتتبع لرسائل النور وتوجيهات النورسي رحمه الله يجد أن استدلالاته على الإشارات العلمية في الطبيعة مبنية على أسس منهجية دقيقة، يسلك فيها مسالك عدة، ليصل إلى غاية واحدة هي إثبات العقيدة الإسلامية، لأن طبقات الناس مختلفة وتقبلهم للحقائق يختلف من طبقة إلى أخرى حسب التطور العلمي الذي يبلغه العصر آنذاك، وحسب ثقافتهم وزمنهم مما جعل النورسي رحمه الله ينوع في مسالك البرهنة والاستدلال، ومن أهم مسالك النورسي:

### أولا\_ المسلك الأنفسي:

ينطلق النورسي رحمه الله من النفس الإنسانية متأملا فيها متعمقا في أغوارها، مسائلا إياها مؤنبا لها، ويتخذ من مشاهداتها للطبيعة والكون مقدمات استدلالية ليثبت حقائق العقيدة وليرسخ الإيمان في القلوب، مستعينا بالإشارات العلمية المبنوثة في الطبيعة مستدلا بعلم النفس في كثير من الحالات، فالنفس الإنسانية تحمل من الاستعدادات ما لا نهاية لها، نظرا

<sup>1</sup> \_النورسي: الشعاعات، ص19

لما تستشرفه من آمال وتصورات وأحلام وانتصارات، فهذا المسلك في الاستدلال على حقائق الإيمان كان مسلكاً أساسياً في منهجه، فيفتح من النفس باباً إلى الحقيقة نحو الكون فتنتور بنور قلبه، يقول النورسي رحمه الله: "فالسير الأنفسي يبدأ من النفس ويصرف صاحب هذا السير نظره عن الخارج، ويحدق في القلب مختزلاً أنانيته، ثم ينفذ منها ويفتح في القلب ومن القلب سبيلاً إلى الحقيقة.. ومن هناك ينفذ إلى الآفاق الكونية فيجدها منورة بنور قلبه، فيصل سريعاً، لأن الحقيقة التي شاهدها في دائرة النفس يراها بمقياس أكبر في الآفاق وأغلب طرق المجاهدة الخفية تسير وفق هذا السبيل"<sup>1</sup>.

فالإنسان يستمد دليل وجوده من نظره إلى نفسه وتأمله فيها، يقول الأستاذ عمار جيدل: "جعل النورسي الإنسان الفرد المعين المخاطب في هذا السياق دليلاً على وجود الخالق، وهو من أوضح الأدلة وأقربها للتداول، استبطنها بديع الزمان من قوله تعالى: ﴿الذي خلقكم﴾"<sup>2</sup>

**ثانياً\_المسلك الآفاقي:** يعد القرآن الكريم الكون دليلاً قاطعاً على وجود الخالق، والنظر فيه من جهة الاختراع ومن جهة العناية، أو من جهة النظام والغاية، لذلك تعمق النورسي رحمه الله في آفاق الكون لدرجة تعايش معها وأحس بوجودها وهي تقوم بوظائفها وتقدم خدماتها على أتم وجه، وقد استثمر الاكتشافات العلمية التي ساعدته في إثبات العقيدة، وربطها بتجليات الأسماء الحسنى، فهذا المسلك يفتح أبواب الكون لينفذ بالحقائق العلمية إلى النفس البشرية المفطورة على حب الله سبحانه وتعالى فتستشعر تجليات أسمائه الحسنى فهو مسلك قرآني ينظر إلى خلق الله تعالى وآياته في الآفاق واعتبار النفس في حد ذاتها آية من آياته، يقول النورسي رحمه الله: "أما النهج الثاني فيبدأ من الآفاق، ويشاهد صاحب هذا النهج تجليات أسماء الله الحسنى، وصفاته الجليلة في مظاهر تلك الدائرة الآفاقية الكونية الواسعة ثم ينفذ إلى دائرة النفس، فيرى أنوار تلك التجليات بمقاييس مصغرة في آفاق كونه القلب، فيفتح في هذا القلب أقرب طريق إليه تعالى، ويشاهد أن القلب حقا مرآة الصمد، فيصل إلى مقصوده ومنتهاى أمله"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> بديع الزمان النورسي: المكتوبات ص 567

<sup>2</sup> د.عمار جيدل: بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق)، شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع،

الطبعة الأولى، 2001 ص 160

<sup>3</sup> بديع الزمان النورسي: الكلمات ص 573

ثالثا\_المسلك الإيماني:

هناك حقائق وإشارات تحتاج إلى الجانب النفسي لإثباتها، وهناك حقائق كونية تحتاج إلى الجانب الكوني لإثباتها، لكن في بعض الحالات يجد الإنسان نفسه حائراً أمام حقائق ميتافيزيقية لا يستطيع إثباتها بالعلم ولا بالقلب، ولا سبيل له إلا بالإيمان كالقضاء والقدر والبعث وعالم الملك والملكوت، وقد استخدم النورسي هذا المسلك من خلال توظيف أسماء الله الحسنى وتجلياتها في النفس والكون، فالإيمان الذي يقوم مقام البرهان القلبي لا يقاومه الشك، فمثلاً اسم الله جلّ جلاله " القادر " قدرة الله سبحانه وتعالى تتجلى في المخلوقات الكونية أما عجزها المطلق، سواء في الرزق أو المرض وحتى الموت ومن ثم قدرته جل جلاله على البعث من جديد، لقوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾<sup>1</sup>.

وما يثبت أن الإيمان يمكنه إثبات الحقائق الميتافيزيقية حكمة الله سبحانه وتعالى في الخلق والتوازن الموجود في الكون، فهذا النظام البديع يشهد في كل لحظة على وجود عالم آخر أكثر نظاماً وإبداعاً، سواء في تركيب الموجودات أو حركاتها أو علاقاتها مع بعضها البعض، حتى أن العلماء المحققين في أسرار الطبيعة تجذبهم أبحاثهم إلى الإيمان بالله تعالى، وذلك بالوقوف على أدلة إثباتها.

المبحث الثالث : تمثلات الإشارات العلمية في الطبيعة عند النورسي.

استفاد النورسي من القوالب الاستدلالية المبنوثة في القرآن الكريم ، وتأمله العميق فيها جعله ينظر إلى المصحف بالمعنى الحرفي أي ينظر إليها من حيث دلالاتها على الصانع الجليل، فيقول: ما أحسن خلقه، ما أجمل خلقه، ما أعظم دلالاته على جمال المبدع الجليل وهكذا يكشف أمام الأنظار الجمال الحقيقي للكائنات<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> \_ سورة الأنبياء الآية 103

<sup>2</sup> النورسي: الكلمات ص141

كان النورسي شديد البرهنة على حقائق الإيمان باستخدامه لغة الإشارات العلمية لما لها من قوة الحجة ويقينها، بل نكاد نجزم بأنها أقوى حجج العصر لمواجهة المد الإلحادي، فكأما تطوّر العلم واكتشفت إشاراته الدالة على الحق أذعن كبار الملحدّين للحقيقة الدينية المثبتة علمياً، وهذا ما حدث مع العالم البريطاني "أنتوني فلو" أكبر ملاحدة أوروبا وأشرسهم وأكثرهم عداوة للدين، يثبت في أواخر عمره وهو على مشارف الثمانين وجود الله من خلال الإشارات العلمية المنتظمة في الطبيعة، وقد كتب قائلاً: "لا شك أن من أشد البراهين وأضبطها على وجود الخالق هو برهان التصميم، والبرهان الكوني، ببساطة إن دقة بناء الكون، وما عليه الطبيعة من نظام وانتظام يشير إلى وجود مصمم ذكي، وبالرغم من أنني كنت من قبل من المعترضين بشدة على أن دقة التصميم تشير إلى وجود الله، فإن إعادة النظر في البرهان وفي أسلوب الاستدلال الفلسفي أوصلني إلى القرار بوجود إله خالق حكيم"<sup>1</sup>

رسائل النور غنية جداً بذكر الأدلة والشواهد والإشارات التي تؤكد التوافق التام بين العلم والدين، سواء في الجانب الفيزيقي أو الميتافيزيقي، ويستشهد بالقرآن الكريم بجميع معجزاته وحججه وحقائقه، فهو ينبئ عن الحقيقة بآلاف من آياته الكريمة صراحة أو إشارة ويثبتها بوضوح، كما يستشهد بالإشارات الكونية في الطبيعة وتطابقها مع الآيات القرآنية، ويستشهد بما وراء الطبيعة ذلك العالم الخفي الذي لا يلاحظ بأدوات المنهج التجريبي، لكن العقل يقر بوجوده بشواهد لا يمكنه إغفالها، وهذا ما يعمق الإيمان في القلوب ويثبت وحدانية الله سبحانه وتعالى، وقدرته على التحكم في نظام هذا الكون.

### المطلب الأول: تمثيلات الإشارات العلمية في القرآن (الكتاب المقروء).

الحقائق الإيمانية لها إشارات كونية دالة على وجودها في الطبيعة ولا بد لها من منهج علمي دقيق يوضحها ويقنع بها الرافضين لها بلغتهم ومنهجهم، وكان النورسي من بين الذين رفعوا لواء التحدي في إثبات الحقائق الإيمانية على أساس من الحقائق العلمية الثابتة، أو بالنظريات السائدة أو بالفرضيات القابلة للدراسة العلمية إسنادها إلى المادة الجامدة التي لا أمر لها في تدبير أمور الكون.

<sup>1</sup>Antony Flew, (There is a GOD) how the world is notorious atheist changed hismind, ◦

Ibid. P :95

أولاً\_ إشارات كونية دالة على وجود الله:

دافع النورسي رحمه الله عن قضايا العقيدة مبتثاً بإثبات وجود الله للملحدين بأدلة علمية تلجم أفواههم، وبرهن بدليل النظام المحكم على وجود منظم متصف بصفات الكمال منزه عن النقص، وبما أن جميع الموجودات تخضع لنظام ثابت لا يمكنها تجاوزه، وهذا النظام فيه من الدقة المتناهية ما يعجز عن فهمها أكبر العلماء، فتقدم الأستاذ النورسي " في هدوء ذكي ليأخذ بيد طالب الحقيقة في جولة رائعة شاسعة هائلة كي يفتح له فيها مغاليق عقله وقلبه، ويوقفه أمام لوحة الوجود وجمالها الأخاذ ومظاهرها البديعة، بادئاً رحلته الكونية من عجائب الآفاق العلوية إلى مدهشات الكائنات السفلية، سابراً غورها واصفاً اتساقها واتزانها ولوحاتها الفنية الرائعة، التي تأخذ بالألباب وتضرب على أوتار القلوب، فتوقظ الغافل وتثير بصيرة الذاهل وتأخذ بيد الجاهل، إلى عالم حقائق العلم والمعرفة في إطار السببية الحاسمة والغائية العميقة، والتخطيط الكوني الشامل الجامع الذي يقطع بوجود الخالق العظيم الذي تسبح له السماوات والأرض ومن فيهن"<sup>1</sup>.

لقد كان الأستاذ النورسي رائعاً في تأملاته، عميقاً في استلهام المعاني الدقيقة من مشاهداته في الطبيعة، وذلك يرجع إلى امتلاكه عقلاً كبيراً ذكياً متفتحاً، وذاكرة قوية وملكات متعددة لذلك كان جهاز استقبال الإشارات الكونية نقياً صافياً غير مشوش، فقد كان يرى أن الإشارات الكونية والمستحدثات العلمية هي دلائل ملموسة على وحدانية الخالق وتكريم الإنسان بأن منحه القدرة على كشف هذه الحقائق العلمية من خلال استقراء الطبيعة لكن لاستكمال أسباب التوازن لا بد أن يأخذ بالمكمل الروحي الإيماني الذي تجسد في القرآن الكريم، ولما كانت الفترة التي عاشها الأستاذ النورسي تعلي من شأن العلم والعقل، وكان الاتجاه العالمي يريد استخدام الاكتشافات العلمية في عكس طريقها، أي نحو الإلحاد والتشكيك في الأديان، ولأن الأستاذ استوعب روح العصر فقد أتقن استعمال لغة التأمل العقلي والعلمي القائم على الحقيقة الخالدة وهي توحيد الخالق سبحانه وتعالى.

يقول النورسي رحمه الله: " فإن كل ذرة في الكون تشهد شهادة صادقة على وجوب وجود الخالق الحكيم جلّ جلاله، فبينما تراها تتردد بين إمكانات واحتمالات غير متناهية في

<sup>1</sup> مقدمة الآية الكبرى لسعيد النورسي، دمحسن عبد الحميد، أستاذ التفسير والعقائد الإسلامية، جامعة بغداد. ص 367

صفاتنا وذاتها وأحوالها ووجودها، إذا بها تنتعش وتسلك طريقا معيناً، وتتصف بصفة معينة، وتتكيف بحالة منتظمة، وتسير وفق قانون مسدد وتتوجه إلى قصد معين، فنتج حكماً ومصالح تبهر الأبواب فتزيد سطوع الإيمان بالله في اللطيفة الربانية الممثلة لنموذج عوالم الغيب في الإنسان، فكل ذرة من الذرات كما أنها تدل على الخالق الحكيم بوجودها المنفرد، فإن هذه الدلالة تتزايد باعتبار كون الذرة جزءاً من مركبات متداخلة متصاعدة<sup>1</sup>.

### ثانياً\_ الإشارات العلمية الدالة على توحيد الله:

توحيد الله كان من أجل الحقائق التي أثبتتها بالدليل الكوني، لأنه من أقوى أدلة العصر، وكلما تطور العلم تجلت حقيقة الخلق، وقد أدت البراهين العلمية واكتشافاتها إلى تراجع كبار الملحدّين و فلاسفة العصر عن الإلحاد، كما استعان بتجليات أسماء الله الحسنى في الكون وسعى الأستاذ لتبيان دلائل توحيد الله سبحانه وتعالى بإشارات مستلهمة من نور القرآن، استمدها كذلك من اسمي الله "الواحد" و"الأحد"، ومن معنى التوحيد في حد ذاته "فلا يكون التوحيد إلا بنفي وإثبات وهما ركنا كلمة "توحيد" لا إله نفي إلا الله إثبات أي لا إله معبود بحق إلا الله"<sup>2</sup> وقسم التوحيد إلى قسمين حسب هذين الاسمين الجليلين:

\_ "الواحد": هو التوحيد العامي الظاهري، وهو "إثبات الربوبية المطلقة لله سبحانه وتعالى.

\_ "الأحد": هو التوحيد الحقيقي وهو الإيمان بيقين أقرب ما يكون إلى الشهود بوحدانيته سبحانه، ويصدر كل شيء من يد قدرته، وبأنه لا شريك له في ألوهيته، ولا معين له في ربوبيته، ولا ند له في ملكه، إيماناً يهب لصاحبه إطمئناناً دائماً، وسكينة القلب، لرؤية آية قدرته وختم ربوبيته، ونقش قلمه على كل شيء فيفتح شباك نافذ من كل شيء إلى نوره سبحانه، ذلك التوحيد الحقيقي الخالص السامي"<sup>3</sup>.

و من الإشارات العلمية الدالة على توحيد الله سبحانه تعالى:

<sup>1</sup> \_النورسي:المتنوي العربي، ص412

<sup>2</sup> \_إبراهيم مصطفى وآخرين، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج2، ص1016

<sup>3</sup> \_النورسي: الكلمات، ص326

## 1\_ اتساق الكون وانتظامه :

ومن الآيات القرآنية الدالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِ الْهِبَةِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>1</sup> وهذه الآية تدل على أنه لو كان في الكون خالقان متكافئان متماثلان، فلا بد لكل واحد منهما إرادة مستقلة عن الآخر، حينها لن يتفقا وهذا محال. وقد استخدم الأستاذ حجة منطقية تمثلت في تنفيذ رأي الخصم لإثبات المطلوب، فامتاع فساد نظام السماوات والأرض، بانتظامهما على نظام محكم إشارة إلى وحدانية الخالق.

2\_ العدل الكوني: العدل فضيلة أخلاقية عرفها العلماء بأنها التحلي بفضائل الأمور والتخلي عن الرذائل والإستقامة على الحق وعدم الحياد عنه ولا تتحقق إلا بالإسلام، والبلوغ والعقل والتسليم والسلامة من الفسق وكل ما يخل بالمرءة<sup>2</sup>، التوافق العجيب بين إشارات الكتاب المنظور وآيات الكتاب المقروء، تدل دلالة واضحة على توحيد الله سبحانه وتعالى، التفكير والتأمل في هذا التوازن والمطابقة يقود إلى توحيده وإجلاله لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾<sup>3</sup>، وهذا الكون يحمل من الإشارات المتوازنة مالا نهاية له، يقول النورسي رحمه الله: "هذا الكتاب الكوني العظيم يتجلى فيه النظام بوضوح تام بحيث يظهر النظام كالشمس في رابعة النهار، فتظهر معجزة القدرة في كل كلمة أو حرف فيه، فيتألف هذا الكتاب البديع فيه من الإعجاز الباهر، فإنك ترى فيه من النظم الدقيق المتشابك المتساند بحيث يلزم لإيجاد نقطة ما في مكانها الصحيح قدرة مطلقة تستطيع إيجاد الكون كله، وذلك لأن كل حرف من حروفه له وجه ناظر إلى كل جملة من جمل الكتاب، وله عين شاخص إليها، بل إن كل كلمة فيه لها ارتباط وثيق مع كلمات الكتاب كله"<sup>4</sup>.

تأمل النورسي ببصيرته الثاقبة إشارات العدل الكوني في الطبيعة، وبتبها في رسائل النور لإقناع القراء بالتوازن العادل في الكون كإشارة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، وكل مظاهر الطبيعة توحى بالتوازن إذ يقول: "وإن شئت فأنعم النظر في الموجودات كلها، ابتداء من

<sup>1</sup> سورة الانبياء الآية 22

<sup>2</sup> الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمد بن سليمان الأشقر، بيروت مؤسسة الرسالة، 1997، ص293.

<sup>3</sup> -سورة فاطر الآية 28

<sup>4</sup> \_النورسي: المثنوي العربي النوري، ص412

حجيرات الجسم إلى الكريات الحمر والبيض من الدم، ومن واردات البحار ومصاريقها إلى موارد المياه الجوفية وصرفياتها، ومن تولدات الحيوانات والنباتات ووفياتها، إلى تخريبات الخريف وتعميرات الربيع، ومن وظائف العناصر وحركات النجوم إلى تبدل الموت والحياة، ومن تصادم النور واللام إلى تعارض الحرارة والبرودة، وما شابهها من أمور، كي ترى أن كل يوزن ويقدر بميزان خارق الحساسية، والجميع يكتال بمكيال غاية في الدقة، بحيث يعجز عقل الإنسان أن يرى إسرافاً حقيقياً في مكان وعبثاً في جزء<sup>1</sup>.

فصل النورسي بقراءته للكتاب المنظور ما جاء مجملاً في الكتاب المقروء في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾<sup>2</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُؤْسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾<sup>3</sup>.

يتجلى العدل كذلك في تكامل الأدوار في وظائف الموجودات، والعجيب هو أن الجماد كذلك يؤدي دوره في الطبيعة، فهذا الكم الهائل من الموجودات المتناهية في الصغر وفي الكبر، رغم كثرتها تقوم بوظيفتها على أتم وجه والتي تكمل بدورها وظائف الموجودات الأخرى، بحيث تنتفي الصدفة والعشوائية في الطبيعة، يقول النورسي رحمه الله: "إننا نرى وظائف المخلوقات تتسج على منوال الحكمة، وتكال بميزان العدل، وهما من الدقة والحساسية بحيث لا يتصور الإنسان أفضل منها، ونرى العدالة المطلقة تضع كل عضو من الكائن الحي في موضعه اللائق به، وتتسقه بموازين دقيقة وحساسة، ونراها تمنح كل عضو تناسقاً لا عبث فيه، وموازنة لا نقص فيها، وانتظاماً لا ترى فيه إلا الإبداع، كل ذلك ضمن جمال زاهر وحسن باهر حتى تغدوا المخلوقات نماذج مجسمة للإبداع والإتقان والجمال"<sup>4</sup>.

هذه الإشارات العلمية المشهودة في الطبيعة تتطابق مع الآيات القرآنية في الكتاب المقروء، في كثير من الآيات الكريمة لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنْ النَّخْلِ مِنَ

<sup>1</sup> \_النورسي: اللغات، ص476

<sup>2</sup> \_سورة الرعد الآية 9

<sup>3</sup> \_سورة الحجر الآية 19

<sup>4</sup> \_النورسي: الشعاعات، ص 250

طَلَعَهَا قِنْوَانِدَانِيَّةً وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَالزَّيْتُونِ وَالرُّمَّانِ مُشْتَبِهًا وَعَبِيرٌ مُّثَشِّبُهُ أَنْظُرُوا إِلَيَّ  
ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ<sup>1</sup>.

يظهر العدل الكوني كذلك في مسألة الرزق حيث تتوازن المخلوقات في رزقها رغم افتقارها وعجزها، فيرزق سبحانه وتعالى الجنين في بطن أمه ويرزقه في أولى مراحل حياته دون بذل أي جهد ويجعل من الأم مصدرا لهذا الرزق المادي وفي نفس الوقت يرزقها (الأم) الصحة والعافية وهناك توازن عجيب في هذه المسألة، كما يرزق الحيتان في البحر والطيور الصغار التي لا حول لها ولا قوة، وهذه عدالة متناهية ومطلقة، يقول النورسي رحمه الله: "سيلان الحليب من تلك المضخات العجيبة إلى أفواه الصغار العاجزين، وانقطاع تلك النفقة مباشرة بعد اكتسابهم جزءا من الاقتدار، يثبت بدهشة أن الرزق الحلال لا يأتي متناسبا مع القدرة والإرادة وإنما يأتي متناسبا مع الضعف والعجز الذين يمنحان التوكل"<sup>2</sup>، وهذا ما يتطابق مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَيَّ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرُهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا<sup>3</sup> .

**3\_ نفي الصدفة:** إن مبدأي الآلية والغائية اللذان يتجسدان في وظائف الموجودات والذي ينفي الصدفة في الطبيعة دليل واضح على توحيد الله سبحانه وتعالى، والنظام الثابت الذي يتحكم في الظواهر دليل آخر على توحيد المنظم المبدع الخالق لهذا الكون، يقول النورسي رحمه الله: "إن النظام المندمج في الكائنات وما فيه من رعاية المصالح والحكم، يدل على قصد الخالق الحكيم وحكمته المعجزة، وينفي نفيا قاطعا وهم المصادفة والاتفاق الأعمى"<sup>4</sup>، فأعطاء كل مخلوق مهما كان حجمه وظيفة في هذا الوجود وغاية من وجوده، دليل على توحيد وعظمته سبحانه وتعالى.

إن الطبيعة شريعة إلهية فطرية، وهي مطبوعة إلهية ومحصلة القوانين العلمية الجارية في الكون، وعلى الإنسان النظر في إشارات من جهة القدرة الإلهية الثابتة المحيرة للعقول والألباب، بحيث لا يستطيع العقل البشري أن يتصور أدق منها ولا أعجب ولا أتقن.

<sup>1</sup> \_سورة الأنعام الآية 100

<sup>2</sup> \_النورسي: الشعاعات ص 206

<sup>3</sup> \_سورة الطلاق الآية 3

<sup>4</sup> \_النورسي: المثنوي العربي، ص 413

### ثالثا\_ الإشارات العلمية الدالة على النبوة.

إن عقل الإنسان نسبي قاصر عن إدراك كل ما في الطبيعة من إشارات، لا يمكنه فك ألغازها إلا عن طريق الوحي، وهذا ما حدث فعلا مع لغة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد كان السبق القرآني للكثير من الظواهر الطبيعية على لسان الأنبياء قبل اكتشافها علميا، يقول النورسي رحمه الله: "إن هذا الكون مثلما يدل على صانعه وكاتبه ومصوره الذي أوجده، فهو كذلك يستدعي لا محالة وجود من يعبر عما في هذا الكتاب الكبير من معان، ويعلم ويعلم المقاصد الإلهية من خلق الكون، ويعلم الحكم الربانية في تحولاته وتبدلاته، ويدرس نتائج حركاته الوظيفية، ويعلن قيمة ماهيته وكمالات ما فيه من الموجودات، أي يقتضي داعيا عظيما ومناديا صادقا، وأستاذا محققا، ومعلما بارعا، فأدرك السائح أن الكون يدل ويشهد على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وصوابه، الذي هو أفضل من أتم هذه الوظائف والمهمات"<sup>1</sup>.

كانت مسألة النبوة محور اهتمام النورسي رحمه الله بل القصية الأساس بعد القرآن الكريم، خاصة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد وصفه بأنه أصدق إشارة وأصح برهان وأقطع حجة على الصانع الحكيم، وكانت حاضرة بقوة في جل الرسائل منها (الرسالة الأحمدية) و(المعراج النبوي) ، و(المعجزات الأحمدية) و(منهاج السنة) و(مرقاة السنة) وأن النبوة كانت السبيل الوحيد لاطلاع البشر على رسالتهم الحضارية والاستخلافية-التمثلية في آدم عليه السلام أصلا استخلاف الأرض، وأن النبوة في حد ذاتها تكريم للبشر وكفى بالإنسانية تكريما وفخرا أن صير لها محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.

\_تأكيد الحقائق الأخروية وأن هناك حياة بعد الموت والإيمان بالبعث والحشر واليوم الآخر: لا يمكن الإيمان بهذه القضايا إلا بواسطة الأنبياء والرسول عليهم السلام، وليس للعقل مجال أو المناقشة لأنها قضايا نقلية توقيفية يقول النورسي: "اتفق علماء الإسلام بأن قضية الحشر قضية نقلية أي أن أدلتها نقلية ولا يمكن الوصول إليها عقلا، ولو اعتمد على مقاييسه الكلية لظل عاجزا مضطرا إلى التقليد"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> \_النورسي: الشعاعات ص 161

<sup>2</sup> النورسي: المكتوبات ص 119

والنبوة عند النورسي رحمه الله تنقسم إلى قسمين:

**القسم الأول:** ما جاء به الانبياء من معجزات في حياتهم ، والبعد الذي تحمله كل معجزة، وربط كل منها بعلم من العلوم إكتشفتها البشرية فيما بعد، سنفصل فيها في المبحث الخاص بها.

**القسم الثاني:** ما حدث بعد حياتهم تصديقاً لنبواتهم، خاصة محمد صلى الله عليه وسلم

أ-ما ظهر من دلائل النبوة في شخصه وسيرته وصورته وأخلاقه وكمال عقله.

ب-ما ظهر منها في أمور خارجة عن ذاته الشريفة، أي في الآفاق والكون، وهذا أيضاً

قسمان: قسم معنوي قرآني، وقسم مادي كوني، منها المعجزات التي ظهرت خلال مرحلة الدعوة النبوية لكسر عناد الكفار وترسيخ العقيدة في قلوب المؤمنين، ومنها التي أخبر عنها قبل وقوعها، ثم ظهرت فيما بعد تماماً مثلما أخبر عنها.

**أ-سيرته صلى الله عليه وسلم:**

فصل الأستاذ النورسي الكلام في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، معتمداً على

إشارات كثيرة نختصرها في ثلاثة إشارات هي:

**\_ تمام أخلاقه وكمالها صلى الله عليه وسلم:**

يقول الأستاذ النورسي: " لقد اتفق الأعداء والأولياء بما لا ريب فيه أن ما يتحلى به صلى الله عليه وسلم من الأخلاق الفاضلة هو في أسمى الدرجات، وأن ما يتصف به من سجايا حميدة في دعوته هو في أعلى المراتب، تشهد بذلك معاملته وسلوكه مع الناس، وأن شريعته الغراء تضم أكمل الخصال الحسنة، تشهد بذلك محاسن الأخلاق في دينه القويم"<sup>1</sup>.

وتظهر أخلاقه في كل أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم من خلال:

\_إنجازاته المادية والمعنوية.

\_خطابه البلاغي صلى الله عليه وسلم.

\_ مسيرته صلى الله عليه وسلم.

\_كمال الشريعة وشموليتها.

<sup>1</sup> النورسي: الكلمات ص 276

لا يوجد قانون في الإحكام والتنظيم مثل التشريع الذي جاء به النبي صلى عليه وسلّم، فشريعته جاءت لتسد حاجة الإنسان في كل نواحي الحياة، وتبين الحكم في كل ما يحتاجه الإنسان، وتنظم حياته من الولادة إلى الوفاة، في حين لا نجد مثل هذا التشريع في أي قانون وضعي، إذ يعدّل كل سنة عدة مرات، وإذا نجح في بلد لا ينجح في بلد آخر إذ تتحكم فيه ظروف المجتمع، ولم يستطع أحد الإتيان بقانون ناجح صالح لكل زمان ومكان وفي جميع المجالات\_ السياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرهم\_ ولو اجتمعت كل العقول ما أبدعت شريعة خالدة شاملة لجميع مناحي الحياة مثل التي أتى بها النبي صلى الله عليه وسلّم.

### ب\_ إشارات علمية أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد تحدّث العلماء قديماً وحديثاً عن الإخبار النبوي عن حقائق علمية لم نعرف معناها إلا في هذا القرن، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال: " يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.."<sup>1</sup>.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: " إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعة في التراب"<sup>2</sup> وقد ثبت طبياً أن لسان الكلب يحمل فطريات ضارة جداً للإنسان، وهذه الفطريات لا تزول إلا بالتراب والماء<sup>3</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: " إذا كان الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه، وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه" أليس هذا ما يسمى بالحجر الصحي في عصرنا الحديث؟

<sup>1</sup> \_ البخاري: كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، رقم 167

<sup>2</sup> \_ رواه مسلم.

<sup>3</sup> \_ الد. سليمان عمر قوش\_ :القرآن والسنة في العلوم الحديثة، ص 69

المطلب الثاني: تمثلاتها في الطبيعة والكون ( الكتاب المنظور).

لقد كان أسلوب الأستاذ النورسي في تناوله للإشارات العلمية في الطبيعة يجمع بين الحقيقة العلمية والاستقراء المنطقي والشمول والشاعرية والخصوبة مرتبطين بتفسيره للقرآن الكريم ، باعتباره الركيزة والمرشد الأول الذي اعتمده في مشروعه الإصلاحية مؤكداً على أنه أقوى علاج لأمراض الأمة، وقد تناول مسألة الإشارات في جل رسائل النور ومن ناحيتين:

\_ **الناحية النظرية:** في رسالة المعجزات القرآنية في "مجلد الكلمات" وفي رسالة المعجزات الأحمدية في "المكتوبات" وفي رسالة الآية الكبرى في "الشعاعات" نجد الكثير منها متناثراً بين ثنايا الرسائل يستخدمها كدلائل لإثبات الحقائق الإيمانية.

\_ **الناحية التطبيقية:** في مجلد إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، وفي رسالة الإشارات القرآنية في مجلد الشعاعات .

هذا ورسائل النور كلها براهين ودلائل على الحقائق الإيمانية، بل هي فيض قرآني يستند على القرآن الكريم وحده يقول الأستاذ النورسي رحمه الله: "إن رسائل النور ليست طريقة صوفية بل حقيقية، وهي نور مفاض من الآيات القرآنية، ولم تستق من علوم الشرق ولا من فنون الغرب، بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم خاص لهذا الزمان"<sup>1</sup>

تعتمد الأستاذ النورسي إيراد الإشارات الطبيعية من الآيات التي أثرت فيها الشبهات ليرد على المشككين خاصة الغرب بلغتهم ولسانهم العلمي، يقول: "إن كل آية من الآيات الواردة في هذه الرسالة إما أنها أصبحت موضع انتقاد الملحدين، أو أصابها أهل العلوم الحديثة أو مستها شبهات شياطين الجن والإنس وأوهامهم"<sup>2</sup>

يوظف الأستاذ النورسي خياله لتدعيم حججه فيتخيل سائحا يسأل الموجودات في الكون عن خالقها انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الملاحق ص 202

<sup>2</sup> الكلمات ص 420

<sup>3</sup> سورة الاسراء ص 44

احتوى القرآن الكريم آيات كونية، أي تلك الآيات التي تتناول شؤون الكون وأمور الحياة، ومسائل المخلوقات والكائنات الحية وغير الحية، والنماذج الآتية ليست إلا نماذج قليلة للإشارات الكونية والمخترعات العلمية التي كشفت العلوم الحديثة عنها، والتي تحدّث النورسي عنها في رسائل النور، هذا السبق القرآني في العلوم الحديثة كان إخباراً من الله لتبيان الحق لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٥٢﴾<sup>1</sup>

إن الإشارات العلمية في الطبيعة نبّهت الإنسان إلى قضايا كثيرة كانت موضع تساؤل أنقذت بذلك العقل من الحيرة والضلال في قضايا لا يستطيع الكشف عنها، كحقائق الغيب بالتعبير القرآني أو ما وراء الطبيعة بتعبير الفلسفة، هذا التفرد للخطاب القرآني بهذه الميزة منحه خصوصية جوهرية وهي القدرة على التعامل مع الموضوعات المختلفة في مجال الطبيعة وما وراءها في ثوابتهما ومتغيرتهما دون الوقوع في تناقض، فالجمع بين الثبات والتغير في عالم الإنسان والكون وبين عالم الشهادة عالم الغيب وبين المادة والروح تحت مظلة العقيدة الإسلامية في صفائها ونقائها وتنزهها يعد من خصائص الفكر الإسلامي وأهم مميزاته.

### أولاً- الإشارات الدالة على ارتباط الكون المقروء بالكون المنظور.

لقد ربط الأستاذ النورسي بين القرآنيين ( المقروء والمنظور) وهنا يكمن سر الذوق الفريد لرسائل النور والصدى الواسع لدعوته والقبول المطلق لمنهجه، فجمع بين القراءتين في نسق عجيب (قراءة كتاب الله المقروء وقراءة كتاب الله المنظور) ففتح منافذ جديدة للفهم الإنساني وقراءة إبداعية حية لكتاب الله سبحانه وتعالى.

### 1\_ الكون يشهد للقرآن:

الخطاب القرآني كان أول خطاب بياني إيماني دعا الإنسان للعلم والتعلم، وللوصول إلى هذه لغاية تناول كل الوسائل الملائمة لكيونة الإنسان وتكوينه المادي والروحي وفي مقدمتها:

إثارة وتنبيه ما هو كائن في الإنسان من غريزة حب الاستطلاع فيما يرى ويدرك.

<sup>1</sup> سورة فصلت ص52

إثارة ما هو مجبول عليه من حب التجمل بالعلم والتمكن من المعرفة وكرهية الجهل.  
إثارة ما جبل عليه من حب الذات والحرص على استمرارية نوعه والسعي إلى قضاء حوائجه، وتعريفه بأن القضايا التي يطالبه القرآن بالنظر فيها وتتبع آثارها إنما هي مخلوقة لأجله ومسخرة لمنفعته، لقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ إِنََّّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنبًا وَقَضْبًا ۚ ۲۸ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۚ ۲۹ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۚ ۳۰ وَفَكِهَةً ۚ وَأَبًا مَّتَعًا لَكُمْ ۖ وَلِأَنْعَمِ كُمْ ۖ﴾<sup>1</sup>.

من هنا خاطب الأستاذ النورسي الإنسان قائلاً: "إن كنت تروم الحصول على علم الحقيقة والحكمة فأضفر بمعرفة الله، إذ حقائق الموجودات كلها إنما هي شعاعات إسم الله الحق ومظاهر أسماء الله الحسنى وتجليات صفاته الجليلة"<sup>2</sup>

لذلك انطلقت رسائل النور من البيان الإيماني للخطاب القرآني في تأسيس اليقين، عن طريق الربط بين وسائل الإدراك والشريعة الفطرية من جهة وبين الطبيعة والشريعة الكونية من جانب آخر، وذلك عن طريق تجلية الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها والدعوة إلى إيقاظ الوعي الإيماني وربط المخلوق بخالقه عن طريق التكامل بين دائرة التكليف الإيمانية والعملية، هذا البيان يأخذ بيدنا نحو حقيقة مفادها أننا لكي نفقه قوانين الطبيعة علينا بقراءة القرآن الكريم.

### 2\_ الكائنات هي تجليات للقرآن في الطبيعة:

عندما نقرأ رسائل النور نفهم أنها تفسير حقيقي ومعنوي للقرآن الكريم، لذا فإن غايتها هي قراءة كتاب الكون وبيان هدف الفطرة، ونتيجة الخلق ومصيرها، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى خلق الكائنات من أجل الإنسان وخلق الإنسان لمعرفة ومحبته، فقد انطلق الأستاذ النورسي من فيض القرآن إلى أعماق النفس والوجدان من جانب، والآفاق المرئية والمدركة من جانب آخر، في ترابط ينير العقل ويريح القلب عبر نظرة واحدة إلى جوانب

<sup>1</sup> سورة عبس الآية 24-32

<sup>2</sup> النورسي: مرشد أهل القرآن الى حقيقة الايمان، ص 56

المعرفة الكونية التي تشرف على الكائنات من خلال قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>1</sup>.

إن الأستاذ النورسي يربط بين الكتاب المقروء والكتاب المنظور ويعتقد أن كليهما مفتاح للآخر، فمفتاح الكتاب المنظور هو القرآن الكريم الذي يأمر بالنظر في آياته المتعددة من الشمس والقمر والليل والنهار، ومفتاح الكتاب المقروء هو نفسه وآفاقه، فقد استطاع الأستاذ النورسي أن يربط بين الشريعة الكونية والشريعة القرآنية في مؤلفاته إنطلاقاً من قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾<sup>2</sup> حيث يرى في ضوء الآية أنه ما من معرفة مما تتبادلها العقول فيما بينها إلا وترجع في أصولها الأولى إلى واحدة من المعارف التالية:

— معرفة كونية تشمل علوم ما في السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

— معرفة إنسانية تشمل الكينونة الإنسانية وكل ما يتعلق بالإنسان فرداً ونوعاً ظاهراً وباطناً.

— معرفة إلهية ترتبط بوجود الله تعالى وبربوبيته وشؤونه خلقه.

فهو يريد أن يوجه نظر الإنسان في كل زمان ومكان إلى استقراء الدليل الكوني بمنهج قرآني يجمع فيه بين الأدلة كلها متعاضدة ومتساندة وتمثل نظرة جامعة إلى الوجود كله وأنه صنعة الواحد الأحد.

للوصول إلى هذه الغاية تناول الأستاذ النورسي الحديث عن الكائنات في أماكن متعددة من دائرة المعرفة، ويوقفنا على أن كتاب الله عندما يأخذ في عرض آياته الكونية لا يعرضها مفصلة، بل يعرضها مصحوبة إما بتبنيه سابق أو بتعقيب لاحق ويقدمها للإنسان ببيان معجز لا يكاد يقارنه بيان مهما كان، وهذه النداءات المعجزة والبيانات المتعددة كلها تلتقي حول محور واحد يتلخص في الكشف عن خصائص الطبيعة الكونية والتعرف على آثارها ومنافعها واستخلاص العبرة منها، بمعنى أن النظر إلى الكون المترامي الأطراف من حيث تنظيماته المتلاحقة وأنظمتها المتناظرة وموازنته المتساندة، وتجاوب أطرافه المتخالفة وارتباط أجزائه المتناسبة ونسب التكوين في الذرات وشمول تصرف القدرة في الأنواع المتعددة وعدم

<sup>1</sup> سورة النور الآية 35

<sup>2</sup> سورة فصلت الآية 52

تناهي خوارق صنعة الكائنات واتفاقها ، والحكمة العامة المتضمنة للقصد والإرادة والاختيار وتجسيد العناية التامة بالكائنات وتبسيط الرحمة الشاملة بالمخلوقات، وظهور إعجاز الحياة ومايرى على الكائنات من عناية ورعاية... وإطراد قانون الوفاة والميلاد المتجلي في كل ذرة من ذرات الوجود وتسيحات الكائنات المرئية وغير المرئية، ومشاهدة الإمكان والكثرة... كل ذلك وغيره من الكثير والكثير لهو دليل كوني استقرائي متكامل ومتساند على وجوب وجود الخالق المبدع المتصف بالأسماء الحسنى المتجلية على آيات الأنفس والآفاق في الوجود كله<sup>1</sup>.

كذلك يقول الأستاذ النورسي: " إن موجودات الكون بأنواعها المتعددة والمختلفة، تتعاون فيما بينها تعاوناً وثيقاً ويسعى كل جزء منها الى تكملة مهمة الآخر، وكأنها تمثل بمجموعها وأجزائها تروس معمل بديع ودواليبه التي يشاهد فيها هذا التعاون بوضوح"<sup>2</sup>

**ثانياً\_ الآيات الكونية.**

إن الآيات الكونية كانت ولا زالت لحد الآن موضع نظر وإمعان، واهتمت بها الأوساط الدينية والعلمية، وتناولوها- كل حسب اختصاصه- بكل دقة من حيث انتظامها وأسرارها وفوائدها، وما تقع على عاتق كل من تلك الآيات من واجبات ومهام.

ودين الإسلام- خاصة بين الأديان- قد وضع بصمته في الاهتمام بها حيث لا يوجد تعارض بين نصوصه وبين العلم وتطوره، بل كلما تطور العلم واكتشف الحقائق لتألمات درر نصوص الإسلام أكثر وأكثر، وما نراه اليوم في العالم الغربي عن الإسلام شاهد على ذلك.

والآية في اللغة العربية وردت بعدة معاني منها:

**\_الدلالة والعلامة:** قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمُوا بَيِّنَاتٍ إِسْرَائِيلَ﴾<sup>3</sup>.

ومعنى الآية هنا الدلالة<sup>4</sup> وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾<sup>1</sup> أي علامة تدل على عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى.

<sup>1</sup> النورسي : المثنوي العربي ص431

<sup>2</sup> النورسي : المثنوي العربي ص 540

<sup>3</sup>-الشعراء الآية 197

<sup>4</sup>-تفسير الطبري 19\_397

العبرة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمَسْأَلِينَ﴾<sup>2</sup> أي عبرة.

المعجزة: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾<sup>3</sup> ولا يخفى أن المراد بالآيات هو المعجزات.

أما الكون فقد ورد في اللغة العربية من كان يكون كونا وكيونة، وجمعه أكوان، ويطلق الكون على الحدث والكائنة هي الحادثة، أي الأمر الحادث، والله تعالى مكون الأشياء ومحدثها من العدم، ويحوي معنى التركيب كذلك نقول كَوْن الشيء أي رُكِبَه.

وفي عصرنا الحاضر يطلق مفهوم الكون على هذا الفضاء الواسع وما به من أجرام، كالسماوات والأرض وما فيهن وما بينهما من متحرك وساكن مما علمه الإنسان وما جهله<sup>4</sup>

أما مفهوم الآيات الكونية ككل فتطلق على الكون الذي هو الخلق، والذي كَوْنَه الله تعالى فكان، مثل السماوات والأرض وما بينهما وسائر المخلوقات كافة، فجميع المخلوقات وما ورد في القرآن الكريم من لفظ ﴿ومن آياته﴾ خير دليل على ذلك.

وهذه الآيات الكونية هي التي تثبت وجود الله سبحانه، وكذا تكون دليلا على قدرته سبحانه وعلمه وحكمته، والعلم الذي يعنى بدراسة الآيات الكونية يسمى: علم الكونيات، وهو علم يدرس تركيب الكون وتطوره، وتحاول بيان وتوضيح كيفية نشوء الكون، وما جرى عليه في الماضي وما يمكن أن يحدث له في المستقبل<sup>5</sup>.

وقس سماه النورسي بكتاب الكون المنظور أو بالقرآن كما قلنا سالفا، ويقول: "نعم، إن كل آية كونية من آيات قرآن الكون العظيم المنظور تعرض للأنظار معجزات نيرات هي بعدد نقاطها وحروفها"<sup>6</sup>

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أنواعا كثيرة من الآيات الكونية، منها آفات آفاقية كالشمس والقمر ومنها آيات نفسية داخل الإنسان كأعضائه ووظائف كل عضو

<sup>1</sup> سورة المؤمنون الآية 51

<sup>2</sup> سورة يوسف الآية 7

<sup>3</sup> سورة الإسراء الآية 101

<sup>4</sup> الآيات الكونية دراسة عقديّة: ص 23

<sup>5</sup> النورسي: للمعات ص 486

منها، ومنها ما يتعلّق بالأرض كالجبال والزلازل، ومنها ما يتعلّق بالسماء كالنجوم والكواكب السيّارة، ومنها ما هو مشترك كالأمطار والرعد والبرق، إلى غير ذلك من الأنواع والأمثلة. وقد انعكس ضوء مقاصد القرآن الكريم ومنهجه على رسائل النور، من حيث هي تفسير للقرآن الكريم وقد تناولها النورسي بالتفصيل في رسائله بمنهج علمي دقيق وفق رؤيته لتلك الآيات.

سنوضح الآيات الكونية في القرآن الكريم عند النورسي في نقطتين هما:

### النقطة الأولى: الكون وعرض آياته في القرآن الكريم.

بما أن موضوع الكون وأسراره وآياته في القرآن الكريم واسع إطاره، وقد كتب فيه الكثير، فسنركز على محورين هامين هما:

### أ/ نشأة الكون وفناؤه من خلال القرآن الكريم.

إن هذا الكون وما فيه حادث مخلوق في القرآن الكريم، وإنه سيأتي عليه يوم ويذهب إلى الفناء، وهذا الموضوع ذو فروع وتفاصيل، فكلمة نشأة معناها الخلق من العدم، وقد ذكرت في القرآن الكريم: النشأة الأولى\_ التي نحن بصددِها\_ والنشأة الآخرة أي القيامة، وكل منهما اختراع وإخراج من العدم إلى الوجود، ولا فرق بينهما إلا بالأولوية والأخروية، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾<sup>1</sup> وفعل النشأة خاص لالله سبحانه وتعالى، كونه مسبق بالعدم وعلى هذا "فالإنشاء هو الإختراع الذي لم يسبق بخلق"<sup>2</sup> وعلى هذا الأساس فإن الله تعالى هو الذي خلق هذا الكون العظيم وما فيه من الموجودات من الذرة إلى المجرة من العدم بحكمة وعلم وتقدير، فهو الخالق المبدع الذي لم يوكل أمر الخلق لأحد، ولم يشرك فيه أحد.

وقد ورد معنى النشأة في القرآن الكريم مستندا إلى أسماء الله الحسنى، منها:

<sup>1</sup> سورة العنكبوت: الآية 19

<sup>2</sup> أبو حيان: البحر المحيط ص 86\_10

-**الخالق:** (إسما وفعلا) فقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾<sup>1</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الخلق يجمع معنيين، أحدهما الإبداع والبرء والثاني التصوير والتقدير، فإذا قيل خلق فلابد أن يكون أبداعاً"<sup>2</sup>

-**البدیع:** قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>3</sup> والبدیع هو الذي ابتدع الخلق على غير مثال ولا مشورة<sup>4</sup>

-**الفاطر:** قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ﴾<sup>5</sup> ومعنى الفاطر قريب من معنى الخالق، وزيد في معناه الإنفراد بالابتداء<sup>6</sup>

ويستنتج من هذا أن تفرد الله سبحانه وتعالى بالخلق والنشأة والتكوين دليل قاطع على عجز ما سواه تعالى عن أمر الخلق، ومن عجز عن دفع الضرر عن نفسه ولم يقدر على دفع الموت والفناء عن نفسه، كيف يقدر على إيجاد شيء وإعطاء حياة لمخلوق، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوَةً وَلَا نُشُوراً﴾<sup>7</sup> فلا يستحق أن يعبد سوى الله الخالق البارئ المصور سبحانه وتعالى.

أما فناء الكون فهو نقيض البقاء، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَن عَمِلَ مِنَّا فَانٍ فَإِنَّ ۲٤ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ۲٥﴾<sup>8</sup> وهو آت على هذا الكون وما فيه لا محالة، حيث يصبح الكون كأن لم يكن مسكناً للأحياء أبداً، ويبدأ الفناء والدمار الشامل بالنفخ في الصور -على اختلاف العلماء في كفيته وتفصيله- سينفخ في الصور فجأة وبه يموت ذوو الأرواح -إلا ما شاء الله- ويضطرب به نظام الكون، فيفنى به الكون وما فيه من السماوات والأرض وما فيهن،

<sup>1</sup> سورة الزمر الآية 59

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى: ص 404

<sup>3</sup> سورة البقرة: الآية 117

<sup>4</sup> - تفسير السمرقندي: ص 88\_1

<sup>5</sup> -سورة فاطر: الآية 1

<sup>6</sup> -تفسير ابن عطية: 428

<sup>7</sup> -سورة الفرقان الآية 3

<sup>8</sup> -سورة الرحمن الآية 24\_25

فيحصل الفناء الكامل، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾<sup>1</sup> وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾<sup>2</sup> قالنفخة الأولى تكون للفناء وعلامة عليه.

وقد وردت في تصوير آيات الفناء الكوني وما فيه من السماوات والأرض والجبال والنظام والتبديل آيات كثيرة، ونذكر نبذة في تصوير الموقف ومشاهد الدمار، في ضوء القرآن الكريم:

إن هذا الدمار أمر من الله سبحانه وتعالى بفناء الكون واضطرابه وتبديله، وإنه حقيقة عبارة عن اضطراب عظيم ودمار رهيب، ومشهد مخيف فوق كل تصور، وحدث لم تشهد الخليقة مثله، فهو دمار الكون وفناء العالم، زلازل عنيفة واصطدامات شديدة وانفجارات هائلة وأصوات مخيفة صاعقة في كل اتجاه، تموج ودوران، تختلف أجزاء السماء ويختل نظام أجرامها، الأرض بما عليها من جبال جامدة ترجف وتتعرض للرجفة، فتتحرك الجبال من أصولها فتصير كالصوف المنفوش، وتصاحب هذه الأهوال كلها أصوات مخيفة، وتتبدل الأرض غير الأرض وتبرز كلها لله الواحد القهار<sup>3</sup> أما موقف الناس من الفناء الكوني فهم إما مؤمنون وإما كافرون، والمؤمنون لا يشهدون هذه الأهوال ويموتون قبله، أما الكافرون فيحضرون هذه المشاهد العظيمة، أما مواعده فقد استأثر الله سبحانه وتعالى في علم الغيب عنده، فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، ولا أحدا من خلقه، وكل ظاهر معلوم أنه يأتي بغتة وعلى حين غفلة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾<sup>4</sup> وقوله كذلك: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِمُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾<sup>5</sup>.

وهناك مقاصد كثيرة من ورود الآيات الكونية في القرآن الكريم، كلها من أجل تبصير الناس وهدايتهم ولعل من أبرزها:

<sup>1</sup> -سورة الحاقة: الآية 12\_13

<sup>2</sup> -سورة الزمر الآية 65

<sup>3</sup> -تفسير القرطبي:ص242

<sup>4</sup> -سورة لقمان الآية 33

<sup>5</sup> -سورة الأعراف الآية 187

اليقين: وهو الغاية والمقصد الأساسي والأعلى من مقاصد القرآن الكريم، فذكر الله سبحانه وتعالى أنواعا من الآيات الكونية كي يعود العبد إلى فطرته ورشده ويؤمن بالله سبحانه وتعالى، فالآيات الكونية تورث اليقين به سبحانه وبلقائه الأكيد.

**التفكير:** فهو طريق يوصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، فبه يصل الإنسان إلى ما في الكون من آيات تدل على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته، وهو سبحانه يذم للذين لا يتفكرون في آيات الله لقوله تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّنَ آيَةِ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾<sup>1</sup> قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكير في آيات الله وتوحيده"<sup>2</sup>.

**التبصير والتذكير:** أي أن الآيات الكونية جاءت لتبصرنا وتذكرنا بعظمة الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿اَفَلَمْ يَنْظُرُوْا اِلَى السَّمٰوٰتِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْتُهَا وَرَزَيْتُهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوْجٍ ۝۶ وَالْاَرْضَ مَدَدْتُمَهَا وَاَلْقَيْنَا فِيْهَا رُوْسِيَ وَاَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝۷ تَبٰصِرَةً وَّذِكْرِيْ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيْبٍ﴾<sup>3</sup>.

**الشكر:** فالآيات الكونية تذكرنا بنعم الله تعالى علينا لنشكره سبحانه وتعالى عليها لقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ آيٰتِهِۦٓ اَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرٰتٍ وَّلِيْدِيْقِكُمْ مِّن رَّحْمٰتِهِۦٓ وَّلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِاَمْرِهِۦٓ وَّلِتَلْبَغُوْا مِنْ فَضْلِهِۦٓ وَّلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ﴾<sup>4</sup>

**التخويف:** من رحمة الله سبحانه وتعالى أن يذيق عباده آفات دنيوية عسى أن يخاف العاصون ويرجعون إلى رشدهم قبل رحيلهم إلى الدار الآخرة، حيث لا ينفع الندم هناك، حيث لا ينفع ندمه لقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيٰتِ اِلَّا تَخْوِيْفًا﴾<sup>5</sup>

بالنسبة لرسائل النور ومنهجها في إيراد الآيات الكونية فكان فريدا من نوعه، فالناظر فيها يرى اهتماما كبيرا بالآيات الكونية المنتثرة في الطبيعة والتي هي تجلي من تجليات

<sup>1</sup> -سورة يوسف الآية 105

<sup>2</sup> -تفسير ابن كثير: 184

<sup>3</sup> -سورة ق الآية 6\_7\_8

<sup>4</sup> -سورة الروم الآية 45

<sup>5</sup> -سورة الإسراء الآية 59

أسماء الله الحسنى، وقد جعلها النورسي رحمه الله وسيلة فعالة لإبراز مقاصد جليلة من وراء ذكرها، ويمكن تناول منهجه في عرض الآيات الكونية- على سبيل التمثيل لا الحصر- في النقاط التالية:

**النقطة الأولى: التعامل مع الآيات الكونية من حيث البيان والتوضيح:** فالنورسي رحمه الله تعامل مع الآيات الكونية بنفس تعامله مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويذهب في تفسيرها وتوضيحها مذهبين، الأول التفسير الذي يدل عليه ظاهر النص من غير أن يؤول، والثاني التأويل وبيان ما خفي من وجوه معاني النص وقد رأينا في تفسيره للعديد من الآيات الكونية هذين المذهبين مثل الجبال، الرياح، الشمس.. الخ.

**النقطة الثانية: التفاعل مع الآيات الكونية واستنطاقها:** فالنورسي رحمه الله كثير التفاعل مع الآيات الكونية وكأنه يعتبر الكون وما فيه من مخلوقات وآيات قرناء له يستأنس بهم في خلواته، فالكون كله مطيع لله سبحانه وتعالى، ومسبح بحمده، وهي أيضا جيش من جيوشه سبحانه<sup>1</sup> ولعل من أبرز ما كتبه في هذا الموقف الاستنطاسي رسالة كتبها وسماها "رسالة تستنطق النجوم"<sup>2</sup> وخلصتها أنه رحمه الله كان يتأمل على قمة جبل في سكون الليل وكأنه يسمع خيالاً إلى ما تنطقه النجوم ولسان حالها يقول: "إنها تهتف جميعاً وتقول معا بلسان الحق: نحن براهين ساطعة على هيبة القدير ذي الجلال، نحن شواهد صدق على وجود الصانع الجليل وعلى وحدانيته وقدرته... نحن ألوف الثمرات الجميلة لشجرة الخلق، علقتنا يد حكمة الجليل ذي الجلال على شطر السماء وعلى أغصان درب التبانة"<sup>3</sup>

**النقطة الثالثة: توظيفها من أجل خدمة الحقائق الإيمانية:** الدارس لرسائل النور يلاحظ إبراز أسماء الله الحسنى وصفاته بوضوح في جميع مباحثها ومسائلها، ف جاء النورسي وحصر جهوده في ربط الآيات الكونية بخالقها بأسلوب علمي مقنع، والأمثلة كثيرة نذكر منها:

1- تناول مسألة النجوم في كثير من المباحث، وفي كل مرة يربط المسألة بالله سبحانه وتعالى وصفاته، والرسالة السابقة خير دليل على هذا حتى أنه في موضع آخر ينقل مناقشة

<sup>1</sup>-المكتوبات: ص522

<sup>2</sup>-الكلمات : الكلمة السابعة عشر ص246

<sup>3</sup>- المصدر نفسه ص 246

بين النجوم الذين هم عباد الله سبحانه وتعالى والكفار قائلة: " فأجابته نجمة نيابة عن النجوم: ما أشد بلاهتك أيها المدّعي الأحمق ألا ترى علامة التوحيد وطغراء الأحذية على وجوهنا؟ ألا تفهمها؟ ألا تعلم أنظمتنا الراقية وقوانين عبوديتنا الصارمة؟ أتظننا بلا نظام؟"<sup>1</sup> وفي موضع آخر يقول: " وجعل النجوم المتلألئة كالمصابيح شواهد نورانية على عظمة ربوبيته، مظهرا بهذا برؤية جليلة وعظمة قدرة قادرة"<sup>2</sup>.

2\_ تتاول مسألة الشمس دليلا على التوحيد، فمثلا عندما يريد أن يوضح منهج القرآن الكريم في تتاول الشمس يقول: "يبحث عن الشمس لا للشمس، ولا عن ماهيتها، بل لمن نورها وجعلها سراجا، وعن وظيفتها بصيرورتها محورا لانتظام الصنعة ومركزا لنظام الخلق، وما الإنتظام والنظام إلى مرآة معرفة الصانع الجليل، فيعرفنا القرآن براءة نظام النسيج وانتظام المنسوجات كمالات فاطرها الحكيم وصانعها العليم"<sup>3</sup>.

**النقطة الرابعة\_الاتعاض بالآيات الكونية:** إنه رحمه الله من حرصه على إيمان أمته يعتبر الحوادث الكونية وكوارثها نوعا من النعم الإلهية، حيث يعتبرها امتحانا لتترقى بها النفوس المؤمنة، وخير مثال على هذا حدوث زلزال عنيف في مدينتي أزمير وأرزجان بتركيا، فاستولى الخوف واليأس والهلع على قلوب الناس، حيث أن هذا الزلزال استمر حتى سلب راحة الناس ليلا، وعمّ القلق والاضطراب أغلب مناطق البلاد، وقد شعر النورسي بمعاناة أهله في تركيا فكتب رسالة حتى يخفف عنهم القلق، وأجاب فيها عن أسئلة الكثير من الناس المؤمنين، تخفف عن المصابين وتحذرهم من الذنوب، وتورثهم القناعة بأن الله تعالى حكيم لا يفعل شيئا إلا فيه مصالح إيمانية للناس، ووعظهم فيها، وبيّن لهم أن ما ينزل عليهم من بلاء هو نتيجة عريدة الناس ومجونهم جهارا نهارا، علما أنها كانت مركزا للإسلام، لذا فعليهم أن يتعظوا"<sup>4</sup>.

ومن ضمن أقواله رحمه تعالى، أن الدنيا هي دار امتحان واختبار، ودار مجاهدة وتكليف، والاختبار والتكليف يقتضيان أن تظل الحقائق مستترة ومخفية، كي تحصل المنافسة

<sup>1</sup> -النورسي: الكلمات ص 702

<sup>2</sup> \_النورسي:المكتوبات ص11

<sup>3</sup> \_النورسي:المكتوبات ص 253

<sup>4</sup> \_النورسي:الكلمات ص193

والمسابقة، وليسموا الصديقين بالمجاهدة إلى أعلى عليين مع الخلفاء الراشدين، ولتزدى الكاذبون إلى أسفل السافلين، " فلو سلم الأبرياء من المصيبة ولم يمسهم سوء أو أذى، لأصبح الإيمان بديهياً، أي: لاستوى الكفار والمؤمنون على حد سواء، ولانتفى التكليف وانسد بابه، ولم تبق حاجة إلى السمو في مراتب الإيمان"<sup>1</sup>.

ويقول كذلك: " صفع الله رب العالمين البشرية ببلايا آفات عامة مرعبة كالحرب العالمية والزلازل والسيول العارمة والرياح الهوجاء والصواعق المحرقة والظوفان المدمر، كل ذلك إيقاظ للإنسان السادر في غفلته وسوقاً له ليتخلى عن غروره وطغيانه الرهيب، ولتعريفه بربه الجليل الذي يعرض عنه، فأظهر سبحانه حكمته وقدرته وعدالته وقيوميته وارانته وحاكميته إظهاراً جلياً"<sup>2</sup>.

### ثالثاً\_استنطاق الطبيعة الناطقة بالتوحيد.

يختلف تفسير الأستاذ النورسي للإشارات العلمية في الطبيعة عن بقية التفاسير الأخرى قديماً وحديثاً وفيها من التجديد والإبداع بل والحياة ما يجعل القارئ يستشعر عظمة الخالق في كل إشارة بل ويستنطقها النورسي استنطاقاً واضحاً.

فتحس بأنفاسها وهي تؤدي وظيفتها في الكون إذ يقول: " يبحث عن الشمس لا للشمس ولا عن ماهيتها، بل لمن نورها وجعلها سراجاً، وعن وظيفتها بصيرورتها محورا لانتظام الصنعة ومركزاً لنظام الخلق وما الانتظام والنظام إلا مراًيا معرفة الصانع الجليل... ويفهم بها وبينه إلى تصرفات القدرة الإلهية العظيمة في اختلاف الليل والنهار وتناوب الصيف والشتاء"<sup>3</sup>.

أ\_ السماء: يقول الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ- وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤﴾<sup>4</sup> ملئت السماوات بالإشارات وقد أكدها العلم الحديث.

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات ص 195

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات ص197

<sup>3</sup> \_النورسي: الكلمات ص 268

<sup>4</sup> سورة الاسراء الآية 44

يتحدث الأستاذ النورسي عن السماء بكوكبها السيارة ونجومها وأفلاكها وعن حركتها المرسومة بعناية وعن تزيين وجهها الجميل وعن القدرة الالهية التي تعطي الشمس نظاما خاصا شبيها بعمل منضبط في السماء يتدفق سطوعا باهرا وتهللا مهيبا<sup>1</sup>

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَا رُجُومًا لِّلشَّيْطِينِ﴾<sup>2</sup> يشرح لنا الأستاذ النورسي هذه الآية فيقول أن جواسيس الجن والشياطين يسترقون السمع الى أخبار السماوات ويجلبون الاخبار الغيبية الى الكهان والماديين، فحيل بينهم وبين هذا التجسس فرجموا بالشهاب.<sup>3</sup>

هذه الشهب لها وظائف ثلاثة: أولا هي رمز وعلامة على أن هناك حراس يقظين ومطيعين، كما أنها مجانيق وقذائف لإرهاب جواسيس الشياطين الذين يسترقون السمع ويمثلون المساوي الأرضية أسوأ تمثيل، وطردهم من أبواب السماء لئلا يلوثوا السماء الطاهرة التي هي سكنى الطاهرين وليحولوا بينهم وبين التجسس لحساب النفوس الخبيثة.<sup>4</sup>

كما يبين الأستاذ النورسي تسبيح وتهليل السماوات ومن فيهن من خلال قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>5</sup> كما يبين لنا وظيفة السماء من خلال تفسيره للآية: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾<sup>6</sup>.

فلا يمكن للإنسان أن يخترق هذا السقف المحفوظ، يقول الأستاذ النورسي في الشعاع السابع أن الحق سبحانه وتعالى يتجلى في رفعه لمئات الألوف من الأجرام السماوية بلا عمد ولا سند منها ما هو أكبر من أرضنا ألف مرة، وما هو أسرع انطلاقا من القذيفة بسبعين مرة

<sup>1</sup> حسين عاشور: الموضوع الجمالي والطبيعة والعالم، والكون، المؤتمر العالمي حول تجديد الفكر الاسلامي 1992

ص155

<sup>2</sup> سورة الملك الآية 5

<sup>3</sup> بديع الزمان النورسي: اللغات اللعة الثامنة والعشرون ص451

<sup>4</sup> بديع الزمان النورسي: الكلمات، الكلمة الخامسة عشر ص 209

<sup>5</sup> سورة الجمعة الآية 1

<sup>6</sup> سورة الأنبياء الآية32

وذلك لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾<sup>1</sup>.

ويتحدث عن تسيير الأجرام بسرعة فائقة بلا مزاحمة ولا تصادم وفي إفادها لتكالقناديل المتدلّية دون زيت ولا انطفاء وعن تنوير وجه السماء ليصبح صافية نقية نظيفة طاهرة ، يتحدث كذلك عن استسلام الشمس لأوامر الله سبحانه وتعالى:

لقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾<sup>2</sup>.

ب\_ الشمس: الشمس سراج هذه الكائنات تحتوي على 72 بالمئة من الهيدروجين و 27 بالمئة من الهليوم، وهي نافذة تتلأأ ببراكين وجود خالق الكون ووحدانيته، فهي آية كبرى تدل على نور الله لو تأملها الإنسان حق التأمل.

يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾<sup>3</sup> وقوله أيضا: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُوفِّكُون﴾<sup>4</sup>.

يفسرها الأستاذ النورسي بأن " النظام الالهي الدقيق المحكم موجود في أجمل صورة حيث جعل الأجرام الجامدة التي لا شعور لها تجري في منتهى النظام وكمال الميزان وعلى صورة متباينة وضمن مسافات مختلفة وبحركات متنوعة ومن بعد ذلك تسخيرها جميعا وفق نظام بديع رائع" إن الشمس مأمورة وموظفة بنشر الضوء في السحر ولفها في المساء حينها تنتهي وظيفتها لتترك الليل يتم مهمته لقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِيٰ لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

<sup>1</sup> سورة ق الآية 6

<sup>2</sup> سورة فصلت الآية 10\_11

<sup>3</sup> سورة لقمان الآية 28

<sup>4</sup> سورة العنكبوت الآية 61

أَلْعَلِيمِ ﴿١﴾ أي أن الشمس تجري لمستقر لها لاستقرار مجموعتها وذلك لأن الحركة تولد الحرارة، والحرارة تولد القوة والقوة تولد الجاذبية الظاهرية وذلك قانون رباتي وسنة الهية<sup>2</sup>.

ج\_ البحار والأنهار: يقول عزوجل في محكم تنزيله: ﴿٣﴾ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴿٤﴾ يتحدث النورسي عن البحار فيقول: "إن البحار التي تتماوج بحيوية وتتلاطم بشدة دوما والتي من شأنها التشتت والانسكاب والإغراق، قد أحاطت بكرة الأرض فهما يسيران معا في منتهى السرعة ويجريان في سنة واحدة ضمن دائرة مقدارها خمس وعشرون ألف سنة وعلى الرغم من كل هذا فهي لا تتفرق أبدا، ولا تنسكب مطلقا ولا تستولي على جارتها اليابسة، فلا بد من أنها تسكن وتسير وتحفظ بأمر من له القدرة المطلقة"<sup>3</sup>.

ويؤكد العلماء كلام الأستاذ النورسي في عدم انسكاب البحار والمحيطات والأنهار على اليابس وذلك عن طريق عملية المد والجزر التي تسببها جاذبية القمر فتتسبب في انحسار المياه عن الشواطئ فتتكشف مساحة كبيرة كانت مغطاة بالماء ولأن الأرض تدور حول نفسها مرة كل 24 ساعة فإن المد والجزر يحدث مرتين<sup>4</sup>.

أما عن نزول الأمطار وفائدتها فيحدثنا الأستاذ النورسي مفسرا قوله تعالى: ﴿٥﴾ أَلَلَّهُ أَلَدِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَنْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرِي الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٧﴾<sup>5</sup> فيقول أن نزول المطر الذي هو نهر الحياة ورحمة مهداة منه سبحانه وتعالى لا يحكمه قانون مطرد يحدد وقت نزوله وذلك لألا تحرم أكف الزراعة أمام باب الرحمة والرجاء من الإسترحام وقت الحاجة إذ لو كان المطر وفق قانون مطرد مثل شروق الشمس وغروبها لما كان الخلق يتوسلون ويستغيثون كل حين<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة يس الآية 37

<sup>2</sup> بديع الزمان النورسي: الكلمات ، الكلمة الخامسة والعشرون، ص454

<sup>3</sup> بديع الزمان النورسي: الآية الكبرى، ص67

<sup>4</sup> موسوعة العلم والايمان الجزء الرابع ( تكوين الأرض) ص451

<sup>5</sup> سورة الروم الآية 47

<sup>6</sup> بديع الزمان النورسي: اللغات اللمعة الثلاثون ص562

ثم يأتي الغيث محملاً بمنافع عديدة ويحمل تجليات الرحمن في خزينة الغيث وهو بنزوله وانصبابه على الأرض يفسر بوضوح في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>1</sup>.

ياخذنا الأستاذ النورسي في سياحة جميلة فيما يخص تكوين الأنهار فيقول: "إن جريان هذه الأنهار هي فوق حسابات الأسباب الظاهرية بكثير لذا فهي لا تجري الا من خزينة جنة معنوية لا تنفض ومن فيض منبع غيبي لا ينفذ".

ويضرب لنا مثلاً للأنهار فيتحدث عن نهر النيل فيقول: "هذا نهر النيل الذي حوّل صحراء مصر القاحلة إلى جنة الدنيا، يجري كبحر صغير دون نفاذ، وينبع من جبل واقع في الجنوب يدعى جبل القمر، فلو جمعت صرفياته لستة أشهر وجمعت لحصل ما هو أعظم من ذلك الجبل، والحال أن ما خصص له من مكان للخرن لا يبلغ سدس ذلك الجبل أما وارداته فقليلة ضئيلة حيث أن شحة الأمطار وشدة حرارة المنطقة وتعطش الأرض للمحافظة على ميزان وارداته وصرفياته لذا فقد روي أنه يجري من جنة غيبية هي فوق القوانين الأرضية بالمعتادة"<sup>2</sup>.

وتشهد السنة النبوية الشريفة ان نهر النيل هو نهر من الجنة لقوله صلى الله عليه وسلم: "سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة"<sup>3</sup>.

**د\_السحاب:** يتحدث الأستاذ النورسي عن موضع السحاب في السماء فيقول: "أنه عالق بين السماء والأرض يسقي روضة الأرض سقياً يتفجر حكمة ورحمة ويمد سكانها بالماء الباعث للحياة ملطفاً شدة الحرارة"<sup>4</sup> وهذا السحاب ثقيل جداً وضخم ويقوم بوظائف كثيرة وفق أمر صادر من علي قدير مطلق القدرة ورحيم، فيركب السحاب متون الرياح بأمر الله حاملاً خزائن أمطار واسعة من حاكم مدبر ذي إحسان وإكرام وعناية مسعفاً بها مواضع من الأرض محتاجة إليها، وكأنه يرق لحالها فيبكي عليها بدموعه ويطلقها ضاحكة بالأزاهير والرياحين

<sup>1</sup> سورة الشورى الآية 26

<sup>2</sup> بديع الزمان النورسي: اللغات اللعة الثلاثون ص 262

<sup>3</sup> رواه مسلم في كتاب الجنة ص 26

<sup>4</sup> بديع الزمان النورسي: الشعاعات الشعاع السابع ص 144\_145

ويخفف من شدة لفحة الشمس ويسقي بساتين الأرض ومروجها ويغسل وجهها ويطهرها من الأقدار لتشرق بالصفاء<sup>1</sup>

هذا الأسلوب الجميل هو تفسير لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا يَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾<sup>2</sup>.

حتى أن الأصوات المنبعثة من السحاب كالبرق والرعد تحمل وظيفة الإخبار عن قدوم الغيث من الخالق الرازق فتبشر المهوفين المستغيثين لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾<sup>3</sup>

هـ- الرياح: من أعظم الإشارات العلمية التي تثبت تسيير الله سبحانه وتعالى لهذا الكون الرياح لقوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾<sup>4</sup> الله سبحانه وتعالى هو الذي يصرف الرياح لتقوم بوظيفتها إن كل ذرة من ذرات الهواء الجامد التي لا حياة لها ولا شعور ولا ثبات ولا هدف، تعي وتسمع ما يلقي إليها من أوامر إلهية فتؤدي وظيفتها على أتم وجه وتتفدتها دون خلل في كل انتظام ودقة<sup>5</sup>

كما تؤدي وظيفة داخل جسم الإنسان فكل ذرة من ذرات الهواء تدخل جسم الإنسان الحي وفي النباتات وفي الكائنات الحية الأخرى ، تعمل بمهارة فائقة وحكمة تامة، وحين تنتهي وظيفتها تتركها، فمهمتها التنفس، عند الحيوان أما عند النبات فتؤدي وظيفة الإلقاح لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْحَحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنُكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾<sup>6</sup> وقد فسرت هذه الآية علمياً، إذ ثبت أن هناك نباتات كثيرة لا يتم تلقيحها إلا بالهواء. "كما أن ذرات الهواء مكونة من مواد بسيطة كالأزوت والأكسجين ومع تماثل بعضها

<sup>1</sup> بديع الزمان النورسي : الشعاعات الشعاع السابع ص 145

<sup>2</sup> سورة الروم الآية 47

<sup>3</sup> سورة الرعد الآية 13

<sup>4</sup> سورة الجاثية الآية 4

<sup>5</sup> بديع الزمان النورسي: الكلمات الكلمة الثلاثون ص 653

<sup>6</sup> سورة الحجر الآية 22

لبعض فلا أراها إلا أنها تستخدم بيد حكيمة وبناتظام كامل<sup>1</sup> وما يشاهد من عصف الرياح وشدة هبوبها فلاسراعها لتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى وامثالها لحكمه.

و\_ **النجوم:**يستنتق الأستاذ النورسي النجوم وهي تقول بلسان الحق: "نحن أهل السماء ، ننفرج كالملائكة على تلك المعجزات اللطيفة التي جملت وجه الأرض فنحن ألوف العيون الباصرة تطل من السماء إلى الأرض وترنو إلى الجنة هكذا نبين مائة برهان وبرهان بمائة لسان ولسان، ونسمعها إلى من هو إنسان حقا، عميت عين الملحد لا يرى وجوهنا النيرة ولا يسمع أقوالنا البينة، فنحن آيات ناطقة بالحق، مسبحات نحن عابدات لرنا مسخرات تحت أمره نذكره تعالى ونحن مجذوبات بحبه، منسوبات إلى حلقة درب التبانة، أيضا النجوم هي بمثابة عيون الأجرام السماوية الباصرة فهي كلما نظرت كالملائكة إلى تلك المصنوعات اللطيفة التي تملأ وجه الأرض نظرت إلى عالم الجنة أيضا، فتشاهد تلك الخوارق المؤقتة في صورتها الباقية هناك، أي إنها عندما تلقي نظرة إلى الأرض تلقي الأخرى إلى الجنة."<sup>2</sup>

فحين تقرأ هذه المعاني الجليلة تستشعر عظمة الخالق سبحانه وتعالى وتحس بأن الكائنات الجامدة تؤدي وظيفتها على أتم وجه بل وتتعجل في طاعة خالقها ونحن البشر لا نؤدي وظيفة عمارة الأرض والاستخلاف. فالظواهر الطبيعية كلها إشارات تجلي الحكمة والرحمة الالهية إذ تؤدي وظائف جليلة فالرياح مثلا تؤدي وظيفة تلقيح النباتات بأمر من ربها وتساعد الكائنات على التنفس، فجعلها صالحة لترديد أنفاس الأحياء لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ<sup>3</sup> وكذلك السحب وهي معلقة بين السماء والأرض وكأنها جنود يتفرقون ويتجمعون حسب الأوامر الالهية وهي مسخرة لتقديم وظيفة جليلة فهي تحمل الرحمة الالهية والغيث والمطر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ

<sup>1</sup> بديع الزمان النورسي: الآية الكبرى، ص 57

<sup>2</sup> النورسي: المكتوبات المكتوب الرابع ص 25

<sup>3</sup> سورة الحجر الآية 22

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ<sup>1</sup>.

ينقلنا الأستاذ النورسي إلى عالم جميل جدا حين يفسر الآية: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۝ ١٥  
الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴾<sup>2</sup>.

هذه النجوم السيارة في انتشارها واستنارها إشارة الى جمال الخالق سبحانه وبديع صنعه  
فهي تعرض نقشا بديعا متقن الصنعة في وجه السماء فحين تخرج ليلا من دائرة الشمس  
تعرض روائع النقش المتجدد وبدائع الاتقان في صورة جمالية ووظيفة ربانية ، وبعد أن  
ينتهي كل نجم من وظيفته ويسطوع الفجر ترجع الى دائرتها فتستتر وتخفي عن الأنظار،  
يقول الأستاذ: " فهذه السيارات التي عبر عنها القرآن ب"الخنس" "الكنس" يجريها سبحانه  
وتعالى مع أرضنا جريان سفينة تمخر عباب الكون، ويسيرها طيران الطير في فضاء العالم  
ويسيح بها سياحة طويلة في انتظام كامل، دالا على عظمة ربوبيته وأبهة ألوهيته جل  
جلاله"<sup>3</sup>.

وفي تفسيره للآية: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝ ٣٨ ﴾<sup>4</sup> يتأمل  
تقدير القمر وتدويره حول الشمس بتلك الدقة وتدويره حول الأرض وتدبيره وتنويره لها، بتلك  
الدقة والنظام، فهذه الدقة وهذا النظام مقدر حسابهما لا يخطئ حتى بثانية ولا يتباطأ عن  
أداء عمله ولو للحظة، إذ يأخذ القمر شكل هلال رقيق، ويتخذ شكل عرجون قديم أثناء  
دخوله منزل الثريا ، فلو تأمل العقل هذه الآية لغرق في جمالها وإعجازه وإبداعه سبحانه ، ثم  
يأخذنا إلى قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ  
رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة الآية 163

<sup>2</sup> سورة التكويد الآية 15\_16

<sup>3</sup> بديع الزمان النورسي: المكتوبات ص19

<sup>4</sup> سورة يس الآية 38

<sup>5</sup> سورة الملك الآية 16

ي-الجبال: آية الجبال آية عظمى لقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادٌ﴾<sup>1</sup> يستدل بها على عظمة خالق الكون سبحانه عز وجل، وقد عاش النورسي رحمه الله بين الجبال سائحا متديرا مدركا أن ضخامتها تشهد لوحداية الله سبحانه، "وكل جبل له شخصية معنوية خاصة به، وله عبادة تليق به، فمثلا يسبح كل جبل برجع الصدى بأصوات البشر، فإن له تسبيحات للخالق الجليل بأسننته الخاصة"<sup>2</sup>.

للجبال وظائف مهمة وفوائد كثير تحير العقول، فهي بلسان حالها تدعو إلى النظر فيها وتقول: ألا تقرأ صحيفتنا؟ ومن أهم وظائفها:

\_تسند الأرض وتمسكها وتشد كيانهما أثناء دورانها، وتهدأ هيجانها، وتخفف من غضبها، وتدعها تتنفس مستريحة، وتتخلص الأرض بها من الزلازل المهلكة والتصدعات المدمرة"<sup>3</sup>.

\_تحمل في جوفها أنواع الينابيع، المياه، المواد والمعادن، وغيرها مما يحتاج إليها ذوو الحياة، يقول النورسي: "لقد ادخرت بحكمة وأحضرت بكرم، وخزنت بتدبير بحيث تثبت بداهة أن هذه الجبال هي خزائن ومستودعات ادخار تحت أمر القدير الذي لا نهاية لقدرته والحكيم الذي لا نهاية لحكمته"<sup>4</sup>.

- بارتفاعات سفوحها تشكل سدودا أمام طغيان البحار على ترابها.
- تمشط الهواء وتصفية من الغازات حتى يصبح صالحا للتنفس.

لقد شبه النورسي الجبال بأوتاد السفينة، فكما أن السفن تحتاج إلى أعمدة وأوتاد لتحافظ على توازنها فكذا الأرض فهي تشبه سفينة عظيمة في بحر الفضاء الواسع، وقد حافظت على توازنها، وأرسيته أثناء اشتباكها بالهواء في جوف المحيط الهوائي بهذه الجبال الشبيهة بالأعمدة والأوتاد، بمعنى أن الجبال في حكم الأعمدة السارية لتلك السفينة"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> -سورة النبا الآية 7

<sup>2</sup> - النورسي: الكلمات 287

<sup>3</sup> النورسي: الكلمات، ص، 794،

<sup>4</sup> النورسي: الشعاعات، ص 143

<sup>5</sup> النورسي: صيقل الإسلام ص 76

كما شبهها بجهاز التنفس، ويرى بأن الاستقرار والهدوء اللذان نراهما على الأرض سببهما الجبال، فالاهتزازات التي تحدث من الانقلابات الداخلية للأرض تهدأ وتسكن بالجبال فمتى ما حصل فوران وغضب داخل جوف الأرض تنتفخ الأرض بمنافذ جبالها فتهدأ الحدة ويسكن الغضب<sup>1</sup>.

### المطلب الثالث: الإشارات العلمية في الكتاب الناطق ( الأنبياء والرسول):

رسائل النور تبين لنا أن معجزات الأنبياء هي كشف مسبق لقانون من قوانين الكون، قدمه الله لنبي من الأنبياء إكراماً له ونصرة له، وهو في نفس الوقت دعوة للإنسان بوصفه خليفته في الأرض لاكتشاف ذلك القانون و تعميم استعماله لخدمة البشرية، من خلال التعلم والدراسة والبحث والاستكشاف. :

### أولاً- سيدنا سليمان وإشارته إلى علم الطيران واللغات والصناعة.

يقول تعالى: ﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحُ غَدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾<sup>2</sup> تشير هذه المعجزة إلى قدرة الإنسان على قطع هذه المسافة في الهواء، وهذه إشارة إلى علم الطيران وأنه باستطاعة الإنسان الوصول إلى اختراق الفضاء بالعلم، وكذلك علّمه معجزة تعليم اللغات وحتى لغة الحيوانات في قوله تعالى: ﴿عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾<sup>3</sup> دلالة على استطاعة الإنسان استخدام الحيوانات والانتفاع من لغتها وليس فقط لحومها وقد سبق واستخدم النحل في الشفاء ودودة القز في لباس الحرير والحمام الزاجل في الرسائل فضمّ إلى الإنسانية منافع حضارية جمالية كثيرة ، بل ويمكنه استخدام الحيوانات في دفع الأخطار المحيطة به كاستعمال الطيور آكلة الجراد (الزرزير) في دفع آفة الجراد وهكذا يمكنه التحكم في الطبيعة وفهم قوانينها وفك أسرارها.

أما قولته تعالى: ﴿وَأَلَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾<sup>4</sup> وقولته تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>-النورسي:صيقل الاسلام ، ص76

<sup>2</sup> سورة سبأ 12

<sup>3</sup> سورة النمل 16

<sup>4</sup> سورة سبأ الآية 10

<sup>5</sup> سورة ص الآية 19

ثانيا: سيدنا موسى وإشارته إلى علم الجيولوجيا (انفجار الأرض واستخراج الماء)

وردت هذه الإشارة في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ إِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا<sup>1</sup>﴾ تشير هذه الآية إلى أنه يمكن الاستفادة من خزائن الرحمة المدفونة في باطن الأرض بآلات بسيطة ، بل يمكن تفجير الماء وهو ينبوع الحياة من أرض صلبة ميتة كالحجر، فهي تشير إلى أن كنوز الأرض المخفية لا يكتشفها الا العلم والاكتشاف وما على الإنسان إلا البحث بجد.

ثالثا: سيدنا عيسى وإشارته لعلم الطب.

يقول تعالى: ﴿وَأَبْرئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتِي بِإِذْنِ اللَّهِ<sup>2</sup>﴾ هذه الآية تشير إلى أنه يمكن علاج الأمراض المستعصية والعلل والمزمنة ، ويستطيع الإنسان اكتشافه بالعلم فهو موجود ولكل داء دواء والمطلوب هو السعي الحثيث وراءه ، فهذه الآية ترسم أقصى مدى وأبعد الأهداف التي يصبوا إليها الطب البشري، فتحت الإنسان إلى إنقاذ نفسه من عللها المرضية بالبحث العلمي المتواصل.

رابعا: سيدنا إبراهيم وعلاقته بعلم الكيمياء : يقول تعالى: ﴿قُلْنَا يُنَارُ كُونَهُ بَزْدًا وَسَلْمًا عَلَيَّ<sup>3</sup>﴾ هذه الآية تشير إلى البحث العلمي المتواصل قد يقود الإنسان إلى إيجاد مواد مانعة من الحرارة في الطبيعة أو من باطن الأرض مواد تقاوم حرارة النار فيصنع منها لباسا يحميه، وهذا ما وصلت إليه آخر البحوث في هذا العصر وما زالت تتقدم في أبحاثها، فقد اكتشف الإنسان المعاصر مادة مضادة للنار لا تتمزق ولا تبلى وتحفظ بجمالها طول الزمن.

<sup>1</sup> سورة البقرة 59

<sup>2</sup> سورة آل عمران 48

<sup>3</sup> سورة الانبياء ص68

خامسا: سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإشاراته إلى الكمال كله.

إذا كانت كل معجزة من معجزات الأنبياء تشير إلى خارقة من الخوارق الطبيعية، فإن معجزة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام تشير إلى فهرس الخوارق العلمية والفنية وكل الكمالات، وهو كلام الله الحقيقي على لسان نبيه المنزل من طرف جبريل عليه السلام. يقول النورسي: "...فإن محمداً عليه الصلاة والسلام بكل معجزاته ودلائل نبوته وكمالاته العلمية معجزة أيضاً للقرآن الكريم وحجة قاطعة على أن القرآن الكريم كلام الله رب العالمين"<sup>1</sup>.

فالنورسي رحمه الله يؤكد في رسالته "محاكمات عقلية" أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو أصدق دليل على وجود الله سبحانه وتعالى، فالأصل أن يكون القرآن دليل على صدق النبوة، فأصبح النبي صلى الله عليه وسلم دليلاً على وجود الخالق سبحانه وتعالى، من خلال التغيير الجذري أحدثه في قومه، إذ كيف يحارب العالم أجمع وينتصر عليهم إن لم يكن الله سبحانه وتعالى مؤيده؟

ويقول كذلك: "إن القرآن بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها، وغاية ما يمكن أن تحقق البشرية من أهداف"<sup>2</sup> ومن الأمثلة على ذلك: عسل النحل واستخدامه في

الشفاء ودودة القز في لباس الحرير والحمام الزاجل في الرسائل فضمّ إلى الإنسانية منافع حضارية جمالية كثيرة، بل ويمكنه استخدام الحيوانات في دفع الأخطار المحيطة به كاستعمال الطيور آكلة الجراد (الزرزير) في دفع آفة الجراد وهكذا يمكنه التحكم في الطبيعة وفهم قوانينها وكشف أسرارها.

فإذا كانت "الهندسة الوراثية" وعلم الخلايا والجينات تتمنى وتحلم بالاستنساخ البشري بحيث تحاول الوصول إلى إنسان كامل من حيث المورثات العقلية والجسمية والنفسية والحقيقة هي عاجزة عن ذلك، فإن النورسي هو يتحدّث عن الإنسان الكامل في شخصية الرسول صلى

<sup>1</sup> الكلمات ص 518

<sup>2</sup> الكلمات ص 279

الله عليه وسلّم وعن خبراته الغيبية الملتحمة الأسباب بجماليات الكون والطبيعة، ينقلنا إلى عالم الجلال والجمال حتى نحس بأننا في عالم ينبض بالحياة وظواهر تتحدث بوظائفها بل وتتسارع إلى تلبية نداء الرحمن في شكل حوار بين الإنسان والكون .

### المطلب الرابع: تمثلاتها في الجانب الميتافيزيقي.

لاقت الميتافيزيكا نقدا شديدا بوصفها علما لا فائدة منه على يد أصحاب الوضعية المنطقية والفلاسفة التجريبيين في بدايات القرن العشرين، ورغم قوة نقدهم إلا أن هناك نخبة من الفلاسفة انشغلوا بالدفاع عنها وعنوا بموضوعاتها من خلال علاقة الإنسان بالوجود وتحديد مكانته فيه، وواجبه نحو خالقه ومن بينهم ديكارت وليبنتز وكانط وغيرهم، والميتافيزيكا معناها باللغة العربية ما بعد الطبيعة لكن المقصود بلفظ بعد ليس تجاوز الواقع إلى الخيال أو ما وراءه بل التعمق في ظواهره لاستجلاء الحقائق المستترة وراءه، والتي لا تقع في إدراكنا الحسي ولكن يدركها العقل المتأمل، فهي لا تشترط وجود المادة مادمت الحواس غير قادرة بل تشترط وجود العقل، فتسد الميتافيزيكا بهذا المفهوم الثغرات التي يتركها العلم بدون إجابة، والديناميكية الموجودة في الطبيعة والترابط الوثيق بين ظواهرها ينبأ بوجود علاقات لا يمكن إنكارها وقد تعددت الآراء والتفسير حولها، وللاستاذ النورسي موقفا نبينه كالتالي:

### أولا: تمثلاتها في عالم الملك والملكوت:

أ\_الظاهر والحقيقة: لقد عبّر أفلاطون منذ آلاف القرون عن مشكلة الظاهر والحقيقة بقوله: "يدرك المرء في العالم المعقول مثال الخير بعد عناء شديد، لكن ما إن يدركه المرء حتى يستنتج حتما أنه علة كل شيء، وسبب لكل ما هو خير وجميل في الأشياء جميعا وأنه في العالم المنظور هو خالق النور وموزعه، وفي العالم المعقول هو مصدر الحقيقة والخير"<sup>1</sup>، وقد اتفق جل العلماء على أن الظاهر يختلف عن الحقيقة، بما فيهم العلماء التجريبيين المعاصرين أمثال "هيزنبرغ" وغيره الذين يعتقدون أننا لا نرى من المادة إلا ظاهرها أما حقيقة أمرها فنجهلها تماما لما فيها من عناصر دقيقة لا ترى حتى بالمجاهر الإلكترونية ولا يمكن التحكم فيها.

<sup>1</sup> فؤاد زكرياء: جمهورية أفلاطون، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1985، الكتاب السابع، ص 517

يعتقد النورسي أن الحقيقة تتجلى في عالم الملكوت والملك هو الوجه الظاهر للإنسان، ففي عالم الملكوت تتكشف الحقائق جلية شفافة، أما عالم الملك ففيها الألوان والظواهر النسبية، ويقول النورسي في هذا الصدد: "يا نفسي: إن كنت ترومين الحصول على علم الحقيقة، والحكمة الحقة، فاطفري بمعرفة الله، إذ حقائق الموجودات كلها، إنما هي أشعة اسم الله الحق، ومظاهر أسمائه الحسنی، وتجليات صفاته الجلیلة"<sup>1</sup>، ولذلك كان مبدأ السببية مسخرا في العلم لفهم نظام العالم وتحديد قوانينه لكنه مجرد مبدأ نسبي وضع من أجل عدم توجيه الشكاوى والاعتراضات للخالق مباشرة فتكون الأسباب الظاهرية هدفا لتلك الاعتراضات، ويقول النورسي في هذا الصدد: "روي مثال لطيف ومحاورة معنوية هي: أن عزرائيل عليه السلام قال لرب العزة: إن عبادك سوف يشتكون مني ويسخطون علي عند أدائي لوظيفة قبض الأرواح. فقال سبحانه وتعالى له بلسان الحكمة: "سأضع بينك وبين عبادي ستائر المصائب والأمراض لتتوجه شكاوهم إلى تلك الأسباب"<sup>2</sup>.

### ب\_مبدأي السببية والغائية:

لقد أعاد القرآن الكريم كل ما ظل الخيال البشري يتوهم ربوبيته من الماديّات والمعنويّات إلى حقيقتها وطبيعتها، إذ هي ظواهر مسخرة لتوحيد الخالق، فأرجع مبدأ العلية إلى العلة الأولى وهو الخالق، مستقر كل علة ومصدرها، لا متواليات الأسباب والمسببات ولما كان لدى الإنسان ظمأ إلى معرفة الماورائيات حاول البحث دائما عن الأسباب والعلل الأولى للأشياء في الطبيعة، فقد خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون بنظام دقيق لا يعرف الصدفة ولا العشوائية فكل ظاهرة تترتب على ظاهرة سابقة لها في الحدوث مؤثرة في ظهورها، كل حادثة تتلوا أخرى والكون كله أجزاء مترابطة، كتعاقب الليل والنهار بسبب دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، وتعاقب الفصول الأربعة، هذه الأسباب ليس لها القدرة على إحداث ظاهرة أخرى، فكل الأسباب تعود إلى الموجد الأول وهو الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> \_النورسي: مجموعة أسرار قرآنية، ص 118

<sup>2</sup> النورسي: الكلمات، ص 327

<sup>3</sup> سورة الزمر الآية 59

يرى الأستاذ أن الكون ينطوي على أسباب ومسببات للظواهر الطبيعية هذه الأسباب ليست إلا ستائر وحجب فالموجد الحقيقي للمسببات هو غير الأسباب بل هو الله سبحانه وتعالى يقدم لنا العديد من الأمثلة<sup>1</sup>.

هذا التوظيف للكائنات بهذه الدقة والانسجام آيات كونية تجسد مبدأ الغائية في الوجود فلكل كائن مهما كانت دقته غاية وجد من أجلها لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُنْتَشِبِهِ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ<sup>2</sup>﴾.

إن الآية المشهودة تشير إلى أن ثمة مسبب للأسباب حكيم يُسيّر أمور هذا الكون بمنهجية دقيقة ، ومن الأمثلة التي يقدمها الأستاذ النورسي التي تبين عجز الأسباب نجد:

الذاكرة عند الإنسان هذه القوة الحافظة التي يرجعها العلماء الماديون إلى منطقة "بروكا" المسئولة عن حفظ الذكريات وتلفها يؤدي إلى ضياع الذكريات ويفسرنا البعض الآخر تفسيراً نفسياً فالأستاذ النورسي له رؤية جديدة وعميقة فالذاكرة كأنها كتاب شامل بل مكتبة تضم كل المستندات دون اختلاط بل بتنظيم عجيب هذه المعجزة لا ترد إلا للخالق سبحانه وتعالى ولا يمكن لأي سبب مهما كانت طبيعته أن يكونها ، ويذهب النورسي إلى أبعد من ذلك فالسبب ليس مربوطاً بالمسبب فقط بل باسم من أسماء الله الحسنى.

**يقول الأستاذ النورسي:** "ليس للأسباب تأثير حقيقي في الإيجاد والخلق"<sup>3</sup> ويقول كذلك: "نعم كما أن الإبداع الظاهر على " المسببات" وروعة جمالها قد عزلت الأسباب وسلبتها قدرة الخلق، بلسان حالها على مسبب الأسباب وسلمت الأمور كلها بيد الله"<sup>4</sup> كما أن الأسباب ليس لها القدرة على الخلق ولا على الملاحظة فمثلا الحرارة التي هي سبب في تشكل السحاب والتي هي سبب في نزول المطر عاجزة عجزاً مطلقاً على معرفة أحوال الكائنات الحية وحاجتها إلى المطر، فالذي تكفل برزق الحيوانات في البر والبحر والإنسان هو الخالق

<sup>1</sup> النورسي: الشعاعات ص 349

<sup>2</sup> سورة الأنعام الآية 100

<sup>3</sup> بديع الزمان النورسي: الكلمات ص712

<sup>4</sup> بديع الزمان النورسي: الكلمات ص802

الرازق سبحانه وتعالى، يعتقد الأستاذ النورسي أنه لا طاقة لأعظم الأسباب أن توجد أدنى مسبب وفي هذا البعد بين السبب والمسبب تشرق الأسماء الإلهية كالنجوم الساطعة ويشبه العلاقة الوهمية بين الأسباب والمسببات باتصال أذيال السماء بقمم الجبال المحيطة بالأفق، فالمسافة المعنوية بينهما لا ترى إلا بمنظار الإيمان ونور القرآن، ففي قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَكِهَةً وَأَبًا مَّتَعًا لَكُمْ وَلأنْعَمِكُمْ ۗ ﴾<sup>1</sup>.

هذه الآية الكريمة تبين بوضوح اقتران الأسباب بالمسببات في ترتيب حكيم يسلب القدرة منها مبينا حكمة الخالق في إرسال الماء وشق الأرض وإنبات الرزق كل ذلك متاعا للإنسان ولأنعامه وهذا يدل على اسمه الرحيم، الرزاق، المنعم، الكريم، القدير، المغيث.

ويرجع الأستاذ النورسي مبدأ السببية إلى ما يسمى "بالاقتران" حيث أن وجود شيء ما يصبح علة لوجود نتيجة وانعدامه كذلك يصبح علة انعدام نتيجته، والحقيقة أن العلية شيء والاقتران شيء آخر.

يقول الأستاذ النورسي: " فلا بد من قدير مطلق القدرة ليخلق تلك الطبيعة في الشيء، ويوجد ذلك السبب له، ولا بد أن يكون \_ هذا القدير المطلق القدرة \_ مستغنيا بصفة مطلقة، فلا يشرك الوسائط العاجزة في إيجاده للشيء وفي هيمنة ربوبيته عليه"<sup>2</sup>

إن الله سبحانه وتعالى يخلق الأسباب والمسببات خلقا مباشرا، ويوجد بينهما سببية ظاهرية وصورية، ثم يقرن بينهما في ترتيب وتنظيم جاعلا منها ستارا لعظمته وكبريائه، وحجابا لقدرة المقدسة، وليضع الأسباب موضع الشكوى لما يتراءى من نقص أو ظلم فيها كالزلازل والأعاصير... الخ، فمبدأ السببية في حد ذاته هو حكمة إلهية ربطت الأسباب بالمسببات، مثلا في ظاهرة البرق والرعد يقول الأستاذ النورسي: " اعلم أن البرق والرعد آيتان ظاهرتان من جهة العالم الغيبي في أيدي الملائكة الموكلين على عالم السحاب لتنظيم قوانينه ... فإذا تشكل السحاب من بخار الماء المنتشر في الهواء صار قسم حامل للالكترية المنفي، وقسم حامل للالكترية المثبت، فحينما يتقاربان يتصادمان دفعة فيتولد البرق، ثم

<sup>1</sup> سورة عبس الآية 32

<sup>2</sup> بديع الزمان النورسي: اللغات ص 250

بالهجوم والانقلاع دفعة، وامتلاء موضع بآخر لعدم الخلو يهتز وتتموج الطبقات فيتولد صدى الرعد، ولا تجري هذه الحالات إلا تحت نظام وقانون يتمثلها ملك البرق والرعد<sup>1</sup>. إن الأستاذ النورسي أراد تنبيه العقل المؤمن المسترشد بضوء النبوة، إلى وجوب الجمع بين مقتضى توحيد الربوبية والحكمة في الخلق، وهو الجمع الذي أكدته الآيات القرآنية في أكثر من مناسبة، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾<sup>2</sup> وهذا خرق لقوانين الطبيعة ، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ وهذا دليل على إثبات السنة المطردة التي فطر الله الطبيعة عليها، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

إن القوانين الطبيعية تجري وفق الإرادة الإلهية الحرة المطلقة التي أوجبت هذا النظام نتيجة لتلك العوامل ، "إرادة الله المطلقة هي التي تقرن الأشياء ببعضها ، وتقدر أيضا على فصلها ما دامت الضرورة الطبيعية قد نفيت، وأصبح الاقتران بين الفعل المنتظم والقدرة التي هي آيتها ليست الضرورة الطبيعية بل قدرة عاقلة وراها عادة وليس ضرورة ما دامت لا تعلمنا أن النقيض مستحيل"<sup>3</sup> .

**الجوهر:** ظهرت فكرة الجوهر مع "أرسطو" وعرفه بأنه الحد الذي يكون موضوعا دائما في قضية ولا يكون محمولا، وهو الماهية ، أما ديكارت فعرف الجوهر بأنه الشيء المستقل الموجود بذاته والذي لا يحتاج لغيره في وجوده، وأعلن أن الجوهر الحقيقي هو الله بوصفه الموجود الثابت الدائم، ومصدر جميع الموجودات وسببها، وميّز بين نوعين من الجوهر النفسي والجوهر المادي، وجد الأول في الكوجيتو فوجده كمفكر معناه احتواءه على عمليات نفسية كالإدراك والتذكر والإرادة والشك فتوصل إلى قوله المشهور أن النفس جوهر ثابت ماهيته الفكر، إذ يقول: "وإذا ذهبت من كوني أعرف بيقين أنني موجود وأني مع ذلك لا

<sup>1</sup> بدیع الزمان النورسي: اشارات الاعجاز في مضان الايجاز ص138

<sup>2</sup> سورة القصص الآية 71\_72

<sup>3</sup> د عرفان عبد الحميد فتاح: مناخاة فكرية بين حجة الاسلام الغزال وخدام القرآن النورسي ، مجلة النور للدراسات

الحضارية والفكرية ص 60

ألاحظ أن شيئاً آخر يخص بالضرورة طبيعتي أو ماهيتي سوى أنني كائن مفكر، أو جوهر كل ماهيته أو طبيعته ليست إلا التفكير<sup>1</sup>، أما الجوهر المادي فيخضع فهو الجسم الإنساني الخاضع لحركة القلب والعضلات والأعصاب وتتم وظائفه بطريقة آلية، وتوصل في النهاية إلى ثنائية النفس والبدن.

أما النورسي رحمه الله فيعتقد بأن الروح هي الجوهر الخاص الصافي للحياة، فهي ذاتها الثابتة والمستقلة، ولو فقد الإنسان روحه لفقد ماهيته وتلاشى في هذا الكون، ومصدره جوهر حقيقي هو الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>2</sup>، ويقول النورسي رحمه الله: "إن الروح الموجود أخ للقانون المعقول، كلاهما دائمي وكلاهما آت من عالم الأمر"<sup>3</sup>، وقد أثبت النورسي بقاء الروح حتى بعد تلاشي الجسد بالأدلة المنطقية التي تلجم أفواه الماديين الملحدين الذين يعتقدون بفناء الأرواح مع الأجساد، وينفون الحساب والعقاب بل ولا يؤمنون بوجود الله سبحانه وتعالى، فاستعان بالأدلة التي سبق ذكرها وهي:

**الدليل الأنفسي:** كل واحد منا يشعر بإنيته وماهيته الجوهرية الثابتة فيه والتي لا تتغير رغم تغير الجسم عبر حياته التي يقضيها من الصبا إلى الشيخوخة، فما دام هذا الجسد يتغير في كل مرحلة من مراحل الحياة مع ثبات الروح فهذا يعني أنها ثابتة حتى بعد زواله، فلا يؤثر ذلك في بقاءها وثباتها، فالجسم باق ببقاء الروح وليس العكس.

**الدليل الآفاقي:** من القواعد المنطقية أنه إذا ظهرت خاصية ذاتية في فرد واحد يحكم على وجود تلك الخاصة في بقية الأفراد، وثبات الروح خاصة ذاتية في العديد من الأفراد من خلال هدايانا المعنوية التي نقدمها لها في عالم الملكوت كالدعاء لهم وتأتينا منهم ردود معنوية كذلك، ونستشعرها بأرواحنا في عالم الملك، كأن نرى أمواتنا في الأحلام وهم سعداء بدعائنا لهم.

<sup>1</sup> ديكارت: تأملات في الفلسفة الأولى، التأمل السادس، ف18، تر. د. عثمان أمين، مكتبة المصرية، ص349

<sup>2</sup> سورة الإسراء، الآية 85

<sup>3</sup> النورسي: المكتوبات، ص593

**الدليل الكوني:** يقول النورسي: "إذا تأملنا أرجاء الكون نرى أن هناك نظاما كاملا وتتاسقا بديعا مقصودا في كل أجزائه، فنشاهد رشحات الإرادة والاختيار ولمعات القصد في كل جهة، حتى نبصر نور القصد، في كل شيء، وضياء الإرادة في كل شأن، ولمعان الاختيار في كل حركة، وشعلة الحكمة في كل تركيب"<sup>1</sup>.

إن المنطق السليم لا يرضى بأن تكون نتيجة هذا النظام الكوني الفناء، ويستحيل أن لا تكون دار أخرى ينال فيها الإنسان الجزاء الأوفى على أعماله وتسد أو تشفى فيه روحه التي فارقت جسده، وإن كان احتمال ضئيل لعدم وجود حياة أخرى لكان هذا النظام الذي يذهل العقول مجرد عبث، وحاشاه سبحانه وتعالى أن يخلق هذا الكون عبثا. كل الموجودات في الطبيعة تتسارع لأداء وظيفتها على أتم وجه.

### ثانيا: تمثاتها في عالم الغيب والآخرة:

في مساحات رسائل النور يتحدث الأستاذ عن عالم الغيب والشهادة، حينما عن الموت والحياة، وحينما آخر عن البعث والنشور، وحينما عن الملائكة والأرواح، وحينما عن الجنة والنعيم، ويتحدث عن الفيض الجميل الذي يتدفق في قلب الكون.

**أ\_ الموت والحياة:** يجد الأستاذ في ظاهرتي الموت والحياة " أسطح معجزة من معجزات القدرة الربانية وأجملها"<sup>2</sup> وسواء نظرنا إلى عالم الإنسان أو الحيوان أو النبات، وحتى المجرات والذرات والكواكب ودوران الشمس والقمر والليل والنهار، والموت بالنسبة للأستاذ النورسي ليس عدما ولا فناء بقدر ما هو انتقال من عالم إلى آخر وتسريح من وظيفة إلى راحة دائمة بالنسبة للمؤمن، يقول: " الموت ليس عدما ولا إعداما، ولا لعبة العبث، ولا انقراضا من غير فاعل، بل هو تسريح من العمل، من لدن فاعل حكيم وهو استبدال مكان بمكان، وتبديل جسم بجسم، وانتهاء من وظيفة، وانطلاق من سجن الجسم، وخلق منتظم جديد، وفق الحكمة الالهية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> \_النورسي: مجموعة أسرار قرآنية، ص 139

<sup>2</sup> النورسي: الكلمات ص 813

<sup>3</sup> النورسي: نفسه ص 814

إن الموت دليل قاطع على وحدانية الله سبحانه وتعالى وسرمديته، بل ويوجد فيه جانباً إيجابياً جميلاً فكما أن الحياة إشارة من إشارات الله سبحانه وتعالى الحي القيوم والتي تتجلى في الولادة، في شروق الشمس، في نمو النبات، في الانبعاث من جديد فإن الموت أيضاً هو إشارة من إشارات الله سبحانه وتعالى المميت الباعث والتي تتجلى في غروب الشمس، في موت الحيوان والنبات، لذلك يقول النورسي: "إن النظام الرائع الباسط هيمنته على الأرض بأسرها، والذي يبدو لنا من خلال مظاهره عياناً، يشهد شهادة صادقة على الصانع القدير، فعندما يسدل الشتاء كفته الثلجي الأبيض على وجه الأرض الربيعي، وتموت الأحياء التي كانت تزخر بالحياة فوقها، فإن منظر هذا الموت ينقل نظر الإنسان إلى أبعد من اللحظة الراهنة، فيركب متن الخيال ليذهب بعيداً إلى الماضي الذي درجت إليه جنائز كل ربيع راحل، فتفتح عندئذ أمام النظر مشاهد الموت والحياة أوسع من هذا المنظر المحصور في الحاضر الراهن، لأن كل ربيع راحل، كان مشحوناً ملء الأرض بمعجزات القدرة الإلهية، وهو يشعر الإنسان بمجيء موجودات تتدفق بالحياة وتملأ الأرض كلها في ربيع مقبل"<sup>1</sup> فالموت في نظر النورسي نعمة إلهية يمنحها سبحانه في وقتها المحدد، فلا يجوز تأخيرها أو تقديمها لحظة واحدة، فهو إنقاذ للإنسان من أعباء الحياة الثقيلة وتكاليفها، وهو باب وصال مع أحبائنا وأهلنا الذين سبقونا، كما أنه خروج من سجن الدنيا المظلم ودخول في رعاية المحبوب الباقي، وفي كنف رحمته مباشرة، وهو نعيم دائم لا ينفذ حيث لا كدر ولا خوف ولا مرض ولا حزن، ولو تأملنا الشيخوخة ومرضاها ووهنها وقلة ذاكرة الإنسان حينها حيث تمزقه الآلام النفسية الجسمية، لتبين لنا أن الموت راحة ونعمة ورحمة من عذاب أرذل العمر، وكما أن النوم راحة للمبتلى والمريض والمتعب كذلك النوم -الذي هو أخو الموت- راحة للمبتلى بأمراض شديدة.

**ب\_ اليوم الآخر:** استند النورسي في إثبات اليوم الآخر على الطبيعة ذاتها إذ كيف ينكر الإنسان هذا اليوم وهو يشاهد بأم عينه تبدل فصول السنة وتنوعها ما بين صيف وشتاء وخريف وربيع<sup>2</sup>، فهذا النظام الذي نراه في الدنيا اليوم حيث الكون يسير وفق موازين دقيقة

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 814

<sup>2</sup> النورسي: الكلمات ص 55

وحكمة بالغة، يؤكد حتمية استمرار ذلك النظام وصولاً لنهايتها. أما قدرة الله على إحياء الموتى ليوم الحساب فلا أدل عليها من قدرة الله على إحياء الأرض بعد موتها وجفافها، فيعيد لها نظارتها من جديد في الربيع، " وكيف تستبعد القيامة الكبرى مع مشاهدة ما لا يحد من القيامة في كل سنة، حتى في كل شجرة مثمرة أو مزهرة"<sup>1</sup>.

يقدم لنا النورسي إشارات عديدة على وجود اليوم الآخر نذكر منها، تبدل الطبيعة الدائم وتغيرها المنتظم، من خريف إلى شتاء إلى ربيع إلى صيف، وكلها تتكون من أحياء تموت لتحل محلها أحياء أخرى وهكذا إلى قيام الساعة، ويقدم مثال قبضة البذور التي يزرعها الإنسان في تراب مظلم دون تمييز بين أنواعها وحين يسقيها بماء واحد يقول رحمه الله: "أنظر إليها عند الحشر السنوي وقد حشر بنفخ الرعد في الصور في الربيع، حتى تلك البذور كيف تمايزت فصار بعضها شجرة تين تنشر وتثمر نعم ربها، وبعضها أزهير تضحك في وجه الإنسان وتتودد له، وبعضها فواكه تدعوا البشر إلى تناولها.. يصل المتأمل إلى نتيجة مفادها "هذا الفعل لا يفعله إلا من يقتدر على إقامة القيامة"<sup>2</sup>.

"قال الدنيا والآخرة يتقابلان كما يتقابل في هذا الكون الخير والشر، اللذة والألم، النور والظلام، الحرارة والبرودة، الجمال والقبح، الهداية والضلال"<sup>3</sup>.

**ج\_ الحشر:** أقام النورسي رحمه الله الحجج العقلية والعلمية على مسألة الحشر، وأن حياة البشر لا تصلح إلا به واستقى الأدلة العقلية من الطبيعة نفسها، إذ لولا الحشر لصار نظام الكائنات الأكمل صورة زائفة واهية، كما أن جلّ الآيات القرآنية خاصة السور القصار تنبئ بهذه الحقيقة صراحة وإشارة، فصل النورسي في مسألة الحشر وإثبات أقسامه الثلاث وهي:

**د\_ عودة الأرواح إلى الأجساد:** قدّم لنا مثالا على ذلك وهو عودة الجنود المنتشرين في فترة الاستراحة والمتفرقين في كل حذب وصوب، بعد سماعهم بوق العسكري المدوي، ومثاله كذلك اجتماع المسلمين من كل مكان في لحظة واحدة بعد سماعهم للأذان، وكذلك بوق

<sup>1</sup> النورسي: المثنوي العربي، ص 208

<sup>2</sup> \_النورسي: المثنوي العربي النوري، ص 265

<sup>3</sup> النورسي: الشعاعات، ص 290

## الفصل الثاني: الإشارات العملية في الطبيعة عند النورسي

إسرافيل عليه السلام ليس أقل من بوق العسكري ونظام الأرواح واستجابتها له ليست أقل من استجابة الجنود.

هـ **إحياء الأجساد:** فمتلما يمكن للكهرباء أن تثير آلاف المصابيح ليلة مهرجان من مركز واحد فكذا يمكن إنارة الملايين من الأجساد في لحظة واحدة.

و**إنشاء الأجساد فوراً:** فمثاله أن إنشاء آلاف الأوراق والأشجار دفعة واحدة في بضعة أيام، وبنفس الهيئة التي أنشأت بها في الأعوام الماضية، وكذلك نشور الجثث المنتصبة من أشجار يبست وبقي منها الهياكل فقط، فكذاك البعث بعد الممات للأجساد، لقوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾<sup>1</sup> إن القوانين المنتظمة في الطبيعة هي إشارة واضحة على وجود الحشر والقرآن الكريم مليء بآيات الحشر وقد أكدها النظام الكوني السائر إلى هذه النهاية يقول النورسي: "إن الحشر حق، لأن في الكائنات نظاماً أكمل قصدياً، وأن في الخلق حكمة تامة.. وأن لا عبثية في العالم.. ولا إسراف في الفطرة، والمزكي لهؤلاء الشواهد الاستقراء التام بجميع الفنون التي كل منها شاهد صدق على نظام نوع موضوعه.. وأيضاً إن في كثير من الأنواع مثل اليوم والسنة وغيرهما قيامة مكررة نوعية"<sup>2</sup>.

لقد ذكر النورسي أدلة كثيرة تثبت مجيء يوم الحشر لا محالة لكننا سنورد دليلاً واحداً وهو المتوراد في الطبيعة، إذ أن هناك قيامات متكررة في كل المخلوقات تشير إشارة واضحة ومباشرة إلى القيامة الكبرى ويوم الحشر، وقدّم مثالا وهو الساعة الأسبوعية التي تتم دورتها بكل انتظام، كذلك الساعة الكونية دواليبها الأفلاك وأميالها الأيام والسنوات عمر البشر وهكذا تنتضي الحياة، فمجيء الصبح بعد كل ليلة والربيع بعد كل شتاء إشارة إلى مجيء يوم الحشر لا محالة؟ كما أن القرآن الكريم يقدم لنا الإشارات العلمية الواضحة في وله تعالى: ﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>3</sup> ويفسر النورسي الآية فيقول: "من تأمل في النشأة الأولى لم يبق له تردد في النشأة الأخرى، وقد قال صلى الله

<sup>1</sup> سورة يس، الآية 78

<sup>2</sup> \_ النورسي: اشارات الاعجاز ، ص 58

<sup>3</sup> \_سورة ق الآية 15

عليه وسلّم: "عجبت لمن يرى النشأة الأولى كيف ينكر النشأة الأخرى"<sup>1</sup>، إن كانت النشأة الأولى تمر بمراحل عديدة من النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة إلى خلق الإنسان، فإن النشأة الثانية أسهل من هذه، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾<sup>2</sup>.

فالذي خلق هذا النظام وأبدع في خلقه يستحيل أن يتركنا سدى ولا عبثاً، لندخل قبورنا وننام دون قيام، ودون حشر فمن العدالة الإلهية أن يكون هناك حشر ويوم آخر.

قدّمت سورة النبا إشارات وشواهد حقيقية موجودة في الطبيعة فالأرض جعلت مهداً للإنسان وخيراتها مبسطة له، والجبال أوتادا تحمي الأرض من الانزلاق وتعطيها الاتزان، وجعل المحبة والمودة بين الأزواج رغم عدم تعارفهم من قبل، والليل ساتراً والنهار ميداناً للمعيشة والشمس مدفأة طبيعية للإنسان وأنزل من السحاب ماء فيه حياة له، فإن كانت هذه الحقائق والشواهد موجودة فعلاً ومدروسة دراسة علمية فلماذا لا يصدق الإنسان العاقل بقية الإشارات المستقبلية وأهمها اليوم الآخر؟.

**واجب الوجود:** إن الأستاذ النورسي كان عالماً بفقهِ الواقع ومستجدات العصر وتحديات الغزو الإلحادي لذلك لم يقتصر على الأدلة النقلية على وجود الله، بل أدرك أن الصراع مع الملحدين يستلزم الاستدلال بأدلتهم العلمية، ويظهر ذلك في جوابه حين سأله بعض الطلبة قائلين: "عرفنا بخالقنا فإن مدرسينا لا يذكرون لنا الله"، فأجاب قائلًا: "إن كل علم من العلوم التي تفرّونها يبحث عن الله دوماً، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة، فأُنصتوا لتلك العلوم دون المدرسين"<sup>3</sup>.

**العلم إشارة إلى وجوده سبحانه:** يقول النورسي: "فكل ذرة في الكون تشهد شهادة صادقة على وجوب وجود الخالق الحكيم جلّ جلاله، فبينما تراها تتردد بين إمكانات واحتمالات غير متناهية في صفاتها وذاتها وأحوالها ووجودها، إذا بها تنتعش وتتسلق طريقاً معيناً، وتتصف بصفة معينة، وتتكيف بحالة منتظمة، وتسير وفق قانون مسدد وتتوجه إلى قصد معين،

<sup>1</sup> \_النورسي: إشارات الاعجاز ص 62

<sup>2</sup> \_سورة الروم الآية 26

<sup>3</sup> \_النورسي: الشعاعات ص 243

فتنتج حكما ومصالح تبهر الألباب فتزيد سطوع الإيمان بالله في اللطيفة الربانية الممثلة لمنوذج عوالم الغيب في الإنسان"<sup>1</sup>.

الأستاذ النورسي يستخدم حجة جدلية لإقناع الخصم، فالمخلوقات تنتسب إلى خالقها وتعتمد عليه وتتعلق به تعلق الأثر بالمؤثر والسبب بالمسبب والعلة بالمعلول، فيخلص إلى نتيجة مفادها وجود الخالق المدبر المنظم لهذه الموجودات.

**دليل الإمكان:** لا يخفى أن الأشكال الموجودة في الذهن تتصف بأحد هذه الصفات: (واجب الوجود\_مستحيل الوجود\_ممكن الوجود والعدم)، فالمتصف بواجب الوجود هو ما كان وجوده واجبا بالضرورة العقلية غير مفقور إلى علة توجده بحيث يحيل العقل عدمه والمتصف بالاستحالة هو ما يحيل العقل وجوده وعدمه، والمتصف بالممكن هو ما كان وجوده وعدمه سيان بحيث يقبل العقل وجوده وعدمه، ولا يحيل أيا منهما غير أن وجود الممكن يحتاج إلى علة توجده"<sup>2</sup>.

يقول النورسي في هذا الصدد: "إن الحيوان الميكروسكوبي الذي لا يرى بالعين بلا واسطة اشتملت صورته الصغيرة على ما كينة دقيقة بديعة إلهية، فبالضرورة وبالبداهة إن تلك الماكينة الممكنة في ذاتها وصفاتها ما وجدت بنفسها بلا علة لإمكان ذاتها وصفاتها وأحوالها والممكن متساوي الطرفين ككفتي الميزان، ولو وجد الترجح لكان في العدم، فباتفاق العقلاء لا بد لها من علة مرجحة ومن المحال أن تكون العلة أسبابا طبيعية"<sup>3</sup>.

هكذا يثبت النورسي أن رجحان الوجود من العدم في الممكنات، حجة برهانية على وجود مرجح أخرجه من حيز التساوي (الوجود والعدم) إلى حيز الوجود ولا يكون هذا المرجح إلا واجب الوجود، لأن ممكن الوجود إما أن يستمد وجوده من العدم وهو محال بداهة وإما أن يستمد وجوده من ممكن آخر وهو مستحيل أيضا لاستحالة التسلسل الدوري، فيقتضي أن يكون الموجد هو الواجب الوجود (الله سبحانه وتعالى)<sup>4</sup>، وهذا يعني أن دليل الإمكان أقوى برهان على وجود الله سبحانه وتعالى.

<sup>1</sup> النورسي: المثنوي العربي النوري ص 412

<sup>2</sup> البوطي: كبرى ايقينيات الكونية، دار الفكر المعاصر دمشق الطبعة الثامنة ص79

<sup>3</sup> النورسي: اشارات الإعجاز في مضان الإيجاز صلا137

<sup>4</sup> النورسي: المثنوي العربي النوري، 62

**دليل الحدوث:** تعرض النورسي رحمه الله إلى هذا الدليل موضحاً إياه بسهولة ووضوح قائلاً: "فإن إحداث عوالم ذات حياة، وإيجاد كائنات موظفة في هذه الدنيا، إحداثاً وإيجاداً بكل علم وحكمة، وميزان وموازنة، وانتظام ونظام واتعمالها بقدرة واستخدامها برحمة في المقاصد الربانية، وفي الغايات الإلهية، وفي الخدمات الرحمانية، تدل بالبداهة على وجوب وجود ذات مقدسة جليلة لا حدّ لقدرتها، ولا نهاية لحكمتها"<sup>1</sup>.

وقد سبقه في هذا الموضوع الكثير من العلماء المتكلمين ممن أثبتوا حدوث العالم وأن كل حادث لا بد له من محدث، وتوصلوا إلى نتيجة مفادها أن المخلوقات كلّها متغيرة متطورة، فهي حادثة وبالتالي لا بد لها من محدث وهو الله سبحانه وتعالى<sup>2</sup>.

ويتضح مما سبق أن النورسي رحمه الله جمع بين الأدلة الكلامية وجدّد فيها من أجل البرهنة على وجود خالق منظم لهذا الكون، مبرهنًا بالحدث على وجود المحدث، وبالوجود المنظم على موجد منظم له.

<sup>1</sup> النورسي: الشعاعات، ص173  
<sup>2</sup> الأمدى: غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص165

# الفصل الثالث: أبعاد الإشارات العلمية في الطبيعة

المبحث الأول: الإشارات العلمية ودلالاتها الوظيفية.

المطلب الأول: الإشارات العلمية وتعميق الإيمان.

المطلب الثاني: العلم بتخصصاته ومركزية الإنسان المسلم بين العلم والإيمان.

المطلب الثالث: الحضارة الغربية تتلمس دلائل التوحيد.

المبحث الثاني: الأبعاد الوظيفية للإشارات العلمية.

المطلب الأول: البعد الاجتماعي.

المطلب الثاني: البعد الوجودي.

المطلب الثالث: البعد الوظيفي.

المطلب الرابع: البعد الحضاري.

المبحث الثالث: توظيف الرؤية الحضارية النورية في الواقع.

المطلب الأول: موقف الغرب من الفكر النوري.

المطلب الثاني: مصير الحضارة الغربية.

المطلب الثالث: مستويات التدافع الحضاري في عالمنا المعاصر.

المبحث الرابع: تجليات أسماء الله الحسنى دلائل التوحيد في الطبيعة.

المطلب الأول: الحكمة من تجليات الأسماء الحسنى.

المطلب الثاني: التجليات الكونية، الإنسانية،

المطلب الثالث: أثر الإشارات في جمالية الموت والشوق لعالم الغيب.

المطلب الرابع: تفعيل التجليات في ترسيخ الإيمان ودفع عجلة التطور الحضاري.

### مدخل:

إن الله سبحانه وتعالى لم يكلفنا بالتفكر في ذاته، فهو المتفرد بالكمال وبالأسماء والصفات، لكنه أودع في الطبيعة من الإشارات ما يملأ قلب الإنسان وعقله إيماناً به سبحانه وتعالى، سواء حين ينظر إلى الآفاق وإلى الجبال والأرض والبحار بل في نفسه، أو حين ينظر إلى الميتافيزيقا ليكتشف العالم اللامتناهي.

والقرآن الكريم من خلال إشارات العلمة وتجلياتها في الطبيعة يعبر عن الأبعاد الوظيفية للإنسان مادام هو المحور الأساسي في الكون، فعلاقته بالجمادات والأحياء متعددة الأبعاد اجتماعياً ومعرفياً وتربوياً وحتى وجودياً، وهذه العلاقة تطفوا بظلالها على جميع أنواع الفعل الإنساني وتضفي عليه قناعات لا حصر لها، وترمي بأبعادها الحضارية إلى غايات تنبيلة أسماها العبادة الحقة والمستتيرة والتي يقوم بها الإنسان عن حب وقناعة، والبعد الوظيفي هو البعد المرجو، كونه يجعل الرسالة الحضارية ممارسة عملية راقية، ومن القرآن الكريم ممارسة يومية في حياة النؤمن ويقول النورسي رحمه الله: "إن القرآن الكريم قد بدّل الحياة الاجتماعية تبديلاً هائلاً نور الآفاق وملأها بالسعادة والحقائق، وأحدث انقلاباً عظيماً في نفوس البشر وفي قلوبهم، وفي أرواحهم وفي عقولهم، وفي حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية، وأدام هذا الانقلاب وأداره"<sup>1</sup>

فقيم تتجلى هذه الأبعاد؟ وما أثرها في تعميق الإيمان وتعزيزه وترسيخه؟  
ما الدور الذي لعبته أبعاد الإشارات العلمية في تجسيد الرسالة الحضارية؟

<sup>1</sup> \_ النورسي: الكلمات ص 518

المبحث الأول: الإشارات العلمية ودلالاتها الوظيفية.

يقول النورسي رحمه الله: " لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من شعر، وفصل كل يوم واحد منها عن جسدي، فلن أحني هذا الرأس الذي نذرتة للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر المطلق، ولن أتخلى بحال من الأحوال عن هذه الخدمة الإيمانية النورية، ولا يسعني التخلي عنها"<sup>1</sup> وانتهج النورسي منهاجاً علمياً دقيقاً وساراً في تجسيده بأدلة وحجج متنوعة.

من بين الحجج التي استخدمها الأستاذ النورسي التناسق والانسجام الواضح بين العلم والإيمان في الكون بإشاراته التي كشفت عن أسرار الطبيعة، في النبات وفي الحيوان وفي الإنسان، ونسق العلم بين الأحياء والجمادات وأثبت أنّ الخالق واحد، الذي صمّم عين الإنسان بعدستها ومائها وشبكيتها هو نفسه الذي صمّم الشمس وأشعتها ووجهتها نحو الأرض ومكان شروقها.

المطلب الأول: الإشارات العلمية وتعميق الإيمان.

أولاً\_ الغائية في الموجودات: يقول النورسي رحمه الله: " إن الموجودات تقوم بأداء وظائفها في غاية اللذة والمتعة مادامت تكتسب بها مرتبة نورانية سامية، واللذة ممكنة إن كانت للموجود حصة من الحياة العامة، وأظهر دليل على أن اللذة الكامنة في ثنايا الوظيفة نفسها هو ما يأتي:

تأمل في وظائف أعضائك وحواسك، تر أن كلا منها يجد لذائذ متنوعة أثناء القيام بمهامه، فالخدمة نفسها والوظيفة عينها تكون بمثابة ضرب من التلذذ والمتعة بالنسبة لها، بل يكون ترك الوظيفة والعمل عذاباً مؤلماً لذلك العضو"<sup>2</sup>.

يضرب لنا النورسي أدلة كثيرة على وجود غائية في الطبيعة، فكل موجود سواء كان جامداً أو حياً، له وظيفة يقدمها، وغاية خلق من أجلها، فكل موجود في هذه الطبيعة يقوم بوظيفة خاصة يحافظ بها على انتظام هذا الوجود، كأن له عينا ينظر بها وأذنا يسمع بها، وضرب لنا مثلاً يتمثل في الغلاف الجوي الذي يتكون من غازات مختلفة ومن وظائفه المتعددة حجب الأشعة الضارة للمخلوقات الحية وعدم إرسالها إلى الأرض، فهل بإمكان

<sup>1</sup> \_النورسي: سيرة ذاتية ص 447

<sup>2</sup> \_النورسي: اللغات، ص 174

الغلاف الجوي أن يعرف طبيعة المخلوقات الحية التي يقوم بحمايتها؟ وهل يعرف طبيعة أشعة الشمس ليتمكن من تمييز الضار والنافع منها؟

ويقدم لنا مثالا آخر هو مثال البذرة وعلاقتها بزهرتها التي تحفظ لها برنامجها ولها علاقة بالموجودات التي بوظيفة صنع الأكسجين فالأزهار، كيف تنتظم هذه الأزهار لتزهر في وقت واحد وفصل واحد؟ ونفس الكلام يقال على كل الموجودات في الطبيعة ووظائفها.

**ثانياً\_ المطلق والنسبي في الطبيعة:** يقول النورسي رحمه الله: "إن النقوش المتقنة والتزيينات البديعة لقصر كامل رائع، تدل على ما وراءها من كمال الأفعال التامة لبناء ماهر خبير، وإن كمال تلك الأفعال وإتقانها ينطق بتكامل الأسماء لترتب وعناوين ذلك البناء الفاعل، وتكامل الأسماء والعناوين يفصح عن تكامل صفات لا تحصى لذلك الصانع من جهة صنعته... وهكذا الأمر في الصنعة المبدعة المبرأة من النقص والفتور في الآثار المشهودة في العالم، وفي هذه الموجودات المنتظمة في الكون، لقوله تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرِي مِنْ فُطُورٍ ۚ﴾<sup>1</sup> فهي تدل بالمشاهدة على كمال الأفعال لمؤثر ذي قدرة مطلقة"<sup>2</sup>.

الإننتظام الموجود في الكائنات الذي يقترب من الكمال يرفض إحتمال صدورها من أسباب ناقصة، لأبد من وجود خالق كامل صدرت منه مخلوقات نسبية، ويقدم لنا مثالا: عملية البلع وحدها تثير دهشة العلماء، إذ يقوم الجهاز المسئول عن البلع بوظائف عديدة لو توقف عضو صغير جدا عن وظيفته لتوفي الكائن الحي أثناء البلع أو الهضم، من الذي يشغل ماكينة جسمنا من أجلنا في غاية الكمال دون علمنا؟

**أ\_ الوحدة العضوية:** يقول النورسي رحمه الله: "كما أن التشابه والتوافق في الأعضاء الأساس لأنواع جنس واحد وأفراد نوع واحد، يثبتان أن تلك الأنواع والأفراد إنما هي مخلوقات خالق واحد، كذلك السهولة المطلقة المشهودة، وانعدام التكليف، تستلزمان بدرجة الوجوب أن يكون الجميع آثار صانع واحد، لأن وحدة القلم ووحدة السكة والختم تقتضيان هذا، وإلا

<sup>1</sup> سورة الملك الآية 3

<sup>2</sup> النورسي: الكلمات، ص 344

لساقت الصعوبة التي هي في درجة الامتاع ذلك الجنس إلى الانعدام، وذلك النوع إلى العدم"<sup>1</sup>.

لقد وهب لكل موجود من الموجودات الأعضاء المناسبة لإدامة حياته، ففي جسم الإنسان يده ورجلاه وقلبه، كيف تعين هذه الأعضاء في مكانها المناسب لوظيفتها؟ من الذي يخطط أجسامنا ويعتني بها في كل فترات نموها؟ وقس على هذا المثال كل الموجودات؟ فكل عضو مهما كان كبيرا أو صغيرا في أجسام الكائنات الحية وظيفتها التي تؤديها في هذا الوجود، وإن تعطلت عن أداءها سيؤدي ذلك إلى الإخلال بنظام العمل داخل الجسد، فكل الأعضاء مطيعة لأوامر الله سبحانه وتعالى طاعة تامة دون مناقشة وجدل وهي غير عاقلة فما بال الإنسان العاقل لا ينصاع إلا مجادلا ومناقشا وأعضاءه تشهد عليه؟

يصور لنا النورسي رحمه الله الكون كله في انقياد وطاعة بديعة لخالقها بداية بالمجرات السماوية إلى النباتات والأشجار التي تسقيها جداول الماء وعروقها تحت الأرض دون أن تجد عائقا في سريانها وهي تشبه الدم في عروق الإنسان الذي ينساب دون مقاومة أو صدود.

**ب\_ عجز الطبيعة:** يقول النورسي: "أمعن النظر في ملامح الأرض وسيمائها وفي مطررات تعاريجها، ونقوش انحناءات سطحها، والتواءات جسمها، ولاحظ شكلها وألوانها الزاهية المتنوعة بتنوع تربتها، والتي تتسم بالحكمة والابداع، وتثير الحيرة والاعجاب... فدونك الأنهار والسواقي والبحار والجداول وسفوح الجبال، فإنها كلها قد هيئت ومهدت لتكون سكنا للمخلوقات ووسائط نقلهم من مكان لآخر"<sup>2</sup> أي الأسباب والطبيعة لا يمكنها إيجاد الأشياء.

**ثالثا\_ الخالق والمخلوق:** يقول النورسي رحمه الله: "إن الإنسان الذي هو في أسمى طبقات الحياة الذي يملك روحا باقية، ألا يكون مرتبطا بالبقاء والخلود؟ ولئن كانت صورة النبات المزهرة المثمر، وقانون تركيبه\_ الشبيه جزئيا بالروح\_ باقية ومحفوظة في بذيراتها بكل انتظام، في خضم التقلبات الكثيرة، أفلا يفهم كم تكون روح الإنسان باقية، وكم تكون مشدودة

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 341

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 795

مع الخلود، علما أنها قانون أمري، وذات شعور نوراني، تملك ماهية راقية، وذات حياة، وذات خصائص جامعة كاملة، وقد ألبست وجودا خارجيا<sup>1</sup>.

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من تراب أو طين ومن روح، فقد بثّ هذه الروح في الهيكل الجسماني، فحقيقة إعطاء الروح إشارة حقيقية للخلق الإلهي، خاصة حين نتساءل من خلق الروح؟ من أودع في هذه الأجساد الجامدة الروح الحية؟

كما نعلم خلايا جسم الإنسان تتجدد كل ستة أشهر أي يكاد يصبح إنسانا جديدا، فالجسم يتغير ويتجدد باستمرار لكن الثابت هو الروح أي "الأنا" كما أن الحركات الإرادية للإنسان مصدرها الروح وليس الجسد، فما حقيقة الروح يا ترى؟

الروح وطنها ليس هذه الأرض لذلك تستطيع أن تسافر في كل أرجاء الكون وتعود إلى الجسد كما هو الحال في النوم مثلا، فوطنها عالم الملكوت، عالم كله روحانيات وليس فيه شيء من الماديات، والروح لا تظهر إلا من خلال حلولها في الجسد والأمر يشبهه سريان الشحنات الموجبة والسالبة في التيار الكهربائي على سبيل المثال، وهي تتموقع في الإنسان في خمس مقامات: المقام الأول مناصف للجسم وهو النفس ثم ترقى لتصبح عقلا ثم قلبا ثم سرا و" السر" هو أرقى المقامات التي ترقى إليها الروح الإنسانية، وكلما جاهد الإنسان ملذاته وشهوته ارتفع إلى مقام أعلى وتصبح روحه التي كانت أسيرة جسده وهيكله الجسماني ملامسة لعالمها الحقيقي وهو عالم الملكوت الأكبر بكثير من هذا العالم الذي نعيش فيه، وحين تطلع الروح على حقائقه وتتفاعل معه يرى الإنسان ما لم يره من قبل.

وما يدل على وجود الروح اختلاف الرأي بالرغم من أن الدماغ يعمل بنفس الطريقة وما دام الرأي والتفكير وظيفة من وظائف الدماغ، كما أن الرؤيا دليل على وجود الروح لأن الجسد نائم والروح لا تنام بل ما تزال تشعر، كما أن العواطف من حب وحسد وحزن وعشق تختص بها الروح لا الجسد، كما أن الصفات الموجودة بدرجات متفاوتة كالشجاعة والعلم والحلم من نصيب الروح كذلك، والفرح والألم لهما مصدرين جسمانية وروحانية كجرح اللسان مثلا يؤثر في الروح لا في الجسد.

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 80

أ\_ الانتظام: يقول النورسي: "فإن شئت فأنعم النظر في لموجودات كلها، ابتداءً من حجيرات الجسم إلى الكريات الحمر والبيض في الجسم، ومن تحولات الذرات إلى التناسب والإنسجام بين أجهزة الجسم ومن واردات البحار ومصاريدها إلى موارد المياه الجوفية وصرفياتها، ومن تولدات والنباتات ووفياتها إلى تخريبات الخريف وتعميرات الربيع، ومن وظائف العناصر وحركات النجوم إلى تبدل الموت والحياة، ومن تصادم النور والظلام إلى تعارض الحرارة والبرودة، كي ترى أن الكل: يوزن ويقدر بميزان خارق الحساسية، وأن الجميع يكتال بمكيال غاية في الدقة، بحيث يعجز عقل الإنسان أن يرى إسرافاً حقيقياً في مكان وعبثاً في جزء..."<sup>1</sup> من أعظم الإشارات العلمية الإنتظام الذي لا يصدر إلا من يد واحدة، هذا النظام الحساس الظاهر للعيان نبه إليه القرآن بهذه الآية: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ۚ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾<sup>2</sup>.

والانتظام موجود حتى في أعماق البحار، ولشرحه لا تكفي المجلدات لأنه موجود في كل الكائنات الكبيرة والصغيرة، على سبيل المثال الذرة فكل ما نراه ونحس به من موجودات مركب من ذرات وهي جزئيات صغيرة جداً بحيث لا يمكن رؤيتها ولو بأقوى المجاهر، وكل ذرة تتكون من نواه وهذه الأخيرة يستحيل رؤيتها، ولتبيان الانتظام الموجود داخل الذرة يتضح أن الإلكترونات الموجودة داخل النواة تدور حولها باستمرار بسبب الشحنة الكهربائية التي تحملها، الإلكترونات كلها مشحونة بشحنة سالبة أما البروتونات فشحنتها موجبة، الشحنة الموجبة التي في نواة الذرة تجذب الإلكترونات إليها لذلك لا يمكن للإلكترونات أن تنفصل عن النواة، يكون عدد الإلكترونات خارج النواة مساوياً لعدد البروتونات في مركز النواة وبذلك تتوازن الشحنة الكهربائية في الذرات لكن حجم البروتونات وكتلتها أكبر بكثير من الإلكترونات ولو قارناهما سيكون الفرق بينهما مثل الفرق بين الإنسان وحبّة البندق، لكن شحنتهما الكهربائية متساوية في المقدار.

<sup>1</sup> \_النورسي: للمعات ص476

<sup>2</sup> \_سورة الملك الآية 3-4

ماذا كان سيحدث لو لم تكن الشحنة الكهربائية للبروتونات والالكترونات متساوية؟ في هذه الحالة جميع الذرات في هذا الكون ستكون مشحونة بشحنة موجبة بسبب زيادة الشحنة الموجبة التي في البروتون ونتيجة لذلك جميع الذرات الموجودة في هذا الكون ستتأفر عن بعضها، ترى ماذا سيحصل للكون في هذه الحالة؟

جسم الإنسان وساقاه ورأسه وعيانه وأسنانه، باختصار كل جزء من جسم الإنسان سيتحطم فجأة وحتى الغرفة والعالم الخارجي والكون كله سيتأثر في الهواء فجأة، وحتى البحار والمحيطات والكواكب الشمسية والمجرات السماوية ستتفرق وتندم.

إن وجود الكون كله يعتمد يتأسس على هذا النظام الحساس، فمن حركة النجوم المنتظمة إلى حركة الأجسام والحيوانات المنتظمة، من خلق الأعضاء بانتظام إلى رص الأسنان بانتظام، فسبحان من أسس هذا النظام الذي يعجز عن فهمه العقل البشري ولا يزال البحث فيه مستمرا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

**ب\_ الإنشاء:** يقول النورسي رحمه الله: "النظام المتقن والانسجام البديع المشاهدان في الكون \_ابتداء من النجوم والنباتات والحيوانات والأرض والمعادن وانتهاء بالجزئيات والأفراد والذرات\_ كل منهما شاهد عادل وبرهان باهر على تلك الوحدانية والفردية، فلا يسمح قط لرؤية أو لشبهة، إذ لو كان هناك تدخل مما سوى الواحد الأحد لفسد هذا النظام البديع الرصين، واختل هذا التوازن المحكم المشاهد في جميع أجزاء الكون، فصدق الله حين قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَاءُ الْهَيْئَةِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>1</sup> الإنشاء هو اتحاد العناصر والمكونات لبناء موجود ما، فالتوازن الموجود في الأشياء إشارة علمية على وجود الخالق المبدع سبحانه، إذا نظرنا إلى الإنسان على سبيل المثال، يوجد في أجسامنا عناصر كالحديد والمغنيزيوم والكروم بمقادير محددة، نقصان أو زيادة تلك العناصر تسبب الأمراض مثلا يتميز الحديد بخاصية تكوين الدم ونقصانه يسبب ظهور الأمراض العصبية، المغنيز يعمل على تشغيل وظائف الدماغ ونقصانه يسبب اضطرابات سلوكية، ترسب العناصر في أي منطقة من الجسم يؤدي إلى اضطرابات هرمونية، هذا التوازن في جسم الإنسان موجود في كل الكائنات

<sup>1</sup> \_سورة الانبياء الآية 22

<sup>2</sup> \_النورسي: اللغات ص 500

الحية، فإنشاء الكائنات الحية بهذا التوازن ليس مصادفة أبدا بل هو من صنع حكيم مبدع سبحانه عزوجل، وهذا الإنشاء متجدد باستمرار إذ أن هناك خلايا في جسمنا تموت وفي كل ثانية تخلق خلايا متجددة فأجسامنا تركيب عظيم يتجدد كل ستة أشهر، فسبحان من خلق فأبدع.

ج\_ الإمكان: يقول النورسي: "أمعن النظر لترى مدى ظهور انتظام الحكمة، ومبلغ وضوح إشارات العناية، ومقدار بروز أمارات العدالة، ودرجة ظهور ثمرات الرحمة الواسعة... لا يمكن تصور حكمة أكمل من حكمته ولا عناية أجمل من عنايته ولا رحمة أشمل من رحمته ولا عدالة أجلّ من عدالته"<sup>1</sup>.

ويقول كذلك: "سوق كل شيء إلى طريق معينة واختيار الطريق المؤدي إلى حكم معينة، من بين طرق غير متناهية، إنما هو بإرادة مخصص، وبترجيح مرجح، وبإيجاد موجد حكيم، إذ ترى الشيء يلبس لباس صفات منتظمة، وأحوال منسقة معينة مخصصة له، ثم تراه يساق ليكون جزءا من جسم مركب، فيخرج بهذا من الانفراد، وعندئذ تزداد طرق الإمكانيات أكثر... أي يساق إلى أداء وظائف مهمة ويلوغ منافع شتى لذلك الجسم المركب"<sup>2</sup> الإمكان هو تساوي الممكنات في الوجود والعدم وننظر إلى هذا الكون فنشاهد ونلاحظ أن كل مخلوق يرسل إلى الدنيا له جسم خاص به، صورته وأجهزته وصفاته ذات حكم وفوائد لإدامة حياته، والحال أن منح هذه الصورة المناسبة وتجهيزه بالأعضاء المناسبة هو بفعل الله سبحانه وتعالى، فلننظر إلى الإبل كيف خلقت؟ سنامها هو كالمخزن تستطيع أن تقاوم برزقها الموجود داخله أياما عديدة، تستطيع أن تعيش ثلاثة أسابيع دون أن تشرب ماء، قدمها الواسعتان تستطيع أن تجري في الرمال دون أن تغوص فيها، رموشها التي تشبه الشبكة لا تؤثر الرمال في عينيها حتى في أشد العواصف الرملية، خلق أنفها بطريقة تمكنها من النفس براحة حتى في العواصف المخيفة، رقبته الطويلة تمكنها من أكل الثمار العالية، وفروتها السمكية تمكنها من مقاومة الحرارة العالية في الصحراء التي تفوق خمسين درجة، لقد أعطي لها أكمل جسم على وجه الأرض ونفس الأمر يقال على أجسام وصور وأجهزة كل الكائنات.

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات ص 57

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات ص 809

لكل موجود في هذا العالم جسم خاص به يتلاءم مع وظيفته ووجوده، والذي اختار له هذا الجسم هو الله جلّ وعلا.

**د\_ إحياء الموجودات:** يقول النورسي رحمه الله: "اعلم أن الصنعة الإنسانية تسهل على الصانع بدرجة علمه بها، وتعسر بدرجة جهله، لا سيما في المصنوعات اللطيفة الدقيقة الجهيزات، فكّما كان أعلم كانت عليه أيسر وأسهل، فما يشاهد من السهولة بلا حد في السرعة المطلقة في خلق الأشياء المنتظمة، يدل قطعا وكدسا على أن لصانها علما لا نهاية له، كما تشير لتلك السهولة الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَحِدَةً كَلِمَٰتٍ بِالْبَصْرِ ۗ﴾<sup>1</sup>2".

إن المشهد الأكثر دهشة في الطبيعة هو إخراج طيور حية من بيوض جامدة؟ بل الأكثر دهشة هو خلق مخلوقات حية من قطرة مني ونطفة؟ و الأكثر دهشة كذلك هو خلق أشجار ونباتات حية مثمرة من حبوب جافة؟ لماذا لا ندهش من خلق الله سبحانه وتعالى؟ الذي يحيي أمام أعيننا آلاف المرات مخلوقات من جمادات؟

فهذه الموجودات الحية كلها إشارات دالة على خلق الله سبحانه وتعالى.

كذلك إذا حدث في هذا الكون خلل صغير في موازنة الحرارة والبرودة يمكنه أن يتسبب في انعدام الحياة، ارتفاع الحرارة لأكثر من ستين درجة يتسبب في موت الكائنات الحية، الماء أيضا ضروري للحياة ، يتبخر ملايين الأطنان منه في الثانية في الكرة الأرضية ويتوزع في كل المناطق المحتاجة لينزل على الأرض على شكل مطر.

**رابعا\_ السّوق الإلهي:** يقول النورسي رحمه الله: "إن صغير النحل الذي لم يمر عليه إلا يوم واحد، يطير إلى مسافة يوم كامل في الهواء ثم يعود إلى خليته دون أن يضيع أثره، وذلك بالسوق القدري، وبإلهام ذلك السوق والدفع"<sup>3</sup>.

المواد التي تدخل أجسامنا تجد طريقها إلى الأعضاء المحتاجة لها مباشرة، لا يظل أي منها طريقه لأنها تتحرك بالسّوق الإلهي، كذلك حين نلاحظ الطيور في مواسم الهجرة،

<sup>1</sup>سورة القمر الآية 50

<sup>2</sup>\_النورسي: المثنوي العربي النوري، ص 337

<sup>3</sup>\_النورسي: المكتوبات، ص 434

تسافر لآلاف الكيلومترات دون أن تظل طريقها، هناك من يلهمها طريقها الصائب، هو الله سبحانه وتعالى.

لنترك الطيور جانبا ولننظر في أنفسنا، في أكثر الأحيان لا نستطيع إيجاد الأماكن التي نبحث عنها حين نكون في بلدان أخرى، بل في المستشفيات أو المساجد ذات الأبواب الكثيرة قد لا نجد باب الخروج إلا بعد السؤال والبحث، فهل الطيور أَعقل من الإنسان؟ أم أنها تسير بالسوق الإلهي؟

لو تأملنا أنفسنا فإننا في أكثر الأحيان لا نستطيع إيجاد الأماكن التي نبحث عنها حين نكون في أماكن لا نعرفها، وإن ترك طفل صغير في مكان مجهول لما عرف منزل والديه، فكيف تستطيع الحيوانات غير العاقلة أن تحقق ما عجز عنه الإنسان العاقل؟ إنه السوق الإلهي.

**أ\_ الخلق من النطفة ومن البذرة:** يقول النورسي رحمه الله: "إن لم تنطفئ جذوة عقلك ولم تفقد بصيرة قلبك فستفهم أن جعل الشيء الواحد كل شيء بسهولة مطلقة وانتظام كامل، وجعل كل شيء شيئا واحدا بميزان دقيق وانتظام رائع ومهارة وإبداع، ليس إلا علامة واضحة وآية بيّنة لخالق كل شيء وصانعه"<sup>1</sup>.

فمن ماء النطفة مثلا بل من ماء الشرب يخلق سبحانه وتعالى ما لا يعد من أجهزة الحيوانات وأعضائه، فهذا العمل الإلهي إشارة عظيمة على قدرة القدير جلّ وعلا، بحيث يسوق النطفة إلى البويضة لتستقر هذه الأخيرة في مكانها المقدر لها لتتكون فيما بعد جنينا. كما لا يمكن خلق الجزء دون العلم بالكل، هناك حاجة إلى متخصص لخلق الأجزاء كلها في الموجودات بحيث تتناسق مع الأجزاء الأخرى وخالق الكون هو الوحيد القادر على ذلك جلّ وعلا.

**ب\_ التوازن في الطبيعة:** يقول النورسي: "تأمل في الموازنة الرائعة بين الشمس والكواكب السيارة الإثني عشرة التي كل منها مختلفة عن الأخرى، ألا تدل هذه الموازنة دلالة واضحة وضوح الشمس نفسها على الله سبحانه وتعالى؟

<sup>1</sup> \_ النورسي: الكلمات، ص 328

ثم تأمل في أعضاء كائن حي من الأحياء التي لا تعد ولا تحصى، ودقق في أجهزته وحواسه... ترى فيها من الإنسجام التام والتناسق الكامل والموازنة الدقيقة ما يدلُّ بداهة على الصانع الذي هو "العدل الحكيم".

ثم تأمل في حجيرات جسم كائن حي وفي أوعية الدم، وفي ذرات تلك الكريات، تجد من الموازنة الخارقة البديعة ما يثبت لك إثباتاً قاطعاً أنه لا تحصل هذه الموازنة الرائعة ولا إدارتها الشاملة، ولا تربيتها الحكيمة إلا بميزان حساس وبقانون نافذ وبنظام صارم للخالق الواحد الأحد "العدل الحكيم"<sup>1</sup>.

إن التوازن المثالي المتجلي في هذا الكون إشارة واضحة على وجود الله وعلمه وقدرته، فلو تأملنا مثلاً توازن الأكسجين الموجود على سطح الأرض إذ يحوي الغلاف الجوي نسبة 21 بالمئة من الأكسجين و77 بالمئة من النيتروجين و2 بالمئة من الغازات الأخرى، لو لم يكن الأكسجين بهذه النسبة وكان أكثر قليلاً لكان حرق الأرض كلها بمجرد إشعال عود كبريت في الجو لإيقاد الموقد ولو كان أقل قليلاً لأحسنا بالإختناق كما لو شدت أعناقنا بحبال المشنقة، والأمثلة كثيرة جداً حول التوازن الموجود في الكون سواء في الكائنات الحية أو الجامدة، فهل من الممكن أن يحدث هذا التوازن بالصدفة؟

**ج- تربية الله لخلقه فهو الرب سبحانه وتعالى:** يقول النورسي رحمه الله: "فعل التربية والإنعام الذي هو تجلّ من تجليات اسم" الرب الرحيم" كل فعل من هذه الأفعال، هو فعل واحد وحقيقة واحدة تشاهد بوضوح في آفاق الكون كله"<sup>2</sup>.

إن ما تفعله العنكبوت في تأسيس بيتها بخيط الحرير صاعدة نازلة في إتقان مبدع يبعث على التأمل، ونفس الشيء يقال على النحل في بناء خليته كأنها تربت في عالم آخر لا تخطئ أبداً، النحل يعمل دون توقف فتقدم عسلاً نقياً صافياً، من ربّاهها هذه التربية؟ وعلمها هذه الصنعة؟ كما أن صنع العسل مرتبط بالإنسان وفاعلية العسل في شفائه، فهل تعرف النحلة أعضاء الإنسان وأمراضه لتنتج له دواءً لعلاجها؟ كما أن النحل تسهم في تكاثر الأزهار من خلال نقل اللقاح بالتصاقه في شعره، فمن الذي ربّى النحل هذه التربية الجميلة

<sup>1</sup> \_ النورسي: اللغات، ص 477

<sup>2</sup> \_ النورسي: اللغات، ص 472

البديعة فهي تمتهن عدة مهن كالطبيب الذي ينتج الدواء والمهندس الذي يبني الخلية والفنان الذي يبديع في إنتاج أفضل أنواع الزهور وفي كل مهنة لها من التفاني والإتقان والإخلاص باع طويل فما أجملها من تربية.

**د\_ الآلية والغائية في الطبيعة:** كل الموجودات في الكون لها غاية ومقصد وفائدة ونتيجة مخصوصة، ولا تشاهد العبنية والعشوائية في أي مخلوق مهما كان حجمه، والظواهر الطبيعية تحدث نتيجة أسباب معينة أدت إلى حدوثها، لكن هذه الأسباب ليس لها عقل لإدراك الأهداف والغايات، وهذه إشارة إلى وجود مدبر حكيم يسير هذا الكون بانتظام، ونضرب مثالا للبعوضة التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾<sup>1</sup>، فالبعوضة تحمل إشارات عديدة في جسمها بحيث تم تجهيزها بمستشعرات للحرارة دقيقة جدا، بحيث يمكنها إيجاد الأوردة الدموية في جسم الإنسان في الليل والنهار، بحيث تختار نقطة من الجسم وتشق الجلد وتغرس إبرتها في الوريد ، وتأخذ حذرها من تخثر الدم فترسل سائلا يمنع التخثر حتى تقوم بامتصاص الدم بطريقة سهلة، من علمها طريقة استخراج الدم من الجسم في الوقت الذي قد يعجز المتخصصون في الوصول إلى الوريد إلا بعد محاولات عديدة؟ من علمها تقنية تخدير الجسم وتقادي تخثر الدم باستخدامها الأنزيم الخاص الذي يمنع ذلك؟ إنه الصانع ذو الحكمة الذي خلق لكل موجود هدفا وغاية خلق من أجلها، كما تحدث في الطبيعة ظواهر عجيبة تعجز العقل البشري وأعمال عظيمة لا يمكن إحصائها بينما أسبابها فهي عادية ليس لها القدرة على القيام بهذه الأدوار، كخلق الإنسان من قطرة ماء وخروج النبات والثمار والأشجار من بذرة صغيرة.

**خامسا\_ نفي الصدفة:** تتميز الكائنات الحية في الطبيعة بميزة الفردية، أي الاختلاف بينها وبين الأنواع الأخرى في الخصائص، هل من الممكن أن يكون هذا الاختلاف محض تصادف، ولو دققنا في جسم الإنسان التي يتميز بحدقة عين خاصة به وببصمة وراثية فريدة لا تتكرر أبدا، هل من الممكن أن يكون محص تصادف، ولو طلبنا من أفضل الرسامين رسم وجوه مختلفة بنفس العناصر، لكان ذلك مستحيلا، فما بالك بالتشابه في العائلة الواحدة

<sup>1</sup> \_سورة البقرة الآية 25

مع التفرد في الخصائص والتميز الدائم منذ بداية الخلق إلى نهايته؟ فسبحان الخالق المبدع الذي خلق هذا الكون بهذا الإتقان والإنتظام.

### المطلب الثاني: مركزية الإنسان المسلم بين العلم والإيمان.

التخصصات العلمية ساعدت في الوصول إلى القوانين التي تتحكم في الكون، والإلمام بنتائج العلوم الحديثة في مختلف الميادين، و بجهود العلماء في هذا المجال، لابد من التقيد بروح الموضوعية العلمية دون التحيز لرأي معين، لأنها خطاب العقل ولا يجوز التحيز في تفسيرها إلى أي رأي، ولابد كذلك من امتلاك الأدلة العلمية الكافية لاستخراج الإشارات في تخصصاتها الدقيقة، وهو بحر عميق يصعب دخوله والتبحر فيه ويحتاج لسباح ماهر يجيد الغوص وفنونه، ولا أدعي لنفسي هذه المهمة لذا أقتصر على بعض العلوم على سبيل المثال لا الحصر، واستقرأ العلوم والتجارب والبحوث يؤول بنا بالضرورة إلى أن الحكم على أن نظام الكون كله قد تأسس على التوازن والدقة والحكمة والكمال والإتقان والإبداع والجمال، بحيث لا يمكن للعقل البشري القاصر إدراكها، فالعلوم كلها سواء تعلق الأمر بالطب أو علم الأحياء أو علم الفلك " تفيدنا بقواعدها الكلية وبحوثها المتعددة النظام المتقن للصانع الجليل في ذلك النوع وقدرته المبدعة وحكمته التامة، فتبين جميعها حقيقة الآية الكريمة ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾<sup>1,2</sup>.

يرى النورسي أن الإشارات الكونية وسيلة للإيمان بالله سبحانه وتعالى، وكل إشارة في الكون سواء كانت أحياء أو جمادات تدل على وجود الخالق وعلى وحدانيته، يقول رحمه الله: " الكائنات كل واحد من مركباتها وأجزائها تشهد بخمس وخمسين لسانا بأنه واجب الوجود لوحد الأحد"<sup>3</sup>، وقد بين النورسي هذه الألسن العلمية مع ذكر البرهان والدليل على أن الكون يشهد بلسان حاله بوحداية واجب الوجود، ويجري النورسي رحمه الله حوارا مع العلوم المختلفة في اللمعة الثلاثين، ويسأل الطب والكيمياء والزراعة والتجارة والتغذية وعلم العسكرية و علم الكهرباء، عن الإشارات التي تحملها ودلائلها العلمية فتجيبه بما لا يدع مجالا للشك أن نظام

<sup>1</sup> \_سورة السجدة، الآية 6.

<sup>2</sup> \_النورسي: صيقل الإسلام، الخطبة الشامية، ص472

<sup>3</sup> \_النورسي: المثنوي العربي النوري، ص372

الكون المحكم وانتظامه الكامل لا يمكن أن يحصل إلا من خالق مبدع كامل الصفات والأفعال، ومن لم يستدل بهذه الإشارات ومن لم يهتد بهذه العلامات ومن لم يستتر بهذه الآيات، فهو محروم من لذة الإيمان ومحجوب عن أنوار العلم، يقول النورسي رحمه الله: "فما أجهل من لا يعرف أو لا يؤمن بالفاعل المختار وبالصانع الحكيم الذي تدل عليه هذه الأنظمة البديعة والحكم الرفيعة التي لا حد لها وهي ماثلة في الكون قاطبة"<sup>1</sup>.

الإشارات العلمية تجعل الإنسان يعيد قراءتها من جديد وكأنه لم يقرأها من قبل فتتلقى الكيمياء والفيزياء والفلك والأحياء والرياضيات كأنها سيمفونية تسيح لخالق الملكوت، تعبيرا عن إبداع الله في الطبيعة والكون والوجود، يتغير التعامل معها بمنظور إيماني فتصير الطبيعة ذاتها بانوراما فاتحة شأستها اللامتناهية على المدى، فتصبح العلاقة بين المنظور والمعقول واضحة، بل بين الفيزيكا والميتافيزيكا مفهومة، فيتهندس العقل على طبع الوجدان، تلك هي إبداعية الله في الكون.

وتحمل الطبيعة إشارات عديدة إلى علوم مختلفة ذكرها القرآن الكريم تقدم أدلة علمية تلجم أفواه الخصوم بلغتهم الحديثة وهي لغة العلم والمادة، إذ نجد فيه إشارات لعلم الفلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٣٧ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ٣٨ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>2</sup>، ونجد إشارات إلى علم الأحياء كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾<sup>3</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>4</sup>.

ولئن استعرضنا تاريخ اكتشاف الإشارات العلمية في مختلف فروع العلوم المادية والإنسانية، لوجدنا القرآن الكريم تطرق إليها وأكد صدقها وكان له السبق في إظهارها، فما

<sup>1</sup> \_النورسي: اللغات، ص 468

<sup>2</sup> \_سورة يس الآية 37-39

<sup>3</sup> \_سورة الأنعام الآية 39

<sup>4</sup> \_سورة النور الآية 43

من آية فيه إلا وجاءت بنواميس ربّانية وقواعد رئيسية في علم من العلوم المختلفة، ولو تتبعنا آفاق العلم أجمعه نجد أن لها إشارات معجزة في القرآن العظيم، لكن الذي نريد تأكيده هو غاية العلم الشريفة ليكون اكتشافا لآيات الأنفس والآفاق التي أبدعها الله سبحانه وتعالى، ولنكتشف نواميس الخلق في الطبيعة والكائنات، فالإنسان المسلم عندما يفكر بعقله ويتأمل الموجودات إنما يسعى للحكمة التي هي ضالة المؤمن، فكون القرآن الكريم معجزة خالدة ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبه تحدّى الله العرب فهو محفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالى، فلا بد من التسلح بأدوات العصر الحديث وهو العلم للإجابة عن أسئلة الملحدّين الذين يشكّون في الدين الإسلامي، وردّا على ما يثار من دعاوى التعارض بين العلم والدين وبسطا للآيات في القرآن الكريم، لا بد من التوقف على سور عديدة منه تبين ظواهر الحياة التي تناولتها العلوم المختلفة وترتبط ارتباطا وثيقا بالميتافيزيقا، وكل إشارة في الطبيعة لها بعد آخر في الجانب الغيبي، نذكر مثلا إشارة خلق الكون في علم الفلك وإشارة إفناؤه وإعادة بعثه من جديد، هذه الإشارات تحيل العقل البشري إلى مسألة اليوم الآخر والحشر والبعث وأنها حقائق علمية لا شك فيها وأن صيرورة الكون علميا ستنتهي بهذه الطريقة. ويذكر العلماء أن مجموع الآيات القرآنية ذات الإشارات العلمية صريحة كانت أم ضمنية هو 1322 آية أي ما يعادل 20 بالمئة من المجموع الكلي لآيات القرآن الكريم وهي 6236 آية، ويمكن تصنيف 416 آية في مجال العلوم الطبية، 138 آية في الفيزياء و130 في علم الأحياء، و105 آية في علوم الفلك والأرصاد و98 آية في الجغرافيا، 89 آية في علوم الزراعة و79 آية في الرياضيات و69 آية في علم الجيولوجيا، و35 آية على علوم البحار والأنهار، و28 آية في علوم الاتصال والنقل، و27 آية في أصل الإنسان والمخلوقات، و12 في العلوم الهندسية و11 في الكيمياء و8 آيات في اللغات عند الإنسان والحيوان<sup>1</sup>

لخصّ النورسي الإشارات العلمية التي دلّت عليها الآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ

<sup>1</sup> - كاره السيد غنيم: الأنفس في آيات الآفاق والأنفس، محاضرة ألقاها في ندوة الإعجاز العلمي.

وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ<sup>1</sup>، وهي دلالة علوم مختلفة كشفت تخصصاتها عن الانتظام الدقيق في الكون الذي يثبت وجود الله سبحانه وتعالى.

العلاقة بين العقل والقلب.

يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ٤٤﴾

يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَيَّ قُلُوبٌ أَفْقَالَهَا﴾

شغلت مسألة القلب الفلاسفة وعلماء الأخلاق من زمن بعيد، خاصة في العلاقة الموجودة بين العقل والقلب وأيهما يوجه الآخر، وما يهمننا الآن هو الجانب العلمي وبيان الإشارة العلمية الناطقة بتوحيد الله سبحانه وتعالى، كان للفلسفة والميتافيزيقا دور كبير في بيانها:

اختلف الفلاسفة والعلماء حول مكان العقل منهم من اعتقد أن مكانه الدماغ ومنهم من يرى أن مكانه القلب وأثبتت الدراسات العلمية علاقة الدماغ بالعقل والعقل بالقلب، بل هناك أعضاء أخرى تسبب العبقرية والإبداع، فالمخ موجود عند جميع الكائنات بما فيهم المجانين، لكن القلب في حد ذاته إشارة علمية، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"<sup>2</sup>، ولا نقصد بالقلب تلك المضغة التي تضخ الدم إلى الجسد والقلب المادي بل نقصد القلب المعنوي الذي هو محل الإدراك والشعور والأحاسيس والمعرفة الحقيقية، وأثبتت التجارب حول من أجروا عمليات زراعة القلب أنهم فقدوا المشاعر والعواطف وحتى الذكريات، وكأن للقلب نظامه العصبي الخاص به، فهو يبيت مع كل دفقة دم عددا من الرسائل والمعلومات إلى جميع أنحاء الجسم.

تتوافق الإشارة العلمية للقلب مع النص القرآني وهو القائل سبحانه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي

<sup>1</sup> سورة البقرة: الآية 163

<sup>2</sup> رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، 28/1

إِسْمَاءٌ ﴿١﴾، وما يثبت ذلك أن القلب يصاب بأمراض كثيرة فالحسية منها تصيب العضلة الموجودة في الجسم والمعنوية تصيب القلب العاقل، يقول أبو حامد الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال: "ومرض البدن هو اختلال في صحته وصلاحه، وهو فساد يكون فيه، يفسد به إدراك أشياء لا حقيقة لها في الخارج، أو فساد حركته الطبيعية، فمثل أن تضعف قوته عن الهضم أو مثل أن يبغض الأغذية التي يحتاج إليها ويحب الأشياء التي تضره، ويحصل له من الآلام الشيء الكثير، فكذاك مرض القلب هو نوع فساد يحصل ويشمل فساد الكيفية والكمية، فالأول إما لنقص المادة فيحتاج إلى غذاء، والثاني يفسد به تصوره وإرادته فتصوره بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه وتتغير إرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار، فهذا يفسر المرض بالشك والريب"<sup>1</sup>.

هذا وللقلوب أمراض كثيرة ذكرها القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾، ومنها الختم والقسوة العمى الزيف النفاق الانصراف الحسد الإقفال والهوى الموت، وكلها إشارات لها دلالات علمية أكيدة نستشعرها كواقع نعيشه يوميا ولا يمكن إنكاره، وهذا ما يثبت القلب أداة العقل ووسيلة الفقه ومنبع الأحاسيس، إن صلحت صلح الجسد كله.

إذا حلّ الإيمان في القلب واستقر كان العقل تابعا لأوامره ويقول النورسي رحمه الله: "إن القلب مستقر الإيمان بينما الدماغ مرآة لنوره وقد يكون مجاهدا وقد يزاول كنس الشبهات وأدران الأوهام، فإن لم تدخل الشبهات التي في الدماغ إلى القلب فلا يزيف إيمان الوجدان، ولو كان الإيمان في الدماغ كما يظن البعض\_ فالاحتمالات الكثيرة والشكوك تصبح أعداء ألداء لروح الإيمان الذي هو حق اليقين"<sup>2</sup>.

أما العقل وهو مناط التكليف وآلة التفكير الإنساني فكذلك هو في حد ذاته إشارة إلى وجود الخالق سبحانه وتعالى، وهو البرهان الذي انطلق منه "ديكارت" لإثبات وجوده ثم وجود العالم الخارجي ثم وجود الله سبحانه وتعالى الذي خلق هذه الموجودات وسمّاه الكوجيتو الديكارتية والذي مفاده "أنا أفكر إذن أنا موجود"، فالعقل البشري آية وإشارة علمية لا بد من

<sup>1</sup> الغزالي: المنقذ من الضلال،

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 867

الوقوف عندها، فالعقول الآلية التي اخترعها الإنسان تستطيع القيام بوظيفتها طبقاً للقاعدة التي صنع عليها، أما التفكير البشري فيذهب إلى أبعد مما يذهب إليه العقل الآلي من تنفيذ للقواعد المنطقية أو تجاوزها إلى حلول ذكية، أو التغافل عنها في بعض الحالات ويصاحب هذا التفكير شعور بالوجود، وتذوق للجمال وتقدير للنجاحات والفكاهات، ويصحب هذا التفكير البشري إبداعاً للنظريات العلمية الجديدة، فالطبيعة الانفعالية للإنسان دليل على أن هناك مدبر مسير لحياة الإنسان الذي خلق الأزواج وجعل بينهم المودة والرحمة وخلق في قلوب الأمهات محبة تفوق محبتهم لأنفسهن من أجل الرعاية الكاملة لأبنائهم والتضحية من أجلهم إن اقتضى الأمر، والإرادة الخيرة التي يمتلكها الإنسان هي مصدر نجاحه في الحياة، وهذه الإرادة هي التي تقوم بأوامر العقل، والعجب هو أن نوع التفكير هو الذي يقدم السعادة للإنسان أو الشقاء، والعقل هو مناط التكليف البشري ولهذا خلقه الله سبحانه وتعالى ومنحه حرية الاختيار والإرادة الحرة.

**2\_ العلم يشهد للإيمان:** خاصة في حالة عدم جدوى أدوات الإنسان المستعملة في عالم المادة، وظهور مشكلات علمية في العلم الحديث لم يكن من الممكن التعامل معها دون زاد ميثافيزيقي، تستطيع العلوم المادية أن تحل الكثير من ألغاز الكون المادي القابل للملاحظة التجربة، ولذلك آمن العلماء بالعلم لدرجة أن جعلوا الحياة كلها مجموعة من القوانين الطبيعية والكيمائية تعمل في مجال معين تحت نظام خاص بها، لكن وجد الإنسان نفسه أمام ظواهر لا تنتمي للعالم الفيزيقي ولا تستطيع حواسه إدراك ظواهره وإخضاعها للتجربة، ومن العبث استخدام الأدلة المادية الملموسة لإثبات وجودها المادي، لكن لها وجود ميثافيزيقي، أي في عالم الحقيقة المطلقة التي تغيب في العالم الفيزيقي، وقد كشف الله سبحانه وتعالى عن حقائق غيبية على لسان أنبياءه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم، منها ما تحقق في الواقع العلمي ومنها ما يزال العلم عاجزاً عن تفسيره، وكلما اكتشفت هذه الحقائق العلمية زادت المؤمنين إيماناً و أدلت أعناق الملحدون والجبابرة حتى يؤمنوا بالله الواحد الأحد، الذي يدبر هذا الكون ويسيره بانتظام دقيق يعجز عن فهمه وتفسيره العقل البشري من دورة الماء في الطبيعة مثلاً، ودورة ثاني أكسيد الكربون فيها، وعمليات التكاثر في الكائنات الحية ويقول أحد العلماء الأمريكيين: "إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على

قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر الكون ودراستها، حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته، ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها، ولكننا نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته<sup>1</sup>.

يقول سبحانه وتعالى في كتابه المبين: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلِي وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>2</sup>، تحتوي هذه الآيات على إشارات واضحة لوجود عالم ميتافيزيقي غير مرئي لكنه حقيقة واضحة، فكما أن العلماء لا يستطيعون رؤية الذرة لصغر حجمها، لكنهم يستدلون بها على قضايا علمية مؤكدة فكذلك عالم الغيب يمكن الاستدلال على وجوده من خلال آثاره، ففي حركة كل ذرة وفي سكونها وظيفة معينة تقوم بها، فمن الذي زوّدها بالنظام الدقيق الذي لا يخطئ أبداً وفق قانون ثابت لا يترك مجالاً للصدفة، يقول النورسي رحمه الله: "إن الحكيم ذي الجلال يحرك الذرات في مزرعة هذه الدنيا الضيقة وينسجها في مصنع الأرض، جاعلاً الكائنات سيالة والموجودات سيارة، وذلك لأجل إعداد ما يناسب من لوازم أو تزيينات أو محاصيل لعوالم واسعة لا حد لها، كعالم المثال وعالم الملكوت الواسع جداً وسائر عوالم الآخرة غير المحدودة، فيهيئ سبحانه في هذه الأرض الصغيرة محاصيل ونتائج معنوية كثيرة جداً، لتلك العوالم الواسعة جداً، ويجري من الدنيا سيلاً لا نهاية له ينبع من خزينة قدرته المطلقة يصبه في عالم الغيب، ويصب قسماً منه في عوالم الآخرة"<sup>3</sup>.

إن العلوم بحكم طبيعتها المادية لا يمكنها الغوص في العالم الميتافيزيقي، لكن يمكنها إخضاع إشاراته للملاحظة والتجربة من خلال تأمل عجائب هذا الكون الفسيح بداية من أكبر مجراته إلى أصغر ذراته، ويقول أحد العلماء الأمريكيين: "إنني أعتقد في وجوده سبحانه لأنني لا أستطيع أن أتصور أن المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور الإلكترونات

<sup>1</sup> نخبة من العلماء الأمريكيين: الله يتجلى في عصر العلم، ص 26

<sup>2</sup> سورة سبأ الآية 3

<sup>3</sup> النورسي: الكلمات، ص 645

والبروتونات الأولى أو الذرات الأولى أو الأحماض الأمينية الأولى أو البروتوبلازم الأول أو البذرة الأولى أو العقل الأول، إنني أعتقد في وجود الله لأن وجوده القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون التي نشاهدها<sup>1</sup>.

### أولاً - علم الفلك:

يقول تعالى: ﴿أَو لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾

يقول تعالى: ﴿يَسْبَحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾

يقول تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ أَيْلًا عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوِّرُ أَيْلًا عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ﴾

يقول تعالى: ﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾

يقول تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

يقول تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنُكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَزَنِينَ﴾ ما زالت السماء مع التقدم العلمي الهائل مجالاً خصباً للبحث العلمي والاستكشاف، وما علمه الباحثون لا يساوي ذرة مما يمكن أن يعرف، وفي السحاب المعلق بين السماء والأرض وما يحمله من غيث رحمة للناس عجائب قدرة الخالق سبحانه وتعالى، يقول النورسي رحمه الله: "إن جريان الأجرام في السماوات بمنتهى النظام لبلوغ غايات جليلة،

<sup>1</sup> - نخبة من العلماء الأمريكيين: الله يتجلى في عصر العلم، ص 60

ونتائج سامية\_بتقرير علم الفلك نفسه\_إنما يدل على وجود إله قدير ذي جلال ويشهد على وحدانيته وربوبيته الكاملة"<sup>1</sup>.

أكدت الأبحاث في علم الفلك أن الكرة الأرضية مكونة من عناصر مقسمة بنسب مئوية دقيقة تسمح بالحياة فيها، حتى أن دورانها حول محورها دقيق جدا لدرجة أن اختلاف ثانية واحدة يمكن أن يقلب التقديرات الفلكية، ويجعل من الأرض جحيما للكائنات الحية، فالحياة لا توجد إلا على كوكب الأرض الذي سخره الله سبحانه وتعالى للإنسان ولخدمته، وقد عاش الفلكيون حتى مطلع القرن العشرين وهم يجمعون على قضية ثبات الكون،\_كون دائم الثبات\_ لضخامة النجوم وبعدها عنّا بحيث لا يستطيع الإنسان قياس مسافة بعدها وحركتها، وفي مطلع القرن العشرين ومع تطور أجهزة الرصد فوجئ علماء الفلك بأن النجوم تتباعد عن بعضها البعض بسرعات تصل إلى ثلاث أرباع سرعة الضوء، المقدّرة بثلاث مئة كيلومتر في الثانية، ولم يستطع العلماء الفلكيون التوصل إلى هذه الحقيقة العلمية\_توسع الكون\_ إلا في مطلع القرن العشرين، وحين آمن العلماء الفلكين باتساع الكون وأنه في توسع مستمر، قالوا: لو عدنا بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن، لابد أن يختفي كل شيء من مادة وطاقة ومكان وزمان ويلتقي كل ذلك في نقطة واحدة متناهية في الضالة"<sup>2</sup>.

يقول النورسي رحمه الله: "هب أن ملايين المصابيح الكهربائية تتجول في مدينة عجيبة دون نفاذ للوقود ولا انطفاء، ألا ترى\_بإعجاب وتقدير\_أن هناك مهندسا حاذقا وكهربائيا بارعا لمصنع الكهرباء، ولتلك المصابيح؟..فمصباح النجوم المتدلّية من سقف قصر الأرض وهي أكبر من الكرة الأرضية نفسها بألوف المرات حسب علماء الفلك، وتسير أسرع من انطلاق القذيفة ومن دون أن تخل بنظامها أو تتصادم مع بعضها مطلقا ومن دون انطفاء، ولا نفاذ وقود وفق ما تقرؤونه في علم الفلك..هذه المصابيح تشير بأصابع من نور إلى قدرة خالقها غير المحدودة"<sup>3</sup>، فقد جاء النظام الشمسي منظما بدقة متناهية تعجز أرقى العقول وأذكاهها، بحيث تبلغ درجة حرارة سطحها 12000 درجة فهرنهايت، والكرة الأرضية بعيدة عنها لحد

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات، ص771

<sup>2</sup> \_زغلول النجار : في محاضرة له بعنوان:"رحلة إيمانية في خلق الإنسان"، في ندوة علمية بعنوان الإعجاز الطبي في

القرآن الكريم،الجزائر، 2019م

<sup>3</sup> -النورسي: الكلمات، ص175

يكفي لأن تمدنا هذه النار الهائلة بالدفء الكافي، لا أكثر ولا أقل، بمسافة ثابتة على الدوام، ولو اختل هذا النظام لاحترقت الكائنات الحية كلها وانعدمت الحياة بأكملها، وكذلك الكرة الأرضية، تدور حول الشمس بدقة لدرجة أن الشمس لو أعطت أكثر من نسبة إشعاعها لاحترقنا، والعكس لو أعطت أقل لتجمدنا، وهذا ما تدل عليه الآية الكريمة: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>1</sup>.

ولو كانت الأرض صغيرة بحجم القمر لعجزت عن احتفاظها بالغلاف الجوي والمائي اللذان يحيطان بها، ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت، أما لو كان قطرها ضعف ما هو عليه الآن لتضاعفت مساحة سطحها أربعة أضعاف وأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه الآن، ولو كانت الأرض في حجم الشمس مع احتفاظها بكثافتها لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التي عليها 150 ضعفاً، ولنقص ارتفاع الضغط الجوي إلى ما يزيد على أربعة أميال، ولأصبح تبخر الماء مستحيلاً ولارتفع الضغط الجوي إلى ما يزيد على 150 كيلوغرام في السنติ متر المربع ولوصل وزن الحيوان الذي يزن حالياً رطلاً واحداً إلى 150 رطلاً، ولتضاعل حجم الإنسان حتى صار في حجم السنجاب، ولتعذرت الحياة الفكرية لمثل هذه المخلوقات.. ولو أزيحت الأرض إلى ضعف بعدها الحالي عن الشمس، لنقصت كمية الحرارة التي تتلقاها من الشمس إلى ربع كميتها الحالية، ولقطعت الأرض دورتها حول الشمس في وقت أطول وتضاعف تبعاً لذلك طول فصل الشتاء وتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض<sup>2</sup>.

أ\_ الشمس والقمر: من المعروف أن القمر لا يضيء بذاته، فهو جرم معتم لا تنبعث منه أشعة، بل أشعة الشمس هي التي تنعكس عليه على شكل نور يهدي سبيل الناس ليلاً، وهو يدور في فلك خاص ولا يثبت على حالة واحدة، وحركته الدورانية تتناسب مع كمية الأشعة المنبعثة من الشمس ترىنا "قرص النور" الذي تزداد مساحته ليصبح بداراً، ثم يتناقص إلى أن

<sup>1</sup> سورة يس: الآية 37-39

<sup>2</sup> نخبة من العلماء الأمريكيين: الله يتجلى في عصر العلم، تر. الدمرداش عبد المجيد سرحان، محاضرة حول نشأة العلم للدكتور فرانك ألن، عالم الطبيعة البيولوجية، بجامعة كندا، دار القلم، بيروت، لبنان، ص14

يختفي عن أنظارنا، وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالقمر في سورة الانشقاق في قوله: ﴿والقمر إذا انشق﴾ والاتساق حسب العلماء المفسرين هو تمام اكتماله في حالة البدر في الليالي الثلاث من الشهر (13\_14\_15)، كما أثبتت الدراسات العلمية أن جاذبية القمر للكائنات الحية على الأرض قوية جدا ولذلك كان صيام هذه الأيام صحيا للإنسان.

يقول النورسي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾: "إن تقدير القمر تقديرا دقيقا، وتدويره حول الأرض وتدبيره وتثويره، وإعطائه أوضاعا إزاء الأرض والشمس، محسوبة بحساب في منتهى الدقة والعناية، تتحير منه العقول، يرشد كل ذي شعور يشاهد الدقة في التقدير يقول النورسي: "إن التقدير الذي ينظم هذه الأمور على هذه الشاكلة الخارقة ويقدرها تقديرا دقيقا، لا يصعب عليه شيء، مما يوحي أن الذي يفعل هذا قادر على كل شيء، إن القمر الذي يعقب الشمس هذا التعقيب مقدر حسابه، لا يخطئ حتى في ثانية واحدة"<sup>1</sup>.

### ثاني-العلوم الفيزيائية والكيميائية.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَخْسِبُهُ الظُّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

يقول تعالى: ﴿يَكَادُ البُرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يقول تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۚ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.

<sup>1</sup> \_النورسي: المكتوبات، ص19

يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝﴾.

### أولاً- علم الفيزياء:

إن النظام الثابت الذي تخضع له الطبيعة والذي سمّاه الفيزيائيون الكلاسيكيون بالاحتمية، فكّما ازداد وعي الإنسان بنظام الكون ازداد إيمانه بخالقه المبدع إذ يستحيل أن يكون التوافق والانتظام ناتجا عن الصدفة، ويتطور الفيزياء المعاصرة تبين أن الجزيئات لا تخضع لقوانين نيوتن، أي لا يمكن أن يخضع الجزيء لمبدأ الحتمية لأنه يستحيل تعيين موقع وسرعته في آن واحد، وتوصل "هيزنبرغ" إلى مبدأ آخر سمّاه بـ"اللاحتمية" مفاده أننا كلّما حاولنا ملاحظة الإلكترون نجد أننا نغير من حالته، وقد تكون أبحاث هيزنبرغ ناتجة عن قصور العلم عن ملاحظة الإلكترون دون التأثير في موضعه وسرعته، وربما إن تطور العلم في المستقبل، قد يشاهد الإلكترون وهو ثابت وهذا ما تدل عليه الآية الكريمة: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾<sup>1</sup>.

والمأمل في الطبيعة في أي فصل من الفصول، تتجلى لديه الإشارات العلمية واضحة جلية على الخالق المبدع، وي طرح العقل أسئلة تدله عليه سبحانه، من علم الطيور ذلك التغريد الجميل؟ ومن وضع الرحيق في الزهور لتجذب الحشرات إليها لتلقحها؟ ومن الذي يرسل الرياح لتثير السحب وينزل المطر؟ لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ فَتُنْفِثُ السَّحَابَ يَبْسُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيُرِي الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۝٢﴾<sup>2</sup>، كما أثبتت الدراسات العلمية أن الصعود في الجو والتعرض لطبقاته العليا يصاحبه ضيق في الصدر لدرجة الاختناق لأن كمية الأوكسجين تقل، أليس هذا ما ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۝٣﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> -سورة الإسراء الآية 85

<sup>2</sup> -سورة الروم الآية 47

<sup>3</sup> -سورة الأنعام الآية 126

أ\_ البرق والرعد إشارتان علميتان لحقيقة فيزيائية: يعرف البرق بأنه شرارة كهربائية مضيئة تصدر فجأة ثم تختفي، تحدث نتيجة تصادم سحابة ذات شحنة كهربائية سالبة بأخرى ذات شحنة كهربائية موجبة، يقول النورسي رحمه الله: "اعلم أن الرعد والبرق آيتان ظاهرتان من جهة العالم الغيبي في أيدي الملائكة الموكلين على عالم السحاب لتنظيم قوانينه"<sup>1</sup>

ب\_ الرياح اللواقح : تقوم الرياح بوظيفة تؤديها بأمانة لا مثيل لها، وهي وظيفة التلقيح، فتلقح السحاب فتدر الماء، وتلقح الشجر فتفتح أوراقها وثمارها، ويقول النورسي رحمه الله: "تجلى الرحمة والحكمة من توظيف الرياح بوظائف جليلة كتلقيح النباتات وتنفسها، وجعلها صالحة في ترديد أنفاس الأحياء بتحريكها وإدارتها، كما يذكر تجلي الربوبية في تسخير السحب وجمعها وتفريقها وهي معلقة بين السماء والأرض كأنها جنود منصاعون للأوامر"<sup>2</sup>.

ج\_ الظل الممدود: ينتج الظل عندما تسقط الأشعة ( من مصدر ضوئي مثل الشمس) ويتغير الظل طولاً وقصراً بعكس اتجاه دوران مصدر الإضاءة ويتغير في الطبيعة من يوم لآخر ومن مكان لآخر على سطح الأرض، والظل من الإشارات العلمية التي تحدد بها أوقات الصلاة، فالظل الحادث بسقوط أشعة الشمس يدل طولاً واتجاهاً على الوقت أثناء النهار، وأوقات الصلوات مرتبطة بارتفاع الشمس وانخفاضها تحت الأفق، فوقت الفجر يدخل مع بداية الشفق الصباحي الذي يحدث حين تكون الشمس تحت الأفق الشرقي بمقدار معلوم، ووقت الظهر يدخل عندما تكون الشمس ناحية الجنوب، وفي أقصى ارتفاع لها خلال النهار، ووقت العصر يدخل عندما يبلغ ظل الشيء مثله مضافاً إليه طول ظله عند الظهر، ووقت المغرب يكون عند اختفاء قرص الشمس تماماً تحت الأفق الغربي ويزول ظل الشيء نتيجة اختفاء أشعة الشمس، أما وقت العشاء فيدخل عند اختفاء الشفق المسائي، وللنورسي رحمه الله تفسير إيماني يكمل الجانب الفيزيائي إذ يقول: " ذلك الوقت الذي تغيب في الأفق حتى تلك البقية الباقية من آثار النهار، ويخيم الليل فيه على العالم، فيذكر بالتصرفات الربانية لـ "مقلب الليل والنهار" وهو القدير ذو الجلال في قلبه تلك الصحيفة البيضاء إلى هذه الصحيفة السوداء، ويذكر كذلك بالإجراءات الإلهية لـ " مسخر الشمس والقمر" وهو

<sup>1</sup>النورسي: إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، ص138

<sup>2</sup>\_النورسي: الكلمات، ص 480

الحكيم ذو الكمال في قلبه الصحيفة الخضراء المزينة للصيف إلى الصحيفة البيضاء الباردة للشتاء، ويذكر كذلك بالشؤون الإلهية لـ "خالق الحياة والموت" بانقطاع الآثار الباقية\_ بمرور الزمن\_ لأهل القبور من هذه الدنيا وانتقالها إلى عالم آخر<sup>1</sup>.

والفائدة الأخرى للظل هي الرحمة التي تتسع لكل الكائنات في الطبيعة، فشدة الحرارة قد تؤدي بحياة الموجودات عطشا وحرقا وألما، إذ لا يمكن للحياة أن تستمر في ظل ثابت أو شمس دائمة، وبامتداده تارة وانقباضه تارة أخرى تنتعم الكائنات بالدفء والضوء، كما أن الظل يتيح فهم ظاهرتي الخسوف والكسوف، كما يتيح دراسة الحركة في الكون.

#### رابعاً\_ علم الكيمياء:

إن الخالق المبدع صمّم هذا الكون وركّب بين عناصره الكيميائية لدرجة حيّرت عقول العلماء في هذا المجال، ونذكر على سبيل المال تركيبة الماء الذي أوجده الله سبحانه وتعالى بحالته السائلة والتي تمكن الإنسان من الوقوف والتفكير، والماء يغطي ثلاث أرباع الكرة الأرضية ولو فقد إحدى خواصه لحدثت كوارث وأمراض خطيرة، وهو\_ بلغة الكيميائيين\_ المادة الوحيدة المعروفة التي تقل كثافتها عندما تتجمد، لحكمة عظيمة إذ بسببها يطفوا الجليد فوق سطح الأرض عندما يشتد البرد، بدل الغوص في أعماقها فيسبب مخاطر للإنسان وحتى الأسماك الموجودة في البحار، وهذا يدل على العناية الإلهية التي تحيط بالكون، إذ يقول أحد العلماء الأمريكيين: "إنني أرى كل ظاهرة من هذه الظواهر أكثر من مجرد الخلق والتدبير المجرد من العاطفة، إنني ألمس فوق ذلك كله محبة الخالق لخلقه واهتمامه بأمرهم"<sup>2</sup>.

لقد أشار القرآن الكريم في كثير من الآيات إلى علم الكيمياء، في حديثه مثلا عن الذرة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ<sup>٣</sup> وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ<sup>٤</sup>﴾ وفي قوله كذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ<sup>٥</sup> وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا<sup>٤</sup>﴾ كل آيات القرآن الكريم تبين أن الذرة هي أصغر وأهم شيء في الطبيعة، يقول

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات ، 45

<sup>2</sup> \_نخبة من العلماء الأمريكيين: الله يتجلى في عصر العلم، ص 51

<sup>3</sup> \_سورة الزلزلة الآية 8-9

<sup>4</sup> \_سورة النساء الآية 40

النورسي رحمه الله: "إن الذرة بقيامها بوظائف جسيمة جدا، وحملها لأعباء ثقيلة جدا تفوق طاقتها... تشهد شهادة قاطعة على وجود الله سبحانه، وإنها تشهد شهادة صادقة أيضا على وحدانية الله وأحدية مالك الملك والملكوت، بتتسيق حركاتها وانسجامها مع النظام العام الجاري في الكون ومراعاتها النظام حيثما حلت، وتوطنها هناك كأنه موطنها، أي لمن تعود ملكية الذرة ويبد من زمامها؟"<sup>1</sup>.

يضرب لنا النورسي أمثلة كثيرة عن عمل الذرة وفي تفاعلاتها الكيميائية في الطبيعة كونها إشارات لوحدانية الله وقدرته سبحانه، سواء في جسد الإنسان وأعضائه أو في محاصيل السنة وتنوعها من ثمار الأرض أو في المجرات والأفلاك ويذكر مثلا حول العين فيقول: "إن الذرة المستقرة في بؤبؤ عين" توفيق" يقصد أحد طلابه\_ لها علاقة مع أعصاب العين الحركية والحسية، ومع الشرايين والأوردة التي فيها، ومع الوجه والرأس ثم مع الجسم"<sup>2</sup> أي أن الذرات تتجلى في الإنسان والحيوان والنبات وهذا ما أكده علم الكيمياء حول دور الذرات في الطبيعة.

اكتشف علم الكيمياء مؤخرا أن الذرة ليست أصغر الأشياء كما كان الاعتقاد سائدا في القديم بل تتجزأ من تلقاء نفسها إلى جزيئات وتخرج منها جسيمات ذرات كهربائية موجبة وسالبة ومزال العلم يواصل بحثه إلى أن وصل إلى تحطيم الذرة تحطيمًا صناعيًا عام 1939<sup>3</sup> وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيق العلمية في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٦١﴾<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات ص 646

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات ص 647

<sup>3</sup> \_الإعجاز العلمي وعلاقته بالمنهج التجريبي المعاصر، فوزي حسام، مجلة جامعة الأنبار، العدد الأول 2014، ص

<sup>4</sup> \_سورة يونس الآية 61

### خامسا: علم الجيولوجيا والجغرافيا.

يقول تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خِشَعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۗ ٢١﴾.

يقول تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ ۗ ٤٨﴾.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانًا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانًا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۗ ٢٧﴾.

يقول تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ إِلَيْكَ دَازِئًا قَنًى ۗ كُلُّ شَيْءٍ ۖ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۗ ٩٠﴾.

### أ\_ علم الجيولوجيا:

إن الأرض الهائلة الوزن معلقة في الفضاء بغير عمد، وثباتها هذا يخرق قوانين الجاذبية وكل القوانين العلمية ويخرس أفواه العلماء الناطقين بالعلم دون الإيمان، وإذا تساءلنا عن كيفية فرش الأرض وتكوينها فهذا ما يحير عقول العلماء الجيولوجيين، بدءا بتكوين قشرتها الخارجية ثم قشرتها المحيطية التي ساهمت في تكوين المحيطات، ثم تكوين القارات التي انفصلت عن بعضها حتى وصلت إلى حالتها الراهنة، بحيث أصبح الشكل العام للأرض في هذه المرحلة مناطق قارية مرتفعة صالحة لعيش الإنسان تحيط بها مساحات واسعة من فرش الماء، حيث تمتلئ بالوديان والأنهار لتستطيع الكائنات الحية العيش فيها، ويتنوع فرش الأرض في كل عصر، فالبحار فرشت بالماء والمناطق البركانية فرشت بالطفوح والرماد، والصحاري فرشت بالرمال وكل فرش يتلاءم مع موجوداته .

هناك إشارة جمالية حميمية بين الأرض والإنسان تشير إلى الأمومة التي نستشعرها إزاءها، فليس هناك شعور أدعى للسكينة والراحة مثل لك الذي ينتابنا حين تستلقي على الأرض، فتهبط وتتضاغط الحبيبات الموجودة في الأرض وفق ما يقع عليها من ضغط، فالرأس لها وزن غير المنكبين، وما يسفل الرأس يستجيب لوزن رأسك وما يسفل المنكبين يستجيب وفقا لوزن هذا الجزء من جسدك وكأنها تحتضن أبناءها وتعرف تفاصيل أجسادهم بدقة، فأكثر المراقدة راحة وسلاسة للجسد هي الأرض المفروشة ببساط رحمته وكرمه سبحانه

وتعالى، فلا يسبب فرشها الطبيعي ألماً للرقبة ولا للعمود الفقري، وحين حاول العلماء اكتشاف آلات وأجهزة للعناية بجسد الإنسان فهم يحاكون الطبيعة في فرشها لأنها أحسن مصدر يمكن أن يجلب له الراحة.

يقول النورسي رحمه الله: "النباتات الموزونة المنتظمة التي تفرش الأرض والبساتين والزرع، كل منها يدل على ذلك الصانع الحكيم، ويشير إلى وحدانيته بما تحمله من أزاهير جميلة، وما تنتج هذه الأزاهير من ثمار موزونة، وما على هذه الثمار من نقوش رائعة، فكما أن كل منها على حدة يدل على الصانع فإن مجموعها يظهر جمال رحمته سبحانه وكمال روبيته.. ثم إن القطرات المسخرة لحكم غزيرة ولغايات سامية ومنافع جليلة وفوائد جمة، والتي ترسل السحب الثقال المعلقة بين السماء والأرض، تدل بعدد القطرات على ذلك الصانع الحكيم، وتشهد على وحدانيته وكمال روبيته.. كما أن الجبال الراسيات وما في أجوافها من معادن وما لكل منها من خواص.. ثم إن أنواع الأزاهير الجميلة اللطيفة المنثورة على التلال والروابي والصحارى، وقد أضفى عليها البهاء والجمال، كل منها يدل على الصانع الحكيم"<sup>1</sup>

### ب\_ علم الجغرافيا:

إن الأرض التي نسير عليها أعجوبة من عجائب الخلق الإلهي، فكيف يمكن للعقل البشري أن يدرك دورانها حول الشمس وهو يدوس بقدميه عليها ويحس بنباتها فيخيل إليه أنها منبسطة ساكنة خامدة، ومع ذلك فهي تحمل فوقها جبالاً كالأوتاد تحفظ توازنها وتحميها من مخاطر الزلازل، بل وتحمل في جوفها ينابيع وأنهاراً ومعادن، بل تحتضن أجسادنا بعد موتنا، يقول النورسي: " كما أن التحولات المنتظمة في "الأرض" في المواسم لحصول منافع عظيمة ومصالح شتى بنقدير الجغرافية\_ إنما تدل دلالة واضحة على ذلكم القدير ذي الجلال وتشد على وحدانيته وربوبيته الكاملة"<sup>2</sup>، ولو تأملنا قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ۚ ۝٤٤ ﴾<sup>3</sup> لوجدنا إشارة علمية تؤكد الحقيقة العلمية القائلة بأن ماء المطر مصدره الأرض أي أن الماء يتبخر من البحار والمحيطات ويتكاثف في الجو ليعود إلى الأرض على شكل أمطار.

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات، ص773

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات، ص772

<sup>3</sup> \_سورة هود الآية 44

لقد اكتشف علم الجغرافيا أن الجبال لها امتدادات تخترق الغلاف الصخري للأرض لتطفوا في مادة لزجة عالية الكثافة، وهي مغروسة في الأرض والجزء البارز على سطح الأرض لا مثل إلا جزءا واحدا من 15 جزءا مدفونا في الأرض ذلك لأن وظيفة الجبال هي التثبيت، وهذا هو دور الوند لقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَاداً ۝٧﴾<sup>1</sup>. ويقول النورسي رحمه الله: " كما أن الجبال الراسيات وما في أجوافها من معادن وما لكل منها من خواص، وما ادخر فيها من غايات شتى، والمعدّة لمصالح عدة، كل منها على حدا وبمجموعها معا، تدل دلالة أقوى من الشم الرواسي على ذلك الصانع الحكيم وعلى وحدانيته وكمال ربوبيته"<sup>2</sup>.

لقد أكدت الدراسات الجيولوجية أن المعادن الموجودة في الجبال لها دور في تغيير ألوانها حسب درجة امتصاصها لها، وللماء دور كذلك في تغيير ألوانها وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.

أثبتت الدراسات كذلك الإنسان لو ارتفع بعيدا عن جاذبية الأرض وغلافها الجوي فسوف يرى الأرض وهي تدور بسرعة والجبال تدور معها فحركتها ليست ذاتية بل تابعة لحركة الأرض وقد قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمِداً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ ذَلِكَ لِيُتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

### سادسا- العلوم البيولوجية والفيزيولوجية.

يقول تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِداً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ آتَيْهِ مِنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَشِيعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الْأَرْضَ أَخْبَاهَا لَمُحِي الْمَوْتِي إِنَّهُ عَلِيٌّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يقول تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسُكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾.

<sup>1</sup>-سورة النبا الآية 7

<sup>2</sup>-النورسي: الكلمات، ص 772

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافً كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۗ﴾.

يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۗ﴾.

### 1\_ علم الأحياء (البيولوجيا):

الكائنات الحية في هذا الوجود تدل دلالة واضحة على خالقها المحيي سبحانه، وتلك الوحدة العضوية الموجودة في عمل أجهزتها إشارات علمية تهز الوجدان وتوقظ العقول، بحيث يقوم كل عضو بعمله المنوط به وكأنه آلة حية تعمل بصورة دائبة آناء الليل وأطراف النهار، كالقلب مثلا أو الكلى أو الرئتين، ويستشهد النورسي بعلم الأحياء على وجود الله سبحانه وتعالى قائلا: "فكما تشاهد على الحياة آياته وإشاراته وعلى نوي الحياة أختامه، تشاهد آيات وإشارات أيضا على "الإحياء"، أيمنح الحياة"<sup>1</sup> ويقدم لنا أمثلة كثيرة عن عالم الأحياء قائلا: "ثم إن جميع "الحيوانات" التي تملأ البر والبحر والتي يرسل رزق كل منها برحمة واسعة، وتكسى بأثواب مختلفة، بحكمة تامة وتجهز بحواس مختلفة، بربوبية كاملة، يشير كل منها إلى ذلك القدير ذي الجلال وبشهادة على وحدانيته.. وكذلك "النباتات" الموزونة المنتظمة التي تفرش الأرض والبساتين والزروع، كل منها يدل على ذلك الصانع الحكيم، ويشير بما تحمله من أزاهير جميلة، تنتج ثمارا موزونة وما على هذه الثمار من نقوش رائعة، فكما أن كلا منها على حدى يدل على الصانع فإن مجموعها يظهر جمال رحمته سبحانه، وكمال ربوبيته"<sup>2</sup>.

إن الكائن الحي في حد ذاته دليل علمي واضح على وجود خالق عظيم مدبر لشؤون خلقه، وتتعدم في خلقه الصدفة والعشوائية، فالبروتينات المركبة لخلاياه الحية مثلا والتي تتكون من عناصر خمسة أساسية وهي: الكربون، الإيدروجين، النيتروجين، والأكسجين، الكبريت، ويبلغ عدد هذه الذرات في الجزيء البروتيني 40000 ذرة\_ حسب تقدير علم

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات/ص330

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات،ص772

البيولوجيا\_ فكيف يمكن اجتماع هذه العناصر بانتظام وكيف تتآلف الذرات في هذه الجزيئات؟

يواجه العلماء الآن اكتشافا بالغ الأهمية محاولين به اختراق علم الوراثة، ألا وهو الاستنساخ، أي صنع الحياة داخل أنابيب الاختبار، وقد توصلوا إلى نتائج بدائية لا ترقى لمستوى الدقة العلمية، وذلك بمزج بعض المواد الكيماوية بنسب معينة لكي تتكون منها مادة DNA والتي لا تنتج إلا داخل الخلية الحية، مادة الوراثة التي تحمل الصفات الوراثية عبر الأجيال، لكن هذه التجارب لم تتجح لحد الساعة ولا تزال أسئلتهم تنتظر الإجابة لدرجة أن اعتبرت هذه التجارب ضربا من المستحيل، وحتى إن استطاع العلماء الوصول إلى نتائج معينة فستكون حتما سببا في زيادة إيمانهم بالخالق المبدع، الذي أتقن كل شيء خلقه، "لكن البروتينات ليست إلا مواد كيماوية عديمة الحياة، ولا تدب فيها الحياة إلا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذي لا ندري عن كنهه شيئا، إنه العقل اللانهائي، وهو الله وحده، الذي استطاع أن يدرك ببالغ حكمته أن مثل ذلك الجزيء البروتيني يصلح لأن يكون مستقرا للحياة، فبناه وصوّره وأغدق عليه سر الحياة"<sup>1</sup>.

**الحرب البيولوجية:** إن أشد الأمور وقعا على النفس وأجلها وأعظمها هي الإشارة إل العديد من الغيبيات المحجوبة عن عالم الشهادة منذ عصر التنزيل، وفي كل مرحلة من مراحل التطور العلمي يكشف العلماء من خلال أبحاثهم عنها، فيزداد المؤمنون منهم إيمانا ويدخل الكافرون منهم للإسلام انصياعا لكلام الله يقينا بما أكده العلم لهم، فطوبى لمن زاده علمه إيمانا ويقينا.

إن الحرب البيولوجية التي لجأ إليها العلماء في الغرب بالميكروبات والجراثيم والفيروسات هي الأكثر فتكا بالإنسانية على مر العصور، لذلك كان عقاب الله سبحانه وتعالى للكفار بيولوجيا، فالطاعون والتيفوس والجمرة الخبيثة كلها جنود الله غير المرئية تتطوي على أسرار يعجز العقل العلمي عن فك ألغازه وآخرها "الكورونا"، وهذه الجنود لها وظائف عقابية وجزائية للمسلمين ثواب الصبر والاحتساب لدرجة الموت على الشهادة، فقدرة هذه الجنود على الإبادة والتدمير خارقة وفوق تقدير العقل البشري، فوباء "الكوليرا" حين

<sup>1</sup> \_ نخبة من العلماء الأمريكيين: الله يتجلى في علم العلم، ص 15

داهم الشعوب قتل الآلاف في ساعات قليلة، وفشل الطب في علاجه آنذاك، و"الطاعون" فتك بالجيش وكانت حربه إبادة جماعية في وقت قياسي، وكذلك "الكورونا" الذي يحصد آلاف الأرواح في وقتنا الحالي وعجز العلم لحد الساعة عن إيجاد علاج له وما تزال الإنسانية جمعاء تحت وطأته لاجئة إلى العلاج النبوي الذي أخبرنا به منذ عصر النبوة، وهو العلاج الوقائي بالحجر الصحي، والنهي عن الخروج من الأرض المصابة فرارا من الموت أو الدخول إليها خوفا منه، ومن باب الحماية وحماية الهواء والمكان، والتوكل على الله فمن جلس في بيته صابرا محتسبا ينال أجر الشهادة.

### 2\_ علم الفيزيولوجيا:

التفسير العلمي لعمل أعضاء الكائنات الحية إشارة إلى الحكمة البالغة في الخلق، فعملية الهضم مثلا أعجوبة علمية فالكائن الحي يأكل ولا يستطيع أن يتولى عملية الهضم بمفرده، بل هناك تقدير إلهي في عملية الهضم، ولو أكلت هذه الوظيفة له لما استطاع القيام بها، لأن الطعام الذي وضعه في فمه يمر بالأعضاء ثم يتحلل إلى مواد سكرية وبعدها إلى الكبد ثم البنكرياس والمرارة، وكذلك أعجوبة الجمجمة ذات المفاصل المتحركة والفراغات التي تحفظ الدماغ من الضربات والصدمات، و في تركيبية العين تأمل طبيعة الماء الموجود فيها، لماذا لم نتساءل يوما لماذا لا يتجمد الماء الموجود فيها، أليس سائلا خاضعا لقوانين الحرارة والبرودة؟ ولو تأملنا الكليتين اللتان تقومان بتصفية الدم لوجدنا أن الكلية الطبيعية في جسم الإنسان التي هي بحجم البيضة تعمل في صمت طيلة أربع وعشرين ساعة دون توقف وفي كل أحوال الإنسان سواء كان نائما أو راكبا أو ماشيا أو عاملا، بينما الكلية الاصطناعية فهي بحجم الطاولة ولا بد للمريض أن يستلقي ثماني ساعات لتصفية دمه مع بذل الجهد والألم، أما القلب فهو مضخة الدم إلى باقي الشرايين ثم إلى أنحاء الجسم، ليعود إليه مرة أخرى، ينبض من 60 إلى 80 نبضة في الدقيقة ليتم ضخ 3 إلى 5 لترات في الدقيقة، ولو تأملنا المبيض عند المرأة المسئول عن إنتاج البويضات وتساءلنا: لماذا تبدأ وظيفته في سن البلوغ وتنتهي في سن اليأس؟ لكانت الإجابة عن هذا السؤال العلمي موضحة لحكمة بالغة في الخلق، فالمرأة التي تتحمل مشاق كثيرة في الحمل والولادة وتربية الأبناء تجد نفسها في

هذا السن عاجزة عن القيام بهذه الوظائف لهذا تتوقف مهمة المبيض في فترة معينة من عمرها.

إن عمل أعضاء الجسم لا تقتصر على الإنسان العاقل فقط، بل تشمل الحيوان والحشرات التي تستخدم أجهزتها لتضمن بقاءها واستمرار نوعها، فالبعوضة مثلاً حين تحط على جبين الإنسان تستخدم جهازاً يشبه الرادار الذي يحدد الموقع بدقة فلا يخطئ الهدف، وتستخدم مخدراً حتى لا يشعر الإنسان بوخز إبرتها على جبينه، وتقوم بتحليل الدم الذي تمتصه، فهذا الإتقان في الصنعة والتميز في الأداء إشارة أكدها العلم وأثبت بها قدرة الخالق سبحانه وتعالى وتفرد في الخلق.

### سابعاً- العلوم الطبية والصيدلة.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوسُ بِهِءِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ١٦﴾

يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِءِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرِيبِينَ ٦٦﴾

يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٦٧﴾

يقول تعالى: ﴿كَأَلَّا لَيْنَ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كُذِبَةٍ خَاطِيَةٍ ١٧﴾

يقول تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةً أَرْوَجٌ يُخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِي تُصْرَفُونَ ٧﴾

يقول تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلْتِ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّرْضَعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ أَلْتِ فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ أَلْتِ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلِيلُ آبْنَانِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ٢٣﴾

## 1\_ الطب:

يشاء الله سبحانه وتعالى أن يؤيد العلم كل ما جاء القرآن الكريم ليشهد على وحدانية الله سبحانه وتعالى وقدرته وعلمه، فقد توصلت الأبحاث العلمية في الجراحة إلى أن الإصابة في الفص الجبهي (الناصية) تؤدي إلى الوقاحة والاستهزاء واضطرابات في الذاكرة والانتباه وتغير في السلوك...إلخ.

تكنولوجيا الغرب تشهد شهادة صادقة بصدق القرآن، وبأن مصدر الكذب يكتشف من الناصية، بواسطة الرنين المغناطيسي المسلط على الدماغ بحيث في حالة الكذب يكون الفص الجبهي أكثر نشاطاً، ولعل ما يظهر على الوجه من احمرار سببه النشاط الزائد للناصية، وهذا ما يثبت أن الناصية هي المسئولة عن سلوكنا، وقد جاء هذا الحديث على لسان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في قوله تعالى: ﴿ نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ ۝١٧﴾<sup>1</sup>.

فالغرب تتطرق نواصيهم بالحق شاء ذلك العلماء أم أبو، والناصية فيها إشارات علمية دقيقة إلى أنها مركز الإرادة وحرية الاختيار، وبها جماع أمر الإنسان وتسيير شؤونه ومكان انقياده لله تعالى، وهي تشكل أكبر أجزاء الدماغ ومركز التحكم في العواطف والمشاعر والذاكرة واللغة وقدرة الحكم على الأشياء والقدرة على أخذ المبادرة، وهكذا ثبت علمياً أن الفص الجبهي الأمامي أي الناصية هي الموجهة للسلوك والمميزة للشخصية، وثبت بتجارب سريرية أنها تؤدي دوراً مهماً في التخطيط والتنظيم، وإصابتها تؤدي إلى خلل في الوظيفة مما يلاحظ على المصاب من اضطرابات سلوكية ونقص في الذاكرة وتهور في القيم الأخلاقية، وأن المالك الحقيقي للإنسان ليس عقله ولا علمه لكن مالكة الحقيقي هو خالقه الذي سيأخذ بناصيته حين يستوفي أجله، وهو الذي خلقه في أحسن تقويم.

يقول النورسي رحمه الله: " تأمل في حجيرات جسم كائن حي وفي أوعية الدم وفي الكريات السابحة في الدم، وفي ذرات تلك الكريات، تجد من الموازنة الخارقة البديعة ما يثبت لك إثباتاً قاطعاً أنه لا تحصل هذه الموازنة الرائعة ولا إدارتها الشاملة، ولا تربيتها الحكيمة إلا بميزان حساس، ويقانون نافذ وبنظام صارم، للخالق الواحد الأحد، "العدل الحكيم" الذي بيده

<sup>1</sup> سورة العلق، الآية 17

ناصية كل شيء، وعنده مفاتيح كل شيء، ولا يحجب عنه شيء ولا يعزب عنه ويدير كل شيء بسهولة<sup>1</sup>.

### \_الفيروسات والميكروبات:

لا يجلب سماع هذين المصطلحين أي اهتمام، لكن حين ينشطان في جسم الإنسان إيجابا وسلبا يحدثان ثورة لم يحدثها أي عضو مهما كانت قيمته، ولعل قول أحد العلماء الباحثين الأوربيين في هذا مجال أبلغ في التعبير عن هذه الإشارات العلمية الدقيقة، إذ يقول: انظر إلى هذه الأشكال وتأمل دقة صنعها وقمة الهندسة في خلقها، إنني واثق أنه مهما اجتمع صناع الطبيعة ورساموها وفنانوها ليصمموا صورة صادقة لمحاكاة ما أراه من أشكال تفوق الوصف والخيال لفشلوا جميعا..مما يدل على أن هناك قوة كبيرة وراء صنع الكائنات وهو الرب بكل تأكيد.

هذه المخلوقات الدقيقة تشهد أن وجودها في الطبيعة له دور كبير في حياة الإنسان، بل بدونها تتوقف حياة البشر، ولكن إن أحسن استخدامها وتوظيفها توظيفا إيجابيا، فالميكروب يستخدم في صنع الأغذية كالجبين واللبن والمخللات، كما يستخدم في صناعة المضادات الحيوية والأحماض العضوية والأمينية.. وهو في نفس الوقت جنود مجندة تأتمر بأوامر خالقها تنتفع المؤمن ليزيد إيمانا أو تضره ليعود ويتوب إلى خالقه إعلانا منه عن تقصيره وعجزه، يقول النورسي رحمه الله: "إن زمام أولئك الذين اتخذوا طور العداء معك ابتداء من الميكروبات إلى الطاعون والطوفان والقحط والزلازل، بل زمام كل شيء بيد ذلك الرحيم الكريم سبحانه، فهو حكيم لا يصدر منه عبث، وهو رحيم واسع الرحمة، فكل ما يعمله فيه أثر من لطف ورحمة"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> \_النورسي: اللغات، ص 477

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 476

## ثامنا\_ العلوم الإنسانية:

يقول تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۗ﴾

يقول تعالى: ﴿وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنُكُمُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ۚ﴾

يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ﴾

**1\_ علم النفس:** أثبتت الدراسات النفسية أهمية العنصر النفسي في علاج الكثير من الأمراض الخطيرة أو التعايش معها لمدة طويلة من الزمن، فمرض السرطان مثلا يخضع كثيرا للعامل النفسي، ومعظم القرح المعدي لا ترجع إلى ما يأكله الناس في بطونهم، بل إلى ما تأكله قلوبهم من يأس وقنوط ومكبوتات، والتجربة الطبية تثبت ما للخوف والقلق والتوتر من أثر في رفع نسبة السكر في الدم أو رفع الضغط مما يؤدي إلى فشل العمليات الجراحية، فالحياة النفسية في حد ذاتها إشارة إلى وجود الخالق سبحانه وتعالى، يقول النورسي رحمه الله: "ثم إن إيداع "النفس" في الجسد تمكين "الروح" من كل كائن حيواني بحكمة تامة، وتسليحه بأسلحة متنوعة، وتزويده بأعتدة مختلفة بنظام كامل، وتوجيهه إلى مهمات جليلة، يشير إشارات ويشهد على وحدانية الصنع الحكيم... ثم إن جميع "الإلهامات" الغيبية التي ترشد قلوب الناس وتفقهها بالعلوم والحقائق، وتعلم الحيوان الاهتداء إلى توفير ما يحتاجه من حاجات، وجميع "المشاعر" المتنوعة والحواس المختلفة الظاهرة والباطنة، تدل كالشمس على وجود صانع حكيم، وخالق رحيم ورزاق كريم، وتشهد على وحدانيته وأحديته وكمال روبيته"<sup>1</sup>.

**\_البصيرة:** إذا كان البصر وسيلة لنقل الصور الخارجية إلى الذهن مثله مثل السمع والشم واللمس والذوق، فما المقصود بالبصيرة؟

<sup>1</sup>-النورسي: الكلمات، ص 773

يعتقد الكثير من العلماء أن البصيرة هي انفتاح عين القلب والقدرة على الاطلاع على حقائق الأمور ولذلك يقال للمحققين في العلوم: ذوي بصيرة ونظر، فالبصر إذن يرينا ظاهر الأشياء والبصيرة ترينا باطنها، وقد يقصد بها اليقين.

أما علم النفس فيترجم العلماء مصطلح "البصيرة" إلى عدة مصطلحات مثل "الحاسة السادسة" و"التنبؤ" و"الفراسة" وأكثر من عرف بالفراسة هو عمر بن الخطاب الذي كان يظن فيصيب ويخطر الشيء بباله فيحدث حقيقة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب"<sup>1</sup>.

### 2\_ علم اللسانيات:

إن اختلاف الألسن إشارة إلى اختلاف اللغات وهي نعمة من الله سبحانه وتعالى على عباده، وهي إشارة تدعو إلى التدبر والدراسة العلمية، وبين اللغة واللسان علاقة وطيدة، إذ بدون لسان وحبال صوتية ورتتين وأسنان و... لا يمكن للإنسان أن ينطق، والأدلة العلمية كثيرة في هذا المجال، فالجهاز التنفسي ضروري لإخراج الأصوات لأنه موقع مرور الهواء، والحنجرة آلة عجيبة تحتوي على القصبه الهوائية التي تمكن من خروج الصوت، واللسان الذي يتحرك فيصوغ الحروف حسب إرادة الإنسان، وحتى الأنف يخرج النغم دون نطق.

### \_ اللغة:

اختلف العلماء حول مسألة اللغة هل هي اصطلاحية أم فطرية؟ والإجابة هي أن هناك عدة نظريات في نشأة اللغة هي:

الأولى: يعتقد بعض العلماء أن اللغة جاءت جملة واحدة في زمان واحد، والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام ما شاء أن يعلمه مما احتاج إلى علمه في زمانه، وانتشرت بعده وعلمها الأنبياء بعده حتى وصلت إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فأعجز بها الخلائق بنزول الوحي بلغة القوم، ويقول الدكتور علي عبد الواحد: "إن كل هؤلاء يقررون بأن اللغة توفيقية إلهامية ولكن أصحاب هذه النظرية لا يكادون يقدمون بين يدي مذهبهم دليلاً يعتد به، وأما أدلتهم النقلية فبعضها يحتمل التأويل وبعضها يكاد يكون دليلاً عليهم لا لهم".

<sup>1</sup> رواه البخاري، ج 3 ص 1279

الثانية: تقول بأن اللغة اصطلاحية حدثت بالتواضع والاتفاق وارتجال ألفاظها، وقد قال ابن جني في كتابه الخصائص أن اللغة لا بد لها من المواضعة وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة يحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات فيضعون لكل واحد منها مسمى، يقول رحمه الله: "كل اللغات تجري على هذا المنوال ثم يتولد منها لغات كثيرة، لكن لا بد لأولها من أن يكون متواضعا عليه بالمشاهدة والإيماء".

الثالثة: ترى أن اللغة الإنسانية نشأت من الأصوات الطبيعية أي محاكاة الطبيعة وتطورت مع التقدم الحضاري وتعدد الحاجات الإنسانية، وكانت في البداية مقتصرة على الدلالة على المقصود ثم اتسعت وتطورت، ويقول الدكتور عبد الواحد وافي: "هذه النظرية هي أدنى النظريات إلى الصحة وأقربها إلى المعقول، وأكثرها اتفاقا مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية ولكن لم يقدّم أي دليل على خطئها"<sup>1</sup>.

إن اللغة واختلاف ألسن البشر إشارة علمية تثبت أن الخالق وحده من يستطيع تجهيز الإنسان بآليات إدراك فطرية مهيأة للتكيف مع خصائص لغة البشر التي تمكنهم فيما بعد من تعلم لغة قومهم، هذه الآليات اكتشفها العلماء وأطلقوا عليها تسميات علمية تمثل مراكز السمع والبصر في الدماغ والتي إن تعطلت في فترة معينة بفعل إصابة تتعطل معها وظيفة اللغة.

إن اللغة إشارة علمية تؤكد حتمية تكليم الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام، وهو دليل على حتمية الوحي بحيث يشكل جزءا لا يتجزأ من كيان الإنسان، وهذه اللغة التي تعلمها \_باستعدادات فطرية طبعاً\_ أهله لتحمّل الأمانة وحمل مشقة التكليف. ويقول النورسي رحمه الله في هذا الشأن: "تعليم الأسماء معجزة من معجزات سيدنا آدم عليه السلام تجاه الملائكة إظهارا لاستعداده للخلافة، وهي وإن كانت حادثة جزئية إلا أنها طرف لدستور كلي هو: أن تعليم الإنسان \_المالك لاستعداد جامع\_ علوما كثيرة لا تحد، وفنونا كثيرة لا تحصى حتى تستغرق أنواع الكائنات، فضلا عن تعليمه المعارف الكثيرة الشاملة لصفات الخالق الكريم

<sup>1</sup> \_علي عبد الواحد وافي: نشأة اللغة عند الإنسان، دار النهضة للنشر بالقاهرة، مصر

سبحانه وشؤونه الحكيمة.. إن هذا التعليم هو الذي أهل الإنسان لينال أفضلية، ليس على الملائكة وحدهم بل أيضا على السموات والأرض والجبال، في حمل الأمانة الكبرى".

### تاسعا\_ العلوم الهندسية والعمرانية والحضارية.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢٤﴾.

يقول تعالى: ﴿آتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ٩٢﴾.

1\_ في العلوم الهندسية: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الْمَ يَرَوُا إِلَىٰ الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٧٩﴾<sup>1</sup>، ظل الطيران حلم الإنسان منذ آلاف السنين، للوصول إلى كبد السماء واكتشاف أسرارها وقطع المسافات في مدة زمنية قصيرة، وقد أدت الأبحاث العلمية والدراسات حول أجنحة الطيور إلى اكتشاف تقنيات رائعة في صناعة الطائرات، وكشفت دراسات أخرى أن النسور عندما تطير تفتح ريشة من الريش الأكبر على حافة الجناح تشبه أصابع اليد، وبناء على هذه الملاحظة يعتقد الباحثون أنه عليهم أخذ نموذج النسور لجعل الجنيحات المعدنية الصغيرة وتطبيقها في عالم الطيران، أي لابد من وجود جناح صغير يتصل في آخر الجناح الكبير، للتقليل من دوامات الهواء التي كانت تسبب مشاكل جوية في الطيران، كما أن أي مركبة طائرة لابد أن تكون خفيفة نوعا ما من أجل الطيران الآمن، لذلك يركز العلماء في صناعتهم للطائرات على المسامير والبراغي التي تعلق الأجنحة ويجدون ضالتهم كلما اقتربوا من عالم الطيور.

وقد حققت البشرية تقدما هائلا في مجال الطيران، لكنها ما تزال متأخرة مقارنة مع عالمها الحقيقي\_الطيور\_ وهي إشارات إعجازية تنير درب العلم كلما عجز عن إيجاد الحلول، فالطيور مثلا تقوم بحركات دائرية وشقليات في الجو، كما أنها تغير مسارها في الجو بإرادتها لأن جناحها صمما للجو وللتعامل مع تقلباته من حرارة وسرعة الرياح، أما

<sup>1</sup>\_سورة النحل، الآية 79

الطائرات سواء الحربية أو العادية لا يمكنها ذلك ولو قامت آلاف المناورات، وتسعى تكنولوجيا الطيران بلوغ هذا الهدف باكتشافها أسرار عالم الطيور.

### المطلب الثالث: الحضارة الغربية تتلمس دلائل التوحيد في الطبيعة.

إن الفطرة التي فطر عليها الإنسان مغروسة فيه مهما كانت معتقداته وديانته، فالتوحيد ثابت في الإنسان تؤكدُه البداهة، ولكن تعنت الحضارة الغربية وتمسكها بالماديات وضع قناعاً على بصيرتها فلا ترى إلا ما يوافق هواها، و الإنكار في حد ذاته خوف من المجهول، وفي رسائل النور براهين لا تنطلق من البداهة لأن هذا البرهان لا يقنع المنتسبين للحضارة الغربية لذلك النورسي رحمه الله في رسالة "الآية الكبرى" ينطلق من البرهان الكوني أي من الموجودات التي تشير بوضوح إلى خالقها المسير المدبر لأمرها، حتى يحقق الموضوعية التي تنشدها الروح العلمية المغروسة في عقول العلماء، فتجعلهم ينظرون للطبيعة كما هي في الواقع لا كما ينظرون إليها، أو كما يرغبون هم في رؤيتها، لأنهم سيرون نظاماً متناغماً، وجمالاً لا حدود له، وعدالة بين المخلوقات لا يمكن أن تكون محض الصدفة والعشوائية، والذي يطالع الآية الكبرى في رسائل النور يقتنع بالحجج التي قدّمها النورسي مهما كان عناده وإنكاره إن كان موضوعياً في قراءته وهذا سبب دخول الكثيرين للإسلام من العلماء والمفكرين والأساتذة الجامعيين في العالم الغربي، وتعزيز الإيمان في قلوبهم، وذلك من خلال الحجج التمثيلية التي يقدمها النورسي ومشاهدات السائح الذي يسأل الكون، فتجيبه السموات المرصعة بالنجوم والإجرام المرتفعة بلا عمد ولا سند، والفضاء الذي يضم السحاب المسخر بين السماء والأرض والرياح التي تقوم بوظائف سامية كتلقيح الأشجار... ويقف الإنسان عاجزاً عن تفسير كل هذه الظواهر والعائل يرجعها إلى الخالق المسير، أما العاجز فيعوض عجزه بإرجاعها إلى الصدفة، ولو كانت الصدفة حقاً مصدراً لها لما اطمئن لحظة واحدة في هذا الكون ولعاش خائفاً من الطبيعة التي ستفاجئه في أي لحظة بالمخاطر.

أما في رسالة "الطبيعة" يتناول النورسي موضوع السببية ويدحض مواقف متبنيها ويوقعهم في تناقض، مع العلم أن هذا المبدأ من أهم مبادئهم التي يقيمون عليها معارفهم، وفند أقوالهم المستندة إلى مبدأ السببية كـ "خلقته الطبيعة" و "نتيجة الصدفة" و "أوجدته الأسباب"، ويبيّن أن العلاقة بين الظواهر الطبيعية والتداخل والتشابك الموجود بينها لا يعزى إلى مبدأ السببية في

النهاية بل كل ظاهرة تقوم بوظيفتها الموكلة إليها وفي النهاية هي مرآة تتعكس عليها مختلف الصفات الإلهية والأسماء الحسنى، وبالتالي عنك علاقة مباشرة بين المسبب الأول وهو الخالق سبحانه وتعالى والظواهر الطبيعية، ولا يمكن لهذه الظواهر أن توجد نفسها بنفسها ولا تمكك القدرة على البقاء بدليل زوالها بعد قيامها بوظيفتها.

لقد بينَّ النورسي التناقض الموجود في أقوال الماديين الغرب، فرغم عدم إنكارهم النظام والدقة والتناغم الموجود في الطبيعة معتمدين في ذلك على مبدأ الحتمية، إلا أنهم في نفس الوقت يؤمنون بالمصادفة واللاحتمية، فكيف يعقل الجمع بين النقيضين في أمور مادية ملموسة؟ الأمر الذي جعل العديد من العلماء يدركون أن تأييد القوانين الميكانيكية الكلاسيكية لم يعد مقنعاً، أمام الدقة المتناهية المحكمة التسيير والنظام، والجمال الموجود في الكون والتناغم والاتساق، وأمام تحديد الغاية والهدف من وجود الظواهر الطبيعية، ولا يمكنهم الدفاع عن مبادئهم المادية بلغة العلم الذي أصبح حجة ضدهم، وأمام تهاوي الهتهم التي عبدها مئات السنين ولم تتفهم من الموت و المرض والعجز أمام نظام الكون الدقيق لا سبيل لهم إلا الاعتراف بوجود الخالق سبحانه وتعالى، ويتحدث الدكتور زغلول النجار عن حوار دار بينه وبين عالم أمريكي مستعطي لا يؤمن بوجود الخالق عز وجل وسأله عن رده على من يقول له أن كتاباً أنزل قبل ألف وأربع مئة سنة يتحدث عن نظرية الانفجار الكوني (big\_bon)، وهو كلام الخالق عز وجل، فقال العالم الأمريكي أن هذا الأمر استحالة، فأطلعه الدكتور زغلول النجار على الآيات الثلاث من القرآن الكريم: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٣٠﴾<sup>1</sup> فقام من مكانه مدهوشاً وقال: هل يعقل هذا؟ كيف لهذا النبي البدوي الذي لم يتعلم شيئاً عن التطور العلمي والتكنولوجي، أن يقدم تفسيراً لبداية ونهاية الكون وكان هذا الدليل سبباً في دخوله الإسلام، كما تحدث عن القس المعادي للإسلام "غاري ميلر" الذي زامله في العمل في الجامعة وقد أهدى له أحد طلابه ترجمة للقرآن الكريم وطلب منه أن يواجه القرآن بعلمه لمفرداته ومعانيه، حتى تكون مواجهته موضوعية، فعكف القس على الكتاب عكوف العدو للعدو، يتلمس أي خطأ حتى وصل إلى سورة الناس، فلم يجد فيه

<sup>1</sup> -سورة الأنبياء الآية 30

نقصا أو خطأ واحدا، وأسلم بأبسط سورة من سور القرآن الكريم وهي سورة المسد، وقال أن هذا الغبي \_أبو لهب\_ مات كافرا رغم عناده ولو أسلم شكليا فقط ليبطل الآية القرآنية التي تشهد بموته على الكفر وبأن مصيره النار ذات اللهب، ولكن شاء الله له أن يموت على عناده حتى تصدق هذه السورة الكريمة، وكتب كتابا فيه خمس آيات كانت سببا في إسلام العديد من الساسة الغربيين<sup>1</sup>.

#### أولا\_ شهادات العلماء الغرب:

وبشهادة العلماء الغرب أنفسهم الذين دخل الإيمان قلوبهم نتيجة فهمهم العميق للكون من خلال إشارات الدكتور "كولن تورنر"<sup>2</sup>: "إن الكائنات تربنا على الدوام وبأشكال وصور وهيئات مختلفة ومتغيرة أدلة تقودنا إلى المعرفة والتصديق وإلى التسليم، ثم إلى المحبة والعبودية.. فمن التأمل إلى المعرفة، ومن المعرفة إلى التصديق، زمن التصديق إلى الإيمان أو إلى الاعتقاد، وما دامت كل دقيقة جديدة وكل يوم جديد يرينا جنوب متجددة، وملاحم جديدة من الحقيقة الإلهية فإن هذه العمليات تكون عمليات مستمرة ومتجددة، أي نستطيع القول بأن المظاهر الإسلامية الخارجية ثابتة (أي أشكال العبادات) بينما الإيمان في حركة، يزداد وينقص"<sup>3</sup>.

أما الباحثة الألمانية "ماري ويلد"<sup>4</sup> فنقول: "إن رسائل النور التي تتأمل في الكون في ضوء الوحي القرآني، بينما تبرهن من جانب عن طريق هذا التأمل على وجود الله وعلى وحدانيته وعلى الحقائق الإيمانية الأخرى، تبرهن من جانب آخر على استحالة مفاهيم أسس الفلسفة المادية، كمفاهيم المصادفات والطبيعة والأسباب، وتدحض بذلك التفسير المادي للعلم، ورسائل النور تقوم بشرح ماهية الكون والنظام والانتظام السائد في كل شيء، والتوازن والمقاييس الحساسة فيه، والحكمة البادية في كل شيء، وفوائده وعلاقة وارتباط صيدلية

<sup>1</sup> - في محاضرة للدكتور زغلول النجار حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في الجزائر.

<sup>2</sup> - كولن تورنر: جامعة دروهام، إنكلترا، انتسب إلى الاسلام سنة 1975.

<sup>3</sup> - أورخان محمد علي: سعيد النورسي في نظر مفكري الغرب، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 2004،

ص 10

<sup>4</sup> - ماري ويلد: كاتبة وباحثة ألمانية تحصلت على الدكتوراه من جامعة دروهام، أسلمت حين اطلعت على الترجمة الإنجليزية

لرسائل النور سنة 1981

الكون بعضها ببعض، وكونها تشكل بأجزائها وحدة واحدة، وتبرهن ببراہین عديدة بان جميع الادعاءات المقدمة من قبل الفلسفة المادية هي خارج أي احتمال وخارج كل احتمال"<sup>1</sup>.

**ثانياً\_المستقبل للإسلام:** يقول النورسي رحمه الله: "إن الإنسانية التي أفاقت من صدمة المصائب والحروب الرهيبة التي نتجت عن التقدم العلمي، بدأت تفهم ماهية الإنسان وفطرته الشاملة وتترك أنه ما من شيء يمكن أن يشبعها غير السعادة الأبدية فبدأت تبحث عن الدين الحق"<sup>2</sup>، فالإسلام دين العقل والبرهان وحكمه للعالم مستقبلاً نتيجة حتمية لا بد منها، وفي الوقت الذي كان العالم الإسلامي يئن تحت وطأة الاستعمار سياسياً واقتصادياً وفكرياً، وتحت سيطرة المدنية الغربية التي استهدفت ثوابت الأمة الإسلامية وأهمها الدين الإسلامي، وذلك بواسطة التقدم العلمي الذي كان الغرب بطله، وكما يقول "ابن خلدون" أن المغلوب مولع بالغالب، تنبأ النورسي بمستقبل الدولة العثمانية، وبمستقبل أوروبا فقال: "الدولة العثمانية حاملة بأوروبا وستلدها في أحد الأيام، وأن أوروبا حاملة بالإسلام وستلده"<sup>3</sup>، وإن كان التخمين الأول ممكناً فقد كان الثاني صعب التحقق، لكن الدراسات المعاصرة في الدول الغربية تثبت دخول الآلاف من الأشخاص في الإسلام، والتقارير اليومية تثبت تزايد انتساب الغربيين للإسلام بصفة متتابعة، ذلك بفضل كشف القناعات الخاطئة والأحكام المسبقة حول الإسلام.

إن تفوق المدنية الغربية على العالم الإسلامي، جعلت من الغرب أسياداً مسيطرين ومن هنا هاجموا الإسلام واعتبروه مصدراً للتخلف والرجعية، وذلك لأنه بقي السلاح الوحيد الذي يملكه المسلمون والذي يزن كفة سيطرتهم وسطوتهم على العالم، لهذا كانت مهمة النورسي رحمه الله الدفاع عن الإسلام والبرهنة على حقائقه بالأدلة العلمية والمنطقية ليثبت للعالم الغربي بلغته التي يفهمها أن الإسلام هو خلاص البشرية ولا بد من الدخول فيه أفواجاً أفواجا، ونقول الدكتورة ماري ويلد: "كما خمن بديع الزمان النورسي بأن القرآن سيحكم في المستقبل وأن الغرب سيدخل إلى الإسلام، على شكل دول، فإن البلاغة ستكون أمضى سلاح في المستقبل، أي قابلية إقناع الآخرين بالأفكار، وهذا المستقبل آت لا ريب، وبما أننا وهبنا

<sup>1</sup> \_أورخان محمد علي: سعيد النورسي في نظر مفكري الغرب، ص 43.

<sup>2</sup> \_النورسي: الخطبة الشامية، ص 20

<sup>3</sup> \_النورسي: سيرة ذاتية، ص 108

طريقاً قيماً جداً في نشر رسالة القرآن، فنحن نأمل أن يتحقق الشق الأول من توقع بديع الزمان وهو أن القرآن سيحكم في المستقبل إن شاء الله<sup>1</sup>.

إن القيام بتغيير واقع المسلمين الذي تعرض لغلبة الثقافة العلمانية الغربية، فعل ليس بالأمر الهين لأن الواقع يفرض نفسه على المجتمع، وهذه المهمة ورثها العلماء والمصلحون والدعاة عن الأنبياء والرسل ومن سار على دربهم صلوات الله وسلامه عليهم، وإن انتشار رسائل النور في الغرب ساعد في دخول الكثير من العلماء والمتقنين للإسلام، وذلك لأنها احتوت على أدلة برهانية قاطعة على شمولية الإسلام للعالم منها:

يحدد النورسي من خلال رسائل النور مساوئ الثقافة العلمانية الحديثة ومناوئة التطورات الثقافية الغربية للدين والإيمان بالله.

يبرهن بالأدلة القاطعة لا تقبل الشك تثبت امتزاج الإيمان التام وتصديق الحقائق العلمية وتعزيزها للدين.

كل من يطلع على ردوده للأسئلة الدينية الصادرة من أشخاص يتبنون طراز الحياة العصرية يتقبلها ويثني عليها، رغم التجديد الذي جاء به بخصوص إثبات الإيمان ولم يحد عن أحكام القرآن والسنة.

يقوم دائماً بتعديل مواقف المؤمنين والسياسيين والقوميين ليضع لها نظاماً فكرياً تتلاءم مع العصر.

قبوله للجوانب الإيجابية للحضارة الغربية خاصة في مجال التكنولوجيا والاتصالات والعلوم الحديثة، وهذه النقاط تثبت ملائمة المنهج النوري للدعوة إلى الإسلام في الغرب ضد الهجمة الشرسة ضده.

أدرك النورسي حقيقة عصر العلم وتطبيقاته الميدانية في المعاهد وفي نظم التعليم والتربية، وفي مجال التقدم المادي للعالم الإسلامي، فكان همه الوحيد تبديد الرؤية السوداوية للعلاقة بين العلم والإيمان التي ألصقت بالدين الإسلامي، وأنه يهين المرأة ويعيق تحررها، فقد حاول إرجاع العلوم المادية إلى مكانها الحقيقي لأن القرآن الكريم هو سيد المعارف كلها وأصلها

<sup>1</sup> -أورخان محمد علي: سعيد النورسي في نظر مفكري الغرب، ص48

وملهمها وسبيل تقدمها، وهو سبب الهجوم الغربي على الدين الإسلامي كونهم على ثقة بأن المسلمين إن فهموا حقيقة العلاقة بين العلم والإيمان استطاعوا التفوق عليهم بسهولة.

### المبحث الثاني: الأبعاد الوظيفية للإشارات العلمية.

كل الموجودات في الكون تبدأ وظائفها وهي تقول بلسان حالها "بسم الله" لما في هذه الكلمة من إعجاز وبركة، فهذه الكلمة كنز عظيم تربط الكائن بربه في أداء وظائفه وهي تبيان لعجزنا وفقرنا إلى خالقنا، يقول النورسي: "إن الذي يتحرك ويسكن ويصبح ويمسي بهذه الكلمة" بسم الله" كمن انخرط في الجندية، يتصرف باسم الدولة ولا يخاف أحدا، حيث إنه يتكلم باسم القانون وباسم الدولة، فينجز الأعمال ويثبت أمام كل شيء<sup>1</sup>، وغياب هذه الكلمة في حياتنا يؤدي إلى غياب البركة وقلة الرزق والحرمان الكبير، لذلك من الواجب على الإنسان الذي هو أعقل الموجودات أن لا يغفل عن هذه الحقيقة الكونية الميتافيزيقية ويقابلها بالذكر والشكر والفكر لأن الموجودات الأخرى غير العاقلة تقوم بهذه الوظيفة على أتم وجه، وقد ورد في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه تسبح الخالق عز وجل غير أننا لا نفقه تسبيحها، كما تحدث عن أنين الجذع حين استبدله بمنبر آخر كما تحدث عن جبل أحد إذ يقول "إن أحد مّا ونحن منه" وحين نتأمل الطبيعة نجد كل الموجودات تؤدي وظائفها على أتم وجه فمن البذرة تخرج الشجرة لتقدم لنا أطيب الثمار وتقدم لنا الحيوانات ألد الأغذية كاللبن والعسل، كل ذلك بسر "بسم الله".

ولو تأملنا كذلك وظائف الموجودات كلها نجدها تخدم الإنسان وكأنها تعرفه وتعرف مطالبه فتطيعه وتسعى لخدمته، وهذه إشارة إلى من خلق الإنسان وأخضع له كل الموجودات بل الكون كله رغم عجزه وفقره، يقول النورسي: "إن الذي ينظم الشمس والقمر والعناصر والمعادن والنباتات والمعادن والحيوانات، وينسقها جميعا كأنها لحمة نقش بديع، ويسخرها جميعا في خدمة الحياة... والذي أظهر أسطح تجليات رحمته وأجمل نقوش ربوبيته سبحانه، بتسخير الأحياء لحياة الإنسان، مبينا به منزلة الإنسان لديه وأهميته عنده، هو

<sup>1</sup>-الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص 7

الرحمن ذو الجمال الذي جعل رحمته الواسعة هذه شفيعة مقبولة مأنوسة لدى غناه المطلق، يتشفع بها ذوو الحياة والإنسان لمفتقر فقرا مطلقا إلى تلك الرحمة<sup>1</sup>.

والإشارات العلمية في الطبيعة تحمل أبعادا متنوعة تطبع العقل الرؤية العلمية بطابع اليقين الذي زعزعته النسبية في المعارف العلمية، وذلك اليقين متأصل فيها من حيث اتصاله بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن بين الأبعاد التي يفرزها فهم الإشارات العلمية نذكر:

### المطلب الأول: البعد الاجتماعي:

تفسير القرآن الكريم عند النورسي هو تفسير حي من خلال تبيان إشاراته العلمية وأثرها في الكون، وفي هذا التفسير فهم عميق لحقائق القرآن الكريم، وتصحيح كبير لأفكار خاطئة شوهت صورة الإسلام، ولغة جديدة نتحدى بها الغرب من جهة ونخاطبهم بلغتهم التي يفهمونها لغة العلم والمنطق والحجة\_ حينها يتحقق البعد الاجتماعي من خلال وحدة المسلمين من حيث اللغة والدين، وهما من أهم عوامل الإتحاد والتفاهم والتضامن، فتعظم شوكتهم وتقوى كلمتهم كونها صادرة من الحق سبحانه وتعالى ونابعة من فهم عقلي دقيق مدعوم بالحجة والدليل، فيقضى على الخلاف وسوء التفاهم بينهم بسبب تغييب القرآن الكريم عن الصدارة في التأسيس لدينهم وأخلاقهم، فهذه الإشارات العلمية في الكون النابعة من نفس المصدر تحقق وحدة الفكر فيجدد الإنسان علاقته بغيره وبالكون ويستعين بها في سلوكه حتى لا يحيد عن الصواب، سواء في الجانب الفقهي إذ يضبط تصرفاته المدنية والدستورية، أو في الجانب التربوي والروحي ففهم حقائق الكون كما أشار إليها القرآن الكريم فيها شفاء للأرواح المريضة والعقول التائهة والقلوب الثائرة، وقد كانت مشكلة أبعاد القرآن الكريم وإشاراته عن الصدارة في حياة المسلمين من أهم القضايا التي شغلت فكر المجددين وفي مقدمتهم الأستاذ النورسي الذي حاول تفسيره بطريقة علمية تحمل من الهداية للخلق عامة وللمسلمين خاصة، وأن هذا العصر كثر فيه الإلحاد واتهام الإسلام بالإرهاب كان لابد من تجديد القراءة التقليدية للقرآن الكريم وتغيير المنهج المتبع في فهم حقائق القرآن الكريم، ففهم هذه الإشارات يجعل الإنسان قادرا على فهم الخطاب الكوني واستيعابه وفك

<sup>1</sup> \_ اللغات : بديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص137

الغازه، فيفهم الإنسان نفسه ثم يحدد موقعه كسيد للمخلوقات ومن ثمة وظيفته الحقيقية، فيتحرر من عقدة الخوف التي تسيطر عليه أمام العديد من الظواهر الطبيعية، فلا يتخلى عن مهمة الخلافة في الأرض لأنه خلق لأجلها وهياً الخالق عز وجل خصيصاً لأدائها، حتى يستحق التكريم الإلهي في نهاية حياته، كما أن إشارات الكون تنبه الإنسان إلى حقيقة التوكل، فيرمي كل الأعباء التي تثقل كاهله على خالقه مؤمناً بأنه المدير الحقيقي لها، ولا قدرة له أمام قدرته سبحانه، فيحس براحة نفسية عظيمة ويسعادة تبعده عن القلق والتوتر والأمراض النفسية.

### أولاً\_ التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي في المجتمع:

إن فهم العلاقة بين الإشارات العلمية والإيمان بها، بجانبها الطبيعية وما بعد الطبيعة\_ أي الحقائق الكونية المشاهدة المثبتة علمياً وكذلك الحقائق العلمية الغيبية المثبتة عقلياً وقلبياً، وتأصيلها في تربية النشء لها دور كبير في تكوين جيل واع قادر على تحمل المسؤولية فما يغرس في قلوبهم من توازن بين الجانب المادي والروحي يبعث في النفوس الاستقرار والثبات أمام حقائق غيبية مرعبة في نظرهم كالموت المؤلم والقبر المظلم والمرض واليتم، لأن العلوم المادية وحدها تغرس في عقولهم عدم الإيمان بالأشياء الغيبية التي لا تشاهد ولا تقبل التجريب، في حين المزج بين العلوم المادية والعلوم الدينية يجعلهم أكثر فهماً وتحرراً من قيود التجربة إلى قوانين العقل وعالم المثال، فلا يطلبون الأجر المادي الدنيوي الذي تنتهي لذته فور حصوله، بل يتطلعون إلى الأجر المعنوي في الحياة الباقية.

ثانياً\_ اتحاد الموجودات دعوة إلى اتحاد الإنسانية جمعاء: يقول النورسي رحمه الله: " كل ذي شعور يعلم أن الله سبحانه وتعالى قد خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، ورباه أحسن تربية، وزوده من الأجهزة والأعضاء كالعقل والقلب ما يتطلع به إلى السعادة الأبدية...في الوقت الذي أودع سبحانه مئات الحكم والفوائد في دماغه فحسب"<sup>1</sup>.

إذا كانت الموجودات كلها سواء كانت جامدة أو حية متحدة فيما بينها لتقوم بوظيفتها على أتم وجه فذلك لأن سر الكمال والنجاح في الإتحاد، وحرى بالإنسان أن يفهم هذا الدرس جيداً وأن يتحد مع غيره من بني جنسه، حتى يحقق الوظيفة الحقيقية التي وجد من أجلها وهي

<sup>1</sup>\_النورسي: الشعاعات، ص 368

الاستخلاف في الأرض، ويحقق الأخوة التي أشارت إليه الآيات القرآنية ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۗ ﴾<sup>1</sup>.

**المطلب الثاني: البعد الوجودي:**

فهم الإشارات العلمية المتناثرة في الكون يحقق ماهية الإنسان المرتبطة بكل الموجودات من حيث الوظيفة والغاية، هذه الماهية تتحدد من خلال الخطاب القرآني، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ ﴾<sup>2</sup>.

هذه الماهية لا تتحقق إلا من خلال عبوديته لله واستخلافه في الأرض، يقول النورسي: "إن قيمة الإنسان بنسبة ماهيته.. وماهيته بدرجة همته.. وأهميته بدرجة المقصد الذي يشتغل به"<sup>3</sup> فهو بهذه الوظيفة يحقق وجوده الفعلي ويرتقي إلى أعلى الدرجات إذ رفعه إلى درجة الخلافة وعرفه إياها فسمّاه خليفة، فرغم ضعفه وعجزه وفقره يستطيع حل ألغاز الكون وفهمها وتحقيق البعد الوجودي الذي حمّله الخالق.

يلخص الأستاذ عمار جيدل الوظيفة الوجودية للإنسان في قوله: "الإنسان متميز عن باقي المخلوقات تميزا ذاتيا، (بما استودعه الله فيه) وتميزا وظيفيا بما كلفه الله به (عمارة الكون على وفق مراد الله) جعلنا منه كائنا مسؤولاً"<sup>4</sup> فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان مجهّزا بكل ما يمكنه من معرفة خالقه والتعبد له وأداء وظيفته يقول النورسي: "إعلم أن الفاطر الحكيم إنما ركّب في وجودك هذه الحواس، والحسيات والجهازات لإحساس أنواع النعمة، ولإذاقة أقسام تجلياته أسمائه، وتشهير غرائبها لدى أنظار المخلوقات... وما إنسانيتك إلا شعورك بهذه الوظيفة وما إنسانيتك إلا إذعانك لهذه الوظيفة"<sup>5</sup> ولكي لا يغتر بهذه المكانة العالية والوظيفة الجليلة ذكره بأصله الفاني ومنشئه الأول فهو من تراب ويعود إلى التراب وخلق من ماء مهين، ويولد ضعيفا ثم يمتلأ قوة ليعود إلى الضعف مرة أخرى، ليذكره دائما بعجزه وضعفه وحاجته إليه في كل حياته.

<sup>1</sup> \_ سورة الحجرات الآية 10

<sup>2</sup> \_ سورة البقرة : الآية 29

<sup>3</sup> \_ النورسي: إشارات الإعجاز ص 82

<sup>4</sup> \_ عمار جيدل: رسالة في الإسلام، ص

<sup>5</sup> \_ النورسي: المثوي العربي ص 386

أولاً\_الماهية تسبق الوجود:

يخالف النورسي المذهب الوجودي في الفكر الغربي الذي يرى أن الوجود يسبق الماهية ويقدم الأدلة العقلية والنقلية التي يثبت بها موقفه ، منها أن الله سبحانه وتعالى خاطب الملائكة قبل خلق الإنسان وحدد ماهياتهم قبل وجودهم الفعلي فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>1</sup> فالماهية لم يحددها الإنسان بعد وجوده بل حددها خالقه سبحانه وتعالى قبل وجوده.

يقول النورسي في تفسيره لهذه الآية "أن الله سبحانه وتعالى خصص كلمة "جاعل" مكان "خالق" إشارة إلى أن مدار الشبهة والاستفسار الجعل والتخصيص لعمارة الأرض لا الخلق والإيجاد، لأن الوجود خير محض والخلق فعله الذاتي لا يسأل عنه"<sup>2</sup>.  
أما تفسيره رحمة الله عليه لكلمة "خليفة" فيبين من خلالها ويثبت أن الوجود يسبق الماهية وليس العكس كما يعتقد الوجوديون فيقول "خليفة" إشارة إلى أنه وجد قبل تهيؤ الأرض لشرائط حياة الإنسان مخلوق مدرك ساعدت شرائط حياته الأدوار الأولية للأرض وهذا هو الأوفق لقضية الحكمة"<sup>3</sup>.

ثانياً\_ماهية الإنسان ومسألة الحرية:

مسألة الحرية كانت ومازالت مثار جدل بين الفلاسفة المسلمين والأوروبيين على حد سواء أما في الفلسفة الوجودية فيحكم الوجوديون على الإنسان بالحرية من حيث أنه يجب عليه أن يختار ماهيته بإرادته، فما موقف النورسي من هذه المسألة؟  
يعتقد النورسي أن الإنسان إن استحضر ماهيته الفعلية التي خلقه الله سبحانه وتعالى من أجلها فهو مجسد لحرية محقق لذاته، فقد الهوية الدينية فيه إلغاء للذات وبالتالي يضيع الأنا وسط الأهواء و الشهوات ويصبح أسير أهوائه وملذاته وتصبح الدنيا سجنه الأبدي وإن تنعم بكل نعم الدنيا، كونه يبقى دائماً أسير نفسه وهواه والشيطان.

<sup>1</sup>\_سورة البقرة: الآية 29

<sup>2</sup>\_النورسي: إشارات الإعجاز ص277

<sup>3</sup>\_النورسي: إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز ص253

فالإنسان الحر هو المستحضر لماهيته دائماً، فيستخدم كل الوسائط التي جهّزه الله بها لأداء وظيفته ويجعل من القلب قائداً لكل الملكات الأخرى ومن العقل حارساً لها وبهذا تسيّر اللطائف الأخرى تحت قيادتهما فيتحرر الإنسان من قيود الشهوات والحنميات الدنيوية والتي تتمثل في:

\_تحقيق التوازن بين الكون والإنسان والحياة.

\_تحقيق التوافق بين الأعضاء.

\_تحقيق الانسجام بين البشر.

كثيراً ما يستحقر الإنسان نفسه ويتساءل عن أهميته في هذا الكون الكبير بمجراته ومخلوقاته، ولم سخر الله سبحانه وتعالى المخلوقات كلها لخدمته، فيجيبنا النورسي بقوله: "لأن هذا الإنسان هو سيد المخلوقات رغم أنه صغير جداً، لما يملك من فطرة شاملة... فهو قائد الموجودات والداعي إلى سلطان ألوهية الله، والممثل للعبودية الكلية الشاملة ومظهرها، لذا فإن له أهمية كبرى"<sup>1</sup>.

" يشبه الإنسان البذرة فلقد وهبت أجهزة معنوية من لدن القدرة الإلهية وأدرجت فيها خطة دقيقة ومهمة جداً من لدن القدر لتتمكن من العمل داخل التربة، ومن النمو والترعرع والانتقال من ذلك العالم المظلم بلسان الضيق إلى عالم الهواء الطليق والدنيا الفسيحة.. فقد أودعت في ماهيته أجهزة مهمة من لدن القدرة الإلهية، ومنح برامج دقيقة وثمانية من لدن القدر الإلهي، فإذا أخطأ هذا الإنسان التقدير والاختيار، وصرف أجهزته المعنوية تحت قرى الحياة الدنيا وفي عالم الأرض الضيق الحدود، إلى هوى النفس، فسوف يتعفن ويتفسخ كذلك البذرة المتعفنة، لأجل لذة جزئية ضمن عمر قصير وفي مكان محصور وفي وضع متأزم مؤلم وستتحمل روحه المسكينة تبعات المسؤولية المعنوية فيرحل من الدنيا خائناً خاسراً."<sup>2</sup>

**ثالثاً\_ أدلة إثبات الحرية عند النورسي:**

الإنسان المدرك لماهيته يقوم بوظيفته الوجودية بمحض اختياره، فيشكر خالقه سبحانه وتعالى على نعمه الظاهرة والباطنة، فيرقى بعقله إلى مراتب عالية فمثلاً حاسة البصر التي

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات ص 63

<sup>2</sup> - النورسي: الكلمات ص 362

تظل منها الروح على العالم الخارجي إن استخدمها الإنسان في كل المحرمات كانت سجنه الداخلي بحيث يبقى أسير الهوى وشهوات النفس، لكن إن تحرر منها واستخدم حواسه في مرضاة خالقه تكون بوابته للكون كله وقارئة له ولإشاراته العلمية ومعجزات الصنعة الربانية، فهل يدرك كل هذه الأمور الغافل عن ماهيته الوظيفته الحقيقية في هذا الوجود؟

لخص النورسي أدلة حرية الإنسان في اختيار ماهيته في تسع براهين هي:

**الأولى:** القيام بالشكر الكلي، ووزن النعم المدخرة في خزائن الرحمة الإلهية بموازين الحواس المغرورة في جسمك، ولا يمكن أن يقوم بذلك من كان غافلا عن ماهيته.

**الثانية:** فتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى بمفاتيح الأجهزة المودعة في فطرتك، ومعرفة الله جلّ وعلا بتلك الأسماء الحسنى، ومن تنازل عن حقيقته التي خلقه مولاه عليها لا يمكن أن يعرفها كذلك.

**الثالثة:** إعلان ما ركبت فيك الأسماء الحسنى من لطائف تجلياتها وبدائع صنعتها، وإظهار تلك اللطائف البديعة أمام أنظار المخلوقات بعلم وشعور، وبجوانب حياتك كافة في معرض الدنيا هذه، وفاقد الحرية لا يمكنه ذلك.

**الرابعة:** إظهار عبوديتك أمام عظمة ربوبية خالقك، بلسان الحال والمقال، وما فعل ذلك غافل عن ماهيته.

**الخامسة:** التجمل بمزايا اللطائف الإنسانية التي وهبتها لك تجليات الأسماء، التجمل بين من صيغته أنه فعل إرادي والذي يمكن صدوره من فاقد لحيته غافل عن ماهيته. **السادسة:** شهود مظاهر الحياة لذوي الحياة، شهود علم وبصيرة، وهو كسابقه من حيث صيته لا يمكن تصوّر صدوره من فاقد لحيته، المكبل بهواه وأنانيته.

**السابعة:** معرفة الصفات المطلقة للخالق الجليل، وشؤونه الحكيمة، يقصد في هذا المقام المعرفة الوظيفية التي تورث خشية وخشوعا.

**الثامنة:** فهم الأقوال الصادرة من كل موجود في العالم وإدراك كلماته المعنوية فيما يخص وحدانية خالقه وربوبية مبدعه، ولا شك أنّ الغرض منه التحرر من معوقات الحرية.

**التاسعة:** إدراك درجات القدرة الإلهية والثروة الربانية المطلقتين، بموازين العجز والضعف والفقر والحاجة المنطوية في نفسك<sup>1</sup> من أدرك ذلك بقلبه وعقله حرره مولاه من الهوى والنفس الأمانة بالسوء فضلا عن إبليس وجنوده.

من هذا المنطلق كان الكفر عاملا رئيسا في محو الماهية الإنسانية وتعطيل آثارها المقصودة من قبل الشارع الحكيم، ويقرب من الكفر والإلحاد الأمراض النفسية، إذ بها يعطل الإنسان المريض المقاصد الإنسانية من التشريع في جميع جوانبه، فيصبح الغرور قاعدة في التعامل، وتفقد بذلك الآداب والعواطف الإنسانية التي جاء الإسلام من أجل ترسيخها من خلال بيان ماهية الإنسان.

ويتضح مما سبق أن الحرية الإنسانية تتجلى في عبوديته لله وحده فيسخر له كل مخلوقاته وتأتيه الدنيا وهي راغبة، أما الكافر فيبقى أسير أهوائه وملذاته لا يعرف حقيقة وجوده.<sup>2</sup>

#### رابعاً\_الحرية والحتمية:

يبدو أن التعارض القائم بين الحرية والحتمية ظاهري فقط فالحرية الحقيقية هي أن لا يتذلل المسلم لغيره إلا لله فقط، فهو عبد له لا لغيره ولا لشهواته بل لآبئ أن يتحرر منها ليرتقي إلى أعلى الدرجات، فالحرية كما قال النورسي "تجلي من تجليات الرحمن وعطية من عطايا الخالق الرحمن الرحيم، وهي خاصة من خصائص الإيمان"<sup>3</sup> فهي متصلة بالإيمان والوعي بالوظيفة الحقيقية للإنسان في الكون.

لهذا قسم النورسي الحرية إلى نوعان: الحرية الشرعية وقد حررتها الشريعة الإسلامية من قيود الدنيا والشهوات وعبودية الجسد التي تنزل بالإنسان إلى مراتب الحيوانية، فيتحلّى بالخصال اللائقة بإنسانيته التي كرمه الله بها ورفعته إلى درجة العليين، فالشهيد مثلا تتجسد حريته في الإعتناق من سجن النفس الأمانة الخائفة المحبة للدنيا الفانية ليطير إلى جنة الخلد والسعادة الأبدية لذلك يؤكد لنا النورسي أن حرية الإنسان تتجلى في عبوديته لله وحده وما

<sup>1</sup> - النورسي: الكلمات ص 135

<sup>2</sup> - عمار جيل: ماهية الانسان من خلال رسائل النور، دراسة تحليلية نقدية، شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع، 2001، ص44،45،43

<sup>3</sup> - النورسي: صيقل الإسلام ص 514

عداه فهو القيد ذاته، يقول في هذا الصدد: " تلك هي الحرية المثمنة بالعبادة، إنها تقول بمضامينها، لا تحسبنّ ما سوى الله تعالى أعظم منك فترفعه إلى مرتبة العبادة، ولا تحسبنّ أنك أعظم من شيء من الأشياء فتتكبر عليه، إذ يتساوى ما سواه في البعد في المعبودية وفي نسبة المخلوقية"<sup>1</sup>.

### المطلب الثالث: البعد الوظيفي:

إن الإشارات العلمية في الطبيعة كلها دلائل على وظائف الموجودات في هذا الكون فنقول بلسان حالها: "خلقنا في هذا الكون لأداء وظيفة معينة " فما بالك الإنسان الواعي العاقل المدرك لماهيته ووظيفته، فهو موظف عند مولاه ضيف في هذه الحياة الدنيا لذلك يجب أن يقوم بوظيفته على أتم وجه، يقول النورسي: " إن الإنسان أرسل إلى الدنيا ضيفا وموظفا وهبت له استعدادات مهمة جدا، وعلى هذا الأساس أسندت له وظائف جليلة، ليكد ويسعى في تلك الغايات والوظائف فقد رغب ورهب لأداء عمله، لهذا فإن وظيفته (الخليفة) ليست الانهماك بالحياة الدنيا والإهتمام بها كالحيوانات، وإنما السعي والدأب لحياة خالدة"<sup>2</sup>.

### أولا\_ الكون كله جنود مجنّدة.

كل الموجودات منصاعة لأوامر الله خالقها سبحانه تقوم بوظيفتها دون تقصير بداية من الملائكة إلى الجمادات حتى الشجر والحجر والحيوانات، وكذلك الإنسان عليه الانصياع و تتجسد وظيفته في عمارة الأرض بما يرضي الله ولا يتحقق ذلك إلا بالائتمار بأوامره سبحانه والانتهاز عن نواحيه دون مجادلة ومعارضة وإن لزم الجدل فمن أجل البرهنة على الحق لا المعارضة وتقديم البديل لقوله تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾<sup>3</sup>.

وأداء الوظيفة يتطلّب توحيد المعبود إذ لا يجوز أن يعبد الإنسان إلهين كمن يعبد هواه مثلا لقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ٤٣﴾<sup>4</sup> فمحور العبادة

<sup>1</sup> \_النورسي: اللغات ص 175

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات ص 300

<sup>3</sup> \_سورة النحل: الآية 125

<sup>4</sup> \_سورة الفرقان: الآية 43

إذا هو توحيد الله سبحانه وتعالى وعلى هذا الأساس تتحدد علاقة الإنسان بربه وبغيره من بني جنسه وبالمخلوقات كافة في هذا الكون، يقول النورسي:"  
"إن سر التساند والترابط، المستتر في الكائنات كلها، المنتشر فيها.. وكذا روح التجاوب والتعاون من كل جانب.. يبيّن :

أنه ليست إلا قدرة محيطة بالعلم كله، تخلق الذرة وتضعها في موضعها المناسب، فكل حرف وكل سطر من كتاب العالم، حيّ، تسوقه الحاجة، وتعرّف الواحد الآخر، فيلبي النداء أينما انطلق، وبسر التوحيد تتجاوب الآفاق كلها، إذ توجّه القدرة كل حرف حي إلى كل جملة من جمل الكتاب وتبصّرها"<sup>(1)</sup> فتوحيد الله سبحانه وتعالى يمنح أفعال الإنسان قيمة وغاية وهدف بل ويشعره بإنسانيته الحقّة إذ الذي يعبد هواه مثلاً يجعله حيواناً، وحين يوحد الله سبحانه وتعالى في أفعاله وصفاته وذاته يعترف بألوهيته وربوبيته وأنه مخلوق لهدف وغاية لا بد من تحقيقها، يقول الأستاذ النورسي:"إن الإيمان يجعل الإنسان إنساناً حقاً، بل يجعله سلطاناً، لذا كانت وظيفته الأساس "الإيمان بالله تعالى والدعاء له" بينما الكفر يجعل الإنسان حيواناً مفترساً في غاية العجز".<sup>(2)</sup>

الإشارات الكونية تدل دلالة واضحة على وحدة الأصل والمنشأ والمصير، ويصبح هذا الكون لوحة فنية بديعة مسخرة لخدمة الإنسان، لينتفع بها من كل النواحي ويتفكر فيها لتتجلّى الحقيقة الكونية أمام عينيه واضحة جليّة، فالسماوات وأجرامها إشارة وعلم من العلوم، والجبال والبحار آية وكذلك باطن الأرض وظاهرها هذا في الجانب المرئي الفيزيقي أما الجانب الميتافيزيقي فعالم الغيب بداية ممن الروح إلى الموت إلى القبر إلى البرزخ عوالم خفية حقيقية تستوجب إمعان البصر والبصيرة، هذه الآيات الكونية يستشعرها الإنسان من خلال إشاراتها التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم والتي تدل على وحدانيته في الخلق والعبادة والشكر، يقول النورسي:"إن الأرض التي هي بمثابة قلب الكون، قد أصبحت مشهراً لعجائب مصنوعات الله البديعة، ومحشراً لغرائب مخلوقاته الجميلة، وممراً لقافلة

1-النورسي: الكلمات 841  
2-النورسي:الكلمات 354

موجوداته الوفيرة، ومسجدا لعباده المتراصين صفوفها عليها، ونقرا لأداء عباداتهم.. هذه الأرض تظهر من شعاع التوحيد ما يملأ الكون نورا وضياء<sup>1</sup>.

" إن للتوحيد في جانبه الكوني أثرا عظيما في سير الكون أولا وفي تصور الإنسان المؤمن للكون ثانيا وتعامله مع ذل الكون وفق ذلك التصور ثالثا، لهذا فالتوحيد ليس معزولا عن صلة الإنسان بالكون سواء من جهة القراءة أو من جهة التفاعل المؤسس على الاستثمار المبني على التسخير الإلهي له لصالح الإنسان<sup>2</sup>.

فالتوحيد ليس فقط في الجانب الإلهي أو الكوني حتى الجانب البشري، فوحدة المنشأ (التراب) ووحدة المصير (الموت) ووحدة الأب (أبونا آدم عليه السلام) ووحدة التكاثر (التناسل).

هذا التوحيد العملي على حد تعبير الدكتور "عمار جبيل" يورث لدى العباد الثبات في صلته بالمعبود وبالعباد عكس التوجه إلى غير الله الذي يورث التغيير الدائم في السلوكات والصلة بين الإنسان والكون من جهة وتعامل الإنسان مع الكون من جهة أخرى" لهذا فالشرك يعني التشتت على مستوى القوى الداخلية في الإنسان ثم على مستوى علاقته بعالم الأشياء، فالموحد حرر نفسه بالتوحيد من الفوضى بالنظام والانتظام ومن عبثية السير في الدنيا إلى مقصدية الحياة ووظيفيتها، إن البون شاسع بين التوحيد والشرك، واسع بقدر المسافة الفرق بين الفوضى والنظام<sup>3</sup>.

### ثانياً\_ الإنسان أهم جندي في الكون كله:

يقول النورسي رحمه الله: " أودعت في ماهية الإنسان أجهزة مهمة من لدن القدرة الإلهية، ومنح برامج دقيقة وثمانية من لدن القدر الإلهي، وإذا ربي بذرة استعداده بماء الإسلام، وغذاها بضيء الإيمان تحت تراب العبودية موجهها أجهزتها المعنوية نحو غاياتها الحقيقية بامتثال الأوامر القرآنية، فلا بد أن يستنشق عن أوراق وبراعم وأغصان تمتد فروعها وتتفتح فروعها وتتفتح أزاهيرها في عالم البرزخ وتولد في عالم الآخرة وفي الجنة نعماء وكمالات لا حد لها، فيصبح الإنسان بذرة قيمة حاوية على أجهزة جامعة لحقيقة دائمة وشجرة باقية،

<sup>1</sup> - النورسي: الكلمات ص 812

<sup>2</sup> - عمار جبيل: ماهية الانسان ، ص 54

<sup>3</sup> - عمار جبيل: المرجع نفسه ص 55

ويغدو آلة نفيسة ذات رونق وجمال، وثمره مباركة لشجرة الكون<sup>(1)</sup> إذ يمتلك الإنسان طاقات روحية وجسمية متجددة باستمرار، فهو يرتل آيات الله آناء الليل وأطراف النهار ويعمل بها مطبقاً وأمر الله سبحانه وتعالى متفاعلاً معها بطريقة إيجابية مسترشداً بها في حياته اليومية، مخلصاً في أداءها دون كلل وملل، هذه الطاقة الروحية ليست مقصودة بل جبل عليها هي منحة من الله سبحانه وتعالى إذ وهبه هذه الفطرة لتلقي النداء السماوي وتطبيقه في الأرض ليقوم بوظيفته الحقيقية وهي الخلافة في الأرض.

كما وهبه الله سبحانه وتعالى طاقات جسمية تؤهله لفهم إشارات الله سبحانه وتجليات أسماءه في الطبيعة وهذه الطاقات في حد ذاتها إشارات وآيات توضح البعد الوظيفي لوجود الإنسان في هذا الكون، يقول النورسي رحمه الله: "فالإنسان وهب أجهزة معنوية ولطائف إنسانية والتي إذا قيست كل واحدة منها بما عند الحيوان لظهرت أنها أكثر انبساطاً وأكثر مدى بمائة مرة، فمثلاً: أين عين الإنسان التي تميز جميع مراتب الجمال؟ وأين حاسته الذوقية التي تميز مختلف المطاعم بلذائذها الخاصة؟ وأين عقله.. وأين قلبه.. فقد خلق الإنسان في أحسن تقويم وفق ما يؤهله للقيام بوظيفة عبادة الله.<sup>(2)</sup>

### المطلب الرابع: البعد الحضاري:

حين تتحقق الأبعاد التربوية والاجتماعية والوجودية يتحقق آلياً بعد آخر هو البعد الحضاري، واستتطاق الإشارات العلمية في الطبيعة ودعمها بالإيمان الحقيقي يحقق البعد الحضاري، والتقدم المزوج الذي يجمع بين العلوم المادية والدينية حتى لا تختل الموازين، وقد عرّف "ول ديورانت" الحضارة في كتابه "قصة الحضارة" بأنها عبارة عن: "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه، وتتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، وتحررت في نفسه دوافع التطلع، وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعده، لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها"<sup>3</sup>، فحين يتسلح المؤمن بسلاح العلم من جهة والإيمان من جهة أخرى يتفوق على

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات 36-362

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات 396-397

<sup>3</sup> \_وول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة د.زكي نجيب محمد، مطبعة المقتطف، القاهرة، سنة 1863، ص 35.

الحضارة الغربية التي تركز على أساس واحد فقط وهو سلاح العلم المادي، والنورسي لا ينفى الجوانب الإيجابية في الحضارة الأوروبية بل بالعكس يدعو إلى الاستفادة منها مع الحذر من سلبياتها، وقد كانت الجوانب العلمية محل ترحيب وقبول عنده، وهذا ما أكده الأستاذ محسن عبد الحميد في قوله: "وأما موقف الإمام النورسي من الجوانب العلمية من الحضارة الغربية، فهو موقف المسلم الذي فرض عليه الإسلام أن يتحرك لاكتشاف قوانين الكون، والاستفادة منها لإقامة حضارة، وبناء التقدم، ولذلك فقد دعا\_رحمه الله\_ المسلمين للأخذ بأسباب الحضارة الصناعية، لأنها من ضرورات إقامة الحياة القوية... ويؤكد النورسي أن تجديد المجتمعات المعاصرة يحتاج إلى تبني التقنية الحديثة مع المحافظة على الأصالة والقيم الذاتية"<sup>1</sup>.

### أولاً\_ بين الثوابت والمتغيرات.

الرؤية الحضارية للنورسي كانت نتيجة قراءته للكتاب المسطور وتأمله في الكتاب المنظور، ليتوصل إلى علاج حقيقي يخرج الأمة من أزمتها الروحية قبل المادية، ولا يكون ذلك إلا بالتمسك بالثوابت التي لا يمكن الاستغناء عنها مع معاصرة متغيرات الحضارة النافعة لا الضارة، وفي خضم تكالب الأعداء وهيمنتهم وتطلّع المغلوبين إلى تقليد الغالبين في ثقافتهم ولغاتهم ومناهجهم العلمية والاقتصادية والسياسية، يقدم النورسي رحمه الله مشروع العلم الحضاري، الذي يدعو إلى مقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل وربط الأسباب بغاياتها بعيداً عن الأحلام والخيالات، بحيث يربط الحضارة بأسسها الأصيلة التي استبدل بها أسس الحضارة الغربية\_الحق بدل القوة، والفضيلة بدل المنفعة، الرابطة الدينية والوطنية والمهنية بدل العنصرية والتعصب، والتعاون بدل الخصام، والهدى بدل الأهواء\_

أسس النورسي رؤيته الإصلاحية لتجاوز الكبوة التي عرفتتها الأمة الإسلامية على البعد الإيماني، ومدى حضوره في كل المجالات سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، لترتقي بالحضارة الإنسانية نحو التقدم ومنافسة العالم الغربي، بعدما لاحظ نفوذه وهيمنته على العالم العربي وتركيزه على القضاء على الإيمان وضرب الإسلام، بتغيير ثوابت الأمة وتحويلها إلى متغيرات من خلال نشر لغته وثقافته وعلمه وصنعتة وتقنيته، وأخلاقها المبنية على المنفعة

<sup>1</sup>\_ محسن عبد الحميد: النورسي متكلم العصر الحديث، دار سوزلر القاهرة، ص200.

والغريزة والهوى ولذلك اقتضى فقه الأولويات لدى النورسي تقديم الإيمان المؤسس على الكتاب والسنة على كل الأسس، لأن من صلح إيمانه صلحت بقية أعماله ولم يختلف مع غيره من المصلحين في هذه القاعدة لكنه تفرّد بمنهج بديل يقوم على مواكبة التغيرات العصرية ومحاولة فهم القرآن الكريم بلغة العصر حتى تمتلك اللغة العلمية التي نردّ بها على العالم الغربي لتفنيد أقوالهم المشككة في الإيمان والقائمة على المادة وحدها، ليرقى الإنسان المعاصر إلى المستوى الحضاري الذي ينشده.

### ثانياً\_ أثر الإيمان في التقدم الحضاري:

إن مصطلح الإيمان له الصدارة في مشروع النورسي الحضاري، لأنه يعتقد أن سبب سقوط الحضارة الإسلامية \_سقوط الخلافة العثمانية طبعاً\_ هو الانقسام وازدواجية الرؤى حول دور الإيمان، وخاصة حول علاقته بالعلم التي اهتزت وأفقدت الإنسان القدرة على التوفيق بينهما، بل اختلف المفكرون بين مؤيد يضع الإيمان في مقدمة العلم وهو وثيق الصلة به، ومعارض يجعل من المؤمن منعزلاً عن العلوم المادية بعيداً عن تطوراتها، ويعتقد النورسي أن التوفيق بين العلم والإيمان له الأثر الكبير في نهضة المسلمين، مستشهدين بالعصر الذهبي للصحابة الكرام الذين دفعهم إيمانهم الصادق إلى تشييد حضارة يدعمها العدل والحرية والمساواة في كل المجالات.

ويقدم النورسي حلولاً تغييرية لنهضة عملية تعكس رؤيته الحضارية المكتملة لرؤية منطري الحضارة الذين سبقوه الذين أعادوا للقرآن الكريم نهضته ومن ثمة للحضارة سبل نهضتها، كابن باديس والافغاني والكوثري ومصطفى صبري، ويقول ابن باديس رحمه الله في هذا المقام: "القرآن كفيل بنهضة الانسان نهضة حقيقية تبلغ إلى بقاع السيادة والكمال وهنا تم البرهان العلمي، على أنه لا نهضة لنا دينية إلا بالقرآن"<sup>1</sup> فمنهم من شخّص المسألة أنها سقوط حر، ومنهم من شخصها على أنها نكوص شامل، ومن شخصها على أنها أزمة سياسية وتحل بمقارعة الاستبداد ودفع الاستعباد، إذ نجد "جوهري طنطاوي" يقيم الفكر النهضوي على دعامتين أساسيتين هما:

<sup>1</sup> آثار عبد الحميد ابن باديس: دار البعث الجزائر الطبعة الاولى 1985 ص49

\_الإستفادة من خبرة قيادة الزعماء لمجتمعاتهم نحو التقدم والازدهار، وحصصهم في علماء الدين والصناع ورجال التصوف، إذ لا يمكن الوصول إلى مجتمع راق إلا بواسطة قادتها.

\_الاستفادة من البراعة والإبداع الموجود في المجتمع واستثماره، ويستقرأ سيرة الأنبياء وتحديدهم للظروف الصعبة التي عايشوها.

أما المفكر جمال الدين الأفغاني فقد صَنَّف المسألة تصنيفاً سياسياً، فقدّم الحلّ المناسب للتشخيص، فدعا إلى مواجهة الاستبداد بالنضال السياسي، أما النورسي فرؤيته قامت على أساس يشمل هذه المتغيرات هو تجديد الإيمان وربطه بالعلم، ومتطلبات الحضارة عنده العلم القائم على الإيمان والعمل مع توظيف الاستقلالية العقلية في فهم المسائل الدينية دون الخلط بينها وبين المستجدات في العصر الناتجة عن الأمية الثقافية، والأمية العلمية والتكنولوجية.

أما النورسي رحمه الله فشخص أمراضها فكشف عن الداء ووصف طريقة الدواء، فكان دائها البعد عن القرآن في كل مجالات الحياة وكان الدواء هو إزالة موانع عودته إلى الصدارة والبرهان على أنه شمس معنوية لا يخبو سناها ولا ينطفؤ نورها.

**المبحث الثالث: توظيف الرؤية الحضارية النورية في مواجهة الحضارة الغربية.**

**المطلب الأول: موقف النورسي من الحضارة الغربية و موقف الغرب من الفكر النوري.**

### **1\_موقف النورسي من الحضارة الغربية:**

من الطبيعي أن يهتم الأستاذ النورسي بالصراع الحضاري ومستوياته، لأن الحضارة الغربية فرضت نفوذها على العالم وقدّمت نفسها كبديل للحضارة الإسلامية، فكانت رؤيته الحضارية عالمية تستوعب كل المجالات لإعادة بعث المسلم من جديد، وتأهيله لممارسة التحدي الذي فرضته عليه العولمة إنطلاقاً من قاعدة ثابتة هي القاعدة القرآنية والإيمان الثابت الراسخ والوحدة.

لم ينبهر الأستاذ النورسي ببريق الحضارة الغربية، في اللحظة التي إنتشت فيها أوروبا وشعرت بعظمتها وعنفوانها وطغيان حضارتها، وفي الوقت نفسه إهتزت ثقة المسلمين بحضارتهم وفتوحات أجدادهم، فقد كان بعيداً كل البعد عن ملذات الدنيا وشهواتها، لكنه اشتغل بإيجابياتها ودرسها دراسة عميقة، بنظرة نقدية فاحصة إذ لا يغيب على أذهاننا أنه كان فيلسوفاً ناقداً محمصاً، حيث درس الحضارة الغربية من جذورها وتبين أصولها الواهية

وأهدافها الحقيقية، فوزنها بميزانها الحقيقي، فلم يرفضها رفضاً تاماً ولم يقبلها قبولاً كاملاً بل ميّز بين إيجابياتها وسلبياتها، وخير وصف لها مثلما قال أنها ليست خيراً محضاً ولا شراً محضاً، وبيّن أن الخير الموجود في الحضارة الغربية هو الجانب الديني فقد استفاضت من النصرانية الحقّة التي زرعت في الإنسان حب العلم والمعرفة وحب الإنسانية والتقدم والتطور، ومن الجدير بالذكر أنه استبعد النصرانية المحرفة التي سيطرت في العصور الوسطى في أوروبا الداعية إلى نبذ العلم وسيطرة الكنيسة.

يربط الأستاذ النورسي الدين بالحضارة دائماً<sup>1</sup>، ولم يهمل الجانب الإيجابي في الحضارة الغربية، فتحدث عن تقدمها المذهل في الجانب العلمي التقني، كالصناعات المذهلة والسلع الوفيرة والمواصلات السريعة والاتصالات والإختراعات المدهشة، وكل هذا التقدم يخدم الإنسانية، في رسالة الإستخلاف وعمارة الأرض.

ينبها الأستاذ النورسي رحمه الله أن ما وصلت إليه الحضارة الغربية كان ثمرة من ثمار إحتكاكها بالحضارة الإسلامية وولعها بمنجزات العلماء المسلمين وبشهاداتهم الشخصية في مؤلفات المستشرقين، فأثرها المتسرب عبر الأندلس وصقلية وغيرهما مهّد لظهور هذا المولود الغربي، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك وهو أن هذا التقدم الغربي هو مرحلة من مراحل التقدم الفكري وهي مرحلة طبيعية ستأتي بعدها مرحلة أخرى بطريقة تسلسلية في التطور العلمي، ومثلما اقتبست أوروبا واجتهدت في تطوير العلوم التي استوردتها، على المسلمين الآن اقتباس علوم الحضارة الغربية بالجد والاجتهاد وتخليصها من الرواسب المشككة في الدين الإسلامي وقف قاعدة "خذ ما صفا دع ما كدر".

يكشف الأستاذ النورسي عن مساوئ الحضارة الغربية بنظرة نقدية موضوعية، ورصد آثارها الوخيمة في الجانب الأخلاقي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ذلك لأنها تأسست على فكر مادي برغماتي لا يعير اهتماماً للقيم الأخلاقية ولا المعايير الإنسانية الثابتة، مما جعلها تناقض الفطرة الإنسانية وسنن الطبيعة، فحل العلم محل الإله واستبدل الوحي الإلهي بالعقل الإنساني، وبهذا طغت عليها الصبغة المادية الجافة والعقلانية المتطرفة التي أوقعت الإنسان في أزمة وجودية كانت نتيجتها الإنتحار المنتشر بكثرة في المجتمعات التي مات

<sup>1</sup>يلتقي النورسي في هذه الفكرة مع مالك بن نبي، وقد سبق وأشرنا إلى هذه النقطة في السابق.

فيها الضمير الأخلاقي وانفصل عن العلم والسياسة والمجتمع، وتملك العلم السيادة دون ضوابط أخلاقية ولا أهداف إنسانية ترشده، فوجد الإنسان نفسه محبباً مكتئباً لا يجد أسباب السعادة رغم امتلاكه كل مؤهلاتها في نظره من مال ونفوذ وعلوم، فلم يحصد من هذا التطور إلا التعاسة والألم.

والحل والملاذ الوحيد للخروج من هذه الأزمة التي تتخبط فيها أوروبا هو العودة إلى الدين، العودة إلى الفطرة الإنسانية، وهذا بشهادة الغرب أنفسهم، يقول أكسيس كاريل في كتابه "الإنسان ذلك المجهول": "إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لأنها لا تلاءمنا، لقد أنشئت دون معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ أنها تولدت من خيالات الإستكشافات العلمية، وشهوات الناس وأهوائهم ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة لحجمنا وشكلنا"<sup>1</sup>.

أصبح من الجلي أن الحضارة الغربية تنن تحت وطأة الإفلاس الروحي والأخلاقي، ومعانات مجتمعاتها من الإدمان والتفكك والتحلل الأخلاقي والانتحار خير دليل، وهذا جعلهم يبحثون عن الأمان والسعادة الروحية التي وجدوها في الإسلام، وهذا ما قاله النورسي وتنبأ به، حين قال: "أوروبا حاملة بالإسلام وستلده يوماً"، ولم يكن تنبؤه من قبيل الصدفة بل كان مدروساً بدقة من خلال مقارنته بين أسس الحضارة الغربية وأسس الحضارة الإسلامية.

### 2\_ موقف الحضارة الغربية من الفكر النوري:

لقد قدّم الأستاذ النورسي رحمه الله حلاً للحضارة الغربية استوعبه كل من قرأ رسائل النور، وقد ساهمت هذه الرسائل المباركة في دخول الكثيرين للإسلام أفواجا أفواجا، حين لمسوا الإيمان الحقيقي الذي أعاد لقلوبهم السكينة والاستقرار النفسي، وهذا بشهادة العلماء الغرب وهو كثيرين لا تستطيع الباحثة حصرهم، سأورد شهادات البعض من دخل الإسلام بسببها وغيروا نظرة مجتمعاتهم، منهم:

\_\_\_ يقول الدكتور الألماني بجامعة دورهام بإنجلترا كولن تورنر: "بعد سنوات عديدة من البحث والمقارنة، أستطيع أن أقول أن رسائل النور هي المؤلف الوحيد الشامل والمكتفي بنفسه، والذي يرى الكون كما في الواقع، ويقدم حقائق الإيمان كما هي، ويشخص الأمراض الحقيقية

<sup>1</sup> \_ أكسيس كاريل: الإنسان ذلك المجهول، تر شفيق أسعد فريد، مؤسسة المعارف، بيروت، ط2، 19، ص 38

الماحقة، التي ابتلي بها الإنسان، ويفسر القرآن كما أراده نبينا، ويقدم لنا الدواء الناجع والشافى، إن مؤلفا مثل مؤلف رسائل النور الذي يعكس نور القرآن ويضيء الكون لا يجب تجاهله أبداً، ذلك لأن الإسلام هو وحده الحائل والحاجز بين الإنسان وبين الكارثة، وأنا أعتقد أن مستقبل الإسلام يعتمد على رسائل النور وعلى الذين يتبعونها، ويستلهمون من تعليماتها ومن دروسه"<sup>1</sup>.

أما الدكتورة "أورسولا سبولر" بجامعة ماربورك بألمانيا فنقول: "قام سعيد النورسي بتفسير الآيات الكونية حسب شروط وظروف أيامنا الحالية، وجعلها قابلة للاستعمال في المستقبل، وبعد قيامه بتطبيق الآيات القرآنية على ظروف حياته أنموذجا ومثالا... فالمسيحيون يرون أن تأسيس الحوار بين هذين الدينين أصبح الآن ضرورة لا مفر منها، ونحن المسيحيون نبذل جهودا كبيرة لفهم المسلمين فهما جيدا"<sup>2</sup>.

أدرك الغرب جيدا أن الأستاذ النورسيرحمه الله لا يقف ضدهم بل ضد مبادئهم وأفكارهم الخاطئة، بل فهموا أن الأستاذ يريد إنقاذهم من هذا الجحيم الذي يعيشونه لذلك استوعبوا أفكاره وفهموا فكره المستنير ويحاولون تطبيقه، إذ تقول الدكتورة السابقة الذكر في موضع آخر: "مع أن سعيد النورسي يقف ضد الغرب المادي وضد الغرب الرأسمالي، فإنه يفرق بشكل حاسم بين "الأوروبي الرأسمالي" وبين "الأمريكي الرأسمالي" وبين الأوروبي والأمريكي المتمسك بالمسيحية من أهل الكتاب، وهو عندما ينتقد الغرب يستثنى هؤلاء"<sup>3</sup>.

تقول الدكتورة نفسها أن الغرب لا يستعمل مكتشفات العلم ونتائج هذه المكتشفات في أماكنها الصحيحة، أي أن الغرب لا يستعمل الطاقة الذرية في الأمور التي تقيد وتخدم الإنسانية، وعدم إزالة المخلفات النووية، ونتائج استخدام الهندسة الوراثية في التدخل الصناعي لوحدات البناء الحيوية في الإنسان والحيوان والنبات، وتلوث التربة والغلاف الجوي بلمخلفات المعدنية واتساع الثقوب في طبقة الأوزون.

أما عالمة الألمانية المسلمة "ماري ويلد" والتي غيرت إسمها إلى "شكران واحدة" فقد اعتبرت رسائ النور نموذجا مثاليا لتقديم الإسلام للغرب، و ألفت الكثير في فكر الأستاذ

<sup>1</sup> أورخان محمد علي: سعيد النورسي في نظر مفكري الغرب، شركة سوزلر للنشر، ك1، 2004، ص 15

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ص 21

<sup>3</sup> المصدر نفسه: ص 23

النورسي وأنارت عقول مجتمعات كثير بسلوكها ودينها وأخلاقها، تقول في إحدى مداخلتها باللغة الإنجليزية: "رسائل النور تخاطب الإنسانية بأجمعها، وكما نفهم من بعض كلمات النورسي فإنه كان يأمل في خلاص الناس مهما كان منشأهم، أي أنه مع كونه ضد جوانب عديدة من المدنية الغربية، إلا أنه كان يخمن ويأمل دخول الشعوب الغربية في الإسلام واتباعهم للقرآن وخلصهم من هذا الطريق"<sup>1</sup>.

لقد أدرك الغرب الفكر النوري الذي غير نظرتهم للعلم المادي، فبدد داخلهم الأوهام حول وجود تناقض بين العلم والإيمان، وصدام بين حقائقه وحقائق القرآن، وحين اكتشف الغرب ذلك استيقظ العقل النائم من سباته وتبين لهم أن الإسلام هو سيد المعارف وهو الذي يسند العلوم وما صاحبها من اكتشافات وقوانين ثابتة.

أما الدكتورة "جالجيا مريم دمير" باحثة وكاتبة ألمانية فتقول: "ظن آثار النورسي تفتح بابا للإسلام والقرآن والإيمان، ولو كنا نحن المسلمين أكثر وعياً، ولو نذرنا أنفسنا للقضايا بهذا الشكل، لاضطرت الكنيسة والمجتمع لتغيير آرائهم"<sup>2</sup>، أما الدكتور "توماس ميشال" بجامعة شيكاغو، فقد قال: "إن الحضارة الغربية حسب رأي سعيد النورسي أصبحت بعيدة وغريبة عن النصرانية الحقة، وأرست نظرتها للفرد وللمجتمع على المبادئ التي ترى أن الإنسان هو محور الكون ومركزه.... وأن الحضارة الغربية أرست قواعدها على سياسة وقوانين السوق المنفلتة عن أي رقابة مما أدت إلى فروق ظالمة وكبيرة في الحياة المعيشية"<sup>3</sup>.

يقول الدكتور "أوليفر ليمان" بجامعة ليفربول بالمملكة المتحدة: "رسائل النور أكثر من مجرد تفسير للقرآن وهي مثلها في ذلك مثل إحياء علوم الدين ولكن رسائل النور أكثر دقة ووضوح... فهي تؤكد على رفض وجود أي تناقض بين الإسلام وبين العقل، فالآيات القرآنية تقدمها رسائل النور بشكل واضح وبراق وخال من الغموض، وبرز طريقة لدى النورسي في الرد على أدلة الماديين هو هجومه على إدعائهم بأن الإنسان عبارة عن مادة فقط، وهذا هو

<sup>1</sup>المصدر نفسه: ص 42

<sup>2</sup>المصدر نفسه ص 50

<sup>3</sup>المصدر نفسه ص 93

الشكل العام للإستراتيجية التي يتبعها النورسي عندما يتعامل مع معارضيه ومخالفيه، فهو يحاول البرهنة بأن هؤلاء يتناولون الإنسانية ببعد واحد لذا لا يجانبهم الصواب"<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: مصير الحضارة الغربية.

ينبه النورسي إلى النزعة الفردانية التي شكلت الأنا الأوروبية مع إنطلاقاتها الأولى، ففي نظرنا لقد قامت هذه الفردانية من ديكرت فآدم سيث وصلا إلى مناوئي الاشتراكية من الرأسماليين المعاصرين ورغم محاولات من جاؤو بعدهم من ذوي الفكرة الاجتماعية لاستدراك ما فات الفكر الأوروبي إلا أن القرن التاسع عشر أخرج مخالف هذه الأنا الأوروبية مجسدة في عصر الاستعمار"<sup>2</sup>.

إن المرض النفسي الذي نخر الحضارة الأوروبية هو تعظيم الأنا ، والنزعة الفردانية التي هيمنت على الفكر الأوروبي من بداية عصر النهضة إلى يومنا هذا، وإن كانت هذه الحضارة فقدت شروط بقائها فذلك بسبب الطلاق الذي أحدثته بين العلم والدين، والتاريخ خير شاهد على الثورة الكوبرنيكية وهيمنة الكنيسة وعصور الظلام التي بقيت آثارها السلبية عالقة في ذاكرة الإنسانية كما أن الحضارة الغربية الآن تشهد آخر صفقة رابحة لها وهي صفقة العلم، ولهذا هي تحاول تطويره بكل الوسائل الممكنة، وتغطي نقصها بالاستعمار والهيمنة حتى تبرز كقوة عظمى في حين أن المرض نخر عظمها و انتشر في كل أعضائها دولة دولة، بل وبدأ الدم الجديد الصافي ينشر في عروقها بدخول الغرب للإسلام أفواجا أفواجا.

يرى الأستاذ النورسي رحمه الله أن التطور المادي الغربي في جانبه الإيجابي يحقق أحد مطالب الإنسانية، فبناء الإنسان وتطوير الحضارة لا يتحقق إلا بالجانبين معا وهما المادة والروح، وقد اقترب الغرب من أحدهما وهو اكتمال الوسائل ويبقى أن تكتمل المبادئ، فإن وقر الغرب التطور العلمي المادي فعلى الأمة الإسلامية بمنطلقاتها الدينية أن تحدث التكامل، وإن كانت الحضارة الغربية تعاني معضلات إنسانية حقيقية خلقية فذلك لأنها تفتقر إلى هذه المبادئ، ولذلك يقول الأستاذ النورسي رحمه الله: "إن أوروبا وأمريكا حبالى بالإسلام وستلدان يوما ما دولة إسلامية".

<sup>1</sup>المصدر نفسه: ص 105

<sup>2</sup> \_ أفكار من نور: أ د الأخضر شريط، مؤسسة كنوز الحكمة، 2012، ص 16

حدّد الأستاذ النورسي خمس أسس للحضارة الغربية في جانبها السلبي وهي:

هي حضارة تؤمن بالقوة لا بالحق وهذا ما جعلها وسيلة للإعتداء والتجاوز على الأمم الأخرى، كما أنها تؤمن بالمنفعة المادية دون الأخذ بعين الاعتبار الجانب الأخلاقي وهذا ما جعلها تهوى بالإنسانية إلى مستوى الرذائل والشهوات الحيوانية، تؤمن بالتصادم والبقاء للأقوى، بدل التعاون من أجل خير الإنسانية، كما أنها حضارة تؤمن بالقومية والعصبية مما يؤدي إلى العنصرية، كما تشجع الأهواء والشهوات والنوازع الحيوانية مما يمسح إنسانية الإنسان ويحولها إلى منطلق الغريزة.

يتوقع الأستاذ النورسي رحمه الله أن البشرية في الحضارة الغربية بعد أن أصابتها الانحرافات السلوكية والعقدية والحروب ستبحث عن خلاص لها من هذا الدمار الإنساني الذي عمّ البشرية، وسجده في القرآن الكريم وفي الحضارة الإسلامية، ولا مفر لها من الحوار والتسامح.

### المطلب الثالث: الصراع الحضاري في عالمنا المعاصر .

لا يخفى على أحد أن العالم الإسلامي في مفترق الطرق ويعيش أزمة حقيقية، ويواجه تحديات عصبية، ويعتقد النورسي رحمه الله أن سر هذا المصير المحتوم هو تباين الأفكار والإختلاف المذهبي في صفوف المسلمين، الأمر الذي زرع الفتنة والتعصب والمذهبية ومسؤولية العلماء والمفكرين في هذه اللحظة التاريخية هي مسؤولية عظيمة ومشتركة، والواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي نعيشه لا يسر أحد، وقد حدّر الأستاذ النورسي رحمه الله من هذه العواقب وقدم الحلول الناجعة لها، والعلاج الذي قدّمه هو توحيد الرؤى والأفكار ونبذ الخلاف ليتصافح الجميع ويتفق، ويترك عجلة التقدم الحضاري تسير، ولا تخفى على مفكر الإتجاهات التي انقسمت إليها الأمة بخصوص العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب، ونلخصها في ثلاث إتجاهات:

الأول هم القائلين بأنه يجب أن نسير وفق خطى الغرب ونذوق من حلوها ومرها كي نحقق النتائج نفسها أمثال "سلامة موسى" و"طه حسين" وغيرهما والثاني هو أصحاب الموقف الراض جملة وتفصيلا للعلاقة بين العالم الإسلامي والغربي، ويرى أنها وبال يجب الابتعاد عنه، والعودة إلى التمسك بالتراث والأصالة واسترجاع المجد المسلوب والثالث هو أصحاب

الاتجاه الوسطي، والذي يعتقد أنه يجب الحوار والانفتاح بينهما كأساس للتفاهم وإرساء ثقافة السلام.

هناك من قدّر المسألة بأنها عامة وشاملة وتستوجب إصلاحا شاملا يتأسس على التعليم وتطوير المعارف مثلما فعل "جوهري طنطاوي" وغيره أمثال "محمد عبده" و"رفاعة طهطاوي" وكانت النتيجة أن وجّه الأنظار إلى أهمية الإصلاح الشامل الذي يقوم على الاستفادة من الخبرة الإنسانية في قيادة الزعماء لمجتمعاتهم نحو الرقي والإزدهار، والتنبيه إلى أهمية استثمار قيادات الأمة التي بمقدورها تأطير المجتمع واستثمار طاقاته في بناء المجتمع والحفاظ عليه.

وهناك من اعتبر المسألة سياسية ويجب مقارعتها بالنضال السياسي او بالأحزاب السياسية أمثال الكواكبي والأفغاني، وقد نبّه الكواكبي العقلاء إلى تبصير الناس وتوعيتهم وتعليمهم حقوقهم وواجباتهم، حتى يتمكنوا من مقارعة الاستبداد عن قناعة، ووجد في التطور العلمي ملاذا للمجتمعات للتأسيس لدولة العدل والحق، ويعي المواطن أنه ليس عبدا بل بشرا يحق له العيش كأه ملك في وطنه وترايه وظيفته تنفيذ أوامر خالقه سبحانه وتعالى، وتحقيق العبودية الكاملة له.

والأساس الثاني الذي اهتز في الحضارة الإسلامية هو الأساس العلمي، وهذه حقيقة لا يجب التكرار لها بل وجب معرفتها للتحرر منها بالعلم والعمل، فالمجتمع الإسلامي يفتقر للتقدم العلمي والتقني ولا يملك أساليب المواجهة، وهذا يعود إلى التباين في الأفكار والتعصب لها من قبل المذاهب والمدارس، وهذا يعيق التقدم والتطور ويبقىنا في حلقة مفرغة. وفي تجسيد الرؤية النورية في الواقع بإخلاص وجدية يمكن للأمة الإسلامية أن تنهض من جديد وتكسب الثقة بنفسها وثقة الغرب بها، بل يمكنها العودة بقوة وان تخرج من هذا التيه الفكري والانسحاب الحضاري منتصرة، وذلك باتباع منهج علمي موضوعي في كل القضايا والمسائل دون فصله عن الدين الإسلامي، بطريقة عصرية تواكب التطور العلمي والتكنولوجي والتقني، وبلوغ المستوى العلمي الذي بلغته أوروبا، بل لا عيب في استرجاع ما أخذ بالترجمة بنفس الطريقة، إن كانت في هذه الوسيلة استرجاعا للحقوق المغتصبة.

إن الفكر النوري وما حواه من إشراقات مليئة بالموضوعية والعلمية ينبئ بمستقبل زاهر للإسلام والمسلمين، وبشارته ستتحقق في الواقع لأنها منطقية ولديه الحجج العلمية والواقعية والدينية، فحريّ بعموم الأمة الإسلامية وخاصتها الإستئناس بهذا المنهج النوري الدقيق الذي لا ينتكر للغرب ولا للحضارة الأوروبية في جانبها الإيجابي، والتي من الضروري أن نتواصل معها ونفتح حوارات علمية تكنولوجية حضارية واسعة وفي جميع المجالات، ولا مفر من استثمار الحضارة الغربية الإيجابية لخدمة قضايا الأمة ومساندة مواقفها، وليس من المنصف أن نحملها إخفاقاتنا وفشل أجيالنا وما تجتاحه الأمة من جوائح، بل الأفضل أن نواجه الأزمة بهمة، كما لا ينبغي للمسلم أن ينتظر المدد من السماء رافعا يديه نحو خالقه دون السعي الجاد للتغيير والعمل الدعوب للإصلاح، فذاك المدد سيأتي وهو وعد إلهي لكن بعد الأخذ بالأسباب للتغيير من الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

الأستاذ النورسي رحمه الله كثيرا ما يتحدّث عن الأخوة الإنسانية إنطلاقا من الإيمان، بدليل قوله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة"، رغم الاختلاف لكنه لا يمنع من الحوار الذي هو سبيل للإقناع، بأسلوب هادئ دون اللجوء إلى العنف وسفك الدماء، كما يرى أن التعامل مع الحضارة الغربية لا بد أن يكون بحذر وأن يكون مخططا ومدروسا.

كما أشار إلى نقطة هامة جدا وهي التفرقة بين التبعية والتقليد الأعمى وبين التفاعل الحضاري بين الإسلام والحضارة الغربية، وهذا لا يعني الانصهار والتبعية ونقل التجربة بحذافيرها، بل الاستفادة من تجاربهم وانتقاء الأصلح بما يوافق الشريعة الإسلامية، والعلم ليس حكرا على أمة معينة، و إن كنا نأخذ التقدم العلمي والتكنولوجي من الغرب اليوم فلا ننسى أنهم في يوم ما تتلمذ عباقرتهم وعلمائهم على أيدي العلماء العرب.

### المبحث الرابع: تجليات أسماء الله الحسنى وأثرها بالنسبة للإنسان .

إذا تجسدت الرؤية النورية في الواقع وتحققت الحضارة الإسلامية فعليا، وأصبح الإنسان محورا لهذه الحضارة، تجسدت في الأرض أسمى معاني الاستخلاف، وأصبح الإنسان صورة مصغرة للكون وتتجلى فيه أسماء الله الحسنى، حينها يصبح الإنسان في حد ذاته تجليا من تجليات أسماء الله الحسنى في الكون والوجود.

إن الله سبحانه وتعالى احتجب عن الظهور للأبصار لفرط ظهوره وشدة نوره، فلا يسعه المكان ولا الزمان فهو فوقهما وخالقهما، وهو الظاهر بآياته وإشاراته، وقد أنزل الله جلّ جلاله في كتابه الكريم أسمائه الدالة على أفعاله وتصرفاته، ووضع في الكون إشارات تدل على قدرته وتتجلى من خلالها أسمائه الحسنی، ويعتبر النورسي من أبرز العلماء الذين اهتموا بإبراز تجليات أسماء الله الحسنی، وهي متنوعة بتنوع مخلوقات الله سبحانه وتعالى، كونها منسوبة إليه جلّ جلاله وتقدست أسمائه، فكل الموجودات والمخلوقات هي مرآة متحركة وتجليات لأسماء الله الحسنی سواء في الكون أو في الكائنات الحية وحتى الجمادات.

اتفق البخاري ومسلم على الحديث الذي رواه أبا هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة" وقد اختلف العلماء في كيفية إحصاء أسماء الله الحسنی، وهذه المسألة بالذات كانت مشروع حياة النورسي وغاية آماله، كيف لا وهي سبب دخول الجنة.

إحصاء أسماء الله الحسنی تشمل عدة مراحل أولها تتبع الأسماء من صفحات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ثانيها فهم معانيها والإيمان بها والتفكير فيها واستحضار معانيها في العقل والقلب، ثالثها العمل بها والافتداء بها والتحلي بتلك الأسماء والصفات والدعاء بها، ورابعا رؤية جمالها في الكون واكتشاف تجلياتها في الطبيعة، فكل إشارة إلا وتحمل إسما من أسماء الله الحسنی، وهذه المرحلة هي أرقى مراحل الإحصاء، وهي تتبع تجليات الأسماء في الكون والوجود والعيش في كنف هذه التجليات العظيمة، فإحصاءها لا يقف عند الدراسة العلمية واللغوية بل هو اكتشاف جمالها المبيثوث في الطبيعة.

### المطلب الأول: الحكمة من تجليات الأسماء الحسنی:

إن الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بأسماء كثيرة لا لمجرد التعريف بنفسه والإعلام بها، بل لما توجبه تلك الأسماء من آثار وإشارات وما تقتضيه من مظاهر وتجليات في الوجود، وهذا يعني أن هذه الأسماء المقدسة تحتل المرتبة نفسها علميا ومعرفيا، فهناك نسبة بين الإسم ومظهره في الوجود، وقد اصطلح عليها بمصطلح "التجلي" عند النورسي، فالوجود هو الذي يكشف عن مقتضيات الأسماء الحسنی فتظهر معانيه وتتحقق على صفحته الكونية

مثلما تتجلى الصور الجسمية على وجه المرآة الصافية، فتتكشف الحقائق المستترة وتظهر معانيها للعيان قصد ترسيخ الإيمان وتثبيت العقيدة.

وسنحاول تحليل تجليات بعض الأسماء الحسنى من خلال الرؤية النورية، وتبيان الحقائق المستترة التي كشف عنها بغية إبراز الدلالة الواضحة على مقتضى الاسم الإلهي من جهة، واستناد الحقائق والموجودات عليه من جهة أخرى.

يقول الأستاذ إحسان قاسم الصالحي عن فائدة التجليات الكونية لأسماء الحسنى: "علمتنا رسائل النور كيف نتعامل مع تجليات الأسماء الإلهية الحسنى المتجلية في الكون كله، منبهة إيانا أن الإنسان ابتداء من أسرار نفسه وأعماق حياته إلى جزئيات الكون الواسع، إن لم يتلق معاني الأسماء الجليلة في حياته لتتورها، سوف لا يرى الجمال في الوجود ولا يتعظ بالعبر والحكم في الحوادث، حيث لفتت أنظارنا إلى أن الموجودات كلها تقتقر إلى معنى في ذاتها، وتحتاج في معرفة ذاتها إلى اسم من الأسماء الحسنى، لا تعاملنا نظريا، بل استكشافيا، حتى أصبحت هذه النظرة لدينا ملكة وجزء من فطرتنا، فشهدنا أنوار تجليات تلك الأسماء الحسنى فيما حولنا من موجودات"<sup>1</sup>

والكون دليل قاطع على أسماء الله الحسنى، وهو المقصد الأسمى لتبيان تجليات أسماء الله الحسنى في الطبيعة عند النورسي هو مشاهدة أنوار تلك التجليات لترسيخ الإيمان في القلوب، ويتبوأ الكون المرتبة الثالثة بعد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في معرفة أسماء الله الحسنى وقد أفصح عنها بلسان حاله من خلال الإشارات الموجودة فيه.

قدّم النورسي أدلة كثيرة على أن الكون يعرّف بأسماء الله الحسنى إضافة إلى القرآن والسنة، منها الوحي والعقل والحس والذوق والإيمان.

**دليل النقل:** الكون كتاب الله المنظور والقرآن الكريم يصرح بالتدبر في الكون والتفكر في المخلوقات لقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>2</sup>.

فحركة التغيير والتجدد في المخلوقات توجه العقل إلى اسمي الله "المحيي" و"المميت"

<sup>1</sup> - إحسان قاسم الصالحي : رحلتي مع رسائل النور، اسطنبول 2016 ص197

<sup>2</sup> - سورة الروم الآية 49

يقول النورسي: "يعرض القرآن الآثار الإلهية العظيمة التي تدل بغاياتها ونظمها على علم الله وقدرته، يذكرها مقدمة لنتيجة مهمة وقصد جليل ثم يستخرج اسم الله "العليم" ... إن القرآن الكريم ينشر منسوجات الصنعة الإلهية ويعرضها على نظار البشر ثم يلقها ويطويها في الخلاصة ضمن الأسماء الإلهية، أو يحيلها إلى العقل"<sup>1</sup>

ويقصد النورسي بجملة "يحيلها إلى العقل" أي يوكله مهمة التأمل والتفكير والتدبر واكتشافها بنفسه.

**دليل العقل:** وهو ما يدركه العقل من تجليات أسماء الله الحسنى في الطبيعة من خلال إشاراتها العلمية التي يدركها العقل ويختبرها، فهو يشعر بالتجلي الأعظم للخلق الإلهي والقدرة الربانية ويستطيع ربط الأسباب بالمسببات إلى أن يصل إلى المسبب الأول وهو الخالق سبحانه وتعالى.

فعلوم الكون كلها هي نظر وتأمل وبحث في الكون والموجودات، وهي لسان الكون الناطق بكل لغات العالم تعبر عن تجليات الأسماء الحسنى، يقول النورسي رحمه الله: "إن لكل كمال ولكل علم ولكل فن\_أيا كان\_ حقيقة سامية عالية، وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من أسماء الله الحسنى، فالهندسة مثلا علم من العلوم، وحقيقتها وغاية منتهائها هي الوصول إلى اسم الله "العدل والمقدر" من الأسماء الحسنى، وبلوغ مشاهدة التجليات الحكيمة لذلك الاسم بكل عظمتها وهيبته في مرآة علم الهندسة، والطب مثلا علم ومهارة ومهنة في الوقت نفسه فمنتهاه وحقيقته يستند أيضا إلى اسم من أسماء الله الحسنى وهو "الشافى"<sup>2</sup>

**دليل الحس:** يقرر النورسي أن الحواس والجوارح والغرائز خلقها الله عزوجل ووهبها للإنسان لتكون أداة للتواصل مع الكون فهو يحس بتجليات الأسماء الحسنى، يقول رحمه الله: "إن الله سبحانه وتعالى بألوهيته الجليلة ورحمته الجميلة وربوبيته الكبيرة ورأفته الكريمة وقدرته العظيمة، وحكمته اللطيفة قد زين هذا الإنسان الصغير بحواس ومشاعر كثيرة جدا، وجمله بجوارح وأجهزة وأعضاء مختلفة عديدة ليشره طبقات رحمته الواسعة، ويذيقه أنواع آلائه التي لا تعد، ويعرفه أقسام إحساناته التي لا تحصى، ويطلععه عبر تلك الأجهزة

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات ص 479

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات ص 291

والأعضاء الكثيرة على أنواع تجلياته التي لا تحد لألف إسم من أسمائه الحسنی ويحببها إليه ويجعله يحسن تقديرها حق قدرها"<sup>1</sup>

فإذا كان في الكون زينة وضياء وإتقان وأنواع حياة، وحكمة وعناية ورحمة وجمال ونظام وجمال فلا يمكن إنكار خالقها وصاحبها والموصوف بها أصلاً فهو سبحانه وتعالى الحكيم الرحيم الجميل العادل، لقد جعل النورسي هذا الكون بمنزلة كتاب معروض للمشاهدة وكل جزء من هذا الكون بمنزلة كلمة تفصح عن اسم من أسماء الله الحسنی، يقول رحمه الله: "إن كل آية كونية من آيات قرآن كون الله العظيم المنظور تعرض للأنظار معجزات نيرات هي بعدد نقاطها وحروفها"<sup>2</sup>.

**دليل الإيمان:** يقول النورسي رحمه الله: "إن الإيمان أراني بفضل أسرار القرآن الكريم أن أحوال الدنيا وأوضاعها المنهارة في ظلمات العدم بنظر الغفلة، لا تتدحرج هكذا في ظلمات العدم، بل هي رسائل ربانية ومكاتيب صمدانية وصحائف نقوش للأسماء السبحانية قد أتمت مهامها، وأفادت معانيها، وأخلفت عنها نتائجها في الوجود، فأعلمني الإيمان بذلك ماهية الدنيا علم اليقين"<sup>3</sup>.

والإيمان يبين لنا أوجه الدنيا الثلاثة كما يعتقد النورسي:

**الوجه الأول** يتجه إلى أسماء الله الحسنی فهي مرآة لها، **والوجه الثاني** يتجه نحو الآخرة فهي مزرعتها، **والوجه الثالث** يتجه نحو أرباب الدنيا وأهل الضلالة والغفلة فهي لعبتهم، فإن تمكن الإيمان من القلب وترسخ فيه، أشرق لدى حقائق كونية لا حد لها وهذا ما عبّر عنه ابن عطاء السكندري بقوله: "دلّ بوجود آثاره على وجود أسمائه، وعلى وجود أسمائه على ثبوت أوصافه، وبوجود أوصافه على وجود ذاته، إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه، فأهل الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته، ثم يردهم إلى شهود صفاته، ثم يردهم إلى التعلق

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات: ص 759

<sup>2</sup> \_النورسي: اللغات، ص 482

<sup>3</sup> \_النورسي: اللغات، ص 323

بأسمائه، ثم يردهم إلى شهود آثاره، والسالكون على عكس هذا، فنهاية السالكين بداية المجذوبين، لكن لا بمعنى واحد، فربما التقيا في الطريق، هذا في ترقيه وهذا في تدليه<sup>1</sup>. مفهوم الترقى والتدلي عند أصحاب الكشف يسميه النورسي بالسير الأنفسي والسير الآفاقي، إذ يقول رحمه الله: " فالسير الأنفسي يبدأ من النفس ويصرف صاحب هذا السير عن الخارج ويحدق في القلب مخترقاً أنانيته ثم ينفذ منها ويفتح في القلب ومن القلب سبيلاً إلى الحقيقة، ومن هنا ينفذ إلى الآفاق الكونية فيجدها منورة بنور قلبه، فيصل سريعاً إلى أن الحقيقة التي شاهدها في دائرة النفس يراها كمقياس أكبر في الآفاق، وأغلب طرق المجاهدة الخفية يسير في هذا الاتجاه، وأهم مقاصد هذا السلوك هو كسر شوكة الأنانية وتحطيمها، وترك الهوى وإماتة النفس، أما الطريق الثاني فيبدأ من الآفاق ويشاهد صاحب هذا النهج تجليات أسماء الله الحسنى وصفاته الجليلة في مظاهر تلك الدائرة الآفاقية الكونية الواسعة، ثم ينفذ إلى دائرة النفس فيرى أنوار تلك التجليات بمقاييس مصغرة في آفاق كونه القلبى، فيفتح في هذا القلب أقرب طريق إلى الله تعالى فيصل إلى مقصوده ومنتهى أمله"<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني: التجليات الكونية:

إن الطبيعة هي المعرض الذي تتجلى فيه أسماء الله الحسنى، ويعرض الخالق سبحانه وتعالى أوامره ويثبت عليها إسماً من أسمائه، والأمثلة كثيرة في رسائل النور التي يقرأ من خلالها النورسي صحائف الكون ويأخذ بقلوبنا قبل عقولنا ويوقفنا على مظاهر الإبداع في الخلق والجمال في الطبيعة فعملية تجدد المخلوقات بين الحياة والموت التي لا تتوقف، بالعكس انتظامها يدعو إلى التأمل في اسمي الله "المحيي والمميت" ففي كل ثانية تشهد الطبيعة جنائز من الإنسان والحيوان والنبات وحتى الجمادات راحلة بلا عودة لتترك الفرصة لغيرها لتؤدي وظيفتها في هذا الوجود فتشهد الطبيعة من جديد مواكب كثيرة من المواليد تأتي إلى الدنيا لتتسلم مهامها.

**اسم الله الأعظم وتجلياته عند النورسي:** اختلف العلماء حول اسم الله الأعظم، والأرجح أن الله سبحانه وتعالى أخفاه مثلما أخفى ليلة القدر وساعة الاستجابة من يوم الجمعة لحكمة

<sup>1</sup> \_ ابن عطاء الاسكندري: إيقاظ الهمم في شرح الحكم.

<sup>2</sup> \_ النورسي

يعلمها هو، وعن بريدة الأسلمي قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعوا وهو يقول: "اللهم أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى"<sup>1</sup> وعن أنس رضي الله عنه أنه كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلي ثم دعا " اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى"<sup>2</sup>.

والحكمة في إخفاء اسم الله الأعظم هي أن يدعو الإنسان ربه بكل أسمائه الحسنی فكلمها تجليات للصفة معينة ومن يفنقر لها يدعو الله سبحانه وتعالى بها، فالمذنب يسأل الغفور والمريض يسأل الشافي ومن هو في شدة يسأل الرزاق ...

يقول النورسي: "إن جميع الدلائل التي تشهد على العلم الإلهي الذي تشاهد آثاره من تنظيم الموجودات، وجميع البراهين التي تثبت القدرة المتصرفة في الكون، وجميع الحجج التي تثبت الإرادة والمشيئة المهيمنة على إرادة الكون وتنظيمه، وجميع العلامات والمعجزات التي تثبت الرسالات التي هي مدار الكلام الرباني والوحي الإلهي... جميع هذه الدلائل التي تشهد وتدل على الصفات الإلهية الجليلة تدل وتشهد أيضا بالاتفاق على حياة " الحي القيوم"<sup>3</sup>.

**تجلى اسم الله الأحد:** إنالأحدية والواحدية صفتان تتحدان في الوجود المطلق وهما حقيقة من جملة حقائق الوجود الإلهي، فهو سبحانه مستغن عن الكل والكل محتاج إليه، متفرد عن غيره ذاتا وصفات وأفعالا، منفرد عن المثل والشبيه والنظير، يتجلى في هذا الوجود وعلى مخلوقاته بمقتضى كونه أحدا وواحدا، فهو الفرد الصمد وقد طبع الكون كله بفرديته بدءا بأكبر مجراته وكواكبه إلى أصغر ذراته وجزيئاته، وظهرت بصمات هذا الاسم على كل نوع من المخلوقات، وتتجلى وحدانيته بوضوح في خلق الموجودات، التي تخرج إلى الوجود في أتم صورة وأكملها منسجمة مع عناصر كون الأخرى، يقول النورسي رحمه الله: "يلزم لخلق

<sup>1</sup> رواه الترمذي وأبو داوود وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح أبي داوود

<sup>2</sup> رواه الترمذي وأبو داوود والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح أبي داوود

<sup>3</sup> النورسي: الكلمات ص 115

ذبابة واحدة مسح وتفتيش الأرض وغريلة عناصرها وذراتها جميعا، ثم وزنها بميزان دقيق وحساس، لوضع كل ذرة في موضعها المخصص لها، حسب قوالب مادية بعدد أجهزتها وأعضائها المتقنة، وذلك ليأخذ كل شيء مكانه اللائق به، فضلا عن جلب المشاعر والأحاسيس الروحية الدقيقة واللطائف المعنوية والروحية بعد وزنها أيضا بميزان دقيق حسب حاجة الذبابة<sup>1</sup>، كما تظهر فرديته وأحديته سبحانه وتعالى من خلال التأمل في هذا الكون المخلوقات سواء الكبيرة أو الصغيرة، ففي نظامها المتقن الكامل انسجاما مطلقا يلغي العبثية والصدفة لدرجة الصفرويدل دلالة قاطعة على فرديته سبحانه وتعالى ولو اسند الأمر إلى غيره لوجد الخل وعدم التوازن.

من جهة أخرى هذا النظام المتقن المتوازن تقابله الإدارة الشاملة والتدبير الجيد، بحيث لا ينقصه شيء، فإن كان جمادا فكل كوكب في مكانه يقوم بوظيفته على أتم وجه دون أن يتدخل في نطاق كوكب آخر، إن كان نو حياة فتأتيه الأرزاق رغدا من كل مكان ومن حيث لا يحتسب، بلا انشغال أو ارتباك، ولا خطأ أو نسيان.

كما تتجلى الفردية في تقاسيم البشر وهيئاتهم، في السمات والعلامات الفارقة في وجوههم والمرسومة بدقة متناهية بل وميّز كل فرد منهم ببصمة خاصة لا يشاركه فيها أحد، صيانة لحقوق الناس ومنعا للالتباس بينهم في الصحة والمرض، يقول النورسي رحمه الله: "فالذي لا يستطيع أن يضع تلك العلامات في كل وجه، ولا يكون مطلقا على جميع الوجوه السابقة واللاحقة منذ آدم عليه السلام إلى يوم القيامة لا يمكنه أن يمد يده من حيث الخلق والإيجاد ليضع تلك الفوارق المميزة الهائلة في ذلك الوجه الصغير.. نعم إن الذي وضع في وجه الإنسان ذلك الطابع المميز وتلك الآية الجليلة بتلك العلامة الفارقة، لا بد أن أفراد البشر كافة هم تحت نظره وشهوده، وضمن دائرة علمه حتى يضع ختم الفردية والأحدية في ذلك الوجه، بحيث أنه مع التشابه الظاهر بين الأعضاء الأساس كالعيون والأنوف وغيرها من الأعضاء، لا تتشابه تشابها تاما، بسبب علامات فارقة في كل منها"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> \_النورسي: للمعات، ص 547

<sup>2</sup> -النورسي: للمعات، ص442

يعتقد النورسي أن تجلي الفردية والأحدية لا ينحصر في الكون والخلق والإيجاد، بل يتجاوز إلى العلاقة الموجودة بين الخلق والخالق وفي سر الاستناد عليه والتوكل الحقيقي، إذ يكتسب المتوكل حق التوكل المستند إلى خالقه الواحد طاقة عمل تفوق طاقته العادية ويستطيع إنجاز أعمال لم يكن لينجزها بمفرده، إذ يقول رحمه الله: "قوة الاستناد هي التي تجعل النملة الصغيرة تقدم على إهلاك فرعون عنيد، وتجعل البعوضة الرقيقة تجهز على نمrod طاغية، وتجعل الميكروب البسيط يدمر باغيا أثيما، كما تمد البذرة الصغيرة لتحمل على ظهرها شجرة صنوبر باسقة شاهقة، كل ذلك بسر الانتساب وبسر ذلك الاستناد"<sup>1</sup>.

**تجلى اسم الله "الحي":** يتجلى هذا الاسم العظيم على الكون قاطبة، ولولا "الحي" سبحانه لما وجدت الحياة أصلا ولما كان لها معنى في الوجود، ومظاهر الحياة الإلهية كثيرة كالعلم والقدرة والإرادة والإدراك والسمع والبصر، فالحياة هي نور الوجود وكاشفة عنه كما أن الموت هو نقض للوجود وظلمة له، والحياة هي التي تجعل المخلوق الحي الواحد مالكا لكل ما حوله، فالإنسان مثلا بمجرد مجيئه للحياة يمتلك أشياء فيقول: "الدنيا مسكني والكون مسخر لي والكائنات ملك أعطانيه خالقي"، فان كان الإنسان العاجز الفقير إلى ربه يحس بهذا الإحساس حين يمتلك الحياة القصيرة جدا، "فالحي" سبحانه وتعالى الباقي هو المالك الحقيقي لكل الموجودات، ويعتقد النورسي رحمه الله أن الحياة هي أعظم تجل من تجليات اسم الله "الحي"، ويقرب لنا النورسي ها المفهوم بمقارنة بسيطة بين الجمادات والأحياء بقوله رحمه الله: "أنظر إلى الجبل وليكن جبلا شاهقا، تراه غريبا يتيما وحيدا، إذ تنحصر علاقته وصلته بمكانه وما يتصل به من أشياء فقط، وما يوجد من الكائنات الأخرى معدومة بالنسبة إليه، وذلك لأنه ليس له حياة حتى يتصل بها ولا شعور حتى يتعلق به، ثم انظر إلى جسم صغير حي كالنحل مثلا، ففي الوقت الذي تدخل فيه الحياة يقيم عقدا وصلة مع جميع الكائنات والموجودات، وخاصة مع نباتات الأرض وأزهارها بحيث يمكنه القول: إن جميع الأرض هي حديقتي ومتجري، فالحياة وحدها هي التي أعطت النحل فرصة التعرف وإمكانية الأُنس والتبادل مع أكثر الموجودات في الدنيا"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> \_النورسي: اللغات، ص 545

<sup>2</sup> -النورسي: اللغات، ص 597

**تجلي اسم الله "القيوم":** يفيد قيام الله سبحانه وتعالى بنفسه استغناءه عن سواه، واقتدار غيره إليه، فهو سبحانه وتعالى تكفل بحفظ ومراعاة والاعتناء بكل الموجودات، وكل ما في الوجود على حد تعبير النورسي. يشير بقوة إلى تجلي اسم الله "القيوم" فقيام الأجرام السماوية في هذا الكون ودوامها وبقاؤها إنما مشدود بسر القيومية، ولو صرف قيوميته لأقل من دقيقة لتبعثرت تلك الأجرام التي تفوق في ضخامتها الكرة الأرضية، يقول النورسي رحمه الله: "الله قائم بذاته، دائم بذاته، باق بذاته، وجميع الأشياء والموجودات قائمة به، تدوم به وتبقى في الوجود به، وتجد البقاء به، فلو انقطع هذا الانتساب للقيومية من الكون بأقل من طرفة عين يمحي الكون كله"<sup>1</sup>، ويقدم لنا أمثلة وشواهد كثيرة من الكون على قيوميته سبحانه وتعالى، فمثلما نفهم قدرة من يسير طائرات ضخمة في السماء بحيث تبقى ثابتة منتظمة حتى وصولها نفهم كذلك قدرة "القيوم" سبحانه وتعالى على إبقاء الأجرام السماوية في أثير الفضاء بلا عمد ولا سند قائمة دائمة منقادة في نظام متقن، ونفس الشيء يقال على ذرات الموجودات بصفة عامة والأحياء بصفة خاصة، ففي تبعثر الذرات وتجمعها في كل عضو من أعضاء الجسم الحي على الهيئة التي تناسبه، وبقائها محتفظة بوظيفتها أمام العناصر الأخرى دون تشتت دليل على قيوميته سبحانه.

تمتد القيومية إلى الأحوال والهيئات من صحة ومرض ورزق وحفظ ولولا هذه القيومية لتلاشت الموجودات كلها.

**تجلي اسم الله "الباقي":** البقاء يعني ثبات الله سبحانه وتعالى أزليا وأبديا، أن البقاء يحتوي والقدم واستمرار الوجود في المستقبل إلى غير نهاية، والإنسان يذكر هذا الاسم كثيرا لحظة الموت فيقول: "البقاء لله"، وهو اسم يحمل الكثير من التجليات لما يحمله الإنسان من نقص وضعف فهو أشد المخلوقات حاجة لاسم الله "الباقي" وحين يتوجه له سبحانه فيقول: يا باقي هو يعلن استغناءه عن كل ما هو فان في الدنيا والتجاءه إليه سبحانه وتعالى وقطع الصلة مع المحبوبات الفانية، وإذا كان بقاء الموجودات موكول بإبقائك إياها، فلا تكون محبتها إلا من خلال نور محبتك وضمن مرضاتك، لأن حبها لشخصها زائل وحبها فيك باق، يقول النورسي رحمه الله: "لكن الإنسان عندما يدعوا ربه قائلا يا باقي يعلن البراءة الكاملة من هذا

<sup>1</sup> \_النورسي: اللغات، ص 575

التقصير وقطع العلاقة مع المحبوبات الفانية والتخلي عنها كلياً قبل أن تتخلى هي عنه، ثم تسديد النظر في المحبوب الباقي وهو الله تعالى<sup>1</sup>.

**تجلي اسم الله "القدوس":**

إن كان اسم الله "القدوس" يعني التنزه من العيوب والنقائص والأنداد والصاحب والولد، فإنه يتجلى بوضوح في الطبيعة وهذا الوجود كله إشارات واضحة على اسمه القدوس، ففعل التنظيف الدائم في الوجود تجل لهذا الاسم، وتطهير الكون التي هي وظيفة من وظائف الكائنات سواء البرية أو البحرية أو الجوية، حتى الجمادات تقوم بهذه الوظيفة من كريات حمراء وبيضاء دفاعية وهجومية، حتى الرياح والسحاب ..

يقول النورسي رحمه الله: "لولا المراقبة المستديمة للنظافة والعناية المستمرة بالطهر، لكانت تختنق على سطح الأرض مئات الآلاف من الأحياء خلال السنة، ولولا تلك المراقبة الدقيقة والعناية الفائقة في أرجاء الفضاء الزاخرة بالنجوم والكواكب .. لكانت أنقاضها المتطايرة في الفضاء تحطم رؤوسنا ورؤوس الأحياء الأخرى.. ولولا التنظيف الدائب والتطهير الدائم على سطح الأرض لكانت الأنقاض والأوساخ والأشلاء الناتجة عن الحياة والموت الذين يصيبان مئات الألوف من أمم الأحياء، تملأ البر والبحر و لكانت القذارة تصل إلى حد ينفر كل من له شعور أن ينظر إلى وجه الأرض الديميم"<sup>2</sup>، وحين تصدر أوامر التطهير والتنظيف في الكون تصبح الموجودات كلها \_أحياء وجمادات\_ عمال نظافة من رياح هوجاء وسحاب ثقال وأمطار، إلى الحيتان في البحر والصقور في الجو والديدان في جوف الأرض، وحتى الكريات الحمراء والبيضاء في الجسم الكائن الحي، بل الرموش الرقيقة تؤمر بتطهير العين باستمرار، وكلها تجليات لاسم الله القدوس.

**تجلي اسم الله "العدل":** الملاحظة البسيطة للكون تظهر تجلي اسم الله "العدل" من خلال التوازن الكامل بين أجزاء الكائنات فلا تفاوت ولا اختلاط، فحتى أجهزة الجسم متوازنة متناسبة في الخلق، والسموات والأرض والنور والظلام والموت والحياة والحرارة والبرودة، كلها موزونة بميزان دقيق، وينعدم رؤية إسراف أو تقصير، يقول النورسي رحمه الله: "إن

<sup>1</sup> \_النورسي: للمعات، ص 22

<sup>2</sup> \_النورسي: للمعات، ص 518

منح كل شيء وجودا بموازين خاصة، وبالباسه صورة معينة، ووضعها في موضع ملائم، يبين بوضوح أن الأمور تسير وفق عدالة وميزان مطلقين، وكذا، إعطاء كل ذي حق حقه وفق استعداده ومواهبه، أي إعطاء كل ما يلزم وما هو ضروري لوجوده، وتوفير جميع ما يحتاج إلى بقاءه في أفضل وضع، يدل على أن يد عدالة مطلقة هي التي تسير الأمور<sup>1</sup>، فكما اقتضت عدالة الله سبحانه وتعالى هذه الموازنة العادلة في الكون والموجودات، فهي كذلك تقتضي عدالة معنوية في الأفعال و الحشر ويوم القيامة والحساب والعقاب، وهذه الموازنة الكونية العظيمة هي في حد ذاتها تجل لاسم الله "العدل" فتظهر حركة الوجود منتظمة لدرجة تصعب على الفهم البشري فيقف أمامها حائرا.

**تجلي اسم الله "الحفيظ":** يقول النورسي رحمه الله: "أمن الممكن لحفيظ رقيب يحفظ بانتظام وميزان ما في السماء والأرض، وما في البر والبحر من رطب ويابس، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ألا يحافظ ولا يراقب أعمال الإنسان الذي يملك فطرة سامية، ويشغل رتبة الخلافة في الأرض ويحمل مهمة الأمانة الكبرى؟ فهل يمكن أن لا يحافظ على أعماله التي تمس الربوبية؟ ولا يفرزها بالمحاسبة؟ ولا يزنها بميزان العدالة؟ ولا يجازي صاحبها بما يليق به من ثواب وعقاب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا".

لوالقينا بنظرنا حولنا للاحظنا ثباتا مذهلا في أداء الوظائف وإتقانا عجيبا في العمل، وتسريح بعد القيام بالوظيفة، فمن تكفل بحفظ هذه الموجودات مدة تواجدها في الكون؟

إن حفظ الموجودات في الكون مدة بقاءها هو تجل من تجليات اسمه "الحفيظ"، فلو أخذنا بذرة وزرعناها في باطن الأرض ثم سقيناها، ثم عدنا لها في مرحلة النضج لوجدنا تلك البذرة تحولت لثمرات أو أشجار تمدنا بكل أنواع الخيرات، وهذا يعني أنها كانت محفوظة من "الحفيظ" سبحانه وتعالى لأداء وظيفتها على أتم وجه، أما الإنسان العاقل فعليه أن يتدبر هذه التجليات جيدا ويدرك ماهيته الحقيقية التي يحفظه الله سبحانه وتعالى من أجل أدائها على أتم وجه، وان لا يضيع الأمانة التي حمّله إياها.

تجليات اسم الله "الحفيظ" تتجاوز الموجودات إلى إظهار التجلي الأعظم وهو يوم الحشر \_حسب رأي النورسي\_ فكمال الحفظ هو الجزاء الذي سيناله خليفة الله في الأرض يوم

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 70

الحشر، يقول النورسي رحمه الله: "إن ميلاد الزهور والنباتات يعلن الأمثلة والدلائل ما يؤكد على أن الأشياء جميعها ولا سيما الأحياء لم تخلق لتنتهي إلى الفناء، ولا لتتهي إلى العدم، ولا لتمحى إلى غير شيء، بل خلقوا للمضي قدما إلى البقاء، وللدخول بتزكية أنفسهم إلى عالم الحياة الخالدة"<sup>1</sup>.

**تجلى اسمي الله الرحمن الرحيم:** الرحمن دال على صفة ذاتية لله تعالى وهو الموصوف بالرحمة، فمرة تأخذ معنى الصفة مثل قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ومرة تأخذ معنى الموصوف مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ والرحمة تلم بصفات كثيرة كالحنان والجود والبر والإحسان والمنة، والرحمن أخص من الرحيم فهو العطوف على عباده بالإيجاد والهداية والإيمان والسعادة، والرحمة عامة لجميع المخلوقات وخاصة للمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةٍ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ١٥٦﴾<sup>2</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ۖ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٥٦﴾<sup>3</sup>.

إن الكون بصفة عامة والإنسان بصفة خاصة مخلوقات تظهر تجليات إسم الله الرحمن إظهارا تاما، فمن رحمته سبحانه وتعالى أن رفعنا إلى مجلسه دون واسطة في الصلوات الخمس وجعلنا عبادا مكرمين محبوبين عنده. ومن أسطع تجليات إسمه الرحمن من أرسله رحمة للعالمين، هاديا لجميع عباده صلى الله عليه وسلم وجعل الصلاة عليه فقط شفيعة لنا يوم القيامة، يقول النورسي رحمه الله: "إن اسم "الرحمن" الذي هو من أعظم أسمائه سبحانه وتعالى يعقب لفظ الجلالة "الله" الذي هو الاسم الأعظم والإسم العلم للذات الأقدس، فهذا الاسم "الرحمن" يشمل برعايته الرزق، لذا يمكن الوصول إلى أنوار هذا الاسم العظيم بالشكر الكامن في طوايا الرزق، علما بأن أبرز معاني "الرحمن" هو الرزاق"<sup>4</sup>، وهذا الإسم العظيم يتجلى في كل ذرة من ذرات الوجود ولولا هذه الصفة العظيمة لكان الكون كله غارقا في

<sup>1</sup> \_النورسي: الشعاعات، ص 269

<sup>2</sup> \_سورة الأعراف، الآية 156

<sup>3</sup> \_سورة الأعراف الآية 56

<sup>4</sup> \_النورسي: المكتوبات، ص 462

ظلمات العجز والضعف والفقر والحاجة، ويستخدم النورسي أسلوب ضرب الأمثال دائماً مبينا لنا هذه التجليات العظيمة، ففي عالم الحيوانات نتأمل عجز صغارها وضعفها وقلة حيلتها وعوزها وجوعها وحين تشرق عليها شمس الرحمة من ناحية جانب الرزق يتتور ذلك العالم بنور الرحمة الإلهية، وحين نتأمل مرضها وقربها من الموت وألمها الشديد يذهب "الرحيم" ذلك الألم من جانب اللطف والشفقة فيحوّله إلى عالم بهيج حلو لطيف، أما عالم الإنسان المعرض لهجمات ومصائب من كل جانب فهو في كل حركة يرى الموت والقبر والألم والفراق، مع ذلك حين تشرق عليه تجليات الأسماء الحسنى تتلاشى تلك المصائب ويعيش سعادة الدارين، يقول النورسي رحمه الله: "فما إن رأيت عالم الإنسان غارقاً في مثل هذه الظلمات حتى تهيأت جميع لطائف الإنسانية مع القلب والروح والعقل، بل جميع ذرات وجودي للبكاء والاستغاثة، وإذا باسم الله "العادل" يشرق من برج "الحكيم" وباسم "الرحمن" يشرق من برج "الكريم" وباسم "الرحيم" يشرق من برج "الغفور" وباسم "الباعث" يشرق من برج "الوارث" وباسم "المحيي" يشرق من برج "المحسن" وباسم "الرب" يشرق من برج "المالك"، فنورت هذه الأسماء الإلهية عوالم كثيرة جداً ضمن عالم الإنسان، وفتحت نوافذ من عالم الآخرة المنورة، ونثرت أنواراً ساطعة على دنيا الإنسان المظلمة"<sup>1</sup>.

**تجلى اسم الله "الجميل" :** إن الجمال المنثور في الطبيعة هو في ذاته تجلي لاسم الله سبحانه وتعالى "الجميل"، كل الإشارات العلمية الموجودة في الطبيعة هي تجلي لاسمه سبحانه، الألفة الميتافيزيقية والعلاقة الحميمية بين الذرات والأكوان، تجلي له ما أعظم شأنه، اجتياز الملك والملكوت بالعقل والروح من العالم المنظور إلى العالم المعقول إلى عالم الغيب تجلي عظيم من تجليات هذا الاسم الجميل، بالإحساس لا باللمس، بالوجدان لا بالعين المجردة، بالروح لا بجسد، هذا الجمال المنثور يكشف لنا عن عظمة الخالق الجليل.

يتجلى اسم الله الجميل في كل أرجاء الكون وكل موجود فيه يحمل هذا الاسم ومن يتأمل الكون الجميل يحس بوجوده ويتأكد بعقله أن الجمال الظاهر في الكون نسبة ضئيلة من عالم أجمل خفي هو موطن الحسن الحقيقي، وهذا الشعور يورث شوقاً عجبياً إلى هذا العالم الحقيقي وجماله بل يتشوق للقاء الجليل الجميل، يقول النورسي: " فكل إنسان يشعر في

<sup>1</sup> \_النورسي: المكتوبات، ص 520

وجدانه لهفة شديدة لرؤية سيدنا سليمان الذي أوتي الكمال ويشعر أنه بشوق عظيم نحو رؤية سيدنا يوسف عليه السلام الذي أوتي شطر الجمال، فيا ترى كم يكون مدى الشوق واللهفة لدى الإنسان لرؤية جمال مقدس وكمال منزه<sup>1</sup> الذي من تجليات ذلك الجمال والكمال الجنة الخالدة بجميع محاسنها ونعيمها وكمالاتها التي تفوق بما لا يحد من المرات جميع محاسن الدنيا وكمالاتها"، سر هذا الإسم العظيم هو أنه يجعل الكون كله يلهج بذكر الله ويعرف بجماله ويعلن عن بهائه فيصبح الإنسان في جميع حالاته في كنف جمال معنوي ولذة روحية فتارة يشكر عرفانا بالجميل وتارة يصبر ردا للجميل، فيتوجه إلى الكون وخالق الكون بالمحبة الدائمة وتتعكس هذه الصورة عليه\_الإنسان\_ فيكون جميلا في شكله ومظهره وأخلاقه وسلوكه وتفكيره.

**تجلي إسمي الله "الكريم":** يقول النورسي رحمه الله: "إن الدليل القاطع على أن الرزق الحلال يعطى حسب الإفتقار، ولا يؤخذ بقوة الكائن وقدرته، هو سعة معيشة الصغار الذين لا حول لهم ولا قوة، وضيق معيشة الحيوانات المفترسة... فالرزق إذن يأتي متناسبا عكسيا مع الاختيار والقدرة، أي كلما اعتمد الكائن على إرادته ابتلي بضيق المعيشة وتكاليفها ابتلاء أكبر"<sup>2</sup>.

والدليل على أن الرزق يأتي بالافتقار لا بالافتقار هو سعة رزق الصغار الذين لا طاقة لهم ولا حول كالرضع من الكائنات الحية، والشيوخ الكبار والمرضى، وضيق معيشة الحيوانات المفترسة وركض الإنسان الشقي في هذه الدنيا ركض الوحوش وفي الأخير لا ينال إلا نصيبه، فالكريم الجواد هو الذي يمنح الرزق حسب التوكل، فكلما اعتمد الكائن الحي على إرادته وحدها ابتلي بضنك العيش وتكاليفها الشاقة والعكس صحيح.

**تجلي اسم الله "السميع":** يسمع الله تعالى تسبيح كل ذرة طائفة له في الأكوان، ويسمع نوايا القلوب ومقاصد الضمائر، ويعلم سبحانه السر والنجوى، والسمع له دلالات كثيرة منها:

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 764

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 66

\_ الإدراك كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكَ إِلَى اللَّهِ  
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>1</sup>.

\_ الفهم والعقل كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْنَا وَقُولُوا نُنْظَرْنَا  
وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>2</sup>.

\_ الإجابة مثل قولنا في الصلاة "سمع الله لمن حمده".

\_ القبول والإتباع كما قوله تعالى: ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ﴾<sup>3</sup>

ومن آثار تجليات اسم الله "السميع" المراقبة الذاتية وإحياء الضمير واستشعار وجود الله  
بسمعه لنا دائماً حتى تسموا عبادته لدرجة الإحسان، يقول النورسي رحمه الله: "كيف نعرف  
ذلك الإله الواحد؟ فيجيبه بقوله: "هو السميع البصير" فيقول في هذا: إن هناك من يرى  
ويسمع حاجات هذه الموجودات وادعيتها فيخلق ما تطلبه ويفعل ما تريده، وهكذا مثل هذه  
الآثار، تثبت الأفعال الإلهية، وتلك الأفعال تثبت أسماء كالسميع البصير وتدل تلك الأسماء  
على وجود موصوفاتها"<sup>4</sup>، ولما كانت دلالة السمع على الاستجابة لا يجوز أن نشرك الله  
السميع المجيب الدعاء والطلب إذ يقول النورسي رحمه الله: "وهو السميع لندائي لذا فلا أطلب  
إلا منه وحده، فهو يسمع أصوات الموجودات كلها، ولا بد أنه يسمع صوتي وندائي  
أيضاً.. وهو الذي يدير الأمور كلها فلا أنتظر تدبير أدق أموري إلا منه وحده"<sup>5</sup>

\_ تجلّي اسم الله "البصير": إن الله سبحانه وتعالى يبصر أحوال عباده دقها وجلّها ظاهرها  
وباطنها سرها وعلاقتها، ومن ثمرات تجلي هذا الاسم العظيم الحياء والإخلاص والإتقان من  
خلال استشعار معية ومراقبة الله لعباده، الأمر الذي يجعل العبد في حماية خالقه من

<sup>1</sup> \_سورة المجادلة الآية 1

<sup>2</sup> \_سورة البقرة الآية 103

<sup>3</sup> \_سورة المائدة الآية 43

<sup>4</sup> \_النورسي: اللغات، ص 446

<sup>5</sup> \_النورسي: المكتوبات، ص 37

الانحراف والردائل، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝٢٥﴾<sup>1</sup>،

تجلى إسمي الله الجواد والكريم: يقول النورسي رحمه الله: "إن تزيين وجه العالم بهذه المصنوعات الجميلة اللطيفة، وجعل الشمس سراجا، والقمر نورا، وسطح الأرض مائدة للنعم، وملاها بألذ الأطعمة الشهية المتنوعة، وجعل الأشجار أواني وصحافا تتجدد مرارا كل موسم... وإن تجلى ذلك الحسن الباهر المنزه وذلك الجمال الباهر المقدس يشير إلى كنوز كثيرة خفية موجودة في الأسماء الحسنی، بل في كل اسم منها"<sup>2</sup>.

تجلى اسم الله "اللطيف": إن الكون بأفلاكه وذراته هو تجل لهذا الاسم، والإنسان بأعضائه وقدراته والوجود كله محاط بالطف العناية الإلهية:

أليس من لطف الله أن خلق لنا خيرات الأرض جميعها، وجعلنا خلفاء فيها، وشرفنا بهذه الخلافة؟ أليس من لطف الله بنا أن جعل الليل والنهار والفصول الأربعة والشمس ضياء والقمر نورا؟ أليس من لطف الله أن رزق الأجنة في البطون والحيتان في البحار والطيور في الغابات؟ أليس من لطف الله أن أنزل علينا القرآن وبعث فينا نبيا رسولا، وإلا كنا مجرد حيوانات نهيم في التيه والضلالة؟

تجلى اسم الله "العزیز": العز في الأصل القوة والشدة والغلبة، وهو نقيض الذل وهو أكثر ما يحتاجه الإنسان في حياته حتى يكون لائقا بالخلافة في الأرض، والعزیز صفة كمال رباني ملازمة لله سبحانه وتعالى، و هو القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣٦﴾<sup>3</sup>.

ويتجلى اسم الله "العزیز" في شهادة المخلوقات، فكل يعتز بما منحه الله سبحانه وتعالى من نعم كبيرة يستطيع أن يدافع عن نفسه، ولا يتذلل إلا لخالقه الذي منحه العزة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾<sup>4</sup>، هذا

<sup>1</sup> -سورة الشورى الآية 26

<sup>2</sup> -النورسي: الكلمات، ص 72

<sup>3</sup> -سورة الجاثية الآية 36

<sup>4</sup> -سورة المنافقون: الآية 8

التجلي العظيم الذي منح العزة للمؤمنين أنتج لنا الجيل العظيم، جيل الخلفاء والفتاحين الذين رباهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعزة والشموخ، وقد جمع بين القوة العلمية والعملية دون التذلل لأحد مهما بلغت قوة علمه وعمله، فلا يتحقق العز إلا بالعبودية التامة "للعزيز" والاستغناء عن عبودية غيره مهما كانت مكانته وسلطته لأنه سبحانه المتفرد بالعز والكبرياء.

**تجلي اسم الله "العليم":** الكون الفسيح بما فيه من موجودات تجل من تجليات اسم الله وعلوم الحياة كلها لا تستمد إلا من "العليم" سبحانه وتعالى، وكل ما نراه ونشاهده من ثمرات العلم والاكتشافات العلمية الحديثة مستمد من قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾<sup>1</sup>، وعلم الله محيط بكل شيء فهو علم كامل شامل لا ينفذ ولا يتناهى وله الكمال الأبدي لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾<sup>2</sup> ١٠٤.

يقول أبو حامد الغزالي: "من كمال الله أن يحيط علما بكل شيء ظاهره وباطنه، دقيقه وجليله، أوله وآخره، عاقبته وفتاحته"<sup>3</sup>، ولا غرو أن اسم الله العليم مستغرق لكل علم، فهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والأسرار والإعلان والواجبات والمستحيلات والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي وبالماضي والحاضر والمستقبل فلا يخفى عليه شيء من الأشياء"<sup>4</sup>، فقد قرن اسمه العليم بكل شيء وأثبت له الأزلية والأبدية والأولية والآخرية، أما علم الإنسان فهو طارئ على وجوده حيث لم يخلق عالما بل متعلما، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾<sup>5</sup>، وباسم الله العليم يتمكن الإنسان من كشف أسرار الخلق، والجمع بين علوم الدين وعلوم الطبيعة أساس التقدم إذ لا بد من تزويد النشء المسلم بالأدلة العلمية والعقلية لمواجهة المد الإلحادي الذي يشكك في الحقائق الدينية ويرى أنها تتعارض مع العلم

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية 255

<sup>2</sup> سورة الكهف الآية 104

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي : المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، د.ت محمد عثمان، مكتبة القرآن، القاهرة، ص 81 د.ت.

<sup>4</sup> ابن سعدي: عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا الويحيق،

الطبعة الأولى القاهرة، 2001 ، ص 5/299

<sup>5</sup> سورة العلق، الآيات 1\_5

وهو أكبر أكاذيب الملحدين لأن الخالق سبحانه وتعالى هو "العليم"، وهذا ما اعترف به أكبر الملاحدة حين سبروا أغوار العلم قائلًا: "أينما اتجهت ببصري في دنيا العلوم رأيت أدلة على التصميم والإبداع على القانون والنظام على وجود الخالق الأعلى"<sup>1</sup>.

من تجليات اسم الله "العليم" في الكون تلك القدرة الهائلة على التغيير والإصلاح، فأول كلمة نزلت على الحبيب المصطفى ليكون رسولاً وقائداً مغيراً ومصالحاً كانت كلمة "اقرأ"، فالعالم المتعلم يستطيع القيادة بدون أخطاء لأنه متسلح باسم الله العليم، فقد اتبع موسى عليه السلام "الخضر" رغم أنه كان نبياً، لكن الخضر كان يمتلك العلم لقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ٦٤ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ آتَيْتَكَ عَلِيًّا أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ٦٥ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٦٦ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ٦٧ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ٦٨﴾<sup>2</sup>، والعلم في حد ذاته هداية وكلما تعمق العلماء في دراسة الكون ازدادوا إيماناً وخشية من الله العليم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾<sup>3</sup>، والعلم مقدم على المال والملك ويكسب صاحبه الطاعة والتوفيق والبركة ونلمس فضل العلم في الحديث الشريف: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإن طالب العلم لتستغفر له ما في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"<sup>4</sup>.

ويقول النورسي رحمه الله: "الله أكبر من كل شيء قدرة وعلماً إذ هو العليم بكل شيء بعلم محيط لازم ذاتي.. فالانتظام الموزون والاتزان المنظوم والحكم القصدية العامة، والعنايةات المخصوصة الشاملة والأفضية المنتظمة، والأقدار المنتظمة، والآجال المعينة والأرزاق

<sup>1</sup> نخبة من العلماء الأمريكيين: الله يتجلى في عصر العلم، تر. الدمرداش عبد المجيد سرحان، ص 145

<sup>2</sup> سورة الكهف، الآية 63\_68

<sup>3</sup> سورة فاطر الآية 28

<sup>4</sup> رواه أحمد في مسنده، وانظر صحيح الترغيب والترهيب للشيخ ناصر الدين الألباني، وابن ماجه في المقدمة باب فضل

العلماء والحث على طلب العلم، ص 223

المقننة والإتقانات المفننة والاهتمامات المزيّنة، وغاية كمال الانتظام والانسجام والاتساق والإتقان والاتزان والامتياز، دالات على إحاطة علم علام الغيوب بكل شيء، فنسبة دلالة حسن صنعة الإنسان على شعور الإنسان إلى نسبة دلالة حسن خلقه الإنسان على علم خالق الإنسان<sup>1</sup>.

والعلم في نظر النورسي اتخذ موقعا ضمن مئات الآيات القرآنية، فهو صفة جليّة من صفات الله سبحانه وتعالى وتجلياته واضحة في الكون كوضوح الشمس من ثمرات ونظام متقن معجز سواء في خلق الإنسان أو في الكون بأسره، ويقدم لنا أمثلة كثيرة توضح لنا تجليات علمه الواسع والمعجز، كالنطف والبيوض والبذور والنوى التي تملك نظاما دقيقا آت من العلم وتحمل تنظيما لما تتضمنه من مخلوقات.

**تجلى اسم الله "البديع":** البديع صفة لله تعالى لإبداعه الأشياء من العدم لقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَيْتُ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>2</sup>، "والبديع هو الذي لا يماثله أحد في صناعته ولا في حكم من أحكامه أو أمر من أوامره فهو المحدث الموجد على غير مثال، فتربوا في بديع صنعه وبلغ حكمته حتى يستقر إيمانك ويزداد"<sup>3</sup>، وتجليات اسم الله "البديع" متناثرة في الكون، مما نراه من بدائع الجمال العامة والخاصة، وخلق السموات والأرض وتعاقب الفصول، فالتأمل في هذا الإبداع يذهل العقول ويهز المشاعر ويأخذ بالألباب، ولو استطعنا تجسيد تجليات هذا الاسم في أنفسنا لكان أقوى وسيلة للدخول في الإسلام مباشرة، فتأمل السماء بنجومها والسحاب الثقيل بما يحمله من عجائب، والبحار والجبال والرمال والشروق والغروب، فالكون كله تجلي من تجليات البديع سبحانه.

والإبداع لا بد أن يرتبط بالعقيدة الإسلامية حتى لا ينحرف عن جادة الصواب، وما لا حظه النورسي رحمه الله أن المدنية الغربية حين انحرفت عن الدين والعقيدة، وجّهت إبداعاتها توجيها خاطئا، كونها سخرت لخدمة الإنسان فقط دون التوجه لرضا الله البديع سبحانه وتعالى، فانقلبت إلى دمار وخراب يهوي بالإنسانية فكانت إبداعاتهم وبالاعليهم،

<sup>1</sup> \_النورسي: الشعاعات، ص 640

<sup>2</sup> \_سورة البقرة الآية 116

<sup>3</sup> \_ابن منظور: شرح أسماء الله الحسنى، جمع وإعداد قسم التحقيق، دار الصحابة للتراث بطنطا، 1412هـ، ص150

فالاختراعات والاكتشافات العلمية والتقنية والطبية تستخدم الآن في الحروب وفي القضاء على الأمم والشعوب، وهذا يعني أن الإبداع لا بد أن يكون مقيدا بالروح العلمية المسلمة المؤمنة، ويقول النورسي رحمه الله: "إن كل ما نشاهده من مشاهد إنما هي بمثابة آية تدل على ذلك الصانع البديع، تقول بلسان حالها: نحن من إبداع من أبداع هذا العالم بسهولة مطلقة كما أوجدنا بسهولة مطلقة"<sup>1</sup>.

**تجلى اسم الله "القدير":** هذا الاسم الجليل دلالة علة قدرته سبحانه وتعالى على إصلاح الخلائق على وجه لا يقدر عليه غيره، وله القدرة على إيجاد المعدوم وإعدام الموجود على قدر ما تقتضيه الحكمة لا زائدا عليه ولا ناقصا عنه"<sup>2</sup>، لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>3</sup>.

يتجلى اسم الله "القدير" في هذا الانتساب العجيب له سبحانه وتعالى بالفطرة، وأنه قادر على قهر المتكبرين الطغاة الفراعنة الذين يظنون أنهم قادرين في الأرض، كما فعل مع فرعون مصر وقوم عاد وثمود، فاليقين والسكينة التي يحس بها المسلم المؤمن مستمدة من اسم الله "القدير"، وحتى في تربية الأبناء، استشعار هذا الاسم في نفوس المربين يجعلهم رحماء بأبنائهم، فهو قادر على إصلاحهم بالدعاء لهم لا بضربهم، لقول النبي صلى عليه وسلم لابن مسعود حين رآه يضرب غلامه: إن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام"<sup>4</sup>.

قدرة الله سبحانه وتعالى تتجلى في مخلوقاته في الكون الواسع والإنسان الواعي، وهذا ما يجعل الإنسان يلجأ للقدير وحده دون غيره، مع الخضوع والتذلل له لأنه وحده القادر على حل مشاكله وإصلاح أموره وإنقاذه من الموت المحيط به من كل جانب، وهي طريقة من طرق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، من خلال النظر في دلائل القدرة الإلهية في الطبيعة سواء في خلق السموات والأرض وبث الدواب في أنحاء الأرض، منهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين وعلى أربع و أو في خلق الإنسان من نطفة ثم علقه ثم مضغة فسبحان القدير، وهذه أدلة على البعث والنشور لأن من يخلق من العدم سيحيي

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 314

<sup>2</sup> \_ابن منظور: شرح أسماء الله الحسنى، ص121

<sup>3</sup> \_سورة الحج الآية 6

<sup>4</sup> \_رواه مسلم في صحيحه: 1659

الموتى وبيعهم من جديد، كما يقول عز وجل: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۚ ۓ بَلِي قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۗ﴾<sup>1</sup>.

يعتقد النورسي أن أكبر تجل من تجليات اسم القدير هو النبي عيسى عليه السلام، فهو الموجد من العدم سبحانه، ويقول النورسي رحمه الله: "إن كل شيء في الوجود يشهد على وجوب وجود القدير المطلق من جهتين:

الأولى: قيامه بوظيفة تفوق طاقته المحدودة بآلاف المرات، مع أنه عاجز عن ذلك، فيشهد بلسان عجزه إذن على وجود ذلك القدير المطلق.

الثانية: توافق حركته مع الدساتير التي تكون نظام العالم، وانسجام عمله مع القوانين التي تديم توازن الموجودات، فيشهد بهذا التوازن والانسجام على وجود ذلك العليم القدير"<sup>2</sup>.

تجلى اسم الله "الحكيم": الحكيم هو المحق في تدبيره، اللطيف في تقديره، الخبير بحقائق الأمور العليم بحكمة المقدر فجميع ما خلقه وقدره خير وحكمة وعدل"<sup>3</sup>، فالحكمة صفة كمال لله تعالى تشمل كماله وخلقته وتدبيره وتقديره وعلمه، والحكمة تتجلى في خلقه ومخلوقاته سبحانه وتعالى، حيث لا عيب ولا نقص ولا خلل، لقوله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۗ ٩٠﴾<sup>4</sup>، والتفكر في الاسم الجليل عبادة في ذاتها، تكون بالتفكر في مخلوقات الله والتدبر في هذا الكون الفسيح، وفي هذا التدبر تتجلى حكمة الله في الخلق والتدبير، ويقول النورسي رحمه الله في تفسيره للآية الكريمة: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: "الأشياء وجدت تدريجياً بقدرة عظيمة وعلم محيط وإتقان في الصنع ضمن حكمة بالغة. فما يشاهد في الموجودات من منتهى النظام وغاية الإتقان ومنتهى الحسن في الصنعة وكمال الخلقة، ضمن سهولة وسرعة وكثرة وسعة..والذي يقوم بهذه الأعمال في منتهى

<sup>1</sup> سورة القيامة، الآية 3\_4

<sup>2</sup> النورسي: اللغات، ص176

<sup>3</sup> ابن منظور: شرح أسماء الله الحسنى، ص

<sup>4</sup> سورة النمل، الآية 90

الإتقان وكمال الإنتظام وهي في منتهى الحكمة والعناية وفي منتهى القدرة والإتقان، لا ريب أنه قدير مطلق وحكيم مطلق وبصير مطلق وعليم مطلق"<sup>1</sup>.

والحكمة أساس العلم، وأساس الفعل التربوي، وبدونها يغيب التعلم معرفة ومنهجها وسلوكها، وأعظم تجل من تجليات هذا الاسم الشريف يكون في هذا الميدان، يقول الرازي: "الحكمة وهي اسم لكل علم حسن وعمل صالح، وهي بالعلم العملي أخص من العلم النظري وفي العمل أكثر استعمالاً من العلم، ويقال أحكم العمل إحكاماً إذا أتقنه وحكم بكذا حكماً، والحكمة من الله تعالى خلق ما فيه منفعة للعباد ومصالحتهم في الحال والمآل"<sup>2</sup>.

ومن الحكمة اختيار القائد المناسب في المكان المناسب حتى يحقق الغاية من وجوده، فالالتزامه وإدراكه وحسن فهمه، كل ذلك يؤثر فيمن هم تحت قيادته، فالنجاح لا يقوم صدفة أو علماً دون عمل أو عملاً بدون علم، بل النجاح الحقيقي هو المدعم بالحكمة علماً وعملاً، وتقتضي الحكمة تحديد الأهداف قبل المضي في تجسيدها مع ضبط أساليب تحقيقها، فيبتعد عن الخبط العشوائي، حينها تترجم الأهداف إلى سلوك عملي، وهذا ما قام به النورسي رحمه الله في منهجه الإصلاحية فحق في شخصه تجلي اسم الله الحكيم، إذ يدعو إلى الجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية حتى تتحقق الحكمة التي تنفع البشرية، وهذا ما دعا إليه المودودي قائلاً: "إن أسلمة العلوم الحديثة وإعادة صياغتها وفق أصولنا الإسلامية، وتماشياً مع ثوابتنا الراسخة من أجل القضاء على المفهوم السائد أن الدين شيء والدنيا شيء آخر، وأن كل منها يسير في مجرى يختلف عن الآخر، ورغبة في التوفيق والموائمة لتشيع روح الإسلام في محتوى تلك العلوم وتظهر مظاهر إرادة الله فيما يعرض من أحداث كونية، أو ظواهر طبيعية تتجلى فيها أثر قدرة الله، كما أن هذا طموح نتطلع أن نرى جميع العلوم دينية تحقق العبودية والرضى لله وحده"<sup>3</sup>.

إن النورسي يربط بين الأسماء الحسنى ربطاً وثيقاً وبين تجلياتها في الطبيعة لأنه يدرك أنها عين التفكير والتدبر و هو نوع من أنواع العبادة " الملاحظ أن النورسي يحلل صفات مع

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات، ص214

<sup>2</sup> \_الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1408هـ

<sup>3</sup> \_المودودي: أبو الأعلى، المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم، تعليق محمود مهدي الاسطنبولي، الكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1405هـ ص23

صفات العدل والربط بين هذه الصفات والذات الإلهية، فهي فعلا من أمر التدبير والتدبير في الآيات القرآنية، في آيات الكتاب المقروء وهو القرآن وهي أيضا من التدبير في كتاب الكون الواسع<sup>1</sup>

### المطلب الثالث: التجليات الإنسانية.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحٍ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ ٢٩ ﴾<sup>2</sup>، هذه الآية الكريمة تظهر مكانة الإنسان العظيمة عند الله سبحانه وتعالى، إذ أسجد له الملائكة الكرام وأمر إبليس أن يسجد له و عاقبه بجهنم حين امتنع عن السجود، ولو استشعرنا هذه المعاني لما سقط المؤمن في المعصية أبدا ولما احتقر نفسه أبدا، لأنه في حد ذاته تجل عظيم من تجلياته سبحانه وتعالى، وقد حو الإنسان كل هذه التجليات وهو صورة مصغرة للكون كله.

إن التجليات المودعة في الإنسان هي تجليات رهيبة، فكل أسماء الله التسعة والتسعين مودعة فيه يغطيها الجانب المادي الذي طغى على الإنسان، لكن إذا استطاع مجاهدة شهواته الحيوانية الجسمانية وتجاوزها تجلت الروحانيات في كل جوارحه، لذلك يقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: " من عادى لي وليا فقد آذنته بحرب مني، وما تقرب لي عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لأعطيئن لئن استغفرتني لأغفرن له، ولئن استعاذني لأعيذنه"<sup>3</sup> فتصبح ذات الإنسان ذاتا ربانية، يقول النورسي رحمه الله: "الإنسان هو أرقى معجزة من معجزات قدرته وألطفها، والذي أراد الخالق سبحانه مظهرها لجميع تجليات أسمائه الحسنی، وجعله مدارا لجميع نقوشه البديعة، جلت عظمته، وصيره مثالا مصغرا ونموذجا للكائنات بأسرها"<sup>4</sup> فالإنسان هو وحدة مصغرة لمعرفة حقائق الكون وهو في حد ذاته إشارة لوجود عوالم خفية، كدلالة الذاكرة \_يسمى النورسي بالقوة الحافظة\_ في الإنسان على وجود اللوح

<sup>1</sup> \_الأخضر شريط: أفكار من النور، في الحضارة. في العدل الإلهي. في الأخلاق، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011م، ص43

<sup>2</sup> سورة الحجر الآية 29

<sup>3</sup> \_ رواه الامام البخاري وأحمد بن حنبل والبيهقي

<sup>4</sup> \_ النورسي:الكلمات ص349

المحفوظ في الكون، ودلالة الخيال المبدع في عقل الإنسان على وجود عالم المثلث\_الآخرة\_ ودلالة لطائف الإنسان وقواه الوجدانية على وجود الروحانيات، وكذلك هو وحدة مصغرة لمعرفة حقائق الطبيعة، فعظامه القوية في جسمه تشبه الجبال والأشجار والدم الجاري في عروقه يشبه الوديان والأنهار وعيون الطبيعة، فيصبح الإنسان مؤثرا في كل الموجودات حوله بسر كلمة " بسم الله" التي تحمل سر "كن فيكون" لأن الله سبحانه وتعالى يستجيب للإنسان المخلص لدرجة أن يجعل المستحيل حقيقيا، يقول النورسي رحمه الله: "إن هذه الكلمة الطيبة "بسم الله" كنز عظيم لا يفنى أبدا، إذ بها يرتبط "فكرك" برحمة واسعة مطلقة أوسع من الكائنات، ويتعلق "عجزك" بقدرة عظيمة مطلقة تمسك زمام الوجود من الذرات إلى المجرات"<sup>1</sup> ، فتصبح صفات أسماء الله موجودة في الإنسان حين يتحلى بالعبودية لله والذل والانكسار له والعجز والضعف فلا حول ولا قوة للإنسان إلا بالله سبحانه وتعالى، ولا بد له أن يتخلى عن صفات الكبرياء والحقد والغضب، حينها تتجلى أنوار الصفات والأسماء في هذا الإنسان، ومن هنا تظهر لنا أهمية سجود الملائكة لآدم عليه السلام، لأنه يحمل تجليات أسماء الله الحسنى .

يعرف النورسي الإنسان بأنه أكرم المخلوقات وأشرفها وأنه خاتمة شجرة الكون وبذرتها الأصلية وهو الآية الكونية الكبرى لقرآن الكون...وهو الآية الحاملة لتجليات الإسم الأعظم وهو أكرم ضيف في قصر الكون...وهو الذي يعكس تجليات الأسماء الحسنى ويتجلى فيه الإسم الأعظم، وهو الأكثر فاقة وعجزا من بين أحياء الكون، يقول النورسي: "أعظم آية في كتاب الكون الكبير، وأعظم اسم في ذلك القرآن الكبير وبذرة شجرة الكون وأنور ثمارها، وشمس قصر هذا العالم، والبدر المنور له والدادل على سلطان ربوبية الله، والكشاف الحكيم للغز الكائنات، هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي ضم الأنبياء جميعا تحت جناح الرسالة وحمى العالم الإسلامي تحت جناح الإسلام، فحلّق بهما في طبقات الحقيقة متقدما موكب جميع الأنبياء والمرسلين، وجميع الأولياء والصديقين وجميع الأصفياء والصديقين"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> \_ النورسي: الكلمات، ص 7

<sup>2</sup> \_ النورسي: الكلمات، ص 340

ما من ملمح في تكوين الإنسان، ما من خصيصة في صنعته، إلا ويجد النورسي فيها تجليا من تجليات أسماء الله الحسنى، الخالق، المبدع، الواحد، الأحد، الجميل، يقول رحمه الله: "تأمل في العلامات الفارقة الموجودة في وجه كل إنسان، تلك العلامات التي تميز كل واحد من أبناء جنسه، وأمعن النظر فيما أودع فيه لحمه بديعة من حواس ظاهرة ومشاعر باطنة، الا يثبت ذلك أن هذا الوجه الصغير آية ساطعة للأحدية؟ فكما أن كل وجه يدل بمئات الدلائل\_ على وجود صانع حكيم، ويشهد على وحدانيته، فمجموع الأوجه أيضا، وفي الأحياء كافة، تبين للبصيرة النافذة أنها آية كبرى جليلة للخالق الواحد الأحد"<sup>1</sup>

يقول الأستاذ عشراتي سليمان: "من دلائل قدرة الله التي لا تحد أن الوجه لا يمكن أن إلا ماهية صاحبه، فخطوط الوجه خريطة ربّانية فارقة بين البشر رغم لا محدودية أعدادهم"<sup>2</sup> فوجه الإنسان في حد ذاته صورة جماليه توضح تجليات الأسماء الإلهية، ولو وجدت أعداد لا متناهية من الأفراد السابقين واللاحقين، قلما وجد شخصان متطابقان ولوجد التمايز في قسّمات الوجه، وكأن الوحدة تجلّت في الكثرة، فسبحان الخالق المبدع.

ينتقل النورسي من تجليات الأسماء الإلهية في جسم الإنسان إلى تجلياتها في روحه وفي نفسه ووجدانه وهي عظيمة وجليلة، ويعتقد بأن السمو الحقيقي للإنسان يتم بتوجيه سائر قدراته وقوى الدفع فيه إلى أعلى: القلب والروح والعقل والخيال، فيجلها تشتغل بما يناسبها من عبودية، فيصير إنسانا حقا يليق بحمل الأمانة والخلافة في الأرض، فقد خلقه الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم لكنه يملك استعدادا للهبوط إلى مستوى الشهوات الحيوانية إن أطاع جانبه الحيواني، مثلما يملك استعدادا للترقي والصعود إن أطاع جانبه الروحي، يقول رحمه الله: "نعم أيها الإنسان، إنك من جهة جسمك النباتي ونفسك الحيوانية جزء صغير.. ومخلوق فقير لكنك من حيث إنسانيتك المتكاملة بالتربية الإسلامية المنورة بنور الإيمان المتضمن لضياء المحبة الإلهية، سلطان في هذه العبودية، وإنك كلّ في جزئيتك، وإنك عالم واسع في صغرك، يمكنك القول: إن ربي الرحيم جعل لي الدنيا مأوى ومسكنا، وجعل الشمس والقمر سراجا ونورا، وجعل لي الربيع باقة ورد زاهية، وجعل لي الصيف مائدة

<sup>1</sup> \_ النورسي: الكلمات، ص 784

<sup>2</sup> \_ عشراتي سليمان: جمالية التشكيل الفني في رسائل النور، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2005، ص 185

نعمة، وجعل لي الحيوان خادماً ذليلاً، وأخيراً جعل لي النبات زينة وأثاثاً وبهجة لداري وسكني"<sup>1</sup>.

النفس الإنسانية تستشرف الجمال في كل روحانياتها، في العبادة، في الأخلاق، في الخلوات، فالصلاة مثلاً التي تمثل رابطاً روحياً بين الخالق والمخلوق يصورها النورسي رحمه الله في أجمل صورة، فمن الفجر إلى الصبح يتذكر الإنسان بداية خلقه وسقوطه في رحم أمه فيشكر الله على منحه وعطاياه أن خلقه في أحسن تقويم، ويستشعر عجزه وفقره، لبداية يوم جديد وفق يضاف إلى حياته التي سيسأل عنها "روحه أحوج ما تكون إلى أن تطرق بالدعاء والصلاة باب التقدير ذي الجلال وباب الرحيم ذي الجمال عارضة حالها أمامه سائلة العون والتوفيق منه سبحانه"، أما وقت الظهر فيشبهه عنفوان الشباب وقوته، فالظهر هو ذروة كمال النهار ووقت حاجة الإنسان إلى التنفس "فخلاص روح الإنسان من تلك المضايقات وانسلاها من تلك الغفلة والحيرة وخروجها من تلك الأمور الزائلة لا يكون إلا بالالتجاء إلى باب القيوم الباقي"، والعصر شبيهه بموسم الخريف وعصر السعادة، وقت ظهور نتائج عمل الإنسان وثمرات عمله خلال اليوم "روح الإنسان تنشد الأبدية والخلود، وهي التي خلقت للفناء والأبد، وتعشق الإحسان وتتألم من الفراق، تنهض بهذا الإنسان ليقوم وقت العصر ويسبغ الوضوء لأداء صلاة العصر، ليناجي ربه متضرعاً أمام الحضرة الصمدانية للقديم الباقي، وللقيوم السرمدي، ليلتجئ إلى فضل رحمته الواسعة وليقدم الشكر والحمد على نعمه التي لا تحصى، فيركع بكل ذل وخنوع أمام عزة ربوبيته سبحانه ويهوي إلى السجود بكل تواضع وفناء أمام سرمدية ألوهيته"، أما المغرب فيذكر بوفاة الإنسان فيوقظه من نوم الغفلة وينبهه، ودخوله القبر وانطفاء شمس الدنيا والدخول في ليل الامتحان فيلجأ إلى منقذه من الباقي الذي لا يموت "فيركع إظهاراً لعجزه وضعفه وفقره مع الكائنات جميعاً أمام كبريائه سبحانه التي لا تنتهي لها، وأمام قدرته التي حدّ لها، وأمام عزته التي لا عجز فيها، مسبحاً ربه العظيم قائلاً: "سبحان ربي العظيم"، والعشاء فيذكر بظلام القبر ومدى حاجة الإنسان لرحمة الله، فيسبح الإنسان مقلب الليل والنهار، مسخر الشمس والقمر، خالق الموت والحياة، ويتيقن أن المعبود الحقيقي لا يمكن أن يكون إلا هو سبحانه وحده لا شؤيك له "روح البشر

<sup>1</sup> \_ النورسي: الكلمات ص 371

التي هي في منتهى العجز وفي غاية الفقر والحاجة والتي هي في حيرة من ظلمات المستقبل وفي وجل مما تخفيه الأيام والليالي تدفع الإنسان عند أدائه لصلاة العشاء أن لا يتردد في أن يردد على غرار سيدنا إبراهيم عليه السلام " لا أحب الآفلين"<sup>1</sup> أما التهجد وقيام الليل فينبه الإنسان إلى نور القبر في ظلام عالم البرزخ، أما الصبح التالي فيشير إلى الحشر وقيام الموتى ليوم آخر.

يعتقد النورسي أن الصلاة في حد ذاتها بأوقاتها المحددة هي إشارات لانقلاب زمني عظيم، وأمارات لإجراءات ربانية جسيمة، وعلامات لإنعامات إلهية كلية، لو فهمها الإنسان لأدى هذه الفريضة وهو أحوج إليها من أي مخلوق آخر وهذا ربما هو ما يفسر لنا قول النبي صلى الله عليه وسلم لبلال رضي الله عنه: "أرحنا بها يا بلال" وقوله كذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء والصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا، ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلا فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار"<sup>2</sup>.

**المبحث الرابع: أثر الإشارات العلمية في تبيان جمالية الموت والشوق لعالم الغيب.**

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٤٤﴾<sup>3</sup>، وما كان الله سبحانه وتعالى ليطلع عباده على الغيب الذي استأثر به لنفسه، لأن جهازهم العقلي غير مؤهل لاستقبال الغيب، إلا بالمقدار المحدد الذي تسمح به عقولهم، وقد كان الأستاذ النورسي يرى الجمال في كل شيء حوله، فهو يرى أن الشر قد ينطوي على شيء من الخير، والباطل يمكن أن ينطوي على شيء من الحق، والقبح فيه جمال حتى الموت ليس إعداما ولا ألما وفراق، بل هو تسريح من مهمة ومن تعب وشقاء ولقاء جميل بأحب الناس والأهل الذين سبقونا، وأولهم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولو استقرينا الواقع لوجدنا أغلب الناس الذين توافيهم المنية

<sup>1</sup> \_النورسي: مأخوذة من كتاب الكلمات ، الكلمة التاسعة ، مقسمة على فقرات ص 47

<sup>2</sup> \_رواه البخاري ومسلم

<sup>3</sup> \_سورة آل عمران الآية 44

على حسن الخاتمة يسعدون كثيرا بلقاء الله ويتشوقون لعالم السماء ومن سكنه من الأهل والسابقين، ولذلك نرى ابتسامة جميلة تعلوا محياهم رغم ألم سكرات الموت، وهذا سر قوله تعالى في الحديث القدسي: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه".

### المطلب الأول: جمالية الموت.

اختلفت تعاريف الموت من علم لآخر، فهي عند العلماء الماديين توقف الجسم عن أداء وظائفه الفيزيولوجية لسبب طبيعي أو لسبب مفاجئ .

وعند الأستاذ النورسي الموت هو فك الرابط بين الروح والجسد لتتحرر من سجنه وتخلص إلى مرحلة جديدة تتجلى فيها الحياة تجليا آخر أرقى وأشرف، والموت كائن مخلوق مثله مثل باقي المخلوقات لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلِيٌّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝۱ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝۲﴾<sup>1</sup>.

يقول ابن عاشور: "معنى خلق الموت إيجاد أسبابه، وإلا فالموت عدم لا يتعلق به الخلق بالمعنى الحقيقي ولكنه لما كان عرضا للمخلوق عبّر عن حصوله بالخلق"<sup>2</sup>.

أما النورسي فيؤكد على أن الموت نعمة في كثير من الحالات يذكر منها:

\_الموت إنقاذ للإنسان من أعباء ووظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة، هو باب وصال في الوقت نفسه مع تسعة وتسعين من الأحباء الأعمام في عالم البرزخ، فهو إذن نعمة عظيمة.

\_الموت خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب ودخول في رعاية المحبوب الباقي، وفي كنف رحمته الواسعة، وهو تنعم بحياة فسيحة خالدة مستتيرة لا يزعجها خوف، ولا يكدرها حزن ولا هم.

\_الشيخوخة والمرض وغيرهما من الأسباب الداعية لجعل الحياة مظلمة ومرهقة، تبين مدى كون الموت نعمة تفوق نعمة الحياة، فلو تصورت أن أجدادك مع ما هم عليه من أحوال مؤلمة قابعون أمامك حاليا مع والديك اللذين بلغا أرذل العمر، لفهمت مدى كون الحياة نقمة والموت نعمة، بل يمكن إدراك مدى الرحمة في الموت ومدى الصعوبة في إدامة الحياة،

<sup>1</sup> \_سورة الملك الآية 1-2

<sup>2</sup> \_ محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، ص 22

أيضا بالتأمل في تلك الحشرات الجميلة العاشقة لتلك الأزاهير اللطيفة، عند اشتداد وطأة البرد القارص في الشتاء عليها.

\_ كما أن النوم راحة للإنسان ورحمة، لا سيما للمبتلين والمرضى والجرحى، كذلك الموت وهو أخ للنوم\_ رحمة ونعمة عظمت للمبتلين ببلايا يائسة قد تدفعهم إلى الانتحار، يقول النورسي: " الموت في حقيقته تسريح وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، وهو تبديل مكان وتحويل وجود، وهو دعوة إلى الحياة الباقية الخالدة، ومقدمة لها، إذ كما أن مجيء الحياة إلى الدنيا هو بخلق الأحياء، كذلك فإن خروجها من الدنيا هو أيضا بخلق وتقدير وحكمة وتدبير إلهي، لأن موت أبسط الأحياء\_ وهو النبات\_ يظهر لنا نظاما دقيقا وإبداعا للخلق ما هو أعظم من الحياة نفسها، وأنظم منها، فموت الأثمار والبذور والحبوب الذي يبدو ظاهرا تفسخا وتحللا، هو في الحقيقة عبارة عن عجن لتفاعلات كيميائية متسلسلة في غاية الانتظام، وامتزاج لمقادير العناصر في غاية الدقة والميزان، وتركيب وتشكل للذرات لبعضها البعض في غاية الحكمة والبصيرة، بحيث أن هذا الموت الذي لا يرى، وفيه هذا النظام الحكيم والدقة الرائعة، هو الذي يظهر في شكل حياة نامية للسنبل وللنبات الباسل المثمر، وهذا يعني أن موت البذرة هو مبدأ حياة النبات الجديدة أزهارا وأثمارا..فهذا الموت إذن مخلوق منظم كالحياة فلئن كان موت النبات وهو أدنى طبقات الحياة يثمر هذه الثمار اليبانة الحية البديعة فكيف بموت الإنسان وهو أرقى مراتب الخلق؟ لابد أنه سيثمر حياة دائمة في عالم البرزخ تماما كالبذرة الموضوعة تحت التراب والتي ستصبح فيما بعد نباتا رائعا في عالم النور والهواء.

لقد استطاع النورسي تقديم صورة جميلة عن الموت فجعله حاملا للسعادة الأخروية والراحة الأبدية واللقاء الدائم والخلود في عالم سرمدي، بعدما كانت النظرة العامة إليه نظرة عدم وانسلاخ واضمحلال، فقد كان الخوف من الموت مرتبطا بالتصور العدمي والفناء، يخاف الإنسان من أسبابه ويتحاشاها، بل يراه حربا على وجوده وأكبر خطر يهدده على الدوام فينفر منه ويكره لقاءه، وعلى العكس من ذلك الموت عند النورسي هو إعلان لخلوده وبقائه الأبدي واتصاله بالحقيقة.

فلسفة الموت عند النورسي هي فلسفة حياة وهي رفض للعدمية التي وضعت حدا ونهاية للإنسان بموته، لدرجة أنها ملأته بالتشاؤم وقادته للإنتحار، وهذه الفلسفة النورسية لم تعطينا نظرة تفائلية للحياة والموت فقط بل أصّلت العقيدة في أعماقنا وأنقذت الإيمان في أنفسنا، وهي بذلك توقفتنا على أول عتبة من عتبات القبر واليوم الآخر والذي هو ركن من أركان الإيمان \_ الإيمان باليوم الآخر\_ كما أنها فلسفة وضحت لنا عالم الغيب كأنه ماثل أمامنا فعبد الله كأننا نراه فإن لم نكن نراه فإنه يرانا ولنا موعد قريب مع لقائه لايد من التحضير له، وهي مرتبة من مراتب الإحسان.

هذه الفلسفة هي جلسات نفسية عظيمة مع فاقدى أهليهم والمقبلين على الموت والمرضى الذين يئسوا من الحياة، إذ يكسبهم اطمئنانا وراحة نفسية وانسجاما مع الذات وثقة بالحياة الدنيا والأخرى، كما يهون الموت فلا يكون ذلك شبعا قاتلا بل طيفا باعثا إلى حياة جديدة في عالم جديد في اللقاء بدون فراق والراحة بدون ألم والصحة بدون مرض....فنكتسب الشجاعة لمواجهة المرض والشدائد والموت خاصة إذا كان جهادا في سبيل الله وشهادة ننال بها الجنة وهي أقصى آمال الإنسان المؤمن، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٦٤﴾<sup>1</sup>.

\_﴿توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾: هي دعوة سيدنا يوسف عليه السلام رغم لقائه بوالديه بعد فراق دام عمرا كاملا، والسعادة التي شهدها مع إخوته بعدما غيرت المصائب قلوبهم، وأحلامه التي تحققت، وقد أصبح عزيز مصر واستأمن على خزائن الأرض، لم تشغله متع الدنيا عن جمال الآخرة، يدعوا بأن يسعد سعادة أبدية سرمدية، أن يتوفى مسلما ويلتحق بالصالحين فهو يعلم علم اليقين أن الوفاة ستنتقله لعالم أجمل.

\_«بل الرفيق الأعلى»: هو الخيار الذي اختاره سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو يحتضر، في حزن أحب الناس لقلبه \_زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها\_ وبين أحبابه وأخلائه وأمام دموع فاطمة الزهراء فهمسها الأولى وبكت ثم همسها الثانية فضحكت، فاختر لقاء الله على كل متع الدنيا.

**المطلب الثاني: تأملات في الموت وعالم البرزخ.**

<sup>1</sup> \_سورة العنكبوت: الآية 64

يتحدث النورسي عن جمالية عالم الغيب بلغة عجيبة تخاطب الروح مباشرة وتقنعها بالإشارات التي تنبعث من هذا العالم والتي تؤكد وجوده ويقينه، فعالمنا المشهود (عالم الشهادة) ينبئ بمراياه عن إشارات تنبه إلى عالم الغيب الذي لا تصفه لغة ولا يحيط به خيال، مرة يحدثنا النورسي عن الإشارات الدالة على الموت والحياة، ومرات عن البعث والنشور، تارة عن عالم الملائكة والروحانيات، وتارة عن الجنة ونعيمها، ولأنه من عشاق الجمال يأخذنا في سياحة إلى هذا العالم \_محببة\_ فيشعل في قلوب القراء الشوق ليوم تتمزق فيه حجب الدنيا مرتكزا على ما جاء في القرآن والسنة، وهو يستدل بعالم الشهادة (الطبيعة) على حقائق ثابتة في عالم الغيب (ما وراء الطبيعة)، فحين نقرب بصرنا في هذا الكون وإشاراته الدالة على التناسق والانسجام المعبر عن المطلقة والكمال التي لا تصدر إلا من مطلق كامل، نفتتح بوجود عوالم أخرى يتم فيها الحساب والعقاب حتى تتحقق العدالة الإلهية المنشودة، وربما هذا ما أشار إليه فيلسوف الأخلاق "إيمانويل كانت" في قوله: "شيئان يعجبانني في هذا الوجود: النجوم المرصعة فوق رأسي والقانون الخلقى في نفسي"<sup>1</sup>.

#### أولا\_عالم الملائكة:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّتًا شَهِدًا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۝١٨﴾<sup>2</sup>.

يقرب لنا النورسي صورة الملائكة الجميلة لدرجة نكاد نحس بوجودهم في عالمنا ونشعر بهم حسب أداء وظائفهم الموكلة إليهم، ويستند في رأيه هذا على الكتاب والسنة، إذ يقول عن دور الملائكة في هذا الكون العظيم: "لا مراتب لهم في الرقي والمجاهدة، إذ لكل منهم مقام ثابت ورتبة معينة، إلا أن لهم ذوقا خاصا في عملهم نفسه، وهم يستقبلون الفيوض الربانية في عبادتهم نفسها... إذ كما يتلذذ الإنسان من الماء والهواء والضياء والغذاء، كذلك الملائكة يتلذذون ويتغذون وينعمون بأنوار الذكر والتسبيح والحمد والعبادة والمعرفة والمحبة، لأنهم مخلوقون من نور، فيكفيهم النور غذاء، حتى الروائح الطيبة القريبة من النور"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> إيمانويل كانت: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة وتحقيق محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

<sup>2</sup> سورة الزخرف الآية 18

<sup>3</sup> النورسي: الكلمات ص 402

**وظائف الملائكة الكرام:**

هناك وظائف متعلقة بالكون وأخرى متعلقة بالإنسان، أما الأولى فقد ذكر القرآن أن هناك حملة العرش، وخزنة الجنة والنار، وهناك ملائكة موكلون بالجبال والقطر والنبات والأرزاق، أما المتعلقة بالإنسان فهناك ملائكة موكلة بكتابة أعمال الإنسان، وملائكة تحفظه من الشرور بين الفجر والعصر بأمر الله، وهناك سفراء بين الله وعباده، وهناك ملائكة موكلة بقبض الروح تأتي مع ملك الموت هم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وملائكة تسأل الميت في قبره، ولا يمكن حصر وظائفهم في هذه الأعمال فالسماوات والأرض تعج بالملائكة، عن العلاء بن سعد رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال يوماً لجلسائه: "أتسمعون ما أسمع؟" قالوا: "ما نسمع من شيء"، قال: "إني لأسمع أطيبت السماء، وما تلام أن تتط، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راکع أو ساجد، وقالت الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾" <sup>1</sup> 2.

**ملك الموت:** يحدثنا النورسي رحمه الله عن ملك الموت قائلاً: "كنت ذات يوم أدعوا دعاء بهذا المضمون: "يا رب أتوسل إليك بحرمة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وبشفاعتهم أن تحفظني من شرور شياطين الجن والإنس" وحالما ذكرت اسم عزرائيل الذي يملأ الناس رعباً وارتجافاً، شعرت بحالة ذات طعم في غاية الحلاوة والسلوان، فحمدت الله قائلاً: "الحمد لله وبدأت أحب عزرائيل حبا خالصا على أنه واحد من الملائكة الذين يعتبر الإيمان بوجودهم ركناً من أركان الإيمان" <sup>3</sup>.

**الموت والحياة:** من أشد الظواهر غرابة وإثارة حقيقة الموت والحياة وما تحمله من قيم جمالية متخفية تحت ستار الألم والفراق، كيف لا والموت هادم لذات الإنسان ومحطم أحلامه الدنيوية، لكن نظرة النورسي مختلفة كما قلنا سابقاً، فالكون كله يعيش هذه الصيرورة التي لا بد منها وهي حتمية الطبيعة تظهر في الشروق والغروب في اليوم الذي يذهب ولا يعود، والليل والنهار، فالظلمة هي التي تمنح النور والموت هو الذي يمنح الحياة بإذن المحيي

<sup>1</sup> سورة الصافات، الآية 165-166

<sup>2</sup> أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم الصلاة (261/1)

<sup>3</sup> النورسي: الشعاعات، الشعاع الحادي عشر، ص 301

المميت، يقول النورسي رحمه الله: "إن النظام الرائع الباسط هيمنته على الأرض بأسرها، والذي يبدو لنا من خلال مظاهره عيانا يشهد شهادة صادقة على الصانع القدير، فعندما يسدل الشتاء كفنه الثلجي الأبيض على وجه الأرض الربيعي، وتموت الأحياء التي كانت تزخر بالحياة فوقها، فإن منظر هذا الموت ينقل الإنسان إلى أبعد من اللحظة الراهنة، فيركب متن الخيال ليذهب بعيدا إلى الماضي الذي درجت إليه جنائز كل ربيع راحل، فتنفتح عندئذ أمام النظر مشاهد من الموت والحياة أوسع من هذا المنظر المحصور في الحاضر الراهن، لأن كل ربيع راحل، كان مشحونا ملء الأرض بالمعجزات الإلهية، وهو يشعر الإنسان بمجيء موجودات تتدفق بالحياة وتملاً الأرض كلها في ربيع مقبل"<sup>1</sup>.

**ثانياً\_الحشر:** يقول النورسي رحمه الله: "إن النظام الرائع الباسط هيمنته على الأرض بأسرها، والذي يبدو لنا من خلال مظاهره عيانا، يشهد شهادة صادقة على الصانع القدير، فعندما يسدل الشتاء كفنه الثلجي الأبيض على وجه الأرض الربيعي، وتموت الأحياء التي كانت تزخر بالحياة فوقها، فإن منظر هذا الموت ينقل نظر الإنسان إلى أبعد من اللحظة الراهنة، فيركب متن الخيال ليذهب بعيدا إلى الماضي الذي درجت إليه جنائز كل ربيع راحل، فتنفتح عندئذ أمام النظر مشاهد من الموت والحياة أوسع من هذا المنظر المحصور في الحاضر الراهن، لأن كل ربيع راحل.. كان مشحونا ملأ الأرض بمعجزات القدرة الإلهية، وهو يشعر الإنسان بمجيء موجودات تتدفق بالحياة وتملاً الأرض كلها في ربيع مقبل"<sup>2</sup>.

هذا المشهد الكوني شهادة قاطعة على وجود الحشر الذي سيعقب موت الكائنات على الأرض لقوله تعالى: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾<sup>3</sup>، ويجذبنا النورسي رحمه الله إلى جمالية الحشر جذبا مغيرا في قلوبنا كل مشاعر الخوف والهول الذي قد يصيبنا إذ يكفي أن يكون الحشر انبعاثا جديدا بعد الخمود الأخير للعالم، وهو حتمية وبديهية فالذي يحيي الأرض بعد موتها سبحانه وتعالى قادر على بعث الموتى من جديد ليوم باق دائم إذ لا يعقل أن تبقى

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات ص 798

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 798

<sup>3</sup> \_سورة الروم، الآية 18

هذه المخلوقات العاقلة دون حساب وعقاب فهذا يتنافى مع عدالته سبحانه كما قال النورسي رحمه الله: "الدنيا مزرعة والحشر بيدر والجنة والنار مخزان"<sup>1</sup>.

وحين يخلص النورسي إلى حتمية البعث قائلاً: "نعم إن الدنيا بعد دمارها ستبعث آخرة، وإن الخالق القدير الذي بناها لأول مرة سيعمرها تعميراً أجمل من عمارتها الأولى، وسيجعلها منزلاً من منازل الآخرة، وأدل دليل على هذا هو القرآن الكريم أولاً، بجميع آياته التي تضم آلافاً من البراهين العقلية. ولأنه وعد فسيوفي بالوعد حتماً"<sup>2</sup>.

يملاً قلوبنا يقينا بأن الحشر أجمل بكثير من العالم الذي نعيشه المليء بالدمار والفناء، بل ويرسخ فينا شعور الشوق إلى هذا العالم الأبدي الذي لا يعتريه النقص وإلى هذا الوعد الربّاني الجميل، ثم يصعد بنا إلى درجة أجمل من الحشر وهي الجنة.

### ثالثاً: الجنة.

يوغل النورسي رحمه الله في الحديث عن الجنة وتفاصيلها مستجيشاً كل قدراته العقلية والحسية والروحية و الذوقية والوجدانية، فيجول بالخيال والكينونة معاً، حتى نراها رأي العين لنشم ريحها ونتذوق عسلها ولبنها وفاكهتها، ونستشعر نعيمها.

والإشارات الموجودة في الكون كلّها دلائل على وجود الجنة من نعيم دنيوي ناقص وجمال نسبي في الطبيعة، فالمطلق موجود في عالم آخر هو الجنة، فالنعيم الموجودة في الدنيا الفانية ليست للتذوّذ الجسماني فقط بل هي إشارات للنعيم الباقية المخزنة للإنسان في الجنة، فهي تنعم الإنسان في الدنيا ساعة وتزول مثيرة شهيته لفنائها وفنائها الدنيوي، لينتظرها في الجنة ويتشوق لها بنعيم خالد حسب عمره الخالد في الجنة، يقول رحمه الله: "هذه الزينة في الدنيا بمثابة صور ونماذج للنعيم المدخرة لدى الرحمة الإلهية في الجنة للمؤمنين"<sup>3</sup> يقول النورسي رحمه الله واصفاً الجنة: "هذه الزينة في الدنيا بمثابة صور ونماذج للنعيم المدخرة لدى الرحمة الإلهية في الجنة للمؤمنين"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 95

<sup>2</sup> \_النورسي، الكلمات، ص 622

<sup>3</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 78\_79

<sup>4</sup> \_النورسي: الكلمات: ص 87

وحين يصف نساء الجنة التي يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة ولو أطلت واحدة منهم لمألت ما بين السماوات والأرض نورا ، يتعجب ويتساءل النورسي رحمه الله: ما نوع هذا الجمال؟ وما يلبث أن يجيبنا بقوله: "إن الحور العين جامعة لكل أنواع الزينة والحسن والجمال المادية والمعنوية.. بل يبدين جميع مراتب الحسن والجمال المتنوعة بأجسادهن وأنفسهن وأجسامهن بأكثر من سبعين مرتبة حتى يظهرن حقيقة إشارة الآية الكريمة: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>1</sup> .

إن الوصف الرباني للجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت\_ هو سر البناء والتعمير الذي يقوم به المؤمن في دار الدنيا رغم علمه بفنائها وزوالها وبأن الحياة الباقية هي في الدار الآخرة، فالإيمان بالجنة ونعيمها يفتح باب الأمل المشرق وتغدوا الحياة ممرا مشوقا لعالم أبدي جميل، وهذا الشعور الصادق إن رسخ في قلب الطفل الصغير لحلم بأن يكون طائرا من طيور الجنة لأحبها حبا يهون له متاعب الحياة الآتية، ولو ترسخ في قلب الشباب لحول طيشهم وعنفوان الشباب فيهم وقوة عواطفهم إلى حياة هادئة مستقرة كهدهء الجنة واستقرارها ولهذا كان الشاب الذي ينشأ في طاعة الله من بين السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله، لأن مرحلة الشباب هي أقوى مراحل العمر، ولا بد من التحكم فيها بقوة كتاب الله.

#### رابعا\_ الذات الإلهية المقدسة:

"يصعد النورسي رحمه الله متلمسا جمالية عالم الغيب والشهادة، وحين يبلغ الذات الإلهية المقدسة جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه وأفعاله وصفاته، محاولا تبيان تجليات جماله وجلاله في الكون والوجود، على القدر الذي يستوعبه عقل الإنسان"<sup>2</sup>، فإن النبي موسى عليه السلام خرّ صعقا مغشيا عليه حين دفعه الشوق لرؤية ربه فقال: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ فجاءه جواب رب العالمين: ﴿قَالَ لَنْ تَرِيَهُ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَيَّ الْجَبَلَ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِيَهُ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>3</sup> ١٤٣، فإن كان موسى عليه السلام\_ وهو من هو من حيث القوة والإيمان والصدق\_ حين رأى تجلّي من تجلياته سبحانه وتعالى، صعق وسقط مغشيا عليه والجبل

<sup>1</sup> سورة الزخرف، الآية 71

<sup>2</sup> عماد الدين خليل: رؤية جمالية\_الكلمات\_ دار سوزلر للنشر، ص 143

<sup>3</sup> سورة الأعراف، الآية 143

صار هباء ولم يطق قوة التجلي الكبرى فكيف بالإنسان العاجز الفقير العاجز الذي يحلم باجتياز ابتلاءات الدنيا والنجاة من فتنها وهو هدف الشهداء والصديقين الصادقين، وفي هذا المقام تلجم الأفواه بلجام اليقين بموعود الله والإيمان بما وعد به عباده المخلصين.

عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تَرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وَجوهَنَا أَلَمْ تَدْخُلْنَا الْجَنَّةَ وَتَتَجَنَّبْنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيُكْشَفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وَهِيَ الزِّيَادَةُ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: "لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى وَزِيَادَةٌ"<sup>1</sup> ، وما أنواع الجمال الموجودة في كل المخلوقات إلا ظل خافت وانعكاس ضعيف للجمال الكامل الرباني، بل هي مجرد تجليات، أمارات، إشارات، علامات على الجمال المطلق المقدس المنزه، تشير إشارة واضحة إلى أن صاحب هذه الأسماء والصفات التي هي أفعال في الوقت ذاته يتمتع بجمال بلغ من الحسن ما لا تطيقه عقول البشر ولا تحتويه، يقول النورسي رحمه الله: " عندما ننظر إلى هذا الكون بنظر العبرة، يشعر القلب والوجدان بحدس صادق، أن الذي يجمل هذه الكائنات ويزينها بأنواع المحاسن لا شك أن له جمالا وكمالا لا منتهى لهما، ولهذا يظهر الجمال والكمال في فعله"<sup>2</sup>

لا يمكن استشعار هذا الجمال إلا من خلال صفات الله سبحانه وتعالى وأسماءه التي تظهر في مرآة الموجودات فيبرز جلاله وجماله من خلال صفحات الأرض والسماوات وزينتها والبحار وما تضم من حيوانات صغيرة وكبيرة التي تترجم بجمالها، سابحة في أوطانها مسبحة خالقها، يقول النورسي رحمه الله: " جميع ما في الوجود والحياة كلها وعالم الأرواح وعالم المثال، مرايا شبه شفافة لإظهار جمال ذلك القدوس الجليل الذي صفاته محيطة بكل شيء، وشؤونه شاملة لكل شيء"<sup>3</sup>.

المطلب الثالث: جمالية الاستخلاف والعبادة.

<sup>1</sup> \_رواه مسلم في صحيحه

<sup>2</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 742

<sup>3</sup> \_النورسي: الكلمات، ص 212

العبادة هي معراج المؤمن إلى ربه ودليل شكره وعجزه وذلّه وفقره وحاجته إلى خالقه، فحين نقرأ وصية نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام: "وأمركم بالصلاة فإذا صلّيتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت"<sup>1</sup>، فإننا نستشعر عظمة وجمالاً ورهبة تتجرد فيها النفس من كل قيود الدنيا فلا تلتفت عن وجه الله وتصد إلى عليين وتكسب مرتبة في العبودية لا يعلمها إلا الله، وتتشرف بحضور قلبي لا يضاهيه حضور، هو الحضور والمثل أمام الحي القيوم ذي الجلال والإكرام، ومعنى العبادة عند النورسي هو "سجود العبد بمحبة خالصة وبتقدير وإعجاب في الحضرة الإلهية، وأمام كمال الربوبية والقدرة الصمدانية والرحمة الإلهية، مشاهداً بنفسه تقصيره وعجزه وفقره"<sup>2</sup>.

ومن جمالية العبادة شوق العبد إلى الجزء الإلهي الذي ينتظره من خالقه العدل الذي وعده بالجنة ونعيمها بل بما هو فوق التصور العقلي وهو رؤيته سبحانه وتعالى، كما هو ثابت في الحديث النبوي الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: إلهكم ترونه....

قال: فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب، ويتجلّى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضي أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشاهم من نوره، قال: ثم يقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم، قال: فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشاهم من نوره تبارك وتعالى، فإذا صاروا إلى منازلهم تراءى النور وأمسكن حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها، قال: فتقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها، قال: فيقولون: ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلّى لنا فنظرنا منه ما خفينا به عليكم"<sup>3</sup>.

"ذلك النعيم الذي ساعة منه تفوق ألف سنة من حياة الدنيا الهنيئة، كما هو ثابت لدى أهل العلم والكشف بالاتفاق"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> \_ رواه البخاري.

<sup>2</sup> \_ النورسي: الكلمات، ص 39

<sup>3</sup> \_ رواه البزار: الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، 4\_556

<sup>4</sup> \_ النورسي: الكلمات، ص 765

المطلب الرابع: أثر التجليات في ترسيخ الإيمان ودفع عجلة الحضارة:

إن التجليات الإنسانية والكونية إن فهمها الإنسان وتعامل معها بيقين أصبح آية من آيات الله في الكون شكلا ومضمونا، مما يجعل الإنسان المسلم يحقق العبودية الحققة وبالتالي يقوم بالوظيفة الحقيقية الموكلة إليه في الأصل، ويقضي على غرائزه وعلى النزعة الفردانية الأنانية التي تتملكه، فتصبح النظرة القرآنية للكون والموجودات ملكة فطرية فيه فيشعر أنه يقوم بوظيفته حبا وغيرة وفطرة، ويتعامل مع أسماء الله الحسنى وتجلياتها تعاملًا روحيا ذوقيا قلبيا لاتعاملا نظريا، فتتجلى له الحقائق عقلية كانت أم قلبية، وبهذه الروح الثابتة المتفاعلة مع الموجودات تصبح الحوادث من حوله تجليات الأسماء الحسنى ورسائل ربانية ما عليه إلا أن يستنطقها ليستخرج منها كنوزها، وليس بالأمر السهل أن يصل المرء إلى هذه المرحلة التي لا تتال إلا بالتخلي فالتحلي فالتجلي، والتي توصله إلى مرتبة الإطمئنان القلبى وانسراح الصدر، لتفتح امامه عبودية لا نهاية لها ويقول الأستاذ إحسان قاسم الصالحي: "إن من يداوم على قراءة رسائل النور ينظر إلى الموجودات نظرة يراها كالحروف التي تفتقر إلى معنى في ذاتها فتحتاج لمعرفة ماهيتها إلى إسم من الأسماء الحسنى..... وكلما انسكبت أنوار من تلك المعرفة الإلهية بأسلوب أدبي أسر إلى روح القارئ ونفذت إلى قلبه انعكست في سلوكياته وتصرفاته، حتى تطفح على محياها"<sup>1</sup>.  
فالمؤمن الحق ينظر للكون نظرة عبودية وتفكر وتدبر مما يؤهله إلى بلوغ درجة الاستخلاف.

<sup>1</sup> رحلتي مع رسائل النور: إحسان قاسم الصالحي، إسطنبول، 2016، ص197

الخاتمة

## الخاتمة

بعد هذه الجولة العلمية الفاحصة في رسائل النور بحثًا وبتقريب عن رؤى النورسي التجديدية، وكيفية محاججته للخصوم لنقض رؤاهم وتفنيدها، والدفاع عن العقيدة بالحجج العقلية والعلمية والمادية، نخلص إلى النتائج التالية:

1\_ القرآن الكريم قراءة لكتاب الكون وكشف لأسراره، فهو كاشف للغز الحياة ببساطة، سهل على الخاصة والعامة قراءة مقاصده من خلال أبعاده الكونية، يلفت الانتباه إلى مظاهر الكون للتفكر فيها، كل حسب طاقته الفكرية وسعة خياله، فهو خطاب لجميع البشر.

2\_ الإمام النورسي رحمه الله وضع أسس نهضة إسلامية مستقبلية، تتفق مع ما يحتاجه جيل المستقبل من البرهان العقلي والأدلة المادية المقنعة، فهو بحق يستحق لقب "بديع الزمان" حين جمع بين العلوم الدينية والدنيوية ووافق بينهما للوصول إلى التقدم الحضاري، ولا خير فينا إن لم ندرس رسائل النور بعمق ونستشف منها حلولاً لمشاكل عصرنا التي تكاد تعصف بنا، لننهض بأممتنا ونضع ركائز نهضة جديدة لأبنائنا.

3\_ جهد النورسي رحمه الله كان متناغماً مع الإشارات العلمية المبتوثة في الطبيعة، فكان قرآناً في طرح القضية منسجماً مع المعطيات العلمية المعاصرة، بحيث امتلك اللغة المناسبة التي يدافع بها عن العقيدة لإنقاذ الإيمان وهي لغة العلم وإيراد الحجج العقلية والتجريبية لإقناع غير المسلمين، فكان سبباً في دخول الكثيرين في الإسلام.

4\_ الإشارات العلمية في الطبيعة والمذكورة في القرآن الكريم ليست مجرد فرضيات علمية متغيرة بتغير العلم وتطوره، بل هي حقائق ثابتة مستقرة، ولا يجوز الحديث عنها كحقائق علمية نسبية تقبل الشك والخطأ، بل هي دعائم وأدلة وشواهد على ثبات حقائق الدين ومطلقيتها، مع ضرورة الاستفادة من التخصصات العلمية الدقيقة في الكون، سواء من عند المسلمين الذين كان لهم السبق في هذا المجال، أو من عند غيرهم من الأوروبيين الذين طوّروا هذه العلوم ووصلوا إلى حقائق كانت السبب في دخولهم للإسلام أفواجا.

5\_ التفسير النوري للقرآن الكريم الذي جمع فيه بين القرآن المنظور والمقروء والناطق كان سبباً في إنقاذ الأمة من الحياة المادية التي خرب الشيطان إيمانها وأقحمها في الفوضى والأمراض النفسية.

6\_ اعتمد النورسي على الفلسفة وعلم الكلام بعد تجديد منهجهما وتنقيتهما من الأمور التي تخالف العقيدة الإسلامية، في إثبات الإشارات العلمية وبيان دورها في تعميق الإيمان، وأبعدهما عن الأفكار التجريدية وتناولهما بأسلوب جديد واقعي قريب من عقول المعاصرين، فتناول الأساليب الفلسفية من نقد ودحض وبرهنة وتحليل، فنَّد النظريات الإلحادية بالدليل العلمي القاطع، والتزم بالمنهج القرآني في برهنته لواجب الوجود ووحدانيته.

7\_ أثبت العلاقة بين النبوة وخوارق الصناعات وهي قضية مسلم بها عقلا ومنطقا، وقد جاءت الرسالات السماوية مؤيدة لها، فكان الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم كتابا ناطقا، يشير إلى معجزة أثبتتها العلم بعد مئات السنوات.

8\_ إن الإشارات العلمية في كتاب الله المشهود تبرهن آيات الله في الكتاب المقروء، وتجلياتها في الطبيعة تذهل العقول فتصبح حجة علمية تثبت التعمق الإيمان وتوقظ العقول الكافرة وتعيدها إلى وعيها.

9\_ التقدم المادي والمدنية الغربية ليست إرهابا لمستقبل آمن، لا بد من اقترانها بالإيمان والأخلاق والقيم الكونية وهي أسس الحضارة الإسلامية، التي تنبأ النورسي بسموها وعالميتها في المستقبل.

10\_ توصلت هذه الدراسة في الأخير إلى أن الإنسان صورة مصغرة لهذا الكون، احتل المكانة المركزية فيه والسيادة على جميع المخلوقات، تحمل أمانة الإستخلاف في الأرض وما أعظمها من مسؤولية، توجب عليه تجميع طاقاته العقلية والنفسية والجسمية لإعمار الأرض ماديا ومعنويا، وتحقيق الوظيفة الوجودية على أتم وجه، وهذه الوظيفة تستلزم إماما بعلوم شتى كونية ودينية ودنيوية.

11\_ النورسي رحمه الله والمجدد الذي تحدّث عن قضية تفعيل الإيمان في الواقع العملي، فيصبح بذلك سلوكا يندمج فيه الفعل باليقين، ولا يمكن فصله عن الحياة الاجتماعية، وبالتالي الانتقال من الإيمان الفطري إلى الإيمان العملي.

12\_ الفكر الإسلامي المعاصر لا يرفض الحضارة الغربية جملة وتفصيلا بل هو فكر انتقائي ذكي يتعامل معها بحذر وبمنهج دقيق إذ يجمع بين الثوابت والمتغيرات تحت مظلة العقيدة الإسلامية.

## التوصيات

- بعد هذه الجولة العلمية في بعض الآيات القرآنية، وفي رسائل النور، وفي الفلسفة الحضارة وعلم الكلام، بحثاً عن الحجج والبراهين التي تؤكد حقيقة الإشارات العلمية كدلائل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وقدرته وعلمه، وتأكيداً على الوظيفة الوجودية التي خلق الإنسان من أجلها، أوصي طلاب العلم الباحثين عن الحقيقة المدافعين عن الدين الإسلامي:
- 1\_ تجديد وسائل الدعوة والبحث بالمنهج الذي يساير التطور العلمي والتكنولوجي، وتواكب الفهم العصري للحقائق، وتتماشى مع ذهنية المخاطب.
  - 2\_ الإلمام بالمدارس الفلسفية الحديثة والتوجهات الفكرية المعاصرة قصد معرفة إيجابياتها وسلبياتها، بغية التكيف مع مطالب العصر الحديثة وعلومها.
  - 3\_ التوغل في فكر النورسي ودراسة رسائل النور بعمق واستخراج كنوزها في جميع المجالات، فهي موسوعة فكرية لا غنى عنها في ها العصر، والاهتمام بالمفكرين والمجددين الذين واجهوا المد الإلحادي بفكر متحضر وبلغة العصر، مثل مالك بن نبي والغزالي و البشير الإبراهيمي وغيرهم.
  - 4\_ إعداد بحوث ودراسات حول الفكر النوري والوغل في رسائل النور ففيها الخير الكثير والكنوز المخفية.

# فهرس الأعلام

الصفحة	الأعلام
297-80-14-13	أبو حامد الغزالي
281-50-19	إحسان قاسم الصالحي
272-27-26	الافغاني جمال الدين
88-35	الانصاري فريد
54-26	ابن باديس عبد الحميد
284	إبن عطاء السكندري
208-59	ابن رشد الحفيد
128	ابن القيم الجوزية
179	بن تيمية
83	الأخضر شريط
87	أديب إبراهيم الدباغ
274-92	ألكسيس كاديل
65	ألفريد جليوم
110	إرنيس كاسير
201	أرسطو
180	ابن كثير
308-26	ابن عاشور
110	بييرس
115	البخاري
276-33	جالجيا مريم دمير

201-128	ديكارت الخطابي
26	رشيد رضا
301-120	الرازي
120-09	السيوطي
275-21	السلطان عبد الحميد
275-21	شكران واحدة
105	الشفيع الماحي
85-60	طه عبد الرحمن
140-34-26-25	عبد القادر الكيلاني
304-87-73-46-41-21-10	عشرائي سليمان
268-261-08	عمار جيلد
08	عبد الحميد الشناوي
66-28	غلاستون
33-32-19	كامل أتاتورك
07	كارم السيد غنيم
274-255-71	كولن تورتر
302-278-271	طنطاوي جوهري
270-138-87-73-54-43-24-09	محسن عبد الحميد
88-91	مالك بن نبي
90	ماكسيم رودسون

275-257-255-71	ماري وبلد
26	محمد إقبال
جل الصفحات	النورسي
154-177-112	النجار زغلول
197-113	هبزنبرع
269	وول ديورانت

## فهرس المصادر والمراجع

1\_ القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع، دار المعرفة، مطبعة الثريا، دمشق، 1438هـ

2\_ كتب الحديث:

البخاري: محمد بن اسماعيل، الصحيح الجامع، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، بيروت، 1907\_1987م.

الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله الحسني، دار الحرمين، القاهرة 1415هـ.

3\_ رسائل النور للنورسي:

النورسي: بديع الزمان سعيد، كليات رسائل النور.

الكلمات: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، اسطنبول، الطبعة الثالثة، 1998م.

المكتوبات: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 2001م.

اللمعات: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 2001م.

الشعاعات: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة 2002 م.

إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز: تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 2002م.

المثنوي العربي النوري: تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 2003.

الملاحق في فقه دعوة النور: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 2002م.

صيقل الإسلام: تحقيق الرسالتين ( الثانية والثالثة ) وترجمة بقية الرسائل للدكتور إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 2002م.

سيرة ذاتية: إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 2004م.

أسرار قرآنية: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية، شركة سوزلر للنشر، مصر، القاهرة، 2010م.

الموازنات بين الإيمان والكفر: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثانية، مصر، القاهرة، 2010م.

سراج النور: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثانية، 2010، مصر، القاهرة.

#### 4\_ المؤلفات:

- أبو حامد الغزالي: المستصفى، دار الكتب العلمية بإشراف الناشر، الطبعة الأولى، لبنان، الجزء الثاني، 1413م.

- إبراهيم أبو ربيع: الإسلام على مفترق الطرق-رحلة في حياة وفكر بديع الزمان النورسي- ترجمة محمد فاضل، الطبعة الأولى، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، 2005م.

- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ، تحقيق خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1988م.

- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، مكتبة ابن تيمية، السعودية، الجزء الثاني، (د ط) (د ت).

- ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد بن محمد القرطبي: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمد عابد الجابري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997م.

\_ ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد بن محمد القرطبي: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، تحقيق الدكتور محمد عمارة، بيروت، دار المعارف، الطبعة الثانية، (ب ت).

- ابن سينا: الشفاء، مطابع الأميرية، القاهرة، (ب ت).

- ابن السعدي: عبد الله بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا، الطبعة الأولى، القاهرة، 2001م.

- ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ( تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، دار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

- ابن عطاء الإسكندري: إيقاظ الهمم في شرح الحكم، 6-ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة.
- ابن القيم الجوزية: المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان، تحقيق محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر ط1.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي الأنصاري: شرح أسماء الله الحسنى، جمع وإعداد قسم التحقيق، دار الصحابة للتراث بطنطا، 1412هـ.
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414 الجزء الرابع.
- إحسان قاسم الصالحي: رحلتي مع رسائل النور، اسطنبول، 2016م.
- الكسيس كاريل: الانسان ذلك المجهول، ترجمة عادل شفيق، دار القومية للطباعة والنشر، (ب ط)، (ب ت).
- الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
- أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، بيروت، 2001م.
- أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة الأمة، شركة النسل للطباعة، اسطنبول، 1995م.
- الأنصاري فريد: مفاتيح النور، دار النيل، القاهرة، (د ط)، (د ت).
- أورخان محمد علي: سعيد النورسي في نظر مفكري الغرب، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2004م.
- الأخضر شريط: أفكار من نور في الحضارة، في العدل الالهي في الأخلاق، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011م.
- الأمدي: المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين، في كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب لعرب الأمير الأعظم.
- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح، (صحيح البخاري) تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (د ط)، 1422هـ.

- البدوي: عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984م.
- البوطي: محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيّات الكونية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثامنة، 1997م.
- البوطي: محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن -تأملات علمية وأدبية في كتاب الله- مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م، (د ط).
- الجاحظ: عمرو بن يحيى بن محبوب بن فزارة، البيان والتبيين، القاهرة، 1948م
- الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، التعريفات، تحقيق وضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م.
- الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت 2001م.
- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د ط).
- جيدل، عمار: الرجل والإعصار، سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي،
- جيدل، عمار: ماهية الإنسان من خلال رسائل النور، الطبعة الأولى، شركة النسل للطبع والنشر والتوزيع، 2001م.
- جيدل، عمار: بديع الزمان سعيد النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية-المنهج والتطبيق- الطبعة الأولى، شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع، 2001م.
- جاسم سعود ليث: الإسلام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، 2004م.
- حسن عبد الرحمن بكير: بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة،
- حرب، محمد: مذكرات السلطان عبد الحميد، دار القلم، الطبعة الثالثة، دمشق، 1991م.
- الخطابي: محمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة، (د ت)، (د ط).
- خليل، عماد الدين: رؤية جمالية في الكلمات، قراءة في كتاب النورسي، دار سوزلر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 2011م.

- الدغامين: زياد خليل، من قضايا القرآن والإنسان في فكر النورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، 2009م.
- الدباغ، أديب إبراهيم: سعيد النورسي، رجل الإيمان في زمن الكفر والطغيان، دار الأنوار، اسطنبول.
- الرازي، محمد بن عمر بن حسين التيمي: مفاتيح الغيب، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1406هـ.
- زغلول النجار: موسوعة الآيات الكونية في القرآن، مكتبة الشروق الدولية، الجزء الثاني، 2007م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، 1407هـ.
- سالم محمد سالم: نقوش على جدران المنفى، سيرة بديع الزمان النورسي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2013م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ت).
- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر، القاهرة.
- الشعراوي، متولي: المعجزة القرآنية، دار الكتب والمكتبات.
- الشفيع، الماحي أحمد: معالم إيمانية والبعد العقدي في فكر النورسي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003م.
- الشناوي، عبد العزيز محمد: الدولة العثمانية دولة مفتري عليها، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003 م.
- شمشك، أوميد: الانفجار الكبير أو مولد الكون، ترجمة أورخان محمد علي، مطبعة الشعب، بغداد، 1986م.
- الصالح، إحسان قاسم: بديع الزمان سعيد النورسي، نظرة عامة عن حياته وآثاره، دار سوزلر للنشر، اسطنبول، (د ت)، (د ط).
- الصدر، محمد باقر: فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات، (د ط) (د ت).

- الصلابي، محمد علي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة2008، (د ط).
- الطبري، أبو عبد الرحمن بن جرير: جامع البيان في تأول القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الطنطاوي، عبد الله محمود: منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق، 1997م
- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2000م.
- طه عبد الرحمن: سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحدثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2000م.
- عويس، عبد الحليم: رجل القرآن وصناعة الإنسان، دار النيل للطباعة، والنشر، القاهرة، 2009م.
- عويس، عبد الحليم: رجل الإيمان والتجديد في وجه العلمانية والتقليد -بديع الزمان سعيد النورسي-، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، مصر، القاهرة، 2003م.
- عشراتي، سليمان: المعنى القرآني في رسائل النور، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر، القاهرة، 2009م.
- عشراتي سليمان: النورسي ومنهجه في الدعوة إلى القرآن، سبر لروح رسائل النور،
- عشراتي سليمان: جمالية التشكيل الفني في رسائل النور، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005م.
- عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، دار سوزلر للنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، 2010م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، (د ط)، بيروت، (د ت).
- الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد الطوسي: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ترجمة محمد عثمان، مكتبة القرآن ، القاهرة، (د ت).

- غنيم، كارم السيد: الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق،  
-الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،  
المكتبة العلمية، بيروت، (د ط) (د ت).
- فروخ، عمر والخالدي مصطفى: التبشير والإستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة  
العصرية، لبنان (د ت)، (د ط).
- مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة مشقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، الطبعة  
الثالثة، دمشق، 1967م.
- مالك بن نبي: مشكلات الحضارة القضايا الكبرى، دار الفكر المعاصر، (د ط)، دمشق،  
2000م.
- مأمون فريز جرار: الولؤ والمرجان من حكم بديع الزمان النورسي، دار المامون للنشر  
والتوزيع، الطبعة الأولى، الاردن، 2015م.
- ماكسيم رودنسون: الإسلام والإشترابية، دار الطليعة، الطبعة الأولى، بيروت، 1979م.
- محسن عبد الحميد: من معالم التجديد عند النورسي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الأولى،  
القاهرة، 2002م.
- محسن عبد الحميد: النورسي نحو فهم عصري للقرآن الكريم، شركة سوزلر للنشر،  
1998م.
- محسن عبد الحميد: النورسي متكلم العصر الحديث، دار سوزلر للنشر، القاهرة، (د ط) (د ت).
- محمد يعقوبي: مسالك العلة وقواعد الإستقراء عند الأصوليين وجون ستوارت مل، ديوان  
المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، الجزائر، 1994م.
- مجدي وهبة والمهندس كامل: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان،  
الطبعة الثانية، 1984م.
- المعجم الوسيط: معجم اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، الجزء الأول،  
2004م.
- معجم المعاني الجامع: معجم اللغة العربية المعاصر، بنك المعلومات الدولية.

-المودودي، أبو الأعلى: المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم، تعليق محمد محمود مهدي الاسطنبولي، دار الكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، 145هـ.

-نخبة من العلماء الأمريكيين: الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة دمرdash عبد المجيد سرحان، مراجعة محمد الفندي، دار القلم، بيروت.( د ت).

- النورسي، بديع الزمان سعيد: كل المجلدات وقد تم الإشارة إليها سابقا.

-النبراوي، خديجة: مشكلات عقلية قلبية للإنسان، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، 2004م.

-هارون يحي: التصميم في الطبيعة، ترجمة محمد علي أورخان، اسطنبول،( د ط)  
( د ت).

- الهاشمي، عابد توفيق: إنسانية الرجل والمرأة في القرآن الكريم بمنظور الإمام النورسي، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، مصر 2005م.

-واحدة، شكران: الإسلام في تركيا الحديثة-بديع الزمان النورسي- ترجمة محمد فاضل فاضل، شركة سوزلر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2007م.

-ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، المنمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1988م.

##### 5- المجلات العلمية:

-أحمد داود أوغلو: سياسة العالم الإسلامي في القرن العشرين في نظر النورسي، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد الثالث.

-أبو بكر العزاوي: النورسي رجل الحوار والإقناع، أو فصل المقال فيما بين الحوار والحجاج والاختلاف من إتصال، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد العاشر.

-عثمان محمد غريب: أواصر العناصر الكونية من منظور الأستاذ النورسي، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد العاشر.

-عمار جيدل: التعليم طريقا للتحضر، قراءة في رسائل النور، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد الثاني.

-عمار جيدل: الأبعاد الوظيفية للإنسان

- عبد المنعم يونس: النورسي ورؤيته للتصوف المعاصر، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد السابع.

- صباح الدين زعيم: الرؤية الحضارية من لال رسالة الاقتصاد، مجلة النور العدد الخامس.

- الشفيح الماحي احمد: منهج النورسي في شرح أسماء الله الحسنى، مجلة النور، العدد الثامن.

- محمد الروكي: جمالية المضمون العلمي في رسائل النور أصولها وملاحمها، مجلة النور العدد الحادي عشر.

- شكران واحدة: كتاب الكون وموقعه وتطوره في فكر النورسي، مجلة النور، العدد الثاني.  
**مجلة الأمة:**

- محسن عبد الحميد: النورسي رائد الفكر الإسلامي الحديث في تركيا، سنة 1928م  
**مجلة حراء:**

- طه عبد الرحمن: فصل المقال فيما بين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الانفصال عند النورسي، العدد الثالث 2006م.

**مجلة جامعة الأنبار:**

- فوزي حسام: الإعجاز العلمي وعلاقته بالمنهج التجريبي المعاصر، العدد الأول 2014.  
**مركز النور للدراسات الإسلامية:**

- فريد الأنصاري: النورسي من برز التصوف إلى معراج الإيمان، مركز رسائل النور.  
**المؤتمرات:**

- الجمالية في الفكر الإسلامي المعاصر،\_النورسي نموذجا\_جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، المغرب، أبريل 2005م، الطبعة الأولى 2006م.

-التفسير الأدبي للقرآن \_رسائل النور نموذا\_ جامعة المغرب ومركز البحوث لرسائل النور، اسطنبول ، الطبعة الأولى 2006م شركة سوزلر للنشر .

-التصوف ورسائل النور للنورسي: الطبعة الأولى 2006م، شركة سوزلر للنشر، جامعة الأزهر ومركز النور للدراسات والبحوث باسطنبول.

-البعد الأخروي في رسائل النور: مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم، ومركز رسائل النور اسطنبول، 2006م، الطبعة الأولى، 2007م، شركة سوزلر للنشر.

- بديع الزمان سعيد النورسي: تجديد الفكر الإسلامي، اسطنبول، 1992م، دار سوزلر للطباعة والنشر.
- الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي: مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم، مركز النور اسطنبول، 2006م، شركة سوزلر للنشر.
- النورسي أديبا، بأقلام نخبة من العلماء المعنيين بشؤون الفكر والأدب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء و مركز النور للدراسات والبحوث باسطنبول، الطبعة الأولى، 2004م، دار سوزلر للنشر والطباعة.
- العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور: المؤتمر العالمي السادس للنورسي سنة 2002م، تركيا.
- أحمد زرمان: النورسي والموقف من الحضارة الغربية، المؤتمر العالمي السابع حول تجديد الفكر الإسلامي.
- الإعجاز الطبي في القرآن الكريم: المؤتمر العلمي بولاية الشلف سنة 2019م، مع نخبة من العلماء الأفاضل.
- الملتقى الوطني الرابع: "السيمياء والنص الأدبي" المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة.